كتاب

الكامل فى التاريخ

تاليف الشيخ العلّامة عزّ الدين ابى الحسن علىّ ابى الكرم محمّد بن
محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانىّ المعروف

بابن الاثير

الجزو الحادى عشر

طبع
فى مدينة ليْدَن المحروسة
بمطبع بريل
سنة ١٨٥١ المسيحية

كتاب

كامل التواريخ

بسم الله الرحمن الرحيم   ربّ يسّر خيرًا

ذكر حصر المسترشد بالله الموصل

سنة ٥٢٧

فى هذه السنة (٥٢٧) حصر المسترشد بالله مدينة الموصل فى العشرين من شهر رمضان وسبب ذلك ما تقدّم من قصّة الشهيد زنكى ببغداد على ما ذكرناه قبلُ   فلمّا كان الآن قصد جماعة من الامرآء السلجقيّة باب المسترشد بالله وصاروا معه فقوى بهم واشتغل السلاطين السلجقيّة بالخلف الواقع بينهم فارسل الخليفة الشيخ بهآء الدين ابا الفتوح الاسفرايِنىّ الواعظ الى عماد الدين زنكى برسالة فيها خشونة زادها ابو الفتوح زيادةً ثقةً بقوّة الخليفة وناموس الخلافة فقبض عليه عماد الدين زنكى واهانه ولقيه بما يكره   فارسل المسترشد بالله الى السلطان مسعود يعرّفه الحال الذى جرى من زنكى ويُعلمه انّه على قصد الموصل وحصرها ، وتمادت الايّام الى شعبان فسار عن بغداد فى النصف منه فى ثلاثين الف مقاتل   فلمّا قارب الموصل فارقها اتابك زنكى فى بعض عسكره وترك الباقى بها مع نايبه نصير الدين جقر دزدارها[1] والحاكم فى دولته وامرهم بحفظها   ونازلها الخليفة وقاتلها وضيّق على من بها ، وامّا عماد الدين فانّه سار الى سنجار وكان يركب كلّ ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ومتى ظفر باحد من العسكر اخذه ونكّل به   وضاقت الامور بالعسكر ايضًا وتواطأ جماعة من الجصّاصين بالموصل على تسليم البلد فسُعى بهم فأُخذوا وصُلبوا   وبقى الحصار على الموصل نحو ثلاثة اشهر ولم يظفر منها بشىّ ولا بلغه عمّن بها وهنٌ ولا قلّة ميرة وقوت فرحل

[1] حعردرذارها

عنها عايداً الى بغداد فقيل انّ نصرًا الخادم وصل اليه من عسكر السلطان وابلغه عن عسكر السلطان مسعود ما اوجب مسيره وعوده الى بغداد وقيل بلغه انّ السلطان مسعودًا عزم على قصد بغداد فعاد بالجملة وانّه رحل عنها منحدرًا فى شبّارة فى دجلة فوصل الى بغداد يوم عرفة

ذكر مُلك شمس الملوك مدينة حماة

وفى هذه السنة ايضًا فى شوّال ملك شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة وقلعتها وهى لاتابك زنكى بن اقسنقر اخذها من تاج الملوك كما ذكرنا ولمّا ملك شمس الملوك قلعة بانيس اقام بدمشق الى شهر رمضان من هذه السنة وسار الى حماة فى العشر الاخير منه وسبب طمعه انّه بلغه انّ المسترشد بالله يريد يحصر الموصل فطمع وكان الوالى بحماة قد سمع الخبر فتحصّن واستكثر من الرجال والذخاير ولم يبق احد من اصحاب شمس الملوك الّا واشار عليه بترك قصدها لقوّة صاحبها فلم يسمع منهم وسار اليها وحصر المدينة وقاتل مَن بها يوم العيد وزحف اليها من وقته فتحصّنوا منه وقاتلوه فعاد عنهم ذلك اليوم فلمّا كان الغد بكّر اليهم وزحف الى البلد من جوانبه فملكه قهرًا وعنوةً وطلب مَن به الامان فامّنهم وحصر القلعة ولم تكن فى الحصانة والعلوّ على ما هى اليوم فانّ تقى الدين عمر بن اخى صلاح الدين قطع جبلها وعملها هكذا فى سنين كثيرة فلمّا حصرها عجز الوالى بها عن حفظها فسلّمها اليه فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخاير وسلاح وغير ذلك وسار منها الى قلعة شَيزر وبها صاحبها من بنى مُنقذ[1] فحصرها ونهب بلدها فراسله صاحبها وصانعه بمال حمله اليه فعاد عنه الى دمشق فوصل اليها فى ذى القعدة من السنة المذكورة

ذكر هزيمة صاحب طرابلس الفرنجىّ

وفى هذه السنة عبر الى الشام جمعٌ كثيرٌ من التركمان من بلاد الجزيرة واغاروا على بلاد طرابلس وغنموا وقتلوا كثيرًا فخرج القُمّص صاحب طرابلس فى جموعه فانزاح التركمان من بين يديه فتبعهم فعادوا

---

[1] منقد

اليه وقاتلوه فهزموه واكثروا القتل فى عسكره ومضى هو ومن سلم معه الى قلعة بعرين فتحصّنوا فيها وامتنعوا عن التركمان فحصرهم التركمان فيها فلمّا طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس ومعه عشرون فارسًا من اعيان اصحابه سرًّا فنجوا وساروا الى طرابلس وترك الباقين فى بعرين يحفظونها فلمّا وصل الى طرابلس كاتب جميع الفرنج فاجتمع عنده منهم خلق كثير وتوجّه بهم نحو التركمان ليرحّلهم عن بعرين فلمّا سمع التركمان بذلك قصدوهم والتقوهم وقُتل بينهم خلق كثير واشرف الفرنج على الهزيمة فجمعوا نفوسهم وعادوا على حميّة الى رفنية فتعذّر على التركمان اللحاق بهم الى وسط بلادهم فعادوا عنهم راجعين۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اشترى الاسماعيليّة بالشام قلعة حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون وصعدوا اليه وقاموا بحرب من يجاورهم من المسلمين والفرنج وكانوا كلّهم يكرهون مجاورتهم، وفيها وقع الخلف بالشام فقاتل بعضهم بعضًا ولم تجر لهم بذلك عادة قبل هذه السنة وقُتل بينهم جماعة، وفيها فى جمادى الاخرة اغار الامير سوّار مُقدّم عسكر زنكى بحلب على ولاية تلّ باشر فغنم الكثير فخرج اليه الفرنج فى جموع كثيرة فقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وكان عدّة القتلى نحو الف قتيل وعاد سالمًا، وفيها تاسع ربيع الاخر وثب على شمس الملوك صاحب دمشق بعض مماليك جدّه طغدكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه شيأ وتكاثر عليه مماليك شمس الملوك فاخذوه وقُرّر ما الذى حمله على ما فعل فقال اردتُّ اراحة المسلمين من شرّك وظلمك ولم يزل يُضرب حتى اقرّ على جماعة انّهم وضعوه على ذلك فقتلهم شمس الملوك بغير تحقيق وقتل معهم اخاه سونج فعظم ذلك على الناس ونفروا عنه، وفيها توفّى الشيخ ابو الوفآء الفارسىّ وكان له جنازة مشهودة حضرها اعيان بغداد، وفيها فى رجب توفّى القاضى ابو العبّاس احمد بن سلامة بن عبد الله بن مخلد المعروف بابن الرطبىّ الفقيه الشافعىّ قاضى الكرخ وتفقّه على ابى اسحق وابى نصر بن الصبّاغ وسمع الحديث ورواه وكان قريبًا من الخليفة يُؤدّب اولاده، وتوفّى ابو الحسين علىّ بن عبد الله بن

نصر المعروف بابن الزاغوني[1] الفقيه الحنبليّ الواعظ وكان ذا فنون توفّى في المحرّم، وتوفّى علىّ بن يعلى بن عوض بن القسم الهروىّ كان واعظًا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فاكثر، ومحمّد بن احمد بن علىّ ابو عبد الله الحرّانىّ وهو من اولاد محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وكان محمّد يلقّب بالديباج لحسنه واصله من مكّة وهو من اهل نابلس وكان مغاليًا في مذهب الاشعرىّ وكان يعظ توفّى في صفر، وفيها توفّى ابو فليتة[2] امير مكّة وولى الامارة بعده ابنه القسم، وفيها توفّى العزيز بن هبة الله بن علىّ الشريف العلوىّ الحسينىّ فجأةً بنيسابور وكان جدّه نقيب النقباء بخراسان وعرض على العزيز هذا نقابة العلويّين فامتنع وعرض عليه وزارة السلطان فامتنع ولزم الانقطاع والاشتغال بالله [الى] اخرته، وفيها توفّى قاضى قضاة خراسان ابو سعيد محمّد بن احمد ابن صاعدة وكان خيّرًا صالحًا ۞

ثمّ دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، سنة ٥٢٨

ذكر ملك شمس الملوك شقيف تيرون ونهبه بلد الفرنج

في هذه السنة في المحرّم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق منها الى شقيف تيرون وهو في الجبل المطلّ على بيروت وصيدا وكان بيد الضحّاك بن جندل رئيس وادى التيم قد تغلّب عليه وامتنع به فتحاماه المسلمون والفرنج يحتمى على كلّ طايفة بالاخرين فسار شمس الملوك اليه في هذه السنة واخذه منه في المحرّم وعظم اخذه على الفرنج لانّ الضحّاك كان لا يعترض الى شئٍ من بلادهم المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلمّا اجتمعت ساروا الى بلد حوران فخرّبوا امهات البلد ونهبوا اماكنهم نهبةً وكان شمس الملوك لمّا راهم يجمعون جمع هو ايضًا وحشد وحضر عنده جمعٌ كثيرٌ من التركمان وغيرهم فنزل بازاء الفرنج وجرت بينهم مناوشة عدّة ايّام ثمّ انّ شمس الملوك نهض ببعض عسكره وجعل الباقى قبالة الفرنج وهم لا يشعرون وقصد بلدهم طبريّة والناصرة وعكّا وما يجاورها من البلاد فنهب وخرّب

---

1) الزاعونى 2) مليتة

واحرق وسبى النسآء والذرّيّة وامتلات أيدى من معه من الغنايم واتّصل الخبر بالفرنج فانزعجوا ورحلوا فى الحال لا يلوى اخ على اخيه وطلبوا بلادهم وامّا شمس الملوك فانّه عاد الى عسكره على غير الطريق الذى سلكه الفرنج فوصل سالمًا ورأى الفرنج بلادهم خرابًا ففتّ فى اعضادهم وتفرّقوا وراسلوا فى تجديد الهدنة فهادنهم شمس الملوك فى ذى القعدة لسنة ۞

ذكر عود الملك طغرل[1] الى الجبل وانهزام الملك مسعود

فى هذه السنة عاد الملك طغرل بن محمّد بن ملكشاه ملك بلاد الجبل جميعها واجلى عنها اخاه السلطان مسعودًا وسبب ذلك انّ مسعودًا لمّا عاد من حرب اخيه طغرل بلغه عصيان داود بن اخيه السلطان محمود باذربيجان فسار اليه وحصره بقلعة روئنروكان فتحصّن بها واشتغل بحصره فجمع الملك طغرل العساكر واستمال بعض قوّاد مسعود ولم يزل يفتح البلاد فكثرت عساكره وقصد مسعودًا فلمّا قارب قزوين سار مسعود نحوه فلمّا تراءى العسكران فارق مسعودًا من امرآيه من كان قد استماله طغرل فبقى فى قلّة من العسكر فولّى منهزمًا اواخر رمضان وارسل الى المسترشد بالله فى القدوم بغداد فاذن له وكان نايبه باصفهان البقش[2] السلاحى ومعه الملك سلجوق[3] شاه فلمّا سمع بانهزام مسعود قصد بغداد ايضًا فنزل سلجوق[3] شاه بدار السلطان فاكرمه الخليفة وانفذ اليه عشرة الاف دينار ثمّ قدم مسعود بغداد واكثر اصحابه ركّاب جمال لعدم ما يركبوه ولقى فى طريقه شدّة فارسل اليه الخليفة الدوابّ والخيام والالات وغيرها من الاموال والثياب فدخل الدار السلطانيّة ببغداد منتصف شوّال وقام طغرل بهمدان ۞

ذكر حصر اتابك زنكى آمد وملكه قلعة الصور

فى هذه السنة اجتمع اتابك زنكى وتمرتاش صاحب ماردين وقصدا[4] مدينة آمد فحصراها فارسل صاحبها الى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا يستنجده فجمع عساكره وغيرها وسار نحو آمد ليرحّلهما عنها

---

[1]) Ubique طغرك [2]) البغش [3]) سلجوق [4]) وقصدوا

فالتقوا على باب آمد وتصافّوا فى جمادى الاخرة فاقتتلوا فانهزم داود وعاد مفلولاً وقُتل جماعة من عسكره واقام زنكى وتمرتاش على آمد محاصرين لها وقطعا الشجر وشعّثا البلد ثم عاد عنها من غير بلوغ غرض فقصد زنكى قلعة الصور من ديار بكر وحصرها وضايقها فلكها فى رجب من هذه السنة واتّصل به ضياء الدين ابو سعيد بن الكفرتُوثىّ [1] فاستوزره زنكى وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محبًّا للخير ۞

ذكر مُلك زنكى قلاع الاكراد الحميديّة

فى هذه السنة استولى عماد الدين زنكى على جميع قلاع الاكراد الحميديّة منها قلعة العقر [2] وقلعة شوش وغيرهما وكان لمّا ملك الموصل اقرّ صاحبها الامير عيسى الحميدىّ على ولايتها واعمالها ولم يعترضه على شئٍ ممّا هو بيده فلمّا حصر المسترشد الموصل حضر هذا عيسى عنده وجمع الاكراد عنده فاكثر فلمّا رحل المسترشد عن الموصل امر زنكى ان تُحصر قلاعهم فحُصرت مدّة طويلة وقُوتلت قتالاً شديدًا الى ان مُلكت هذه السنة فاطمأنّ اذا اهل السواد المجاورون لهولاء القوم فانّهم كانوا معهم فى ضايقة كبيرة من نهب اموالهم وخراب البلاد ۞

ذكر مُلك قلاع الهكّاريّة وكواشى

وحُكى عن بعض العلماء من الاكراد ممّن له معرفة باحوالهم انّ اتابك زنكى لمّا ملك قلاع الحميديّة واجلاهم عنها خاف ابو الهيجاء بن عبد الله صاحب قلعة اشب والجزيرة ونوشى فارسل الى اتابك زنكى من استحلفه له وحمل اليه مالاً وحضر عنده [3] زنكى بالموصل فبقى مدّةً ثم مات فدُفن بتلّ توبة ولمّا سار عن اشب الى الموصل اخرج ولده احمد بن ابى الهيجاء منها خوفًا ان يتغلّب عليها واعطاه قلعة نوشى وهذا احمد هو والد علىّ بن احمد المعروف بالمشطوب من اكابر امراء صلاح الدين بن ايّوب بالشام ولمّا اخرجه ابوه من اشب استناب بها كرديًّا يقال له باو الارجىّ فلمّا مات ابو الهيجاء سار ولده احمد من نوشى الى اشب ليملكها فمنعه باو واراد حفظها لولد صغير لابى الهيجاء اسمه

---

1) الكفرقوتى 2) العقد 3) عنده

علىّ فسار زنكى بعسكره فنزل على اشب وملكها، وسبب مُلكها انّ اهلها نزلوا كلّهم الى القتال فتركهم زنكى حتّى قاربوه واستجرّهم حتى ابعدوا عن القلعة ثمّ عطف عليهم فانهزموا فوضع السيف فيهم فاكثر القتل والاسر وملك زنكى القلعة فى الحال واحضر جماعة من مقدّمى الاكراد فيهم باو فقتلهم وعاد عنها الى الموصل، ثمّ سار عنها ففى غيبته ارسل نصير الدين جقر[1] نايب زنكى وخرّب اشب وخلّى كهيجة ونوشى وقليعة الجلاب وهى قلعة العماديّة وارسل الى قلعة الشعبانى وفرح وكوشر والزعفران وانقى ونمروة وهى حصون المهرانيّة فحصرها فملك الجميع واستقام امر الجبل والزوزان وامنت الرعايا من الاكراد، وامّا باقى قلاع الهكّاريّة جبل صور[2] وهرور والملاسى ومابرما وبابوخا وباكزا ونسباس فانّ قراجا صاحب العماديّة فتحها من مدّة طويلة بعد قتل زنكى وهذا قراجا كان اميرًا قد اقطعه زين الدين علىّ بلد الهكّاريّة بعد قتل زنكى، ولم اعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرتُه هاهنا وحكى غير هذا بعض فضلاء الاكراد وخالف فيه فقال انّ زنكى لمّا فتح قلعة اشب وخرّبها وبنى قلعة العماديّة ولم يبق فى الهكّاريّة الّا صاحب جبل صور وصاحب هرور ولم يكن لها شوكة يخاف منها عاد الى الموصل فخافه اصحاب القلاع الجبليّة فاتّفق انّ عبد الله بن عيسى بن ابراهيم صاحب الربيّة والقى وفرح وغيرها توفّى وملكها بعده ولده علىّ وكانت والدته خديجة بنت الحسن اخت ابراهيم وعيسى وهما من الامرآء مع زنكى وكانا بالموصل فارسلها ولدها علىّ الى اخويها وطلبا له الامان من زنكى وحلّفاه له ففعل ونزل الى خدمة زنكى واقرّه على قلاعه واشتغل زنكى بفتح قلاع الهكّاريّة، وكان الشعبانى بيد امير من المهرانيّة اسمه الحسن بن عُمر فاخذه منه وقرّبه منه لكبره وقلّة اعماله وكان نصير الدين جقر يكره عليًّا صاحب الربيّة وغيرها فحسّن لزنكى القبض عليه فاذن له فى ذلك فقبض عليه ثمّ ندم زنكى على قبضه فارسل الى نصير الدين ان يطلقه فرءاه قد مات قيل انّ نصير الدين قتله ثمّ ارسل العسكر

---

[1] حور [2] جل وصورا

الى قلعة الربيّة فنازلوها بغتةً فملكوها فى ساعة واسروا كلّ مَن بها من ولد علىّ واخوته واخواته وكانت والدة علىّ خديجة غايبة فلم توجد فلمّا سمع زنكى الخبر بفتح الربيّة سرّه وامر ان تسير العساكر الى باقى القلاع الّتى لعلىّ فسارت العساكر فحصروها فرءاوها منيعة فراسلهم زنكى ووعدهم الاحسان فاجابوه الى التسليم على شرط ان يطلق كلّ مَن فى السجن منهم فلم يجبهم الى ذلك الّا ان يسلّموا ايضًا قلعة كواشى فمضت خديجة والدة علىّ الى صاحب كواشى واسمه خول وهرون وهو من المهرانيّة فسالته النزول عن كواشى فاجابها الى ذلك وتسلّم زنكى القلاع واطلق الاسرى فلم يُسمع بمثل هذا فقال ينزل من مثل كواشى لقول امراة فامّا ان يكون اعظم الناس مروّةً لا يردّ من دخل بيته وامّا ان يكون اقلّ الناس عقلًا واستقامت ولاية الجبال ❊

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اوقع الدانشمند[1] صاحب ملطيّة بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرًا منهم، وفيها اصطلح الخليفة واتابك زنكى، وفيها فى ربيع الاوّل عُزل انوشروان بن خالد عن وزارة الخليفة، وفيها توفيت امّ المسترشد بالله، وفيها سيّر المسترشد عسكرًا الى تكريت يحصروا مجاهد الدين بهروز[2] فمانع عنها بمال فعادوا عنه، وفيها اجتمع من العساكر السنجريّة مع الامير ارغش وحصروا قلعة كردكوه بخراسان وهى للاسماعيليّة وضيّقوا على اهلها وطال حصرها وعُدمت عندهم الاقوات فاصاب اهلها تشنّج وكزاز وعجز كثير منهم عن القيام فضلًا عن القتال فلمّا ظهرت امارات الفتح رحل الامير ارغش فقيل انّهم حملوا اليه مالًا كثيرًا واعلاقًا نفيسة فرحل عنهم، وفيها توفّى الامير سليمان بن مهارش العقيلىّ امير بنى عقيل وولى الامارة بعده اولاده مع صغر سنّهم وطيف بهم فى بغداد رعايةً لحقّ جدّهم مهارش فانّه هو الذى كان للخليفة القايم بامر الله عنده لمّا فعل به البساسيرى ما ذكرنا، وفيها توفّى الفقيه ابو علىّ الحسن بن ابرهيم بن فرعون الشافعىّ الفارقىّ ومولده سنة ثلاث وثلاثين

---

1) الداعشنة 2) مهرور

واربعمائة وتفقّه على ابى عبد الله الكازرونى فلمّا توفّى الكازرونى انحدر الى بغداد وتفقّه على ابى اسحق الشيرازىّ وابى نصر الصبّاغ وولى القضاء بواسط وكان خيّرًا فاضلًا لا يوارى ولا يحابى احدًا فى الحكم، وفيها توفّى عبد [الله] بن محمّد بن احمد بن الحسن ابو محمّد بن ابى بكر الفقيه الشافعىّ تفقّه على ابيه وكان يعظ ويكثر فى كلامه من التجانس فمن ذلك قوله ايّن القدود العاليّة، والخدود الورديّة، مثلت بها والله العافية والورديّة، وهما مقبرتان بنهر معلّى، ومن شعره

الدمعُ دمًا يسيل من اجفانى ... ان عشتُ مع البكاء فما أجفانى
سجنى شجنى وهمّنى سمّانى ... العاذل بالملام قد سمّانى
والذكر لهم يزيد فى اشجانى ... والنوح مع الحمام قد اشجانى
ضاقت ببعاد منيتى اعطانى[1] ... والبين يد الهموم قد اعطانى،

وفيها توفّى ابن ابى الصلت الشاعر ومن شعره يذمّ ثقيلاً

لى صديق تجبتُ كيف أستطاعتْ ... هذه الارض والجبالُ تُقلُّهْ
انا أرعاه مكرمًا وبقلبى ... منه ما يتلف الجبال اقلّهْ
هو مثل المشيب اكره رويا ... هُ ولكن اصونه وأجِلُّهْ

وله ايضًا

ساد صغار الناس من عصرنا ... لا دام من عصر ولا كانا
كالدّست مهما همّ أن ينقضى ... صار به البيدق فرزانا،

وفيها توفّى محمّد بن علىّ بن عبد الوهّاب ابو رشيد الفقيه الشافعىّ من اهل طبرستان وسمع الحديث ايضًا ورواه وكان زاهدًا عابدًا اقام بالجزيرة وهى جزيرة ابن عمر سنين منفردًا يعبد الله سبحانه وتعالى وعاد الى آمل[2] وقبره بها ۞

سنة ٥٢٩ ثمّ دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة،

ذكر وفاة الملك طغرل وملك مسعود بلد الجبل

قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود الى بغداد منهزمًا من اخيه الملك طغرل وانّ الخليفة اكرمه وحمل اليه ما يحتاج اليه مثله وامره بالمسير الى همذان وجمع العساكر ومنازعة اخيه طغرل فى السلطنة

1 (¹ ... آمد (²

والبلاد ومسعود يَعِد ويدافع الايّام والخليفة يحثّه على ذلك ووعده ان يسير معه بنفسه وامر ان يبرز خيامه الى باب الخليفة، وكان قد اتّصل الامير البقش السلاحيّ وغيره من الامرآء بالخليفة وطلبوا خدمته فاجابهم وصاروا معه واتّفق انّ انسانًا أُخِذ فوُجِد معه مُلَطّفاتٌ من طغرل الى هولآء الامرآء بالاقطاع لهم فلمّا راى الخليفة ذلك قبض على امير منهم اسمه غُلبك ونهب ماله فاستشعر غيره من الامرآء الذين مع الخليفة فهربوا الى عسكر السلطان مسعود فارسل الخليفة اليه فى اعادتهم اليه فلم يفعل واحتجّ باشيآء فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرة ووحشة اوجبت تاخّره عن المسير معه وارسل اليه يلزمه بالمسير معه امرًا جزمًا، فبينما الامر على هذا اذ جآء الخبر بوفاة اخيه طغرل وكانت وفاته فى المحرّم من هذه السنة وكان مولده سنة ثلاث وخمسمايّة فى المحرّم وكان خيّرًا عاقلاً عادلاً قريبًا الى الرعيّة محسنًا اليهم وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر لقتال اخيه مسعود فدعا له الناس فقال ادعوا بخيرنا للمسلمين ولمّا توفّى ووصل الخبر الى مسعود سار من ساعته نحو همدان واقبلت العساكر جميعها اليه واستوزر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان قد خرج صحبته هو واهله ووصل مسعود الى همدان واستولى عليها واطاعته البلاد جميعها واهلها ۞

ذكر قتل شمس الملوك ومُلك اخيه

فى هذه السنة رابع عشر ربيع الاخر قُتل شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك بورى بن طغدكين صاحب دمشق وسبب قتله انّه ركب طريقًا من الظلم ومصادرات العمّال وغيرهم من اعمال البلد وبالغ فى العقوبات لاستخراج الاموال وظهر منه بخلٌ زايد ودناءة نفس بحيث انّه لا يانف من اخذ الشئّ الحقير بالعدوان الى غير ذلك من الاخلاق الدنيّة وكرهه اهله واصحابه ورعيّته، ثمّ انّه ظهر عنه انّه كاتب عماد الدين زنكى انّه يُسلّم اليه دمشق ويحثّه على سرعة الوصول واخلى المدينة من الذخاير والاموال ونقل الجميع الى صوبه وتابع الرسل الى زنكى يحثّه على الوصول اليه ويقول له ان اهملتَ المجىءَ سلّمتُ البلد

الى الفرنج، فسار زنكى فظهر الخبر بذلك فامتعض اصحاب ابيه وجدّه واقلقهم وذكروا الحال لوالدته فساءها واشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الامر ثم انها ارتقبت الفرصة فى الخلوة من غلمانه فلمّا رءاته على ذلك امرت غلمانها بقتله فقُتل وامرت بإلقايه على موضع فى الدار ليشاهده غلمانه واصحابه فلمّا رءاوه قتيلًا سُرّوا لمصرعه وبالراحة من شرّه وكان مولده سابع جمادى الاخرة سنة ستّ وخمسمايةٍ، وقيل كان سبب قتله انّ والده كان له صاحبٌ اسمه يوسف بن فيروز وكان متمكّنًا منه ماكنًا فى دولته ثم فى دولة شمس الملوك بعده فاتّهم بامّ شمس الملوك ووصل الخبر اليه بذلك فهَمّ بقتل يوسف فهرب منه الى تدمر وتحصّن بها واظهر الطاعة لشمس الملوك فاراد قتل أُمّه فبلغها الخبر فقتلته خوفًا منه والله اعلم ولمّا قُتل ملك بعده اخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك وحلف له الناس واستقرّ له المُلك بعده والله اعلم ❁

ذكر حصر اتابك زنكى دمشق

فى هذه السنة حصر اتابك زنكى دمشق ونازلها اوّل جمادى الاولى وسببه ما ذكرنا من ارسال شمس الملوك صاحبها اليه واستدعايه ليسلّمها اليه فلمّا [وصلت] كتبه ورسله سار اليها فقُتل شمس الملوك قبل وصوله ولمّا عبر الفراة ارسل اليه رسلًا فى تقرير قواعد التسليم فرءاوا الامر قد فات الّا انّهم أُكرموا واحسن اليهم واعيدوا باجمل هيْئَت وعرّفوا زنكى بقتل شمس الملوك وانّ القواعد عندهم مستقرّة لشهاب الدين والكلمة متّفقة على طاعته فلم يحفل زنكى بهذا الجواب وسار الى دمشق فنازلها واجفل اهلُ السواد اليها واجتمعوا فيها على محاربته ونزل اوّلًا شماليها ثم انتقل الى ميدان الحصى وزحف وقاتل فراى قوّة ظاهرة وشجاعة عظيمة واتّفاقًا تامًّا على محاربته، وقام معين الدين أُنُر مملوك جدّه طغدكين فى هذه الحادثة بدمشق قيامًا مشهودًا وظهر من معرفته بامور الحصار والقتال وكفايته ما لم يُرَ وما كان سبب تقدّمه واستيلايه على الامور باسرها على ما نذكر ان شاء الله تعالى فبينما هو يحاصرها وصل رسول الخليفة المسترشد بالله وهو

ابو بكر بن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر خلع لاتابك زنكى وبامره بصلح صاحب دمشق الملك البارسلان محمود الذى مع اتابك زنكى فرحل عنها لليلتين مضين من جمادى الاولى من السنة المذكورة ❁

ذكر قتل حسن بن الحافظ

قد ذكرنا سنة ستّ وعشرين وخمسمائة انّ الحافظ لدين الله صاحب مصر استوزر ابنه حسنًا وخطب له بولاية العهد فبقى الى هذه السنة ومات مسمومًا، وسبب ذلك انّه كان جريًّا على سفك الدمآء وكان فى نفس الحافظ على الامرآء الذين اعانوا ابا علىّ بن الافضل حقدٌ ويريد الانتقام منهم من غير ان يباشر ذلك بنفسه فاستوزر ابنه وامره بذلك فتغلّب على الامر جميعه واستبدّ به ولم يبق لابيه معه حكمٌ وقتل من الامرآء المصريّين ومن اعيان البلاد جمعًا حتّى قيل انّه قتل فى ليلة واحدة اربعين اميرًا فلمّا راى ابوه تغلّبه عليه اخرج له خادمًا من خدم القصر الاكابر فجمع الجموع وحشد من الرجّالة خلقًا كثيرًا وتقدّم الى القاهرة ليقاتل حسنًا ويخرجه منها فارسل له جماعة من خواصّه واصحابه فقاتلوهم فانهزم الخادم وقُتل معه الرجال الذين معه وعبر الباقون الى الجيزة فاستكان الحافظ فصير تحت الحجر، ثمّ انّ الباقين من الامرآء المصريّين اجتمعوا واتّفقوا على قتل حسن وارسلوا الى ابيه الحافظ وقالوا له امّا انّك تسلّم ابنك الينا لنقتله او نقتلكما جميعًا فاستدعى ولدّه اليه واحتاط عليه وارسل الى الامرآء بذلك فقالوا لا نرضى الّا بقتله فراى انّه ان سلّمه اليهم طمعوا فيه وليس الى ابقايه سبيل فاحضر طبيبَيْن كانا له احدهما مسلم والاخر يهودىّ فقال لليهودىّ نريد سمّا نسقيه لهذا الولد ليموت ونخلص من هذه الحادثة فقال انا لا اعرف غير النقوع ومآء الشعير وما شاكل هذا من الادوية فقال انا اريد ما اخلص به من هذه المصيبة فقال له لا اعرف شيًّا فاحضر المسلم وامره بذلك فصنع له شيًّا فسقاه الولد فمات لوقته فارسل الحافظ الى الجند يقول لهم انّه قد مات فقالوا نريد ننظر اليه فاحضر بعضهم عنده فرءاوا وظنّوه قد عمل حيلة فجرحوا اسافل رجليه فلم يجر منها دم فعلموا موته ودُفن حسن واحضر

الحافظ الطبيب المسلم وقال له اخرج من عندنا من القصر وجميع ما لك من الانعام والجامكية باق عليك واحضر اليهوديّ وقال اعلم انّك تعرف ما طلبته منك ولكنّك عاقل فتقيم فى القصر عندنا وكان حسن سيّئ السيرة ظالماً جريًّا على سفك الدمآء واخذ الاموال فهجاه الشعرآء فمن ذلك ما قال المعتمد بن الانصاريّ صاحب الترسّل المشهور

لم تات يا حسنٌ بين الورى حسناً ولم تَرَ الحقّ فى دنيا ولا دين
قتلَ النفوس بلا جرم ولا سبب والجور فى اخذ اموال المساكين
لقد جمعتَ بلا علم ولا ادب تيه الملوك واخلاق المجانين

وقيل انّ الحافظ لمّا راى ابنه تغلّب على الملك وضع عليه مَن سقاه السمّ فمات والله اعلم، ولمّا مات حسن استوزر الحافظ الاميرَ تاج الدولة بهرام وكان نصرانيًّا فتحكّم واستعمل الارمن على الناس فاستذلّوا المسلمين وسنذكر اخباره سنة احدى وثلاثين وخمسماية ان شآء الله تعالى

ذكر مسير المسترشد الى حرب السلطان مسعود وانهزامه

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان مسعود فى شهر رمضان، وسبب ذلك انّ السلطان مسعودًا لمّا سافر من بغداد الى همذان بعد موت اخيه طغرل وملكها فارقه جماعة من اعيان الامرآء منهم برنقش[1] بازدار وقزل اخر وسنقر الخمارتكين والى همذان وعبد الرحمن بن طغايرك[2] وغيرهم خايفين منه مستوحشين ومعهم عددٌ كثيرٌ ومعهم دُبيس بن صدقة وارسلوا الى الخليفة يطلبون منه الامان ليحضروا فى خدمته فقيل له انّها مكيدة لانّ دبيسا معهم وساروا نحو خوزستان واتّفقوا مع برسق بن برسق فارسل الخليفة اليهم سديد الدولة ابن الانبارىّ بتوقيعات الى الامرآء المذكورين بتطييب نفوسهم والامر بحضورهم وكان الامرآء المذكورون قد عزموا على قبض دبيس والتقرّب الى الخليفة بحمله اليه فبلغه ذلك فهرب الى السلطان مسعود وسار الامرآء الى بغداد فى رجب فاكرمهم الخليفة وحمل اليهم الاقامات والخلع وقُطعت خُطب السلطان مسعود من بغداد، وبرز الخليفة

---

1) برنقش 2) طغايرك

فى العشرين من رجب على عزم المسير الى قتال مسعود واقام فى الشفيعىّ[1] فعصى عليه بكبه[2] صاحب البصرة فهرب اليها فراسله وبذل له الامان فلم يعُد اليه، وتربّث الخليفة عن المسير وهؤلاء الامرآء يحسّنون له الرحيل ويسهّلون عليه الامر ويصغّرون عنده امرَ السلطان مسعود فسيّر مقدّمته الى حلوان فنهبوا البلاد وافسدوا ولم ينكر عليهم شيئا، ثمّ سار الخليفة ثامن شعبان ولحق به فى الطريق الامير برسق بن برسق[3] فبلغت عدّتهم سبعة الاف فارس وتخلّف بالعراق مع اقبال خادم المسترشد بالله ثلاثة الاف فارس وكان السلطان مسعود بهمدان فى نحو الف وخمس مائة فارس وكان اكثر اصحاب الاطراف يكاتبون الخليفة ويبذلون[4] له الطاعة فتربّث فى طريقه فاستصلح السلطان مسعود اكثرهم حتّى عادوا اليه فصاروا نحو خمسة عشر الف فارس وتسلّل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتّى بقى فى خمسة الاف وارسل اتابك زنكى نجدة فلم يلحق وارسل الملك داود بن السلطان محمود وهو باذربيجان الى الخليفة يشير بالميل الى الدينور ليحضر بنفسه وعسكره فلم يفعل المسترشد وسار حتّى بلغ دايمرج[5] وعبّى اصحابه فجعل فى الميمنة برنقش[6] بازدار ونور الدولة سنقر وقزل اخر وبرسق بن برسق وجعل فى الميسرة جاولى وبرسق شراب سلار وغلبك[7] الذى كان الخليفة قد قبض عليه واخرجه من محبسه ولمّا سمع السلطان مسعود خبرهم سار اليهم مجدًّا فواقعهم بدايمرج عاشر رمضان وانحازت ميسرة الخليفة الى السلطان مسعود فصارت معه واقتتلت ميمنة الخليفة وميسرة السلطان قتالاً ضعيفًا ودارت عساكر السلطان حول عساكر الخليفة وهو ثابت لم يتحرّك من مكانه وانهزم عسكره وأُخذ هو اسيرًا ومعه جمع كثير من اصحابه منهم الوزير شرف الدين علىّ بن طراد الزينبىّ وقاضى القضاة وصاحب المخزن ابن طلحة وابن الانبارىّ والخطبآء والفقهآء والشهود وغيرهم وانزل الخليفة فى خيمة وغنموا ما فى معسكره وكان كثيرا، فحمل الوزير وقاضى القضاة وابن الانبارىّ وصاحب المخزن وغيرهم من

[1]) C. P. et 740. Ups: السفيعىّ [2]) C. P. 740: بكتنه Ups: بلبه [3]) Hoc solo loco: برشق بن برشق [4]) ويبدلون [5]) ذاىمرخ [6]) برنقش [7]) اغلباك

الاكابر الى قلعة سرجهان وباع الباقون نفوسهم بالثمن الطفيف ولم يقتل فى هذه المعركة احدٌ وهذا اعجب ما يُحكى وعاد السلطان الى همدان وامر فنودى مَن تبعنا الى همدان من البغاددة قتلناه فرجع الناس كلّهم على اقبح حال لا يعرفون طريقاً وليس معهم ما يحملهم، وسيّر السلطان الامير بك ابه[1] المحمودىّ الى بغداد شحنةً فوصلها سلخ رمضان ومعه عبيد فقبضوا جميع املاك الخليفة واخذوا غلّاتها وثار جماعة من عامّة بغداد فكسروا المنبر والشباك ومنعوا من الخطبة وخرجوا من الاسواق يحثّون التراب على رؤسهم ويبكون ويصيحون وخرج النسآء حاسرات فى الاسواق يلطمن واقتتل اصحاب الشحنة وعامّة بغداد فقُتل من العامّة ما يزيد على مائة وخمسين قتيلاً[2] وهرب الوالى وحاجب الباب واما السلطان فانّه سار فى شوّال من همدان الى مراغة لقتال الملك داود ابن اخيه محمود وكان قد عصى عليه فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه فتردّدت الرسل بين الخليفة وبين السلطان فى الصلح فاستقرّت القاعدة على ما نذكره ان شآء الله والله الموفّق٭

ذكر قتل المسترشد بالله وخلافة الراشد بالله

لمّا قُبض المسترشد بالله ابو منصور بن الفضل بن المستظهر بالله ابى العبّاس احمد على ما ذكرناه جعله السلطان مسعود فى خيمة ووكّل به مَن يحفظه وقام بما يجب من خدمته وتردّدت الرسل بينهما فى تقرير قواعد الصلح على مال يؤدّيه الخليفة وان لا يعود يجمع العساكر وان لا يخرج من داره فاجاب السلطان الى ذلك وارکب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق الّا ان يعود الى بغداد، فوصل الخبر انّ الامير قزان خوان قد ورد رسولاً من السلطان سنجر فتاخّر مسير المسترشد لذلك وخرج الناس مع السلطان مسعود الى لقآئه وفارق الخليفة بعض مَن كان موكّلا به وكانت خيمة منفردة عن العسكر فقصده اربعة وعشرون رجلا من الباطنية دخلوا عليه فقتلوه وجرحوه على ما يزيد على عشرين جراحة ومثّلوا به فجدعوا

---

[1]) C. P. et 740. Ups: بك ابه   [2]) قتيل

انفد وانتبه وتركوه عريانًا وقُتل معه نفر من اصحابه منهم ابو عبد الله بن سُكينة وكان قتله يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة على باب مراغة وبقى حتّى دفنه اهل مراغة، وامّا الباطنيّة فقُتل منهم عشرة وقيل بل قُتلوا جميعهم والله اعلم، وكان عمره لمّا قُتل ثلاثًا واربعين سنة وثلاثة اشهر وكانت خلافته سبعة عشر سنة وستّة اشهر وعشرين يومًا وأُمّه امّ ولد وكان شهمًا شجاعًا كثير الاقدام بعيد الهمّة واخباره المذكورة ترى على ما ذكرناه وكان فصيحًا بليغًا حسن الخطّ ولقد رايتُ خطّه فى غاية الجودة ورايتُ اجوبته على الرقاع من احسن ما يكتب وافصحه، ولمّا قُتل المسترشد بالله بويع ابنه الراشد بالله ابو جعفر المنصور ولُقّب الراشد بالله وكان ابوه قد بايع له بولاية العهد فى حياته وجُدّدت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى القعدة وكتب السلطان مسعود الى بك ابه[1] الشحنة ببغداد يبايع له وحضر الناس البيعة وحضر بيعته احدٌ وعشرون رجلاً من اولاد الخلفآء وبايع له الشيخ ابو النجيب ووعظه وبالغ فى الموعظة، وامّا جمل الدولة المسترشدىّ فكنّه كان ببغداد فى طايفة من العسكر فلمّا جرت هذه الحادثة عبر الى الجنب الغربىّ واصعد الى تكريت وراسل مجاهد الدين بهروز[2] وحلّفه وصعد اليه.[الى] القلعة ۞

ذكر مسير السلطان سنجر الى غزنة وعوده عنها

فى هذه السنة فى ذى القعدة سار السلطان سنجر من خراسان الى غزنة وسبب انّه نُقل اليه عن صاحبها بهرام شاه انّه تغيّر عن طاعته وانّه قد مدّ يده الى ظلم الرعايا واغتصاب اموالهم وكان السلطان سنجر هو الذى ملك غزنة وقد ذكرناه سنة تسع وخمسماية فلمّا سمع هذه الاخبار المزعجة سار الى غزنة لياخذها او يصلحه فلمّا راى الطريق وأَبْعد ادركهم شتآء شديد البرد كثير الثلج وتعذّرت عليهم الاقوات والعلوفات فشكى العسكر الى السلطان ذلك وذكروا له ما هم فيه من الضيق وتعذّر ما يحتاجون اليه فلم يجب عنه بغير

---

1) C. P. et 470. Ups: بدابه   2) بهرور

التقدّم امامه فلمّا قارب غزنة ارسل بهرام شاه الى سنجر رسلاً يضرع ويسال الصفح عن جرمه والعفو عن ذنبه فارسل اليه سنجر المقرّب جوهر الخادم وهو اكبر امير عنده ومن جملة اقطاعه مدينة الريّ في جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه ان حضر عنده وعاد الى طاعته فلمّا وصل الى بهرام شاه اجابه الى ما طلب منه من الطاعة وحمل المال والحضور عنده بنفسه واظهر من الطاعة والانقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيئاً كثيرًا وعاد المقرّب جوهر ومعه بهرام شاه الى سنجر فلمّا قاربه سبق المقرّب الى السلطان سنجر واعلمه بوصول بهرام شاه وانّه بكرة غد يكون عنده وعاد المقرّب الى بهرام شاه ليجيء بين يديه وركب سنجر من الغد في موكبه لتلقيه وتقدّم بهرام شاه ومعه المقرّب فلمّا عاين موكب سنجر والشتر[1] على راسه نكص على عقبيه عايدًا فامسك المقرّب عنانه وقبّح فعله وخوّفه عاقبة ذلك فلم يرجع وولّى هاربًا ولا يصدق بنجاته ظنًّا منه انّ سنجرًا ياخذه ويملك بلده وتبعه طايفة من اصحابه وخواصّه ولم يعرّج على غزنة وسار سنجر الى غزنة فدخلها وملكها واحتوى على جميع ما فيها وجبى اموالها وكتب الى بهرام شاه يلومه على ما فعله ويحلف له انّه ما اراد به شرًّا ولا له في بلده مطمعٌ ولا هو ممّن تلوّن صنيعته وتعقّب حسنته معه سيّئة وانّما قصده لاصلاحه فعاد بهرام شاه الجواب يعتذر ويتنصّل ويقول انّ الخوف منعه من الحضور ولا لوم على من خاف من السلطان وتضرّع في عوده الى الاحسان فاجابه سنجر الى ان يعيد عليه بلده وفارق غزنة عايدًا الى بلاده فوصل الى بلخ في شوّال سنة ثلاثين وخمسمائة واستقرّ مُلك غزنة لبهرام شاه ورجع اليها ٭

ذكر قتل دُبيس بن صدقة بالتاريخ

في هذه السنة قتل السلطان مسعودٌ دُبيسَ بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خُوَيّ امر غلامًا ارمنيًّا بقتله فوقف على راسه وهو ينكت الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة

[1] والستر

بالحلّة فاجتمع اليه عسكر ابيه ومماليكه وكثر جمعه واستامن اليه الامير قفلغ[1] تكين وامر السلطان مسعود بك ابه[2] ان ياخذ الحلّة فسار ببعض عسكره الى المداين واقام مدّة ينتظرون لحاق بك ابه[2] فلم يسر اليهم جُبْنًا وعجزًا عن قصد الحلّة لكثرة العسكر بها مع صدقة. وبقى صدقة بالحلّة الى ان قدم السلطان مسعود الى بغداد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فقصده واصلح حاله معه ولزم باب السلطان، ومثل هذه الحادثة تقع كثيرًا وهو قرب موت المتعاديين فانّ دُبيسًا كان يُعادى المسترشد بالله ويكره خلافته ولم يكن يعلم انّ السلاطين انّما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عُدّة لمقارنة المسترشد فلمّا زال السبب زال المسبّب والله اعلم بذلك☆

ذكر حصر عسكر يحيى المهديّة

في هذه السنة سيّر يحيى بن العزيز بن حمّاد صاحب بجاية عسكرًا ليحصروا المهديّة وبها صاحبها الحسن بن علىّ بن تميم ابن المعزّ بن باديس، وكان سبب ذلك انّ الحسن احبّ ميمون بن زيادة امير طايفة كبيرة من العرب ومال اليه واكثر الانعام عليه فحسده غيره من العرب فساروا الى يحيى بن العزيز باولادهم وجعلوهم رهاين عنده وطلبوا منه ان يرسل معهم عسكرًا ليملكوا المهديّة فاجابهم الى ذلك وهو متباطئ فاتّفق انّه وصله كتب من بعض مشايخ المهديّة بمثل ذلك فوثق الى ما اتاه وسيّر عسكرًا كثيرًا واستعمل عليهم قايدًا كبيرًا من فقهآء اصحابه يقال له مطرف بن حمدون وكان هذا يحيى بن العزيز هو وآباؤه يحصرون المعزّ بن باديس واولاده بعده فسارت العساكر الفارس والراجل ومعهم من العرب جمع كثير حتّى نزلوا على المهديّة وحصروها برًّا وبحرًا وكان مطرف يُظهر التقشّف والتورّع عن الدماء وقال انّما اتيتُ الآن لاتسلّم البلد بغير قتال فخاب ظنّه فبقى ايّامًا لم يقاتل ثمّ انّهم باشروا فظهر اهل المهديّة عليهم واثّروا فيهم وتتابع القتال وفي كلّ ذلك الظفر لاهل البلد وقُتل من الخارجين الجمّ الغفيرُ وجمع مطرف عسكره برًّا وبحرًا لمّا يئس من التسليم وقاتل اشدّ قتال فملكت شوانيه شيئًا

---

[1] قعلع [2] C. P. et 740. Ups: بدانه

البحر وقربوا من السور فاشتدّ الامر فامر الحسن بفتح الباب وخرج اوّل الناس وحمل هو ومن معه عليهم وقال انا الحسن فلمّا سمع من يقاتله ذلك سلّموا عليه وانهزموا عنه اجلالاً له ثم اخرج الحسن شوانيه تلك الساعة من الميناء فأُخذ من تلك الشواني اربع قطع وهرب الباقون ثم وصلت نجدة من رجّار الفرنجيّ صاحب صقلّية في البحر في عشرين قطعة فحصرت شواني صاحب بجاية فامرهم الحسن باطلاقها فاطلقوها ثم وصل ميمون بن زيادة في كثير من العرب لنصرة الحسن فلمّا راى ذلك مطرف وانّ النجدات تاتي الحسن في البرّ والبحر علم انّه لا طاقة له بهم فرحل عن المهديّة خايبًا واقام رجّار الفرنجيّ مظهرًا للحسن انّه مهادنه وموافقه وهو مع ذلك يعمّر الشواني ويكثر عددها والاتها ❊

ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة

كانت جزيرة جربة من بلاد افريقية قد استوت في كثرة عمارتها وخيراتها غير انّ اهلها طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان ويعرفون بالفساد وقطع الطريق، فخرج اليها جمع من الفرنج اهل صقلّية في اسطول كثير وجمّ غفير فيه من مشهوري فرسان الفرنج جماعة فنزلوا بساحتها واداروا المراكب بجهاتها واجتمع اهلها وقتلوا قتالاً شديدًا فوقع بين الفريقين وقعات عظيمة فثبت اهل جربة فقتل منهم بشر كثير فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا اموالها وسبوا حريمها ونساءها واطفالها وهلك اكثر رجالها وعاد من بقي منهم اخذوا لانفسهم امانًا من صاحب صقلّية وانّهم افتكّوا اسراهم وسبيهم وحريمهم والله اعلم بذلك ❊

ذكر ملك الفرنج حصن روطة من بلاد الاندلس

في هذه السنة اصطلح المستنصر بالله ابن هود[1] والسُليطين الفرنجيّ صاحب طليطلة مدّة عشر سنين وكان السليطين قد ادمن غزو بلاد المستنصر وقتالها حتى ضعف صاحبها عن مقاومته لقلّة جنوده وكثرة الفرنج فراى ان يصالحه مدّة يستريح فيها هو وجنوده ويعتدّون للمعاودة فتردّدت الرسل بينهم فاستقرّ الصلح على ان يسلّم المستنصر الى السليطين

---

[1] دوهور

حصن روطة وهو من امنع الحصون واحصنها فاستغرّت القاعدة واصطلحوا وتسلّموا منه الفرنج الحصن وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله احدٌ

ذكر حصر ابن ردمير مدينة افراغة وهزيمته وموته

وفى هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجىّ لعنه الله مدينة افراغة من شرق الاندلس وكان الامير تاشفين بن علىّ ابن يوسف بمدينة قرطبة اميرًا على الاندلس لابيه فجهّز الزبير بن عمرو اللمتونىّ من[1] قرطبة ومعه الفا فارس وسيّر معه ميرة كثيرة الى افراغة وكان يحيى ابن غانية الامير المشهور امير مُرسيّة وبلنسيّة من شرق الاندلس واليه الامر بها لامير المسلمين علىّ بن يوسف فتجهّز فى خمس مايئة فارس وكان عبد الله بن عياض صاحب مدينة لاردة فتجهّز فى مايتىْ فارس فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتّى اشرفوا على مدينة افراغة وجعل الزبير الميرة امامهُ وابن غانية امام الميرة وابن عياض امام[2] ابن غانية وكان شجاعًا[3] وكذلك جميع مَن معه وكان ابن ردمير فى اثنى عشر الف فارس فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين فقال لاصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهديّة الّتى ارسلها المسلمون اليكم وادركه العُجب ونفّذ قطعة كبيرة من جيشه فلمّا قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم وردّ بعضهم على بعض وقتل فيهم والتحم القتال وجآء ابن ردمير بنفسه وعساكره جميعًا مدلّين بكثرتهم وشجاعتهم فحمل ابن غانية وابن عياض فى صدورهم واشتدّ الامر بينهم وعظم القتال فكثر القتل فى الفرنج وخرج فى الحال اهل افراغة جميعهم ذكرهم وانثاهم صغيرهم وكبيرهم الى خيام الفرنج فاشتغل الرجال بقتل مَن وجدوا فى العسكر واشتغل النسآء بالنهب وحملوا جميع ما وجدوه هناك الى المدينة من قوت وعُدَد والات وغيره وسلاح وغير ذلك وبينما المسلمون والفرنج فى القتال اذ وصل اليهم الزبير فى عسكره فانهزم ابن ردمير وعسكره ولم يسلم منهم الّا القليل ولحق ابن ردمير بمدينة سرقسطة فلمّا راى ما قُتل من اصحابه مات مفجوءًا بعد عشرين يومًا

---

[1] الى [2] امام الميرة ابن غانية [3] شهمًا

من الهزيمة، وكان اشدّ ملوك الفرنج باسًا واكثرهم تجرّدًا لحرب المسلمين واعظمهم صبرًا كان ينام على طارقته بغير وطآء وقيل له هلّا تسرّيت من بنات الاكابر المسلمين اللاتى سبيت منهم فقال الرجل المحارب ينبغى ان يعاشر الرجال لا النسآء، واراح الله منه وكفى المسلمين شرّه ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى شعبان زلزلت الارض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت الزلزلة شديدة وهلك فيها كثير من الناس والله اعلم ✿

سنة ٥٣٠ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسماية،

ذكر الحرب بين عسكر الراشد وعسكر السلطان

فى هذه السنة وصل برنقش[1] الزكوى من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقرّ على المسترشد من المال وهو اربع مائة الف دينار فذكر انّه لا شىء عنده وانّ المال جميعه كان مع المسترشد بالله فنُهب ثم بلغ الراشد بالله انّ برنقش[1] يريد انهجم على دار الخلافة وتفتيشها لياخذ المال فجمع العساكر لمنعها وامّر عليهم كج ابه واعاد عمارة السور، فلمّا علم برنقش[1] بذلك اتّفق هو وبك ابه[2] شحنة بغداد وهو من امرآء السلطان على ان يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد بالله فاستعدّ لمنعهم وركب برنقش[3] ومعه العسكر والامرآء البندنيجيّة ومحمّد بن عكر فى نحو خمسة الاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فاخرجوا عسكر السلطان الى دار السلطان فساروا الى طريق خراسان ثم انحدر بك ابه[4] الى واسط وسار برنقش[3] الى البندنيجَيْن[5] ونهبت العامّة دار السلطان ✿

ذكر اجتماع اصحاب الاطراف على حرب مسعود ببغداد وخروجهم عن طاعته

فى هذه السنة اجتمع كثير من الامرآء واصحاب الاطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود فسار الملك داود ابن السلطان محمود فى عسكر اذربيجان الى بغداد فوصلها فى رابع صفر ونزل بدار السلطان

---

1) برنقس 2) بدانه 3) برنقش 4) بد ابه 5) البندنيجين

ووصل اتابك عماد الدين زنكى بعده من الموصل ووصل برنقش بازدار صاحب قزوين وغيرهما والبقش[1] الكبير صاحب اصفهان وصدقة بن دُبيس صاحب الحلّة ومعه عنتر بن ابى العسكر الجاوانى يدبّره ويتمّم نقص صباه وابن برسق وابن الاحمديلى وخرج اليهم من عسكر بغداد كبق ابه[2] والطرنطاىّ وغيرهما وجعل الملك داود فى شحنكية بغداد برنقش[3] بازدار وقبض الخليفة الراشد بالله على ناصح الدولة ابى عبد الله الحسن بن جهير استاذ الدار وهو كان السبب فى ولايته وعلى جمال الدولة اقبال المسترشدىّ وكان قدم اليه من تكريت وعلى غيرهما من اعيان دولته فتغيّرت نيّات اصحابه عليه وخافوه فامّا جمال الدولة فانّ اتابك زنكى شفع فيه شفاعة تحتها الزامٌ فاطلق وصار اليه ونزل عنده وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين ابى الرضى بن صدقة الى عماد الدين لتهنئته بالقدوم فاقام الوزير عنده وساله ان يمنعه من الخليفة فاجابه الى ذلك وعاد الموكب بغير وزير وارسل زنكى مَن حرس دار الوزير من النهب ثمّ اصلح حاله مع الخليفة واعاده الى وزارته وكذلك ايضًا عبر عليه قاضى القضاة الزينبىّ وسار معه الى الموصل ثمّ انّ الخليفة جدّ فى عمارة السور فارسل له الملك داود مَن قلع ابوابه واخرب قطعة منه فانزعج الناس ببغداد ونقلوا اموالهم الى دار الخلافة وقُطعت خطبة السلطان مسعود وخُطب للملك داود وجرّت الايمان بين الخليفة والملك داود وعماد الدين زنكى وارسل الخليفة الى اتابك زنكى مايتىْ الف دينار لينفقها ووصل الملك سلجوق شاه الى واسط فدخلها وقبض على الامير بك ابه[4] ونهب ماله وانحدر اتابك زنكى اليه لدفعه عنها واصطلحا وعاد زنكى الى بغداد وعبر الى طريق خراسان وحثّ على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود وسار الملك[5] داود نحو طريق خراسان فنهب العسكر البلاد ووصلت الاخبار بمسير السلطان مسعود الى بغداد وفارق الملك داود واتابك زنكى فعاد اتابك زنكى الى بغداد وفارق الملك داود واظهر له انّه يمضى الى

---

[1] البعش [2] ابه [3] دبقش [4] بد ابه [5] السلطان

مراغة اذا فارق السلطان مسعود همدان فبرز الراشد بالله الى ظاهر بغداد اوّل رمضان وسار الى شريف خراسان ثم عاد بعد ثلاثة ايّام ونزل عند جامع السلطان ثم دخل الى بغداد خامس رمضان وارسل الى داود وسآير الامرآء يامرهم بالعود الى بغداد فعادوا ونزلوا فى الخيام وعزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد ووصلت رسل السلطان مسعود يبذل من نفسه الطاعة والموافقة للخليفة والتهديد لمن اجتمع عنده فعرض الخليفة الرسالة عليهم فكلّهم راى قتاله فقال لهم الخليفة وانا ايضاً معكم على ذلك ۞

ذكر مُلك شهاب الدين حمص

فى هذه السنة فى الثانى والعشرين من ربيع الاوّل تسلّم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص[1] وقلعتها وسبب ذلك انّ اصحابها اولاد الامير خيرخان ابن قراجا والوالى بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرّض عسكر عماد الدين زنكى اليها والى اعمالها وتضييقهم على مَن بها من جندىّ وعامّىّ فراسلوا شهاب الدين فى ان يسلّموها اليه ويعطيهم عوضاً عنها تدمر فاجابهم الى ذلك وسار اليها وتسلّمها منهم فى التاريخ المذكور وسلّم اليهم تدمر واقطع حمص مملوك جدّه معين الدين أنز وجعل فيها نايباً عنه ممّن يثق اليه من اعيان اصحابه وعاد عنها الى دمشق فلمّا راى عسكر زنكى بحلب وحماة خروج حمص عن ايديهم تابعوا الغارات الى بلدها والنهب له والاستيلآء على كثير منه فجرى بينهم عدّة وقايع وارسل شهاب الدين الى زنكى فى المعنى واستقرّ الصلح بينهم وكفّ كلٌّ منهم عن صاحبه ۞

ذكر الفتنة بدمشق

فى هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بين صاحبها والجند وسبب ذلك انّ الحاجب يوسف بن فيروز كان اكبر حاجب عند ابيه وجدّه ثم انّه خاف اباه شمس الملوك وهرب منه الى تدمر فلمّا كان فى هذه السنة سال ان يحضر الى دمشق وكان يخاف جماعة المماليك

---

[1] دمشق

لانّه كان اسآء اليهم وعاملهم اقبح معاملة فكلّهم عليه حنق لا سيّما فى الحادثة التى خرج فيها شمس الملوك وقد تقدّمت فانّه اشار بقتل جماعة برايه وبقتل سونج بن تاج الملوك فصاروا كلّهم اعدآء مبغضين، فلمّا طلب الامان والحضور الى دمشق اجيب الى ذلك فانكر جماعة الامرآء والمماليك قربه وخافوه ان يفعل بهم مثل فعله الاوّل فلم يزل يتوصّل معهم حتّى حلف لهم واستحلفهم وشرط على نفسه انّه لا يتولّى من الامور شيأ، ثمّ انّه جعل يُدخل نفسَه فى كثير من الامور فاتّفق اعدآوه على قتله فبينما هو يسير مع شهاب الدين والى جانبه امير اسمه نزاوش يحادثه اذ ضربه نزاوش بالسيف فقتله فحُمل ودُفن فى تربة والده بالعقيبة، ثمّ انّ نزاوش والمماليك خافوا فلم يدخلوا البلد ونزلوا بظاهره وارسلوا يطلبون قواعد استطالوا فيها فاجابهم الى البعض فلم يقبلوا منه ثمّ ساروا الى بعلبك وبها شمس الملوك محمّد بن تاج الملوك صاحبها فصاروا معه فالتحق بهم كثير من التركمان وغيرهم وشرعوا فى العبث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم وملاطفتهم واجابتهم الى ما طلبوا واستقرّت الاحوال على ذلك وحلف كلّ منهم لصاحبه فعادوا الى ظاهر دمشق ولم يدخلوا البلد وخرج شهاب الدين صاحب دمشق اليهم واجتمع بهم وتجدّدت الايمان وصار نزاوش مقدّم العسكر واليه الحلّ والعقد وذلك فى شعبان وزال الخلف ودخلوا البلد والله اعلم ۞

ذكر غزاة العسكر الاتابكىّ الى بلاد الفرنج

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت عساكر اتابك زنكى صاحب حلب وحماة مع الامير اسوار نايبه بحلب وقصدوا بلد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا اعمال اللاذقيّة ولم يتمكّن اهلها من الانتقال عنها والاحتراز فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا واسروا وفعلوا فى بلد الفرنج ما لم يفعله بهم غيرهم وكان الاسرى سبعة الاف اسير ما بين رجل وامراة وصبىّ ومايّة الف راس من الدوابّ ما بين فرس وبغل وحمار وبقر وغنم وامّا ما سوى ذلك من الامتعة والعين والحلى فيخرج عن الحدّ واخربوا بلد اللاذقيّة وما جاورها ولم يسلم منه الّا القليل وخرجوا الى

شيزر بما معهم من الغنايم سالمين منتصف رجب فامتلأ من الاسارى والدوابّ وفرح المسلمون بذلك فرحًا عظيمًا ولم يقدر الفرنج على شئ يفعلوه مقابل هذه الحادثة عجزًا منهم ووهنًا وضعفًا ۞

ذكر وصول السلطان مسعود الى العراق وتفرّق اصحاب الاطراف ومسير الراشد بالله الى المـــوصـــل

قيل لمّا بلغ السلطانَ مسعود اجتماعُ الملك داود والامرآء ببغداد على خلافه وخُطب للملك داود بن اخيه السلطان محمود جمع العساكر وسار الى بغداد فنزل بالملكيّة فسار بعض العسكر حتّى شارفوا عسكره وطاردوهم وكان فى الجماعة زين الدين علىّ اميرٌ من امرآء اتابك زنكى ثمّ عادوا ووصل السلطان فنزل على بغداد وحصرها وجميع العساكر فيها وثار العيّارون ببغداد وساير محالّها وافسدوا ونهبوا وقتلوا حتّى انّه وصل صاحبٌ لاتابك زنكى ومعه كتبٌ فخرجوا عليه واخذوها منه وقتلوه فحضر جماعة من اهل الخالّ عند الاتابك زنكى واشاروا عليه بنهب الخالّ الغربيّة فليس فيها غير عيّار ومُفسد فامتنع من ذلك ثمّ ارسل بنهب الحريم الطاهرىّ فأُخذ منها من الاموال الشئ الكثير وسبب ذلك انّ العيّارين فيه واخذوا اموال الناس ونهبت العساكر غير الحريم من الخالّ وحصرهم السلطان نيّفًا وخمسين يومًا فلم يظفر بهم فعاد الى النهروان عازمًا على العود الى همذان فوصله طُرنطاى صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها وعبر فيها الى غربىّ دجلة واراد العسكر البغدادىّ منعه فسبقهم الى العبور واختلفت كلمتهم فعاد الملك داود الى بلاده فى ذى القعدة وتفرّق الامرآء وكان عماد الدين زنكى بالجانب الغربىّ فعبر اليه الخليفة الراشد بالله وسار معه الى الموصل فى نفر يسير من اصحابه فلمّا سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكى بغداد سار اليها واستقرّ بها ومنع اصحابه من الاذى والنهب وكان وصوله منتصف ذى القعدة فسكن الناس واطمأنّوا بعد الخوف الشديد وامر فجمع القضاة والشهود والفقهآء وعرضوا عليهم اليمين الّتى حلف بها الراشد بالله لمسعود وفيها بخطّ يده انى متى جنّدتُ او خرجتُ او لقيتُ احدًا من اصحاب السلطان بالسيف فقد

خلعتُ نفسى من الامر فافتوا بخروجه من الخلافة، وقيل غير ذلك وسنذكره فى خلافة المقتفى لامر الله، وكان الوزير شرف الدين علىّ بن طراد وصاحب المخزن كمال الدين بن البقشلانىّ[1] وابن الانبارىّ مع السلطان لانّهم عنده مُذ اسرهم مع المسترشد بالله فقدحوا فى الراشد ووافقهم على ذلك اصحاب المناصب ببغداد الّا اليسير لانّهم كانوا يخافونه وكان قد قبض بعضهم وصادر بعضًا واتّفقوا على ذمّه فتقدّم السلطان بخلعه واقامة مَن يصلح فخُلع وقُطعت خطبته فى بغداد فى ذى القعدة وساير البلاد وكانت خلافته احد عشر شهرًا واحد عشر يومًا وقتله الباطنيّة على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكـــر خـــلافـــة المـــقـــتـــفـــى لامر الله

لمّا قُطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطان جماعةً من اعيان بغداد منهم الوزير علىّ بن طراد وصاحب المخزن وغيرهما فيمَن يصلح ان يلى الخلافة فقال الوزير احد عُمومة الراشد وهو رجل صالح قال مَن هو قال مَن لا اقدر ان افصح باسمه لئلّا يُقتل، فتقدّم اليهم بعمل محضر فى خلع الراشد فعملوا محضرًا ذكروا فيه ما ارتكبه من اخذ الاموال واشياء تقدح فى الامامة ثمّ كتبوا فتوى ما تقول العلمآء فيمَن هذه صفته هل يصلح للامامة ام لا فافتوا ان مَن هذه صفته لا يصلح ان يكون امامًا، فلمّا فرغوا من ذلك احضروا القاضى ابا طاهر بن الكرخىّ فشهدوا عنده بذلك فحكم بفسقه وخلعه وحكم بعده غيره ولم يكن قاضى القضاة حاضرًا فانّه كان عند اتابك زنكى بالموصل، ثمّ انّ شرف الدين الوزير ذكر للسلطان ابا عبد الله الحسين وقيل محمّد بن المستظهر بالله ودينه وعقله وعفّته ولين جانبه فحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبىّ وصاحب المخزن ابن البقشلانىّ[2] وغيرهما وامر باحضار الامير ابى عبد الله ابن المستظهر من المكان الذى يسكن فيه فأُحضر وأُجلس فى الميمنة ودخل السلطان اليه والوزير وتحالفا وقرّر الوزير القواعد بينهما وخرج السلطان من

---

[1] القسلّانى [2] المقشلانى

عنده وحضر الامراء وارباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوا ثامن عشر ذى الحجّة ولُقّب المقتفى لامر الله قيل سبب اللقب انّه راى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قبل ان يلى الخلافة بستّة ايّام وهو يقول له انّ هذا الامر يصير اليك فاقتف بى فلقّب بذلك، ولمّا استخلف سيّرت الكتب الحكميّة بخلافته الى ساير الامصار واستوزر شرف الدين علىّ بن طراد الزينبىّ فارسل الى الموصل واحضر قاضى القضاة ابا القاسم علىّ بن الحسين الزينبىّ ابن عمّ الوزير واعاده الى منصبه وقرّر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن وجرت الامور على احسن نظام، وبلغنى انّ السلطان مسعودًا ارسل الى الخليفة المقتفى لامر الله فى تقرير اقطاع يكون لخاصّه فكان جوابه انّ فى الدار ثمانين بغلًا تنقل الماء من دجلة فلينظر السلطان ما يحتاج اليه من يشرب هذا الماء يقوم فتقرّرت القاعدة على ان يجعل له ما كان للمستظهر بالله فاجاب الى ذلك وقال السلطان لمّا بلغه قوله لقد جعلنا فى الخلافة رجلًا عظيمًا، والمقتفى عمّ الراشد هو والمسترشد ابنا المستظهر ولّيا الخلافة وكذلك السفّاح والمنصور اخوان وكذلك المهدى والرشيد اخوان وكذلك الواثق والمتوكّل اخوان واما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمامون والمعتصم وهم اولاد الرشيد والمكتفى[1] والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضى والمتّقى والمطيع بنو المقتدر واما اربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لا يعرف غيرهم، وحين استقرّت الخلافة للمقتفى ارسل اليه الراشد بالله رسولاً من الموصل مع رسول اتابك زنكى وكان كمال الدين محمّد بن عبد الله الشهرزورىّ فأُحضر فى الديوان وسُمعت رسالته، وحكى لى والدى عنه قال لمّا حضرتُ الديوان قيل لى تبايع امير المومنين فقلتُ امير المومنين عندنا فى الموصل وله فى اعناق الخلق بيعة متقدّمة وطال الكلام وعُدتُ الى منزلى فلمّا كان الليل جاءتنى امراة عجوز سرًّا واجتمعت بى وابلغتنى رسالة عن المقتفى لامر الله

[1] والمكفىّ

مضمونها عتابى على ما قلته واستنزالى عنه فقلت غداً اخدم خدمة يظهر اثرها فلمّا كان [الغد] حضرتُ الى الديوان وقيل لى فى تعيّن البيعة فقلتُ انا رجل فقيه قاضى ولا يجوز لى ان ابايع الّا ان يثبت عندى خلع المتقدّم فاحضروا الشهود وشهدوا عندى فى الديوان بما اوجب خلعه فقلتُ هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بدّ لنا فى هذه الدعوى من نصيب لانّ امير المومنين قد حصل له خلافةُ الله فى ارضه والسلطان فقد استراح ممّن كان يقصده ونحن باىّ شئٍ نعود، فرجع الامر الى الخليفة فامر ان يعطى اتابك زنكى صريفين ودرب هرون وجرى ملكا وهى من خاصّ الخليفة ويزداد فى النقابه وقال هذه قاعدة لم يسمع بها لاحد من زعمآء الاطراف ان يكون لهم نصيبٌ من خاصّ الخليفة، وكانت بيعة كمال الدين سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولمّا عاد كمال الدين الشهرزورىّ سُيّر على يده المحضر الذى عمل بخلع الراشد فحكم به قاضى القضاة الزينبىّ بالموصل وكان عند اتابك زنكى ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيره شرف الدين انوشروان بن خالد وعاد الى بغداد وقام بداره معزولًا ووزر من بعده كمال الدين ابو البركات بن سلمة الزركزيىّ¹ وهو من خراسان، وفيها ثار العيّارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها وفتكوا فى البلد ونهبوا الاموال ظاهرًا وكثُر الشرّ فقصد الشحنة شارع دار الرقيق وطلب العيّارين فثار عليه اهل المحالّ الغربيّة فقاتلهم واحرق الشارع فاحترق فيه خلق كثير ونقل الناس اموالهم الى الحريم الطاهرىّ فدخله الشحنة ونهب منه مالًا كثيرًا ثم وقعت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج² وبين اهل المامونيّة وقُتل بينهم جماعة ثم اصطلحوا، وفيها سار قراسنقر فى عساكر كثيرة فى طلب الملك داود بن السلطان محمود فاقام السلطان مسعود ببغداد ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتّى ادركه عند مراغة فالتقيا وتصدّقا واقتتل العسكران قتالًا عظيمًا فانهزم

---

¹) الوركربى ²) الارج

داود واقام قراسنقر باذربيجان   وامّا داود فانّه قصد خوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركمان وغيرهم فبلغت عدّتهم نحو عشرة الاف فارس فقصد تُسْتر وحاصرها وكان عمّه الملك سلجوق شاه بن السلطان محمّد بواسط فارسل الى اخيه السلطان مسعود يستنجده فامدّه بالعساكر فسار الى داود وهو يحاصر تُسْتر فتصافّا فانهزم سلجوق شاه، وفيها توفّى محمّد بن حموية ابو عبد الله الجوينىّ وهو من مشايخ الصوفيّة المشهورين وله كرامات كثيرة ورواية الحديث، وتوفّى ايضًا محمّد بن عبد الله ابن احمد بن حبيب العامرىّ الصوفىّ مصنّف شرح الشهاب وانشد لمّا احتضر

ها قد مددتُّ يدى اليك فردّها   بالعفو لا بشماتة الاعدآء،

وتوفّى ايضًا ابو عبد الله محمّد بن الفضل بن احمد الفُراوىّ الصاعدىّ راوى صحيح مُسلم عن عبد الغافر الفارسىّ وطريقه اليوم اعلى الطرق واليه الرحلة من الشرق والغرب وكان فقيهًا مناظرًا ظريفًا يخدم الغربآء بنفسه وكان يقال الفراوى الف راوٍ رحمه الله ورضى عنه ☆

سنة ٥٣١ ثمّ دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسماية،

ذكر تفرّق العساكر عن السلطان مسعود[1]

فى هذه السنة فى المحرّم اذن السلطان مسعود للعساكر الّتى عنده ببغداد بالعود الى بلادهم لمّا بلغه انّ الراشد بالله قد فارق اتابك زنكى من الموصل فانّه كان يتمسّك بالعساكر عنده خوفًا ان ينحدر به الى العراق فيملكه عليه   فلمّا اراد ان ياذن للامير صدقة بن دبيس صاحب الحلّة زوّجه ابنته تمسّكًا به، وقدم على السلطان مسعود جماعة من الامرآء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحى وبرسق بن برسق[2] صاحب تُستر وسنقر الخمارتكين شحنة همذان فرضى عنهم وأمّنهم وولى البقش شحنكيّة بغداد فعسف الناس وظلمهم، وكان السلطان مسعود بعد تفرّق العساكر عنه قد بقى معه الف فارس

---

1) محمود   2) برسق

وتزوّج الخليفة فاطمة اخت السلطان مسعود فى رجب والصداق مائة الف دينار وكان الوكيل فى قبول النكاح وزير الخليفة علىّ بن طراد الزينبىّ والوكيل عن السلطان وزيره الزركزينىّ[1] ووثق السلطان حيث صار الخليفة وصدقة بن دُبيس بن صدقة صهربه وحيث سار الراشد بالله من عند زنكى الاتابك والله اعلم ۞

ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ ووزارة رضوان

فى هذه السنة فى جمادى الاولى هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوىّ صاحب مصر وكان قد استوزره بعد قتل ابنه حسن[2] سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان نصرانيًّا ارمنيًّا فتمكّن فى البلاد واستعمل الارمن وعزل المسلمين واساء السيرة فيهم واهانهم هو والارمن الذين ولّاهم وطمعوا فيهم فلم يكن فى اهل مصر مَن أنف من ذلك الّا رضوان بن الريحينىّ فانّه لمّا ساءه ذلك واقلقه جمع جمعًا كثيرًا وقصد القاهرة فسمع به بهرام فهرب الى الصعيد من غير حرب ولا قتال وقصد مدينة اسوان فمنعه واليها من الدخول اليها وقاتله فقتل السودان من الارمن كثيرًا فلمّا لم يقدر[3] على الدخول الى اسوان ارسل [الى] الحافظ يطلب الامان فامّنه فعاد الى القاهرة فسُجن بالقصر فبقى مدّة ثم ترهّب وخرج من الحبس، وامّا رضوان فانّه وزر للحافظ ولُقّب بالملك الافضل وهو اوّل وزير للمصريّين لُقّب بالملك ثم فسد ما بينه وبين الحافظ فعمل الحافظ فى اخراجه فثار الناس عليه منتصف شوّال فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وهرب من داره وتركها بما فيها فنهب الناس منها ما لا يُحدّ ولا يُحصى وركب الحافظ فسكّن الناس ونقل ما بقى فى دار رضوان الى قصره، وامّا رضوان فسار يريد الشام يستنجد الاتراك ويستنصرهم فارسل اليه الحافظ الاميرَ ابن مَصّال ليردّه بالامان والعهد انّه لا يؤذيه فرجع الى القاهرة فحبسه الحافظ عنده فى القصر، وقيل انّه توجّه الى الشام وهو الصحيح وقصد صرخد فوصل اليها فى ذى القعدة ونزل على صاحبها امين الدولة

---

1) الورزكينى 2) حسين 3) يقدروا

كمشتكين فاكرمه وعظّمه واقام عنده ثم سار الى مصر سنة اربع وثلاثين وخمسمأية ومعه عسكر فقاتل المصريين عند باب النصر وهزمهم وقتل منهم جماعة كثيرة واقام ثلاثة ايّام فتفرّق عنه كثير ممّن معه فعزم على العود الى الشام فارسل اليه الحافظ الامير ابن مصّال فردّه وحبسه عنده فى القصر وجمع بينه وبين عياله واهله فاقام فى القصر الى سنة ثلاث واربعين فنقب الحبس وخرج منه وقد أُعدّت له خيل فهرب عليها وعبر النيل الى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم وعاد الى القاهرة فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم ودخل القاهرة فنزل عند جامع الاقمر فارسل الى الحافظ يطلب منه مالاً ليفرّقه على عادتهم فانّهم كانوا اذا وزّروا وزيرًا ارسلوا اليه عشرين الف دينار ليفرّقها فارسل الحافظ عشرين الف دينار فقسمها وكثر عليه الناس وطلب زيادة فارسل اليه عشرين الف دينار ففرّقها فتفرّق الناس وخفّوا عنده فاذا الصوت قد وقع وخرج اليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه فحملوا على غلمانه فقاتلوهم فقام يركب فقدّم اليه بعض اصحابه فرسًا ليركبه فلمّا اراد ركوبه ضرب الرجل راسه بالسيف فقتله وحمل راسه الى الحافظ فارسله الى زوجته فوضع فى حجرها فالقت به وقالت هكذا يكون الرجال ولم يستوزر الحافظ احدًا وباشر الامور بنفسه الى ان مات ۞

ذكر فتح المسلمين حصن وادى ابن الاحمر من الفرنج

وفى هذه السنة فى رجب سار عسكر دمشق مع مقدّمهم الامير نزاوش الى طرابلس الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوّعة والتركمان ايضًا خلق كثير، فلمّا سمع القمّص صاحبها بقربهم من ولايته سار اليهم فى جموعه وحشوده فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا الى طرابلس فى صورة سيّئة قد قُتلت فرسانهم وشجعانهم فلمّا عادوا نهب المسلمون من اعمالهم اكثرها وحصروا حصن وادى ابن الاحمر وضيّقوا عليه فملكوه عنوةً ونهبوا ما فيه وقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم والذرّيّة واسروا الرجال فاشتروا انفسهم بمال جزيل وعاد المسلمون الى دمشق سالمين والله اعلم ۞

ذكر حصار زنكى مدينة حمص

فى هذه السنة فى شعبان سار اتابك زنكى الى مدينة حمص وقدّم
اليها حاجبه صلاح الدين محمّد الياغيسيانىّ وهو اكبر امير معه
وكان ذا مكر وحيل ارسله ليتوصّل مع مَن فيها ليسلّموها اليه فوصل
اليها وفيها معين الدين أُنَر وهو الوالى عليها والحاكم فيها وهو ايضًا
اكبر امير بدمشق وحمص اقطاعه كما سبق ذكره فلم ينفذ[1] فيه
مكره فوصل حينئذ زنكى اليها وحصرها وعاود مراسلة أنر فى التسليم
غير مرّة تارة بالوعد وتارة بالوعيد واحتجّ بانّها مُلك صاحبه شهاب
الدين وانّها بيده امانة ولا يسلّمها الّا عن غلبة فاقام عليها الى
العشرين من شوّال ورحل عنها من غير بلوغ غرض الى بعرين فحصرها
وكان منه ومن الفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى ❊

ذكر مُلك زنكى قلعة بعرين وهزيمة الفرنج

وفى هذه السنة فى شوّال سار اتابك زنكى من حمص كما ذكرناه
وحصر قلعة بعرين وهى للفرنج تُقارب مدينة حماة وهى من امنع الحصون
واحصنها فلمّا نزل عليها قاتلها وزحف اليها[2] فجمع الفرنج فارسهم
وراجلهم وساروا فى قضّهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم
الى اتابك زنكى ليرحّلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم الى ان وصلوا
اليه فلقيهم وقاتلهم اشدّ قتال رءاه الناس وصبر الفريقان ثمّ اجلت الوقعة
عن هزيمة الفرنج واخذتهم سيوف المسلمين من كلّ جانب واحتمى
ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع اتابك [زنكى]
عنهم كلّ شىء حتّى الاخبار فكان مَن به منهم لا يعلم شيئًا من اخبار
بلادهم لشدّة ضبط الطرق وهيبته على جنوده، ثمّ انّ القسوس
والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاها من بلاد النصرانيّة
مستنفرين على المسلمين واعلموهم انّ زنكى ان اخذ قلعة بعرين ومَن
فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم فى اسرع وقت لعدم الحامى عنها
وانّ المسلمين ليس لهم نيّة الّا قصد البيت المقدس فحينئذ اجتمعت

1) ينفذ 2) عليها

النصرانيّة وساروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام مع ملك الروم وكان منهم ما نذكره، وامّا زنكى فانّه جدّ فى قتال الفرنج فصبروا وقلّت عليهم الميرة والذخيرة فانّهم كانوا غير مستعدّين ولم يكونوا يعتقدوا انّ احدًا يقدر عليهم بل كانوا يتوقّعون مُلك باقى البلاد بالشام فلمّا قلّت الذخيرة اكلوا دوابّهم واذعنوا بالتسليم ليؤمّنهم ويتركهم يعودون الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك فلمّا سمع بقرب ملك الروم من الشام واجتماع من بقى من الفرنج اعطى لمن فى الحصن الامان وقرّر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين الف دينار يحملونها اليه فاجابوه الى ذلك فخرجوا وسلّموا اليه فلمّا فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم فندموا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم وكان لا يصلهم شئ من الاخبار البتّة فلهذا سلّموه، وكان زنكى فى مدّة مقامه عليهم فتح المعرّة وكفرطاب من الفرنج فكان اهلها واهل ساير الولايات التى بينها وبين حلب وحماة مع اهل بعرين فى الخزى لانّ الحرب بينهم قايمة على ساق والنهب والقتل لا يزال بينهم فلمّا ملك امن الناس وعمرت البلاد وعظم دخلها وكان فتحًا مبينًا ومَن رءاه علم صحّة قولى، ومن احسن الاعمال ما عمله زنكى مع اهل المعرّة فانّهم كان الفرنج لمّا ملكوها قد اخذوا املاكهم فلمّا فتحها زنكى الآن حضر مَن بقى من اهلها ومعهم اعقاب مَن هلك وطلبوا املاكهم فطلب منهم كتبها فقالوا انّ الفرنج اخذوا كلّ ما لنا والكتب التى للاملاك فيها فقال اطلبوا دفاتر حلب وكلّ مَن عليه خراج على ملك يسلم اليه ففعلوا ذلك واعاد على الناس املاكهم وهذا من احسن الافعال واعدلها ❁

ذكر خروج ملك الروم من بلاده الى الشام

قد تقدّم انّ الفرنج ارسلوا الى ملك القسطنطينيّة يستصرخون به ويعرّفونه ما فعله زنكى فيهم ويحرّضونه على لحاق البلاد قبل ان تملك ولا ينفعه حينئذ المجئ فتجهّز وسار مجدًّا فابتدا وركب البحر وسار الى مدينة انطاكيّة وهى له على ساحل البحر فارسًى فيها واقام ينتظر وصول المراكب التى فيها اثقاله وسلاحه فلمّا وصلت سار عنها

الى مدينة نبقية[1] فحصرها وانّ اصحابها صالحوه على مال يؤدّونه اليه، وقيل بل ملكها وسار عنها الى مدينة ادنة ومدينة المصيصة وهما بيد ابن ليون الارمنىّ صاحب قلاع الدروب فحصرهما وملكهما ورحل الى عين زربة فحصرها وملكها عنوةً وملك تلّ حمدون وحمل اهله الى جزيرة قبرس وعبر مينا الاسكندريّة وخرج الى الشام فحصر مدينة انطاكية فى ذى القعدة وضيّق على اهلها وبها صاحبها الفرنجىّ ريمند[2] فتردّدت الرسل اليهم ومشوا بينهم فتصالحا ورحل عنها الى بغراس ودخل منها الى بلد ابن ليون الارمنىّ فبذل له ابن ليون اموالاً كثيرةً ودخل فى طاعته والله اعلم ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة رابع وعشرين فى ايار ظهر بالشام سحاب اسود واظلمت له الدنيا وصار الجوّ كالليل المظلم ثم طلع بعد ذلك سحاب احمر كانّه النار اضآءت له الدنيا وهبّت ريح عاصفة القت كثيرًا من الشجر وكان اشدّ ذلك بحوران ودمشق وجآء بعده مطر شديد وبَرَد كبار، وفيها عاد مويد الدين ابو الفوارس المسيّب علىّ بن الحسين المعروف بابن الصوفىّ من صرخد الى دمشق وكان قد أُخرج هو واهله من دمشق الى صرخد[3] فبقوا فيها الى الآن وعادوا وولى ابو الفوارس الرياسة بدمشق وحكم فيها حكمًا ماضيًا وكان ذا رياسة عظيمة ومروّة ظاهرة، وفيها كثرت الامراض ببغداد وكثر الموت فجاة باصفهان وهمدان، وفيها سار اتابك زنكى الى دقوقا فحصرها وملكها بعد ان قاتل على قلعتها قتالاً شديدًا، وفيها توفّى ابو سعيد احمد ابن محمّد بن ثابت الخجندىّ[4] رئيس الشافعيّة باصفهان وتفقّه على والده ودرّس بالنظاميّة باصفهان، وتوفّى ابو القسم هبة الله بن احمد بن عمر الحريرىّ ومولده يوم عشورآء سنة خمس وثلاثين واربعمائة وهو اخر مَن روى عن ابى الحسن زوج الحرّة وقد روى الخطيب ابو بكر بن ثابت عن زوج الحرّة ايضًا وكانت وفاة الخطيب سنة ثلاث وستّين واربعمائة ۞

---

1) نبعه 2) رمند 3) صرخد الى دمشق 4) الخجندى

سنة ٥٣٢ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسماية،

ذكر ملك اتابك زنكى حمص وغيرها
من عمل دمشق

وفى هذه السنة فى محرّم وصل اتابك زنكى الى حماة وسار منها الى
بقاع بعلبك فلك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ
بانياس واطاعه وهو ايضًا لصاحب دمشق وسار الى حمص فحصرها وادام
قتالها فلمّا نازل ملك الروم حلب رحل عنها الى سلمية فلمّا انجلت
حادثة الروم على ما ذكرناه عاود منازلة حمص وارسل الى شهاب الدين
صاحب دمشق يخطب اليه أمّه ليتزوّجها واسمها زمرّد[1] خاتون ابنة
جاولى وهى التى قتلت ابنها شمس الملوك وهى التى بنت المدرسة بظاهر
دمشق المطلّة على وادى شقرا ونهر بردا فتزوّجها وتسلّم حمص مع قلعتها
وحُملت الخاتون اليه فى رمضان وانّما حمله على التزويج بها ما راى من
تحكيمها فى دمشق فظنّ انّه يملك البلد بالاتّصال اليها فلمّا تزوّجها
خاب امله ولم يحصل على شئ فاعرض عنها ☼

ذكر وصول ملك الروم الى الشام ومُلكه بُزاعة وما فعله بالمسلمين

قد ذكرنا سنة احدى وثلاثين وخمسماية خروج ملك الروم
من بلاده وشغله[2] بالفرنج وابن ليون فلمّا دخلت هذه السنة وصل
الى الشام وخافه الناس خوفًا عظيمًا وقصد بُزاعة فحصرها وهى مدينة
لطيفة على ستّة فراسخ من حلب فمضى جماعة من اعيان حلب الى
اتابك زنكى وهو يحاصر حمص فاستغاثوا به واستنصروه فسيّر معهم كثيرًا
من العساكر فدخلوا الى حلب ليمنعوها من الروم ان حصروها ثم انّ
ملك الروم قاتل بُزاعة ونصب عليها منجنيقات وضيّق على مَن بها
فلكها بالامان فى الخامس والعشرين من رجب ثم غدر باهلها فقتل منهم
واسر وسبى وكان عدّة مَن جُرح فيها من اهلها خمسة الاف وثمانماية
نفس وتنصّر قاضيها وجماعة من اهلها نحو اربع مائة نفس وادام
الروم بعد مُلكها عشرة ايام يتطلّبون مَن اختفى فقيل لهم انّ جمعًا

---

[1] مرد [2] شعاه

كثيرًا من اهل هذه الناحية قد نزلوا المغارات فدخّنوا عليهم وهلكوا في المغاير ثم رحلوا الى حلب من الغد في خيلهم ورجلهم فخرج اليهم احداث حلب فقاتلهم قتالاً شديدًا فقُتل من الروم وجُرح خلق كثير وقُتل بطريق جليل القدر عندهم وعادوا خاسرين واقاموا ثلاثة ايّام فلم يروا فيها طمعًا فرحلوا الى قلعة الاثارب فخاف مَن فيها من المسلمين فهربوا عنها تاسع شعبان فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بُزاعة والاسرى ومعهم جمع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا، فلمّا سمع الامير اسوار بحلب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر الى الاثارب فاوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلّص الاسرى والسبى وعادوا الى حلب، وامّا عماد الدين زنكى فانّه فارق حمص وسار الى سلميّة فنازلها وعبر ثقله الفراة الى الرقّة واقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة، وامّا الروم فانّهم قصدوا قلعة شيزر فانّها من امنع الحصون وانّما حصروها لانّها لم تكن لزنكى فلا يكون له في حفظها اهتمام وانّما كانت للامير ابى العساكر سلطان بن علىّ بن مقلد ابن نصر بن منقذ[1] الكنانىّ فنازلوها وحصروها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقًا فارسل صاحبها الى زنكى يستنجده فسار اليه فنزل على نهر العاصى بالقرب منها بينها وبين حماة وكان يركب كلّ يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويُرسل السرايا فتاخذ من ظفرت به منهم ثم انّه ارسل الى ملك الروم يقول له انّكم قد تحصّنتم منّى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتّى نلتقى فان ظفرتُ بكم ارَحْتُ المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم واخذتم شيزر وغيرها ولم يكن له بهم قوّة وانّما كان يُرعبهم بهذا القول واشباهه، فاشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافقته وهوّنوا امره عليه فلم يفعل وقال اتظنّون ان ليس له من العسكر الّا ما ترون انّما هو يريد ان تلقونه فيجيئه من نجدات المسلمين ما لا حدّ له وكان زنكى يرسل ايضًا الى ملك الروم يوهمه بانّ فرنج الشام خايفون منه فلو فارق مكانه تخلّفوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوّفهم

---

[1] منقذ

من ملك الروم ويقول لهم ان ملك بالشام حصنًا واحدًا ملك بلادكم جميعًا فاستشعر كلّ من صاحبه فرحل ملك الروم عنها فى رمضان وكان مقامه عليها اربعين يومًا وترك المجانيق والات الحصار بحالها فسار اتابك [زنكى] يتبع ساقة العسكر فظفر بكثير ممّن تخلّف منهم واخذ جميع ما تركوه، ولمّا كان الفرنج على بُزاعة ارسل زنكى القاضى كمال الدين ابا الفضل محمّد بن عبد الله بن القسم الشهرزورىّ الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر فمضى الى بغداد وانهى الحال الى السلطان وعرّفه عاقبة الاهمال وانّه ليس بينه وبين الروم الّا ان تملّك حلب وينحدروا مع الفراة الى بغداد فلم يجد عنده حركة فوضع انسانًا من اصحابه يوم جمعة فمضى الى جامع القصر ومعه جماعة من زنود العجم وامرهم ان يثور بهم اذا طلع الخطيب المنبر ويصيح ويصيحون معه وا اسلامه وا دين محمّداه ويشقّ ثيابه ويرمى عمامته من راسه ويخرج الى دار السلطان والناس معه يستغيثون كذلك ووضع انسانًا اخر يفعل بجامع السلطان مثله فلمّا صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل ولطم راسه والقى عمامته وشقّ ثوبه واولئك معه وصاحوا فبكى الناس وتركوا الصلاة ولعنوا السلطان وساروا من الجامع يتبعون الشيخ الى دار السلطان يستغيثون ويبكون فخاف السلطان فقال احضروا الىّ ابن الشهرزورىّ فأحضر فقال كمال الدين لقد خفتُ منه ممّا رايتُ فلمّا دخلتُ قال لى اىّ فتنة اثرتَ فقلتُ ما فعلتُ شيئًا انا كنتُ فى بيتى وانّما الناس يغارون للدين والاسلام ويخافون عاقبة هذا التوانى فقال اخرج الى الناس ففرّقهم عنّا واحضر غدًا واختر من العسكر ما تريد، فعرّفتُ الناس وعرّفتهم ما امر به من تجهيز العساكر وحضرتُ الغد الى الديوان فجهّزوا لى طائفة عظيمة من الجيش فارسلتُ الى نصير الدين بالموصل اعرّفه ذلك واخوّفه من العسكر ان طرقوا البلاد فانّهم يملكونها فاعاد الجواب يقول البلاد لا شكّ ماخوذة فلان ياخذها المسلمون خير من ان ياخذها الكافرون، فشرعنا فى التحميل واذا قد وصلنى كتاب اتابك زنكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم ويامرنى بان لا استصحب من العسكر احدًا فعرّفتُ السلطان ذلك فقال العسكر قد تجهّز ولا بدّ من الغزاة الى

الشام فعدّ للجهد وبذل الحزم له ولاصحابه حتى عاد العسكر، ولمّا عاد ملك الروم عن شيزر مدح الشعرآء اتابك زنكى واكثروا فمن ذلك ما قاله المسلم بن الخضر بن قُسَيْم الحموى من جملة قصيدة اوّلها

بعَزْمك ايّها الملك العظيم تذلّ لك الصعاب وتستقيمُ

ومن جملتها هذه الابيات

الم تر أنّ كلب الروم لمّا تبيّن انّه الملك الرحيمُ
فجآء فطبّق الفلوات خيلاً كانّ الجَحْفل الليل البهيمُ
وقد نزل الزمان على رضاه ودان لخطبه الخطب العظيمُ
فحين رميته بك فى خميس تيقّن انّ ذلك لا يدومُ
وابصر فى المفاضة منك جَيْشا فاحرب لا يسير ولا يقيمُ
كانّك فى العجاج شهاب نور توقّد وَهْوَ شيطانٌ رجيمُ
اراد بقآء مهجته فولّى وليس سوى الحِمام له حميمُ

وهى قصيدة طويلة، ومن عجيب ما يُحكى انّ ملك الروم لمّا عزم على حصر شيزر سمع مَن بها ذلك فقال الامير مرشد بن علىّ صاحبها وهو ينسخ مصحفًا اللهمّ بحقّ مَن انزلتَه عليه ان قضيتَ بمجىّ ملك الروم فاقبضنى اليك فتوفّى بعد ايّام ٭

ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومَن معه من الامرآء

لمّا فارق الراشد بالله اتابك زنكى من الموصل سار نحو اذربيجان فوصل مراغة وكان الامير منكبرس صاحب فارس ونايبه بخوزستان الامير بوزابة والامير عبد الرحمن طغايرك خلخان والملك داود بن السلطان محمود مستشعرين من السلطان [مسعود] خايفين منه فتجمّعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع لتكون ايديهم واحدة ويردّوه الى الخلافة فاجابهم الى ذلك الّا انّه لم يجتمع معهم ووصل الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم فسار عنها فى شعبان نحوهم فالتقوا ببنجن كشت[1] فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود واخذ الامير منكبرس اسيرًا فقتل بين يديه صبرًا وتفرّق عسكر مسعود فى النهب واتباع المنهزمين، وكان

---

[1]) نعمكر كشت Cfr. Mirkhondi Historia Seldschukid. ed. *Vullers* p. ١٩٩.

بوزابة وعبد الرحمن طغايرك على نشز من الارض فرآها السلطان مسعودًا وقد تفرّق عسكره عنه فحملا عليه وهو فى قلّة فلم يثبت لهما وانهزم وقبض بوزابة على جماعة من الامرآء منهم صدقة بن دُبيس صاحب الحلّة ومنهم ولد اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وعنتر[1] بن ابى العسكر وغيرهم وتركهم عنده فلمّا بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم اجمعين وصارا العسكران منهزمين وكان هذا من العجب الاتّفاق، وقصد السلطان مسعود اذربيجان وقصد الملك داود همذان، ووصل الراشد بعد الوقعة فاختلفت ارآء الجماعة فبعضهم اشار بقصد العراق والتغلّب عليه وبعضهم اشار باتباع السلطان مسعود للفراغ منه فانّ ما بعده يهون عليهم وكان بوزابة اكبر الجماعة فلم ير ذلك وكان غرضه المسير الى بلاد فارس واخذها بعد قتل صاحبها منكبرس قبل ان يمتنع مَن بها عليه فبطّل عليهم ما كانوا فيه وسار اليها فملكها وصارت له مع خوزستان وسار سلجوق شاه ابن السلطان محمّد الى بغداد ليملكها فخرج اليه البقش الشحنة بها ونظرُ الخادم امير الحجّ وقاتلوه وكان عاجزًا مستضعفًا ولمّا قُتل صدقة بن دُبيس اقرّ السلطان مسعود الحلّة على اخيه محمّد بن دُبيس وجعل معه مهلهل ابن ابى[2] العسكر اخا عنتر المقتول يدبّره ولمّا كان البقش شحنة بغداد يُقاتل سلجوق شاه ثار العيّارون ببغداد ونهبوا الاموال وقتلوا الرجال وزاد امرهم حتّى كانوا يقصدون ارباب الاموال ظاهرًا ويأخذون منهم ما يريدون ويحملون الامتعة على رؤس الحمّالين فلمّا عاد الشحنة قتل منهم وصلب وغلت الاسعار وكثر الظلم منه واخذ المستورين بحجّة العيّارين فجلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد ۞

ذكر قتل الراشد بالله

لمّا وصل الراشد بالله الى همذان وبها الملك داود وبوزابة ومَن معهما من الامرآء والعساكر على ما تقدّم ذكره ثم سار[3] الى خوزستان مع الملك داود ومعهما خوارزم شاه فقاربا الجزيرة فسار السلطان مسعود ليمنعهم عن العراق فعاد الملك داود الى فارس وعاد خوارزم شاه

[1] عنبر [2] اخى [3] ساروا

الى بلاده بقى الراشد وحده فلمّا ايس من عساكر العجم سار الى اصفهان فلمّا كان الخامس وعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانيّة الذين كانوا فى خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان فى اعقاب مرض برئ منه ودُفن بظاهر اصفهان بشهرستان فركب مَن معه فقتلوا الباطنيّة ، ولمّا وصل الخبر الى بغداد جلسوا للعزآء به فى بيت النوبة[1] يومًا واحدًا ، وكان ابيض اشقر حسن اللون مليح الصورة مهيبًا شديد القوّة والبطش قال ابو بكر الصولىّ الناس يقولون انّ كلّ سادس يقوم بامر الناس من اوّل الاسلام لا بُدّ من ان يخلع وربّما قُتل قال فتأمّلتُ ذلك فرايتُه كما قيل فانّ اوّل مَن قام بامر هذه الامّة محمّد رسول الله صلّعم ثمّ ابو بكر وعمر وعثمان وعلىّ والحسن رضى الله عنهم فخُلع ثمّ معاوية ويزيد ابنه ومعاوية ابن يزيد ومروان وعبد الملك ابن مروان وعبد الله ابن الزبير فخُلع ثمّ عبد الملك واخوه سليمان وعمر ابن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك والوليد ابن يزيد بن عبد الملك فخُلع وقُتل ثمّ لم ينتظم امر بنى اميّة ثمّ ولى السفّاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين فخُلع وقُتل والمامون والمعتصم والواثق والمتوكّل والمنتصر والمستعين فخُلع وقُتل والمعتزّ والمهتدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر فخُلع ثمّ رُدّ ثمّ قُتل ثمّ القاهر[2] والراضى والمتّقى والمستكفى والمطيع والطايع فخُلع ثمّ القادر والقايم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخُلع وقُتل قلتُ وفى هذا نظر لانّ البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك ابن مروان وكونه جعله بعده لا وجه له والصولىّ انّما ذكر الى ايّام المطيع لله ومن بعده ذكره غيره ۞

ذكر حال ابن بكران العيّار

فى هذه السنة فى ذى الحجّة عظم امر ابن بكران العيّار ببغداد والعراق وكثرت اتباعه وصار يركب ظاهرًا فى جمع من المفسدين وخافه الشريف ابو الكرم الوالى ببغداد فامر ابا القاسم ابن اخيه

[1] النوبه ([2] القادر (

حامى باب الازج[1] ان يشتدّ اليه ويلبس سراويل فتوّة منه لبامن شرّه وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البزّاز فانتهى امرهما الى انّهما ارادا ان يضربا باسمهما سكّة فى الانبار فارسل الشحنة والوزير شرف الدين الزينبىّ الى الوالى ابى الكرم وقالا امّا ان تقتل ابن بكران وامّا ان نقتلك فاحضر ابن اخيه وعرّفه ما جرى وقال له امّا ان تختارنى ونفسك وامّا ان تختار ابن بكران فقال انا اقتله وكان لابن بكران عادة يجئ فى بعض الليالى الى ابن اخى ابى الكرم فيقيم فى داره ويشرب عنده فلمّا جآء على عادته وشرب اخذ ابو القاسم سلاحه ووثب به فقتله واراح الناس من شرّه ثمّ اخذ بعده بيسير رفيقه ابن البزّاز وصُلب وقُتل معه جماعة من الحراميّة فسكن الناس واطمأنّوا وهدأت الفتنة ۞

ذكر قتل الوزير الدركزينىّ[2] ووزارة الخازن

فى هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد ابى البركات بن سلمة الدركزينىّ[3] واستوزر بعده كمال الدين محمّد بن الحسين الخازن وكان الكمال شهمًا شجاعًا عادلًا نافذ[3] الحكم حسن السيرة ازال المكوس ورفع المظالم وكان يقيم مؤونة السلطان ووظايفه وجمع له خزاين كثيرة وكشف اشياء كثيرة كانت مستورة يُخان فيها ويُسرق فثقل على المتصرّفين وارباب الاعمال فاوقعوا بينه وبين الامرآء لا سيّما قراسنقر صاحب اذربيجان فانّه فارق السلطان وارسل يقول امّا ان تنفذ[4] راس الوزير وامّا خدمنا سلطانًا اخر فاشار من حضر من الامرآء بقتله وحذّروه فتنةً لا تتلافى فقتله على كُرهٍ منه وارسل راسه الى قراسنقر فرضى وكانت وزارته سبعة اشهر وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية ووزر بعده ابو العزّ طاهر ابن محمّد البرزجردىّ وزير قراسنقر ولُقّب عزّ الملك وضاقت الامور على السلطان مسعود واستقطع الامرآء البلاد بغير اختياره ولم يبق له شئٌ من البلاد البتّة الّا اسم السلطنة لا غير ۞

---

[1] الازج (1) [2] الزركزينى (2) [3] نافذ (3) [4] تنفذ (4)

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش ايلغازى صاحب ماردين قلعة الهتّاخ[1] من بلاد ديار بكر اخذها من بعض بنى مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهذا اخر مَن بقى فسبحان الحى الدايم الذى لا يزول مُلكه ولا يتطرّق اليه النقص ولا التغيير، وفيها انقطعت كسوة الكعبة لما ذكرناه من الاختلاف فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسىّ كساها من الثياب الفخرة بكلّ ما وجد اليه سبيل فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر الف دينار مصريّة وهو من التجار المسافرين الى الهند كثير المال، وفيها توفّيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق[2] زوج السلطان مسعود وتزوّج بعدها سفرى ابنة دُبيس بن صدقة فى جمادى الاولى وتزوّج ابنة قاورت وهو من البيت السلجقىّ الّا انّه كان لا يزال يعاقر الخمر ليلاً ونهاراً فلهذا سقط اسمه وذكره، وفيها قتل السلطان مسعود ابنَ البقش السلاحىّ شحنة بغداد وكان قد ظلم الناس وعسفهم وفعل ما لم يفعله غيره من الظلم فقبض عليه وسيّره الى تكريت فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز[3] ثم امر بقتله فلمّا ارادوا قتله القى بنفسه فى دجلة فغرق فأُخذ راسه وحُمل الى السلطان وجعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز[3] فعمل اعمالاً صالحةً منها انّه عمل مسناة النهروان واشباهها وكان حسن السيرة كثير الاحسان، وفيها درّس الشيخ ابو منصور ابن الرزّاز بالنظاميّة ببغداد، وفيها ارسل الخليفة الى اتابك زنكى فى اطلاق قاضى القضاة الزينبىّ فاطلق وانحدر الى بغداد فخلع عليه الخليفة واقرّه على منصبه، وفيها كان بخراسان غلآء شديد طالت مدّته وعظم امره حتى اكل الناس الكلاب والسنانير وغيرهما من الدوابّ وتفرّق اكثر اهل البلاد من الجوع، وفيها توفّى طغان ارسلان صاحب بدليس[4] وارزن من ديار بكر [وولى بعده ابنه فرخ[5]] واستقام له الامر، وفيها فى شهر صفر جآت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد فخربت

---

[1] الهاخ [2] بركمارق [3] بهروز [4] C. P. Ups: ماردين [5] C. P.

كثيرًا منها وهلك تحت الهدم علق كثير، وفيها توفى احمد بن محمّد بن ابى بكر بن ابى الفتح الدينورى الفقيه الحنبلى ببغداد وكان ينشد كثيرًا هذه الابيات

تمنّيتَ ان تمسى فقيهًا مناظرًا بغير عناءٍ والجنون فنونُ
وليس اكتساب المال دون مشقّة تلقّيتَها فالعلم كيف يكونُ

وفيها توفى محمّد بن عبد الملك بن عمر ابو الحسن الكرخىّ ومولده سنة ثمان وخمسين واربعمائة وكان فقيهًا محدّثًا سمع الحديث بكرخ واصفهان وهمذان وغيرها، وفى شعبان منها توفى القاضى ابو العلاء صاعد بن الحسين بن اسمعيل ابن صاعد وهو ابن عمّ القاضى ابى[1] سعيد وولى القضاء بنيسابور بعد ابى سعيد ۞

سنة ۵۳۳ ثمّ دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة،

ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه

فى هذه السنة فى المحرّم سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه وهو ابن ملكشاه محاربًا لخوارزم شاه اتسز[2] بن محمّد وسبب ذلك انّ سنجرًا بلغه انّ اتسز[2] يحدّث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له وانّ هذا الامر قد ظهر على كثير من اصحابه وامرآئه فاوجب ذلك قصده واخذ خوارزم شاه فجمع عساكره وتوجّه نحوه فلمّا قرب من خوارزم شاه فى عساكره خرج خوارزم شاه اليه فى عساكره فلقيه مقابلاً وعبّى كلّ واحد منهما عساكره واصحابه فاقتتلوا فلم يكن للخوارزميّة قوّة بالسلطان فلم يثبتوا وولّوا منهزمين وقُتل منهم خلق كثير ومن جملة القتلى ولد لخوارزم شاه فحزن عليه ابوه حزنًا عظيمًا ووجد وجدًا شديدًا وملك سنجر خوارزم واقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد اخيه محمّد ورتّب له وزيرًا واتابكًا وحاجبًا وقرّر قواعده وعاد الى مرو فى جمادى الاخرة من هذه السنة، فلمّا فارق خوارزم عائدًا انتهز خوارزم شاه الفرصة فرجع اليها وكان اهلها يكرهون العسكر السنجرىّ ويؤثرون عودة خوارزم شاه فلمّا عاد اعانوه على مُلك البلد ففارقها

[1] ابو [2] اسر

سليمان شاه واختلفا بعد الاتّفاق ففعل خوارزم شاه فى خراسان سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة ما نذكره ان شآء الله ❀

ذكر قتل محمود صاحب دمشق وملك اخيه محمّد

فى هذه السنة فى شوّال قُتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى[1] ابن طغدكين صاحب دمشق على فراشه غيلةً قتله ثلاثة من غلمانه هم خواصّه واقرب الناس اليه فى خلوته وجلوته وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فنجا احدهم وأُخذا[2] الاخران فصُلبا وكتب معين الدين أُنز من دمشق الى اخيه جمال[3] الدين محمّد بن بورى صاحب بعلبكّ وهو بها بصورة الحال واستدعاه ليملك بعد اخيه فحضر فى اسرع وقت فلمّا دخل البلد جلس للعزآء باخيه وحلف له الجند واعيان الرعيّة وسكن الناس وفوّض امر دولته الى معين الدين أُنز مملوك جدّه وزاد فى علوّ مرتبته وصار هو الجملة والتفصيل واقطعه بعلبكّ وزوّجه بامّه وكان أُنز خيّرًا عاقلًا حسن السيرة فجرت الامور عنده على احسن نظام ❀

ذكر ملك زنكى بعلبكّ

فى هذه السنة فى ذى القعدة سار عماد الدين اتابك زنكى ابن اقسنقر الى بعلبكّ فحصرها ثمّ ملكها وسبب ذلك انّ محمودًا صاحب دمشق لمّا قُتل كانت والدته زمرّد خاتون عند اتابك زنكى بحلب قد تزوّجها فوجدت لقتل ولدها وجدًا شديدًا وحزنت عليه وارسلت الى زنكى وهو بديار الجزيرة تعرّفه الحادثة وتطلب منه ان يقصد دمشق ويطلب بثار ولدها فلمّا وقف على هذه الرسالة بادر فى الحال من غير توقّف ولا تريّث وسار مُجدًّا ليجعل ذلك طريقًا الى مُلك البلد وعبر الفراة عازمًا على قصد دمشق فاحتاط من بها واستعدّوا واستكثروا من الذخاير ولم يتركوا شيأً ممّا يحتاجون اليه الّا وبذلوا الجهد فى تحصيله واقاموا ينتظرون وصوله اليهم فتركهم وسار الى بعلبكّ وقيل كان السبب فى مُلكها انّها كانت لمعين الدين أُنز كما ذكرناه وكان

---

1) نورى 2) اخذ 3) كمال

له جارية يهواها فلمّا تزوّج امّ جمال الدين سيّرها الى بعلبكّ فلمّا سار زنكى الى الشام عازمًا على قصد دمشق سيّر الى أنر يبذل له البذول العظيمة ليسلّم اليه دمشق فلم يفعل وسار اتابك الى بعلبكّ فوصل اليها فى العشرين من ذى الحجّة فى السنة فنازلها فى عساكره وضيّق عليها وجدّ فى محاربتها ونصب عليها من المنجنيقات اربعة عشر عددًا ترمى ليلًا ونهارًا فاشرف مَن بها على الهلاك وطلبوا الامان وسلّموا اليه المدينة وبقيت القلعة وبها جماعة من الشجعان شجعان الاتراك فقاتلهم فلمّا ايسوا من معين ونصير طلبوا الامان فأمّنهم فسلّموا اليه القلعة فلمّا نزلوا منها وملكها غدر بهم وامر بصلبهم فصُلبوا ولم ينج منهم الّا القليل فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه وخافه غيرهم وحذروه لا سيّما اهل دمشق فقالوا لو مَلَكَنا لفعل بنا مثل فعله بهولآء فازدادوا نفورًا وجدًّا فى محاربته ولمّا ملك زنكى بعلبكّ اخذ الجارية التى كانت لمعين الدين أنر بها فتزوّجها بحلب فلم تزل بها الى ان قُتل فسيّرها ابنه نور الدين محمود الى معين الدين أنر وهى كانت اعظم الاسباب فى المودّة بين نور الدين وبين أنر والله اعلم ۞

ذكر استيلآء قراسنقر على بلاد فارس وعوده عنها

وفى هذه السنة جمع اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان عساكر كثيرة وسار طالبًا بثار ابيه الذى قتله بوزابة فى المصافّ المقدّم ذكره فلمّا قارب السلطان مسعودًا ارسل اليه يطلب منه قتل وزيره الكمال فقتله كما ذكرناه فلمّا قُتل سار قراسنقر الى بلاد فارس فلمّا قربها تحصّن بوزابة منه فى القلعة البيضآء ووطئ قراسنقر البلاد وتصرّف فيها وليس له دافعٌ ولا مانعٌ الّا انّه لم يمكنه المقام وملك [المدن] التى فى فارس فسلّم البلاد الى الملك سلجوق شاه بن السلطان محمود وقال له هذه البلاد لك فاملك الباقى وعاد الى اذربيجان فنزل حينئذ بوزابة من القلعة سنة اربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وملك البلاد وأسر سلجوق شاه وسُجن فى قلعة بفارس ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى صفر توفّى الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد معزولاً ببغداد وحضر جنازته وزير الخليفة فمَن دونه ودُفن فى داره ثمّ نُقل الى الكوفة فدُفن فى مشهد امير المومنين علىّ بن ابى طالب عليه السلام وكان فيه تشيّع وهو كان السبب فى عمل المقامات الحريريّة وكان رجلاً عاقلاً شهمًا ديّنًا خيّرًا وزر للخليفة المسترشد وللسلطان محمود وللسلطان مسعود وكان يستقيل من الوزارة فيجاب الى ذلك ثمّ يُخطَب اليها فيجيب كارهًا، وفيها قدم السلطان مسعود بغداد فى ربيع الاوّل وكان الزمان شتاء وصار يُشتّى بالعراق ويصيّف بالجبال ولمّا قدمها ازال المكوس وكتب الالواح بازالتها ووضعت على ابواب الجوامع والاسواق وتقدّم ان لا ينزل جندىّ فى دار عامّىّ من اهل بغداد الّا باذن فكثر الدعآء له والثنآء عليه وكان السبب فى ذلك الكمال الخازن وزير السلطان، وفيها فى صفر كانت زلازل كثيرة هايلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد وكان اشدّها بالشام وكانت متوالية عشرة ليال كلّ ليلة عشر دفعات فخرب كثير من البلاد ولا سيّما حلب فانّ اهلها لمّا كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت وخرجوا [الى] الصحرآء وعدّوا ليلة واحدة جآءتهم ثمانين مرّة ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر الى تاسع عشره وكان معها صوت وهزّة شديدة، وفيها اغار الفرنج على اعمال بانياس فسار عسكر دمشق فى اثرهم فلم يدركوهم فعادوا، وفيها توفّى ابو القسم طاهر بن طاهر الشحّامىّ النيسابورىّ بها ومولده سنة ستّ واربعين واربعماية وكان امامًا فى الحديث مكثرًا على الاسناد، وتوفّى عبد الله بن احمد بن عبد القاهر بن محمّد بن يوسف ابو القاسم بن ابى الحسين البغدادىّ بها ومولده سنة اثنتين وخمسين واربعماية، وعبد العزيز بن عثمان بن ابرهيم بن محمّد الاسدىّ البخارىّ كان قاضى بخارا وكان من الفقهآء اولاد الايمّة حسن السيرة، وتوفّى محمّد بن شجاع بن ابى بكر بن علىّ بن ابرهيم اللفتوانىّ الاصفهانىّ باصفهان فى جمادى الاخرة ومولده سنة

ستّ وتسعين واربعمائة وسمع الحديث الكثير باصفهان وبغداد وغيرها ☼

سنة ٥٣٤ ثم دخلت سنة اربع وثلاثين وخمسمائة ،

ذكر حصار اتابك زنكى دمشق

فى هذه السنة حصر اتابك زنكى دمشق مرّتين فامّا المرّة الاولى فانّه سار اليها فى ربيع الاوّل من بعلبكّ بعد الفراغ من امرها وتقرير قواعدها واصلاح ما تشعّث منها ليحصرها فنزل بالبقاع وارسل الى جمال الدين محمّد صاحبها يبذل اليه بلدًا يقترحه ليسلّم اليه دمشق فلم يجبه الى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على داريّا ثالث عشر ربيع الاوّل فالتقت الطلايع واقتتلوا وكان الظفر لعسكر زنكى وعاد الدمشقيّون منهزمين فقُتل كثير منهم ، ثم تقدّم زنكى الى الموصل فنزل هناك ولقيه جمع كثير من جند دمشق واحداثها ورجّالة الغوطة فقاتلوه فانهزم الدمشقيّون واخذهم السيف فقتل فيهم واكثر واسر كذلك ومن سلم عاد جريحًا واشرف البلد ذلك اليوم على الاخذ وان يملك لكن عاد زنكى وامسك عنه عشرة ايّام وتابع الرسل الى صاحب دمشق وبذل له بعلبكّ وحمص وغيرهما ممّا يختاره من البلاد فال الى ان يسلّم وامتنع غيره من اصحابه من ذلك وخوّفوه عاقبة فعله وان يفعل ويغدر كما فعل باهل بعلبكّ فلمّا لم يسلّموا اليه عاد القتال والزحف ، ثم انّ جمال الدين محمّدًا صاحب دمشق مرض ومات ثامن شعبان وطمع زنكى حينئذ فى البلد وزحف اليه زحفًا شديدًا ظنًّا منه انّه ربّما يقع بين المقدّمين والامرآء خلاف فيبلغ به الغرض وكان ما امّله بعيدًا ، فلمّا مات جمال الدين ولى بعده مجير الدين ابق ولده وتولّى ترتيب دولته معين الدين أُنُر فلم يظهر لموت ابيه اثرٌ مع انّ عدوّهم على باب المدينة فلمّا راى أُنُر انّ زنكى لا يفارقهم ولا يزول عن حصرهم راسل الفرنج واستدعاهم الى نصرته وان يتّفقوا على دفع زنكى عن دمشق وبذل لهم بذولًا وان يحصر بانياس ويأخذها ويسلّمها اليهم وخوّفهم من زنكى ان ملك دمشق فعلموا صحّة قوله وعلموا انّه ان ملكها لا يبقى لهم معه

بالشام مقام وان الفرنج اجتمعوا وعزموا على المسير الى دمشق ليجتمعوا مع صاحبها وعسكرها على قتال زنكى ، فحين علم زنكى بذلك سار الى حَوْران خامس رمضان عازمًا على قتال الفرنج قبل ان يجتمعوا بالدمشقيّين فلمّا سمع الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم فلمّا رءاهم كذلك عاد الى حصر دمشق [ونزل] بعذرا[1] شماليها سادس شوّال فاحرق عدّة قُرى من المرج والغوطة ورحل عايدًا الى بلاده ووصل الفرنج الى دمشق واجتمعوا بصاحبها وقد رحل زنكى فعادوا فسار معين الدين أُنُر الى بانياس فى عسكر دمشق وهى فى طاعة زنكى كما تقدّم ذكرها ليحصرها ويسلّمها الى الفرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها بجمعة الى مدينة صور للاغارة على بلادها فصادفه صاحب انطاكيّة وهو قاصد الى دمشق نجدةً لصاحبها على زنكى فاقتتلا فانهزم المسلمون واخذوا الى بانياس فقتل ونجا مَن سلم منهم الى بانياس وجمعوا معهم كثيرًا من البقاع وغيرها وحفظوا القلعة فنازلها معين الدين فقاتلهم وضيّق عليهم ومعه طايفة من الفرنج فاخذها وسلّمها الى الفرنج ، وامّا الحصر الثانى لدمشق فانّ اتابك لمّا سمع الخبر بحصر بانياس عاد الى بعلبكّ ليدفع منها مَن يحصرها فاقام هناك فلمّا عاد عسكر دمشق بعد ان ملكوها وسلّموها الى الفرنج فرّق اتابك زنكى عسكره على الاغارة على حَوْران واعمال دمشق وسار هو جريدةً مع خواصّه فنازل دمشق سحرًا ولم يعلم به احد من اهلها فلمّا اصبح الناس ورءاوا عسكره خافوا وارتجّ البلد واجتمع العسكر والعامّة على السور وفُتحت الابواب وخرج الجُند والرجّالة فقاتلوه فلم يكن زنكى عسكره من الاقدام فى القتال لانّ عامّة عسكره كانوا قد تفرّقوا فى البلاد والنهب والتخريب وانّما قصد دمشق لئلّا يخرج منها عسكر الى عسكره وهم متفرّقون فلمّا اقتتلوا ذلك اليوم قُتل بينهم جماعة ثم احجم زنكى عنهم وعاد الى خيامه ورحل[2] الى مرج راهط واقام ينتظر عودة عسكره فعادوا اليه وقد ملأوا ايديهم من الغنايم لانّهم طرقوا البلاد واهلها غافلون فلمّا اجتمعوا عنده رحل بهم عايدًا الى بلادهم ٭

[1] بعذرا [2] ورحل

ذكر مُلك زنكى شهرزور واعمالها

فى هذه السنة ملك اتابك زنكى شهرزور واعمالها وما يجاورها من الحصون وكانت بيد قبجاق ابن ارسلان تاش التركمانىّ وكان حكمه نافذاً[1] على قاصى[2] التركمان ودانيهم وكلمته لا تخالف يرون طاعته فرضًا فتحامى الملوك قصده ولم يتعرّضوا لولايته لانّها منيعة كثيرة المضايق فعظم شانه وازداد جمعه واتاه التركمان من كلّ فجّ عميق ء فلمّا كان هذه السنة سيّر اليه اتابك زنكى عسكرًا فجمع اصحابه ولقيهم فتصافّوا واقتتلوا فانهزم قبجاق واستبيح عسكره وسار الجيش الاتابكىّ [فى اعقابهم فحصروا الحصون والقلاع فملكوها جميعها وبذلوا الامان لقبجاق فصار اليهم وانخرط فى سلك العساكر][3] ولم يزل هو وبنوه فى خدمة البيت على احسن قضيّة الى بعد سنة ستّمائة بقليل وفارقوها ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة جرى بين امير المؤمنين المقتفى بامر الله وبين الوزير شرف الدين علىّ ابن طراد الزينبىّ منافرة وسببها انّ الوزير كان يعترض الخليفة فى كلّ ما يامر به فنفر الخليفة من ذلك فغضب الوزير ثمّ خاف فقصد دار السلطان فى سميرية وقت الظهر ودخل اليها واحتمى بها فارسل اليه الخليفة فى العود الى منصبه فامتنع وكانت الكتب تصدر باسمه واستنيب قاضى القضاة الزينبىّ وهو ابن عمّ الوزير وارسل الخليفة الى دار السلطان رسلاً فى معنى الوزير فارخص له السلطان فى عزله فحينئذ اسقط اسمه من الكتب واقام بدار السلطان ثمّ عزل الزينبىّ من النيابة وناب سديد الدولة ابن الانبارىّ[4] ء وفيها قُتل المقرّب جوهر وهو من خدم السلطان سنجر وكان قد حكم فى دولته جميعها ومن جملة اقطاعه الرىّ ومن مماليكه عبّاس صاحب الرىّ وكان ساير عسكر السلطان سنجر يخدمونه ويقفون ببابه وكان قتله بيد الباطنيّة وقف له جماعة منهم بزىّ النسآء واستغاث به فوقف يسمع كلامهم فقتلوه

---

[1]) نافذًا [2]) قاضى [3]) C. P. et 740. [4]) الانبار

فلمّا قُتل جمع صاحبه عبّاس العساكر وقصد الباطنيّة فقتل منهم واكثر وفعل بهم ما لم يفعله غيره ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرّب بلادهم الى ان مات، وفيها زلزلت كنجة وغيرها من اعمال اذربيجان واران الّا انّ اشدّها كان بكنجة فخرّب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة قيل كان الهلكى مايتىْ الف وثلاثين الفًا وكان من جملة الهلكى ابنان لقراسنقر صاحب البلاد وتهدّمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز وذهب له فيها من الذخاير والاموال شئٌ عظيم، وفيها شرع مجاهد الدين بهروز فى عمل النهروانات سكر سكرًا عظيمًا يردّ المآء الى مجراه الاوّل وحفر مجرى المآء القديم وخرق اليه مجراة تاخذ من ديالى ثم استحال بعد ذلك وجرى المآء ناحية من السكر وبقى السكر فى البرّ لا ينتفع به احدٌ ولم يتعرّض احدٌ الى ردّه الى مجراه عند السكر الى وقتنا هذا، وفيها انقطع الغيث ببغداد والعراق ولم يجئْ غير مرّة واحدة فى اذار ثم انقطع ووقع الغلآء وعُدمت الاقوات، وفيها فى جمادى الاخرة دخل الخليفة بفاطمة خاتون بنت السلطان مسعود وكان يوم حملها الى دار الخليفة يومًا مشهودًا غُلقت بغداد عشرة ايّام وزُيّنت وتزوّج السلطان مسعود بابنة الخليفة، وفيها فى ربيع الاوّل توفّى القاضى ابو الفضل يحيى بن قاضى دمشق المعروف بالزكىّ

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، سنة ٥٣٥

ذكر مسير جهاردانكىّ الى العراق وما كان منه

فى هذه السنة امر السلطان مسعود الامير اسمعيل المعروف بجهاردانكىّ والبقش كون خر[1] بالمسير الى خوزستان وفارس واخذها من بوزابة واطلق لهم نفقة على بغداد فساروا فيمن معهما الى بغداد فمنعهم مجاهد الدين بهروز عن دخولها فلم يقبلوا منه فارسل الى المعابر فخسفها وغرّقها وجدّ فى عمارة السور وسدّ باب الظفريّة وباب كلواذى واغلق باقى الابواب وعلّق عليها السلاسل وضرب الخيام للمقاتلة فلمّا علما بذلك عبرا بصرصر وقصدا الحلّة فمُنعا منها فقصدا واسطًا فخرج

---

[1] النعس كون حر

اليهم الامير طُرنطاىّ وتقاتلوا فانهزم طُرنطاىّ ودخلوا واسطا فنهبوها ونهبوا بلد فرسان والنعمانيّة ولقّهم طُرنطاىّ الى حماد بن ابى الخير صاحب البطيحة ووافقهم عسكر البصرة وفارق اسمعيل والبقش عسكرهما وصارا مع طرنطاىّ فضعُف اولياك فصار الى تُستر واستشفع اسمعيل الى السلطان فعفى عنه ۞

ذكــر عــدّة حــوادث

فى هذه السنة وصل رسول من السلطان سنجر ومعه بردة النبىّ صلّعم والقضيب وكانا قد أُخذا من المسترشد فاعادهما الأن الى المقتفى، وفى هذه السنة توفّى اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وارّانيّة بمدينة اردبيل وكان مرضه السلّ وطال به وكان من مماليك الملك طغرل وسُلّمت اذربيجان وارّانيّة الى الامير جاولى الطغرلىّ وكان قراسنقر عظم محلّه على سلطانه وخافه السلطان، وفيها كان بين اتابك زنكى وبين داود سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا حربٌ شديدٌ وانهزم داود وملك زنكى من بلاده قلعة بهمود وادركه الشتآء فعاد الى الموصل، وفيها ملك الاسماعيليّة حصن مصيات بالشام وكان واليه مملوكًا لبنى منقذ[1] اصحاب شيزر فاحتالوا عليه ومكروا به حتّى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن وهو بايديهم الى الأن، وفيها توفّى سديد الدولة ابن الانبارىّ واستوزر الخليفة بعده نظام الدين ابا نصر محمّد بن محمّد بن جبير وكان قبل ذلك استاذ الدار، وفيها توفّى برنقش[2] بازدار صاحب قزوين، وفيها فى رجب ظفر ابن الدانشمند[3] صاحب ملطيّة وغيرها من تلك النواحى بجمع من الروم فقتلوهم وغنم ما معهم، وفيها فى رمضان سارت طايفة من الفرنج فخرج اليهم العسكر الذى بعسقلان فقاتلهم فظفر المسلمون وقتلوا من الفرنج كثيرًا فعادوا منهزمين، وفيها بنيت المدرسة الكماليّة ببغداد بناها كمال الدين ابو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ولمّا فرغت درّس فيها الشيخ ابو الحسن بن الخل[4] وحضره[5] ارباب المناصب وساير الفقهآء، وفيها فى رجب مات القاضى ابو بكر بن محمّد بن عبد الباقى الانصارىّ قاضى المارستان عن نيف

---

1) منقد 2) برنقش 3) الرانشهه 4) الخل 5) وحصره

وسبعين سنة وله الاسناد والعوالى بالحديث وكان عالمًا بالمنطق والحساب والهيئة وغيرها من علوم الاوايل وهو اخر مَن حدّث فى الدنيا عن اسحق البرمكيّ والقاضى ابى بكر الطبرىّ وابى طالب العشارىّ وابى محمّد الجوهرىّ وغيرهم ، وتوفّى الامام الحافظ ابو القسم اسمعيل بن محمّد بن الفضل الاصفهانىّ عشر ذى الحجّة ومولده سنة تسع وخمسين وله التصانيف المشهورة ، وتوفّى يوسف بن ايّوب بن يوسف بن الحسين بن يعقوب الهمدانىّ من اهل برزجرد وسكن مرو وتفقّه على ابى اسحق الشيرازىّ وروى الحديث واشتغل بالرياضات والمجاهدات ووعظ ببغداد فقام اليه متفقّه يقال له ابن السقّاء وساله واذاه فى السؤال فقال اسكت انى اشتمّ منك ريح الكفر فسافر الرجل الى بلد الروم وتنصّر ، وفيها مات ابو القسم علىّ بن افلح ابن افلح الشاعر المشهور

ثم دخلت سنة ستّ وثلاثين وخمسماية ، سنة ٥٣٦

ذكر انهزام السلطان سنجر من الاتراك الخطا وملكهم ما وراء النهر

ثم ذكر اصحاب التواريخ فى هذه الحادثة اقاويل نحن نذكرها جميعها للخروج من اختلافها وعهدتها فنقول فى هذه السنة فى المحرّم وقيل فى صفر انهزم السلطان سنجر من الترك الكفّار وسبب ذلك انّ سنجرًا كان قتل ابنًا لخوارزم شاه انسز[1] بن محمّد كما ذكرناه قبل فبعث خوارزم شاه الى الخطا وهم بما وراء النهر يطمعهم فى البلاد ويروّج عليهم امرها وحثّهم على قصد مملكة السلطان سنجر فساروا فى ثلثماية الف فارس وسار اليهم سنجر فى عساكره فالتقوا بما وراء النهر واقتتلوا اشدّ قتال وانهزم سنجر وعساكره وقتل منهم ماية الف قتيل منهم اثنا عشر الفًا كلّهم صاحب عمامة واربعة الاف امراة وأسرت زوجة السلطان سنجر وفرّ السلطان منهزمًا الى ترمذ[2] وسار منها الى بلخ ولمّا انهزم سنجر قصد خوارزم شاه مدينة مرو فدخلها مراغمة للسلطان سنجر وقتل بها وقبض على ابى الفضل الكرمانىّ الفقيه الحنفىّ وعلى جماعة من الفقهاء وغيرهم من اعيان البلد ولم يزل السلطان سنجر

---

[1] افشز [2] ترمد

مسعودًا الى وقتنا هذا لم تنهزم له راية، ولمّا تمّت عليه هذه السنة الهزيمة ارسل الى السلطان مسعود واذن له فى التصرّف فى الرىّ وما يجرى معها على قاعدة ابيه السلطان محمّد وامره ان يكون مقيمًا فيها بعساكره بحيث ان دعت حاجة استدعاه لاجل هذه الهزيمة فوصل عبّاس صاحب الرىّ الى بغداد بعساكره وخدم السلطان مسعودًا[1] خدمة عظيمة وسار السلطان الى الرىّ امتثالًا لامر عمّه سنجر، وقيل انّ بلاد تركستان وهى كاشغار وبلاد بلاساغون[2] وختن وطراز وغيرها ممّا يجاورها من بلاد ما وراء النهر كانت بيد الملوك الخانيّة الاتراك وهم مسلمون من نسل افراسياب[3] التركىّ الّا انّهم مختلفون وكان سبب اسلام جدّه شبق قراخاقان انّه راى فى منامه كانّ رجلًا نزل من السماء فقال بالتركيّة ما معناه أَسْلِم تَسْلَم فى الدنيا والاخرة فاسلم فى منامه واصبح فاظهر اسلامه فلمّا مات قام مقامه ابنه موسى بن شبق ولم يزل المُلك بتلك الناحية فى اولاده الى ارسلان خان بن محمّد بن سليمان بن داود بغراخان[4] ابن ابرهيم الملقّب بطمغاج خان بن ايلك الملقّب بنصر ارسلان بن علىّ بن موسى بن شبق فخرج على قدرخان[5] فانتزع المُلك منه فقتل سنجر قدرخان[5] كما ذكرناه سنة اربع وتسعين واربعمائة واعاد المُلك الى ارسلان خان وثبت قدمه وخرج خوارج فاستصرخ السلطان سنجر فنصره واعاده الى مُلكه، وكان من جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغليّة والاتراك الغزيّة[6] الذين نهبوا خراسان على ما نذكره ان شآء الله وهم نوعان نوع يقال لهم اجق واميرهم طوطى بن داديك وقوم يقال لهم برق واميرهم يقال له قرغوت ابن عبد الحميد فحسّن الشريف الاشرف بن محمّد بن ابى شجاع العلوىّ السمرقندىّ لولد ارسلان خان المعروف بنصر خان طَلَبَ المُلك من ابيه واطمعه فسمع محمّد خان الخبر فقتل الابن والشريف الاشرف وجرت بين ارسلان خان وبين جنده القارغليّة وحشة دعتهم الى العصيان عليه وانتزاع المُلك منه فعاود الاستعانة بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة اربع

[1]) مسعردًا [2]) ساغون [3]) قراسياب [4]) بقراخان
[5]) مررخان [6]) العزبّة

وعشرين وخمسمائة وكان بينهما مصاهرة فوصل الى سمرقند وهرب القارغلية من بين يديه ، واتّفق انّ السلطان سنجر خرج الى الصيد فراى خيّالة فقبض عليهم فقرّرهم فاقرّوا انّ ارسلان خان وضعهم على قتله فعاد الى سمرقند فحصر ارسلان خان بالقلعة فملكها واخذه اسيرًا وسيّره الى بلخ فمات بها ، وقيل بل غدر به سنجر واستضعفه فملك البلد منه فاشاع عنه ذلك ، فلمّا ملك سمرقند استعمل عليها بعده قلج طمغاج ابا المعالى لحسن ابن علىّ بن عبد المؤمن المعروف بحسن تكين وكان من اعيان بيت الخانيّة الى الآن الا انّ ارسلان خان اطّرحه فلمّا ولى سمرقند وكان هذا حسن[1] ابن اخت سنجر لم تطل ايّامه فمات عن قليل فاقام سنجر مقامه الملك محمود بن ارسلان خان محمّد ابن سليمان بن داود بغراخان وهو ابن الذى اخذ منه سنجر سمرقند وكان هذا محمود ابن اخت سنجر ، وكان قبل ذلك سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وقد وصل الاعور هو كورخان الصينىّ الى حدود كاشغر فى عدد كثير لا يعلمهم الا الله فاستعدّ له صاحب كاشغر وهو الخان احمد بن الحسن وجمع جنوده فخرج اليه والتقوا فاقتتلوا وانهزم الاعور الصينىّ وقُتل كثير من اصحابه ثم انّه مات فقام مقامه كوخان الصينىّ وكو بلسان الصين لقبٌ لاعظم ملوكهم وخان لقبٌ لملوك الترك فمعناه اعظم الملوك وكان يلبس لبسة ملوكهم من المقنعة والخمار وكان مانَويًّا ولمّا خرج من الصين الى تركستان انضاف اليه الاتراك الخطا وكانوا قد خرجوا قبله من الصين وهم فى خدمة الخانيّة اصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمّد ابن سليمان يسير على ستّة عشر الف خركاة ومنزلهم على الدروب التى بينه وبين الصين يمنعون احدًا من الملوك ان يتدرّج الى بلاده وكان لهم على ذلك جرايات واقطاعات فاتّفق انّه وجد عليهم فى بعض السنين فمنعهم عن نسائهم لئلّا يتوالدون فعظم عليهم ولم يعرفوا وجهًا يقصدونه وتحيّروا فاتّفق ان اجتاز بهم قفلٌ عظيمٌ فيه الاموال الكثيرة والامتعة النفيسة فاخذوه واحضروا التجار وقالوا لهم ان كنتم تريدون اموالكم

1) محمد

فتعرّفونا بلدًا كثير المرعى فسيحًا يسعنا ويسع اموالنا فاتّفق رأى التجار على بلد بلاساغون فوصفوه لهم فعادوا اليهم اموالهم واخذوا الموكّلين الذين كانوا بهم لمنعهم عن نسائهم وكتفوهم واخذوا نساءهم وساروا الى بلاساغون وكان ارسلان خان يغزوهم ويكثر جهادهم فخافوه خوفًا عظيمًا فلمّا نال ذلك عليهم وخرج كوخان الصينيّ انضافوا اليه ايضًا فعظم شانهم وتضاعف جمعهم وملكوا بلاد تركستان وكانوا اذا ملكوا المدينة لا يغيروا على اهلها شيًا بل ياخذون من كلّ بيت دينارًا من اهل البلاد وغيرها من القرى وامّا المزدرعات وغير ذلك فلاهله وكلّ من اطاعهم من الملوك شدّ فى وسطه شبه لوح فضّة فتلك علامة من اطاعهم ء ثم ساروا الى بلاد ما ورآء النهر فاستقبلهم الخاقان محمود بن محمّد من حدود خجندة[1] فى رمضان سنة احدى وثلاثين وخمسمائة واقتتلوا فانهزم الخاقان محمود بن محمّد وعاد الى سمرقند فعظم الخطب على اهلها واشتدّ الخوف والحزن وانتظروا البلآء صباحًا ومسآءً وكذلك اهل بخارا وغيرها من بلاد ما ورآء النهر وارسل الخاقان محمود الى السلطان سنجر يستمدّه ويُنهى اليه ما لقى المسلمون ويحثّه على نصرتهم فجمع العساكر فاجتمع عنده ملوك خراسان صاحب سجستان والغور[2] وملك غزنة وملك مازندران[3] وغيرهم فاجتمع اليه اكثر من مائة الف فارس وبقى العرض ستّة اشهر وسار سنجر الى لقآء الترك فعبروا الى ما ورآء النهر فى ذى الحجّة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة فشكى اليه محمود بن محمّد خان من الاتراك القارغليّة فقصدهم سنجر فالتجوا الى كوخان الصينيّ ومن معه من الكفّار واقام سنجر بسمرقند فكتب اليه كوخان كتابًا يتضمّن الشفاعة فى الاتراك القارغليّة ويطلب منه ان يعفو عنهم فلم يشفّعه فيهم وكتب اليه يدعوه الى الاسلام ويهدّده ان لم يجبْ اليه ويتوعّده بكثرة عساكره ووصفهم وبالغ فى قتالهم بانواع السلاح حتّى قال وانّهم يشقّون الشعر[4] بسهامهم فلم يرض هذا الكتاب وزير السلطان طاهر بن فخر المُلك بن نظام المُلك فلم يَدَعْ اليه وسيّر الكتاب فلمّا قرئ

[1]) C. P. Ups: خجبة [2]) والعور [3]) مازندران [4]) الشهر

الكتاب على كوخان امر بنتف لحية الرسول واعطاه ابرةً وكلّفه شقّ شعرة من لحيته فلم يقدر يفعل ذلك فقال كيف يشقّ غيرك شعرة بسهم وانت عاجز عن شقّها بابرة   واستعدّ كوخان للحرب وعنده جنود الترك والصين والخطا وغيرهم وقصد السلطان سنجر فالتقى العسكران وكانا كالبحرَيْن العظيمَيْن بموضع يقال له قطوان[1] وضاف بهم كوخان حتّى الجأهم الى واد يقال له ديرغم   وكان على ميمنة سنجر الامير تاج وعلى ميسرته ملك سجستان والابطال ورآءهم فاقتتلوا خامس صفر سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة   وكانت الاتراك القارغلية الذين هربوا من سنجر من اشدّ الناس قتالاً ولم يكن ذلك اليوم من عسكر السلطان سنجر احسن قتالاً من صاحب سجستان فاخلت الحرب عن هزيمة المسلمين فقُتل منهم ما لا يُحصى من كثرتهم واشتمل وادى ديرغم على عشرة الاف من القتلى والجرحى ومضى السلطان سنجر منهزمًا وأُسر صاحب سجستان والامير تاج وزوجة السلطان سنجر وهى ابنة ارسلان خان فاطلقهم والحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة البخارىّ الفقيه الحنفىّ المشهور ولم يكن فى الاسلام وقعة اعظم من هذه ولا اكثر ممّن قتل فيها بخراسان   واستقرّت دولة الخطا والترك الكفار بما ورآء النهر وبقى كوخان الى رجب من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فمات فيه   وكان جميلاً حسن الصورة لا يلبس الّا الحرير الصينىّ له هيبة عظيمة على اصحابه ولم يسلّط اميرًا على اقطاع بل كان يُعطيهم من عنده ويقول متى اخذوا الاقطاع ظلموا وكان لا يقدّم اميرًا على اكثر من مائة فارس حتّى لا يقدر على العصيان عليه وكان ينهى اصحابه عن الظلم وينهى عن السكر ويعاقب عليه ولا ينهى عن الزنآء ولا يقبّحه ٠ وملك بعده[2] ابنة له فلم تطل مدّتها حتّى ماتت فملك بعدها امّها زوجة كوخان وابنه محمّد وبقى ما ورآء النهر بيد الخطا الى ان اخذه منهم علآء الدين محمّد خوارزم شاه سنة اثنتى عشرة وستّمائة على ما نذكره ان شآء الله ۞

---

[1] قطوان ([2] بغداد (

ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان

قد ذكرنا قبل قصد[1] السلطان سنجر خوارزم واخذها من خوارزم شاه اتسز[2] وعوده اليها وقتل ولد خوارزم شاه [وانّه هو الذى راسل الخطا واطمعهم فى بلاد الاسلام فلمّا لقيهم السلطان سنجر وعاد منهزمًا][3] سار خوارزم شاه الى خراسان فقصد سرخس فى ربيع الاوّل من[4] السنة فلمّا وصل اليها لقى الامام ابا محمّد الزيادىّ[5] وكان قد جمع بين الزهد والعلم فاكرمه خوارزم شاه اكرامًا عظيمًا ورحل من هناك الى مرو الشاهجان فقصده الامام احمد الباخرزىّ وشفع فى اهل مرو وسال الّا يعترض اليهم احد من العسكر فاجابه الى ذلك ونزل بظاهر البلد واستدعى ابا الفضل الكرمانىّ الفقيه واعيان اهلها فثار عامّة مرو وقتلوا بعض اهل خوارزم شاه واخرجوا اصحابه من البلد واغلقوا ابوابه واستعدّوا للامتناع فقاتلهم خوارزم شاه ودخل مدينة مرو سابع عشر ربيع الاوّل من السنة وقتل كثيرًا من اهلها وممّن قُتل ابرهيم المروزىّ الفقيه الشافعىّ وعلىّ بن محمّد بن ارسلان وكان ذا فنون كثيرة من العلم وقُتل الشريف علىّ بن اسحق المُوسَوىّ وكان راس فتنة وملقح شرّ وقتل كثيرًا من اعيان اهلها وعاد الى خوارزم واستصحب معه علمآء كثيرًا من اهلها منهم ابو الفضل الكرمانىّ وابو منصور العبادىّ والقاضى الحسين ابن محمّد الارسابندىّ وابو محمّد الخَرَقىّ الفيلسوف وغيرهم ثمّ سار فى شوّال من السنة الى نيسابور فخرج اليه جماعة من فقهآئها وعلمآئها وزهّادها وسألوه ان لا يفعل باهل نيسابور ما فعل باهل مرو فاجابهم الى ذلك لكنّه استقصى فى البحث عن اموال اصحاب السلطان فاخذها وقطع خطبة السلطان سنجر اوّل ذى القعدة وخطبوا له فلمّا ترك الخطيب ذكر السلطان سنجر وذكر خوارزم شاه صاح الناس وثاروا وكادت الفتنة تثور والشرّ يعود جديدًا وانّما منع الناس ذوو الراى والعقل نظرًا فى العاقبة فقطعت الى اوّل المحرّم سنة سبع وثلاثين فاعيدت خطبة السلطان سنجر، ثمّ سيّر خوارزم

---

1) C. P. Ups.: قصة
2) اتشز
3) C. P.
4) C. P. et 740. Ups: فى
5) الزبادى

شاه جيشًا الى اعمال بيهق فاقاموا بها يقاتلون اهلها خمسة ايّام ثمّ سار عنها ذلك الجيش ينهبون البلاد وعملوا بخراسان اعمالاً عظيمًا ومنع السلطان من مقاتلة اتسز خوارزم شاه لاجل قوّة الخطا بما ورآء النهر ومجاورتهم [وملك] خوارزم شاه [هذه البلاد] وغيرها من خراسان ٭

ذكــر عــدّة حــوادث

فى هذه السنة ملك اتابك زنكى بن اقسنقر مدينة الحديثة ونقل مَن كان بها من آل مهراش الى الموصل ورتّب اصحابه فيها، وفيها ايضًا خُطب لزنكى بمدينة آمد وصار صاحبها فى طاعته وكان قبل ذلك موافقًا لداود على قتال زنكى فلمّا راى قوّة زنكى صار معه، وفيها عُزل مجاهد الدين بهروز[1] عن شحنكيّة بغداد ووليها قزل امير اخور وهو من مماليك السلطان محمود وكان له بروجرد والبصرة فاضيف اليه شحنكيّة بغداد ثمّ وصل السلطان الى بغداد فراى من تبسّط العيّارين وفسادهم ما سآءه فاعاد بهروز الى الشحنكيّة فتاب كثير منهم ولم ينتفع الناس بذلك لانّ ولد الوزير واخا امراة السلطان كانا يقاسمان العيّارين فلم يقدر بهروز على منعهم، وفيها توفّى عبد الرحمن طغايرك حجبة السلطان واستولى على المملكة وعزل الامير تبر[2] الطغرلى عنها وآل امره الى ان مشى فى ركاب عبد الرحمن، وفيها توفّى ابرهيم السهاوى مقدّم الاسماعيليّة فاخرجه ولد عبّاس صاحب الرىّ فى تابوته، وفيها حجّ كمال الدين بن طلحة صاحب المخزن وعاد وقد لبس ثياب الصوفيّة وتخلّى عن جميع ما كان عليه واقام فى داره مرعًا الجانب محروس القاعدة، وفيها وصل السلطان الى بغداد وكان الوزير الزينبى بدار السلطان كما ذكرناه فسأل السلطان ان يشفع فيه وليردّه الخليفة الى داره فارسل السلطان وزيره الى دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبى وشفع أن يعود الى داره فأُذن له فى ذلك وأُعاد اخاه الى نقابة النقبآء فلزم الوزير داره ولم يخرج منها الّا الى الجامع، وفيها اغار عسكر اتابك زنكى من حلب على بلاد الفرنج فنهبوا واحرقوا وظفروا بسريّة الفرنج فقتلوا فيهم واكثروا فكان عدّة القتلى سبع مأية رجل، وفيها افسد بنو

---

[1] بهروز [2] تمر

خفاجة بالعراق فسيّر السلطان مسعود سرّية اليهم من العسكر فنهبوا حلّتهم وقتلوا من ظفروا به منهم وعادوا سالمين، وفيها سيّر رجّار الفرنجىّ صاحب صقلّية اسطولاً الى اطراف افريقية فاخذوا مراكب سُيّرت من مصر الى الحسن صاحب افريقية وغدر بالحسن ثم راسله الحسن وجدّد الهدنة لاجل حمل الغلات من صقلّية الى افريقية لانّ الغلاء كان فيها شديدًا والموت كثيرًا، وفيها توفّى ابو القسم عبد الوهّاب بن عبد الواحد الحنبلىّ الدمشقىّ وكان عالمًا، وفيها توفّى ضياء الدين ابو سعيد الكفرتوثىّ[1] وزير اتابك زنكى وكان حسن السيرة فى وزارته كريمًا رئيسًا، وفيها توفّى ابو محمّد بن طاووس امام الجامع بدمشق فى المحرّم وكان رجلاً صالحًا فاضلاً، وفيها توفّى ابو القسم اسمعيل بن احمد بن عمر بن ابى الاشعث المعروف بابن السمرقندىّ ولد بدمشق سنة اربع وخمسين واربعمائة وكان مُكثرًا من الحديث عالى الرواية ☼

سنة ٥٣٧ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة،

ذكر مُلك اتابك زنكى قلعة اشب وغيرها من الهكّارية

فى هذه السنة ارسل اتابك زنكى جيشًا الى قلعة اشب وكانت اعظم حصون الاكراد الهكّارية وامنعها وبها اموالهم واهلهم فحصروها وضيّقوا على مَن بها فملكوها فامر باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضًا عنها وكانت هذه القلعة العمادية حصنًا عظيمًا من حصونهم فخرّبوه لكبره لانّه كبير جدًّا وكانوا يعجزون عن حفظه فخُرّبت الآن اشب وعمرت العمادية وانّما سمّيت العمادية لنسبة الى لقبه وكان نصير الدين جقر نائبه بالموصل قد فتح اكثر القلاع الجبلية ☼

ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب

وفى هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صقلّية الى طرابلس الغرب فحصروها وسبب ذلك انّ اهلها فى ايّام الامير الحسن صاحب افريقية لم يدخلوا ابدًا فى طاعته ولم يزالوا مخالفين مشاققين له قد قدّموا عليهم من بنى مطروح مشايخ يدبّرون امرهم فلمّا راءهم ملك

[1] الكفرتوثى (

صقلية كذلك جهّز اليهم جيشًا فى البحر فوصلوا اليهم تاسع ذى الحجّة فنازلوا البلد وقاتلوه وعلّقوا الكلاليب فى سوره ونقبوه فلمّا كان الغد وصل جماعة من العرب نجدةً لاهل البلد فقوى اهل طرابلس بهم فخرجوا الى[1] الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقُتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدوابّ والالات فنهبها العرب واهل البلد ورجع الفرنج الى صقليّة فجهّزوا اسلحتهم وتجهّزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل[2] فلمّا رءاهم اهل البلد هربوا الى البرارى والجبال فدخلها الفرنج وسبوا مَن ادركوا فيها وهدموها واحرقوها واخربوا القصر الذى بناه يحيى بن العزيز بن حمّاد للنزهة ثمّ عادوا ❀

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة خرج حسن امير الامرآء على السلطان سنجر بخراسان، وفيها توفّى محمّد بن دانشمند[3] صاحب ملطيّة والثغر واستولى على بلاده[4] الملك مسعود بن قلج [ارسلان] صاحب قونيّة وهو من السلجوقيّة، وفيها خرج من الروم عسكر كثير الى الشام فحصروا الفرنج بانطاكيّة فخرج صاحبها واجتمع بملك الروم واصلح حاله معه وعاد الى مدينته ومات فى رمضان من هذه السنة ثمّ انّ ملك الروم بعد ان صالح صاحب انطاكيّة سار الى طرابلس فحصرها ثمّ سار عنها، وفيها قبض السلطان مسعود على الامير ترشك[5] وهو من خواصّ الخليفة وممّن ربى عنده وفى داره فساءَ ذلك الخليفة ثمّ اطلقه السلطان حفظًا لقلب الخليفة، وفيها كان بمصر وبآء عظيم فهلك منه اكثر البلاد ❀

ثمّ دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، سنة ٥٣٨

ذكر صلح الشهيد السلطان مسعود واتابك زنكى

فى هذه السنة وصل السلطان مسعود الى بغداد على عادته فى كلّ سنة وجمع العساكر وتجهّز لقصد اتابك زنكى وكان حقد عليه حقدًا شديدًا وسبب ذلك انّ اصحاب الاطراف الخارجين عن السلطان مسعود

---

١) الا ٢) حجبل ٣) داشيهد ٤) بلاد ٥) برشك

كانوا يخرجون عليه على ما تقدّم ذكره فكان ينسب ذلك الى اتابك زنكى ويقول هو الذى سعى فيه واشار به لعلمه انّهم كلّهم كانوا يصدرون عن رايه فكان اتابك زنكى لا شكّ يفعل ذلك لئلّا يخلو السلطان فيتمكّن منه ومن غيره فلمّا تفرّغ السلطان هذه السنة جمع العساكر ليسيروا الى بلاده فسيّر اتابك يستعطفه ويستميله فارسل اليه السلطان ابا عبد الله بن الانبارىّ فى تقرير القواعد فاستقرّت القاعدة على مائة الف دينار يحملها الى السلطان ليعود عنه فحمل عشرين الف دينار اكثرها عروض ثمّ تنقّلت الاحوال بالسلطان الى ان احتاج الى مُداراة اتابك واطلق له الباقى استمالة له وحفظًا لقلبه وقُعاد السلطان عنه وكان سببه حصانة بلاده وكثرة عساكره وامواله، ومن جيّد الراى ما فعله الشهيد فى هذه الحادثة فانّه كان ولده الاكبر سيف الدين غازى لا يزال عند السلطان سفرًا وحضرًا بامر والده فارسل اليه ثانية وارسل اليه نايبه بها نصير الدين جقر فيقول له ليمنعه عن الدخول الى الموصل والوصول اليه فهرب غازى وبلغ الخبر والده فارسل اليه يامره بالعودة الى السلطان ولم يجتمع به وارسل معه رسولًا الى السلطان يقول له انّ ولدى هرب خوفًا من السلطان لمّا راى تغيّره علىّ وقد اعدتُه الى الخدمة ولم اجتمع به فانّه مملوكك والبلاد لك فحلّ ذلك من السلطان محلًّا عظيمًا ۞

ذكر مُلك اتابك بعض ديار بكر

وفى هذه السنة سار اتابك زنكى الى ديار بكر ففتح منها عدّة بلاد وحصون فمن ذلك مدينة طنزة ومن ذلك مدينة اسعرد ومدينة حيزان وحصن الدوق وحصن مطليس وحصن باتسية[1] وحصن ذى القرنين وغير ذلك ممّا لم يبلغ غيره هذه الاماكن واخذ ايضًا من بلد ماردين ممّا هو بيد الفرنج جملين[2] والموزر وتلّ موزر وغيرها من حصون جوسلين[3] ورتّب امور الجميع وخلّا فيها من الاجناد من يحفظها وقصد مدينة امد وحانى[4] فحصرهما واقام بتلك الناحية مصلحًا لما فتحه ومحصرًا لما لم يفتحه۞

---

[1]) Cfr. Abulfeda III, p. 486. باتلسه [2]) جملين [3]) ستخنان [4]) حاق

ذكر امر العيّارين ببغداد

وفى هذه السنة زاد امر العيّارين وكثر لامنهم من الطلب بسبب ابن الوزير وابن قاورت[1] اخى زوجة السلطان لانّهما كان لهما نصيب من الذى ياخذونه العيّاورن وكان النايب فى شحنكيّة بغداد مملوك اسمه ايلدكز[2] وكان صارماً مقداماً ظالماً فحمله الاقدام الى ان حضر عند السلطان فقال له السلطان انّ السياسة قاصرة والناس قد هلكوا قال يا سلطان العالم اذا كان عقيد العيّارين ولد وزيرك واخا امراتك فاىّ قدرة لى على المفسدين وشرح له الحال فقال له الساعة تخرج وتكبس عليهما اين كانا وتصلبهما فان فعلتَ والاّ صلبتُك فاخذ خاتمه وخرج فكبس على ابن الوزير فلم يجده فاخذ مَن كان عنده وكبس على ابن قاورت[1] فاخذه وصلبه فاصبح الناس وهرب ابن الوزير وشاع الامر ورُئى ابن قاورت[1] مصلوبًا فهرب اكثر العيّارين وقبض على مَن اقام وكفى الناس شرّهم

ذكر حصر سنجر خوارزم وصلحه مع خوارزم شاه

قد ذكرنا سنة اثنتين وثلاثين مسير سنجر الى خوارزم ومُلكه لها وعود اتسز[3] خوارزم شاه اليها واخذها وما كان منه بخراسان بعد ذلك فلمّا كان فى هذه السنة سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه فجمع خوارزم شاه عساكره وتحصّن بالمدينة ولم يخرج منها لقتال لعلمه انّه لا يقوى لسنجر وكان القتال يجرى بين الفريقيْن من وراء السور، فاتّفق يوم من بعض الايّام هجم أمير من امرآء سنجر اسمه سنقر على البلد من الجانب الغربىّ فلم يبق غير ملكه قهرًا وعنوةً وكان مثقال التاجى هجم من الشرق[4] فانهزم مثقال عن البلد وبقى سنقر وحده فى البلد فقوى عليه خوارزم شاه اتسز فاخرجه من البلد وبقى سنقر وحده واشتدّ فى حفظه فلمّا راى السلطان قوّة البلد وامتناعه عزم على العود الى مرو ولم يمكنه من غير قاعدة تستقرّ بينهما فاتفق انّ خوارزم شاه ارسل رسلاً يبذل المال والطاعة والخدمة ويعود الى ما كان عليه من الانقياد فاجابه الى ذلك واصطلحا وعاد سنجر الى مرو واقام خوارزم شاه بخوارزم

---

1) قاورت 2) ايلدكر 3) اقسز 4) السرق

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سيّر اتابك زنكى عسكرًا الى مدينة عانة من اعمال الفراة فلكوها، وفيها في محرّم توفي ابو البركات عبد الوهّاب ابن المبارك بن احمد الانباطيّ الحافظ ببغداد ومولده سنة اثنتين وستّين واربعمايةٍ، وفيها توفي ابو الفتوح محمّد بن الفضل بن محمّد الاسفرائينيّ الواعظ من اهل اسفرائين من خراسان واقام مدّة ببغداد يعظ وسار الى خراسان فلمّا مات حضر الغزنويّ عزآءه ببغداد وبكى واكثر فقال بعض اصحاب ابى الفتوح للغزنويّ كلامًا اغلظ له فيه فلمّا قام الغزنويّ لامَهُ بعض تلامذته على حضور العزآء وكثرة البكآء وقال له كنتَ مهاجر لهذا الرجل فلمّا مات حضرتَ عزآءه واكثرتَ البكآء واظهرتَ الحزن قال كنتُ ابكى على نفس كان يقال فلان وفلان فمن يعدم النظير ايقن بالرحيل وانشد هذه الابيات

ذهب المبرّد وانقضتْ ايّامه   وسينقضى بعد المبرّد ثعلبُ
بيتٌ من الاداب اصبح نصفه   خرب وباقى نصفه فسيخربُ
فتزوّدوا من ثعلب فبمثل ما   شرب المبرّد عن قليل يشربُ
اوصيكم ان تكتبوا انفاسه   ان كانت الانفاس ممّا يكتبُ،

وفيها توفي الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبيّ في رمضان معزولًا ودُفن بداره بباب الازج[1] ثم نُقل الى الحربيّة، وفيها توفي ابو القسم محمود بن عمر الزمخشريّ النحوى المفسّر وزمخشر احدى قُرى خوارزم ﴿

سنة ٥٣٩ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمايةٍ،

ذكر فتح الرُّها وغيرها من البلاد الجزريّة

في هذه السنة سادس جمادى الاخرة فتح اتابك عماد الدين زنكى بن اقسنقر مدينة الرُّها من الفرنج وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة ايضًا وكان ضررهم قد عمّ بلاد الجزيرة وشرّهم قد استطار فيها ووصلت غاراتهم الى ادانيها واقاصيها وبلغت آمد ونصيبين وراس العين والرقّة وكانت مملكتهم بهذه الديار من قريب ماردين الى الفراة مثل الرُّها

---

[1] الازج ا

وسروج والبيرة وسنّ ابن عطية وحملين والموزر والقرادى¹ وغير ذلك وكانت هذه الاعمال مع غيرها مما هو غرب الفراة لجوسلين وكان صاحب راى الفرنج والمقدّم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر وكان اتابك يعلم انّه متى قصد حصرها اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتعذّر عليه مُلكها لما هي عليه من الحصانة فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج انّه غير متفرّغ الى قصد بلادهم فلمّا رءاوه انّه غير قادر على ترك الارتقيّة وغيرهم من ملوك ديار بكر حيث انّه محارب لهم اطمأنّوا وفارق جوسلين الرها وعبر الفراة الى بلاد الغربيّة فجآءت عيون اتابك اليه فاخبروه الخبر فنادى فى العسكر بالرحيل وان لا يتخلّف عن الرها احد من غد يومه وجمع الامرآء عنده وقال قدّموا الطعام وقال لا يأكل معى على مايدتى هذه الّا من يطعن غدًا معى بباب الرها فلم يتقدّم اليه غير امير واحد وصبىّ لا يُعرف لما يعلمون من اقدامه وشجاعته وانّ احدًا لا يقدر على مساواته فى الحرب فقال الامير لذلك الصبىّ ما انت فى هذا المقام فقال اتابك دعه فوالله انى ارى وجهًا لا يتخلّف عنّى وسار والعساكر معه ووصل الى الرها وكان هو اوّل من حمل على الفرنج وحمل ذلك الصبىّ وحمل فارس من خيّالة الفرنج على اتابك عرضًا فاعترضه ذلك الامير فطعنه فقتله وسلم الشهيد ونازل البلد وقاتله ثمانية وعشرين يومًا فزحف اليه عدّة دفعات وقدّم النقّابين فنقبوا سور البلد ولجّ فى قتاله خوفًا من اجتماع الفرنج والمسير اليه واستنقاذ² البلد منه فسقطت البدنة الّتى نقبها النقّابون [واخذ] البلد عنوةً وقهرًا وحصر قلعته فلكها ايضًا ونهب الناس الاموال وسبوا الذرّيّة وقتلوا الرجال فلمّا راى اتابك البلد اعجبه وراى انّ تخريب مثله لا يجوز فى السياسة فامر فنودى فى العساكر بردّ ما اخذوه من الرجال والنسآء والاطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردّوا الجميع عن اخره لم يفقد منهم احد الّا الشاذّ³ النادر الذى أُخذ وفارق مَن اخذه العسكر فعاد البلد على حاله الاوّل وجعل

¹) العرادى ²) استعاف ³) الشاد

فيه عسكرًا بجفظه، وتسلّم مدينة سروج وساير الاماكن للة كانت بيد الفرنج شرق الفراة ما عدا البيرة فانّها حصينة منيعة وعلى على شاطئ الفراة فسار اليها وحصرها وكانوا قد اكثروا ميرتها ورجالها فبقى على حصارها الى ان رحل عنها على ما نذكره ان شاء الله تعالى، حُكى انّ بعض الحكمآء بالانساب والتواريخ قال كان صاحب جزيرة صقلّية قد ارسل سريّة فى البحر الى طرابلس الغرب وتلك الاعمال فنهبوا وقتلوا وكان بصقليّة انسان من العلمآء المسلمين وهو من اهل الصلاح وكان صاحب صقليّة يكرمه ويحترمه ويرجع الى قوله ويقدّمه على مَن عنده من القسوس والرهبان وكان اهل ولايته يقولون انّه مُسلم بهذا السبب ففى بعض الايّام كان جالسًا فى منظرة تشرف على البحر واذ[1] قد اقبل مركب لطيف واخبره مَن فيه انّ عسكره دخل بلاد الاسلام وغنموا وقتلوا وظفروا وكان المسلم الى جانبه وقد اغفى فقال له الملك يا فلان أَمَا تسمع ما يقولون قال لا قال انّهم يخبرون بكذا وكذا أين كان محمّد عن تلك البلاد واهلها فقال له كان غاب عنهم وشهد فتح الرها وقد فتحها المسلمون الآن فضحك منه مَن كان هناك من الفرنج فقال الملك لا تضحكون فوالله ما يقول الّا الحقّ فبعد ايّام وصلت الاخبار من فرنج الشام بفتحها، وحكى لى جماعة من اهل الدين والصلاح انّ انسانًا صالحًا راى الشهيد فى النوم فقال له ما فعل الله بك قال غفر لى بفتح الرها ❊

ذكر قتل نصير الدين جقر وولاية زين الدين علىّ كوجك قلعة الموصل

فى هذه السنة فى ذى القعدة قُتل نصير الدين جقر نايب اتابك زنكى بالموصل والاعمال جميعها للة شرق الفراة وسبب قتله انّ الملك الب ارسلان المعروف بالخفاجى ولد السلطان محمود كان عند اتابك الشهيد وكان يظهر للخلفآء والسلطان مسعود واصحابه بالاطراف انّ هذه البلاد لهذا الملك وانا نايبه فيها وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليخطب له بالسلطنة ويملك البلاد باسمه وكان هذا الملك بالموصل هذه

[1] اذا

السنة ونصير الدين يقصده كلّ يوم ليقوم بخدمة ان عرضت له فحسّن له بعض المفسدين طلب المُلك وقال له ان قتلتَ نصير الدين ملكتَ الموصل وغيرها من البلاد ولا يبقى مع اتابك زنكى فارسٌ واحدٌ فوقع هذا منه موقعًا حسنًا وظنّه صدقًا ، فلمّا دخل نصير الدين اليه وثب عليه مَن عنده من اجناد اتابك ومماليكه فقتلوه والقوا براسه الى اصحابه ظنًّا منهم انّ اصحابه يتفرّقون ويخرج الملك ويملك البلد وكان الامر خلاف ما ظنّوه فانّ اصحابه واصحاب اتابك الذين فى خدمته لمّا رءاوا راسه قاتلوا مَن بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دولة اتابك مملوّة بالرجال والاجناد ذوى الراى والتجربة ثم دخل اليه القاضى تاج الدين يحيى بن الشهرزورىّ ولم يزل به يخدعه وكان فيما قال له لمّا رءاه منزعجًا يا مولانا لِمَ تحرد من هذا الكلب هذا واستاذه مماليكك والحمد لله الذى اراحنا منه ومن صاحبه على يدك وما الذى يقعدك فى هذه الدار قم لتصعد القلعة وتاخذ الاموال والسلاح وتملك البلد وتجمع الجند وليس دون الموصل مانعٌ ، فقام معه واصعده القلعة فلمّا قاربها اراد مَن بها من النقيب والاجناد القتال فتقدّم اليهم القاضى تاج الدين وقال لهم افتحوا الباب وتسلّموه وافعلوا به ما اردتم ثم فتح الباب ودخل الملك والقاضى اليها ومعهما مَن اعان على قتل نصير الدين فسُجنوا ونزل القاضى وبلغ الخبر اتابك زنكى وهو يحاصر قلعة البيرة وقد اشرف على مُلكها فخاف ان تختلف البلاد الشرقيّة بعد قتل نصير الدين ففارق البيرة وارسل زين الدين علىّ بن بكتكين الى قلعة الموصل واليًا على ما كان نصير الدين يتولّاه ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره البروجردىّ ووزر بعده المرزبان بن عبيد الله بن نصر الاصفهانىّ وسلّم اليه البروجردىّ فاستخرج امواله ومات مقبوضًا ، وفيها كان اتابك عماد الدين زنكى يحاصر البيرة وهى للفرنج شرق الفراة بعد مُلك الرها وهى من امنع الحصون وضيّق عليها وقارب ان يفتحها فجآءه خبر قتل نصير الدين نايبه بالموصل فرحل عنها وارسل نايبًا الى الموصل واقام ينتظر

الخبر فخاف مَن بالبيرة من الفرنج ان يعود اليهم وكانوا يخافونه خوفًا شديدًا فارسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلّموها له فملكها المسلمون ، وفيها خرج اسطول الفرنج من صقلّية الى ساحل افريقية والغرب ففتحوا مدينة برشك[1] وقتلوا اهلها وسبوا حريمهم وباعوه بصقلّية على المسلمين ، وفيها توفّى تاشفين بن علىّ بن يوسف صاحب الغرب وكانت ولايته تزيد على اربع سنين وولى بعده اخوه وضَعُف امر الملثّمين وقوى عبد المؤمن وقد ذكرنا ذلك سنة اربع عشرة وخمسمائة ، وفيها فى شوّال ظهر كوكب عظيم له ذنب من جانب المشرق وبقى الى نصف ذى القعدة ثمّ غاب ثمّ طلع من جانب الغرب فقيل هو هو وقيل بل غيره ، وفيها كانت فتنة عظيمة بين الامير هاشم بن فليتة بن القسم العلوىّ الحسينىّ امير مكّة والامير نظر الخادم امير الحاجّ فنهب اصحاب هاشم الحجاج وهم فى المسجد يطوفون ويُصلّون ولم يرقبوا فيهم إلًّا ولا ذمّة ، وفيها فى ذى الحجّة توفّى عبد الله احمد بن محمّد ابن عبد الله ابن حمدويه ابو المعالى المروزىّ بمرو وسافر الكثير وسمع الحديث الكثير وبنى بمرو رباطًا ووقّف فيه كتبًا كثيرةً وكان كثير الصدقة والعبادة ، وتوفّى محمّد بن عبد الملك بن حسن بن ابرهيم بن خيرون ابو منصور المقرى فى رجب ومولده فى رجب سنة اربع وخمسين واربعمائة وهو اخر مَن روى عن الجوهرىّ بالاجازة ، وفى ذى الحجّة منها توفّى ابو منصور سعيد بن محمّد ابن عمر المعروف بابن الرزّاز مدرّس النظاميّة ببغداد ومولده سنة اثنتين وستّين واربعمائة وتفقّه على الغزّالىّ والشاشىّ ودُفن فى تربة الشيخ ابى اسحق ✿

سنة ٥٤٠ ثمّ دخلت سنة اربعين وخمسمائة ،

ذكر اتّفاق بوزابة وعبّاس على منازعة السلطان

فى هذه السنة سار بوزابة صاحب فارس وخوزستان وعساكره الى قاشان ومعه الملك محمّد [بن السلطان محمود ووصل اليهما الملك سليمان شاه] بن السلطان محمّد واجتمع بوزابة والامير

1) برسک

عبّاس صاحب الرىّ واتّفقا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود وملكا كثيرًا من بلاده ووصل الخبر اليه وهو ببغداد ومعه الامير عبد الرحمن طُغايرك وهو امير حاجب حاكم فى الدولة وكان ميله اليهما فسار السلطان فى رمضان عن بغداد ونزل بها الامير مهلهل ونظر وجماعة من غلمان بهروز وسار السلطان وعبد الرحمن معه فتقارب العسكران ولم يبق الّا المصافّ فلحق سليمان شاه باخيه مسعود وشرع عبد الرحمن فى تقرير الصلح على القاعدة التى ارادوها واضيف الى عبد الرحمن ولاية اذربيجان وارانيّة الى ما بيده وصار ابو الفتح بن دارست وزيرَ السلطان مسعود وهو وزير بوزابة فصار السلطان معهم تحت الحجر وارسلوا بك ارسلان بن بلنكرى[1] المعروف بخاصّ بك وهو ملازم السلطان وبربيّته وصار فى خدمته عبد الرحمن ليحقن دمه وصار الجماعة فى خدمة السلطان بالصورة لا بالمعنى والله اعلم

ذكر استيلآء علىّ بن دُبيس بن صدقة على الحلّة

فى هذه السنة سار علىّ بن دُبيس الى الحلّة هاربًا فلكها وكان سبب ذلك انّ السلطان لمّا اراد الرحيل من بغداد اشار عليه مهلهل ان يحبس علىّ بن دُبيس بقلعة تكريت فعلم ذلك فهرب فى جماعة يسيرة نحو خمسة عشر فمضى الى الازيز وجمع بنى اسد وغيرهم وسار الى الحلّة وبها اخوه محمّد بن دُبيس فقاتله فانهزم محمّد وملك علىّ الحلّة واستهان السلطان امره اوّلًا فاستفحل وضمّ اليه جمعًا من غلمانه وغلمان ابيه واهل بيته وعساكرهم وكثُر جمعهم فسار اليه مهلهل فيمن معه فى بغداد من العسكر وضربوا معه مصافًّا فكسرهم وعادوا منهزمين الى بغداد وكان اهلها يتعصّبون لعلىّ ابن دُبيس وكانوا يصيحون اذا رءاوا مهلهل وبعض اصحابه يا علىّ كُلْهُ وكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب ومدّ علىّ يده فى اقطاع الامرآء بالحلّة وتصرّف فيها، وصار شحنة بغداد ومَن فيها على وجل منه وجمع الخليفة جماعة وجعلهم على السور لحفظه وراسل عليًّا فاعاد بانى العبد المطيع مهما

---

[1] سنكرى

رسم لى فعلتُ فسكن الناس ووصلت الاخبار بعد ذلك انّ السلطان مسعودًا تفرّق خصومه عنه فازداد سكون الناس لذلك ☆

ذكــر عــدّة حــوادث

حجّ بالناس هذه السنة قايماز الارجوانىّ صاحب امير الحاجّ نظر واحتجّ نظر بانّ بركَّه نُهب فى كسرة الحلّة وانّ بينه وبين امير مكّة من الحروب ما لا يمكنه معه الحجّ، وفيها اتّصل بالخليفة عن اخيه ابى طالب ما كرهه فضيّق عليه واحتاط على غيره من اقاربه، وفيها ملك الفرنج لعنهم الله مدينة شنترين¹ وباجة وماردة واشبونة وساير المعاقل المجاورة لها من بلاد الاندلس وكانت للمسلمين فاختلفوا فطمع العدوّ واخذ هذه المدن وقوى بها قوّة تمكّن وتيقّن مُلك بلاد الاسلام بالاندلس فخيّب الله ظنّه وكان ما نذكره، وفيها سار اسطول الفرنج من صقلية ففتحوا جزيرة قرقنة من افريقية فقتلوا رجالها وسبوا حريمهم فارسل الحسن صاحب افريقية الى رجّار ملك صقلية يذكره بالعهود التى بينهم فاعتذر بانّهم غير مطيعين له، وفى هذه السنة توفّى مجاهد الدين بهروز الغياثىّ وكان حاكمًا بالعراق نيفًا وثلاثين سنة، وبرنقش² الزكوىّ صاحب اصفهان وكان ايضًا شحنة بالعراق وهو خادم ارمنىّ لبعض التجار، وتوفّى الامير ايلدكز³ شحنة بغداد والشيخ ابو منصور موهوب بن احمد بن الخضر الجواليقىّ اللغوىّ ومولده فى ذى الحجّة سنة خمس وستّين واربعمائة واخذ اللغة عن ابى زكرياء التبريزىّ وكان يؤمّ بالمقتفى امير المؤمنين، وتوفّى احمد بن محمّد بن الحسن بن علىّ بن احمد بن سليمان ابو سعيد بن ابى الفضل الاصفهانىّ ومولده سنة ثلاث وستّين واربعمائة وروى الحديث الكثير وكان على سيرة السلف كثير الاتباع للسنّة رحمة الله عليه ☆

سنة ٥٤١ ثم دخلت سنة احدى واربعين وخمسمائة،

ذكر مُلك الفرنج طرابلس الغرب

فى هذه السنة ملك الفرنج لعنهم الله طرابلس الغرب وسبب ذلك

---

¹) شنترين ²) برنقش ³) ايلدكز

انّ رجّار ملك صقلّية جهّز اسطولاً كثيرًا وسيّره الى طرابلس فاحاطوا بها برًّا وبحرًا ثالث المحرّم فخرج اليهم اهلها وانشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة ايّام فلمّا كان اليوم الثالث سمع الفرنج بالمدينة ضجّة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وسبب ذلك انّ اهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بايّام يسيرة قد اختلفوا فاخرج طايفة منهم بنى مطروح وقدّموا عليهم رجلاً من الملثّمين وقدم يريد الحجّ ومعه جماعة فولّوه امرهم فلمّا نازلهم الفرنج اعادت الطايفة الاخرى بنى مطروح فوقع الحرب بين الطايفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتدّ القتال فملكت الفرنج المدينة عنوةً وقهرًا بالسيف فسفكوا دمآء اهلها وسبوا نسآءهم واخذوا اموالهم وهرب مَن قدر على الهرب والتجى الى البربر والعرب فنودى بالامان فى كافّة الناس فرجع كلّ مَن فرّ منها واقام الفرنج ستّة اشهر حتّى حصّنوا سورها وحفروا خنادقها ولمّا عادوا اخذوا رهاين اهلها ومعهم بنو مطروح والملثّم ثمّ اعادوا رهاينهم وولّوا عليها رجلاً من مطروح واخذوا رهاينه وحده واستقامت امور المدينة وأُلزم اهل صقليّة والسفن والروم بالسفر اليها فانعمرت سريعًا ۞

ذكر حصر زنكى حصن جعبر وفَنَك

وفى هذه السنة سار اتابك زنكى الى حصن جعبر وهو مطلّ على الفراة وكان بيد سالم ابن مالك العقيلىّ سلّمه السلطان ملكشاه الى ابيه لمّا اخذ منه حلب وقد ذكرناه فحصره وسيّر جيشًا الى قلعة فَنَك وهى تجاور جزيرة ابن عُمر بينهما فرسخان فحصرها ايضًا وصاحبها حينيئذ الامير حسام الدين الكردىّ البشنوىّ وكان سبب ذلك انّه كان لا يريد ان يكون فى وسط بلاده ما هو ملك غيره حزمًا واحتياطًا فنازل قلعة جعبر وحصرها وقاتله مَن بها فلمّا طال عليه ذاك ارسل الى صاحبها مع الامير حسّان المنبجىّ لمودّة كانت بينهما فى معنى تسليمها وقال له تضمن عنّى الاقطاع الكثير والمال الجزيل فان اجاب الى التسليم والّا فقُلْ له والله لاقيمنّ عليك الى ان املكها عنوةً ثمّ لا ابقى عليك ومَن الذى يمنعك منّى فصعد اليه حسّان وأدّى اليه

الرسالة ووعده وبذل له ما قيل له فامتنع من التسليم فقال له حسّان فهو يقول لك مَن يمنعك من قتالى ومَن يمنعك منّى فقال يمنعنى منه الذى منعك من الامير بلك[1] فعاد حسّان واخبر الشهيد بامتناعه ولم يذكر له هذا فقُتل اتابك بعد ايّام، وكانت قصّة حسّان مع بلك[1] بن اخى ايلغازى ان حسّانًا كان صاحب منبج فحصره بلك[1] وضيّق عليه فبينما هو كذلك فى بعض الايّام يقاتله جاءه سهم لا يُعرف مَن رماه فقتله وخلص حسّان من الحصر وقد تقدّم ذكره وكان هذا القول من الاتّفاق الحسن، ولمّا قُتل اتابك زنكى رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فنك عنها وهى بيد عقاب صاحبها الى الآن وسمعتُهم يذكرون انّهم لهم بها نحو ثلثمايّة سنة ولهم مقصد حسن وفيهم وفآء وعصبية ياخذون بيد كلّ مَن يلتجى اليهم ويقصدهم ولا يسلّمونه الى طالبه كاينًا مَن كان قريبٌ ام غريب ☼

نكر قتل اتابك عماد الدين زنكى وشىء من سيرته

فى هذه السنة لخمس مضين من ربيع الاخر قُتل اتابك الشهيد عماد الدين زنكى ابن اقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر على ما ذكرناه قتله جماعة من مماليكه ليلًا غيلةً وهربوا الى قلعة جعبر فصاح مَن بها من اهلها الى العسكر يعلمونهم بقتله واظهروا الفرح فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق، حدّثنى والدى عن بعض خواصّه قال دخلتُ اليه فى الحال وهو حىٌّ فحين رءانى ظنّ انّى اريد قتله فاشار الىّ باصبعه السبّابة يستعطفنى فوقعتُ من هيبته فقلتُ يا مولاى مَن فعل هذا فلم يقدر على الكلام وفاضت نفسه رحمه الله قال، وكان حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستّين سنة لانّه كان لمّا قُتل والده صغيرًا كما ذكرناه قبلُ ولمّا قُتل دُفن بالرقّة وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيّته عظيم السياسة لا يقدر القوى على ظلم الضعيف وكانت البلاد قبل ان يملكها خرابًا من الظلم وتنقّل الولاة ومجاورة

---

1) ملك

الفرنج فعمّرها وامتلات اعلاً وسكّاناً، حكى لى والدى قال رايتُ الموصل واكثرها خراب بحيث ان يقف الانسان قريب محلّة الطبالين ويرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة قطّ وكان الانسان لا يقدر على المشى الى الجامع العتيق الّا ومعه مَن يحميه لبُعده عن العمارة وهو الآن فى وسط العمارة وليس فى هذه البقاع المذكورة كلّها ارض مراح قال، وحدّثنى ايضًا انّه وصل الى الجزيرة فى الشتآء فدخل الامير عزّ الدين الدبيسىّ وهو من اكابر امرآيه ومن جملة اقطاعه مدينة دقوقا ونزل فى دار انسان يهودىّ فاستغاث اليهودىّ الى اتابك وانهى حاله اليه فنظر الى الدبيسىّ فتاخّر ودخل البلد واخرج بركه وخيامه قال فلقد رايتُ غلمانه ينصبون خيامه فى الوحل وقد جعلوا على الارض تبنًا يقيهم الطين وخرج فنزلها وكانت سياسته الى هذا الحدّ وكانت الموصل من اقلّ بلاد الله فاكهة فصارت فى ايّامه وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين وغير ذلك وكان ايضًا شديد الغيرة ولا سيّما على نسآء الاجناد وكان يقول ان لم تحفظ نسآء الاجناد والّا فسدن لكثرة غيبة ازواجهنّ فى الاسفار وكان اشجع خلق الله امّا قبل ان يملك فيكفيه انّه حضر مع الامير مودود صاحب الموصل مدينة طبريّة وهى للفرنج فوصلت طعنته باب البلد واثر فيه وحمل ايضًا على قلعة عقر الحميديّة وهى على جبل عال فوصلت طعنته الى سورها الى اشياء اخر وامّا بعد الملك فقد كان الاعدآء محدقين ببلاده وكلّهم يقصدها ويريدوا اخذها وهو لا يقنع بحفظها حتّى انّه لا ينقضى عليه عام حتّى يفتح من بلادهم فقد كان الخليفة المسترشد بالله مجاوره فى ناحية تكريت وقصد الموصل وحصرها ثمّ الى جانبه من ناحية شهرزور وتلك الناحية السلطان مسعود ثمّ ابن سقمان صاحب خلاط ثمّ داود ابن سقمان صاحب حصن كيفا ثمّ صاحب آمد وماردين ثمّ الفرنج من مجاورة ماردين الى دمشق ثمّ اصحاب دمشق فهذه الولايات قد اخلطت بولايته من كلّ جهاتها فهو يقصد هذا مرّة وهذا مرّة وياخذ من هذا ويُصانع هذا الى ان ملك من كلّ

من يليه شرقًا من بلاده وقد اتينا على اخباره فى كتاب الباهر فى تاريخ دولته ودولة اولاده فليطلب من هناك ۞

ذكر مُلك ولدَيْه سيف الدين غازى ونور الدين محمود

لمّا قُتل اتابك زنكى اخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده وكان حاضرًا معه وسار الى حلب فلكها وكان حينئذ يتولّى ديوان زنكى ويحكم فى دولته من اصحاب العمايم جمال الدين محمّد ابن علىّ وهو المنفرد بالحكم ومعه امير حاجب صلاح الدين محمّد الباغيسيانىّ[1] فاتّفقا على حفظ الدولة وكان مع الشهيد اتابك الملك البارسلان ابن السلطان محمود فركب ذلك اليوم واجمعت العساكر عليه وحضر عنده جمال الدين وصلاح الدين وحسّنا له الاشتغال بالشرب والمغنيات والجوارى وادخلاه الرقّة فبقى بها ايّامًا لا يظهر ثم سار الى ماكسين فدخلها واقام بها ايّامًا وجمال الدين يحلّف الامرآء لسيف الدين غازى ابن اتابك زنكى ويسيّرهم [الى] الموصل ثم سار من ماكسين الى سنجار وكان سيف الدين قد وصل الى الموصل فلمّا وصلوا الى سنجار ارسل جمال الدين الى الدزدار[2] يقول له ليرسل الى ولد السلطان يقول له انى مملوكك ولكن يبغى الموصل فان ملكتّها سلّمتُ اليك سنجار فسار الى الموصل فاخذه جمال الدين وقصد به مدينة بلدة وقد بقى معه من العسكر القليل فاشار عليه بعبور دجلة فعبرها الى الشرق فى نفر يسير وكان سيف الدين غازى بمدينة شهرزور وهى اقطاعه فارسل اليه زين الدين علىّ نايب ابيه بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر قبل وصول الملك فلمّا علم جمال الدين بوصول سيف الدين الى الموصل ارسل اليه يعرّفه قلّةَ مَن معه فارسل اليه بعض عسكره فقبضه وحبس فى قلعة الموصل واستقرّ مُلك سيف الدين البلاد وبقى اخوه نور الدين بحلب وهى له وسار اليه صلاح الدين الباغيسيانىّ مدبّر امره ويقوم بدولته وحفظها وقد استقصينا شرح هذه الحادثة فى التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكيّة ۞

---

1) الباغيسانى 2) الدردار

ذكر عصيان الرُّها لمّا قُتل اتابك

كان جوسلين[1] الفرنجيّ الذى كان صاحب الرُّها فى ولايته وهو تلّ باشر وما يجاورها فراسل اهل الرها وعامّتهم من الارمن وحملهم على العصيان والامتناع عن المسلمين وتسليم البلد اليه فاجابوه الى ذلك وواعدهم يوم يصل اليهم فيه وسار فى عساكره الى الرُّها وملك البلد وامتنعت القلعة عليه بمَن فيها من المسلمين فقاتلهم فبلغ الخبر الى نور الدين محمود ابن زنكى وهو بحلب فسار مجدًّا اليها فى عسكره فلمّا قاربها خرج جوسلين هاربًا عايدًا الى بلده ودخل نور الدين المدينة ونهبها حينيذ وسبى اهلها وفى هذه الدفعة نهبت وخلت من اهلها ولم يبق بها منهم الّا القليل وكثير من الناس يظنّ انّها نُهبت لمّا فتحها الشهيد وليس كذلك، وبلغ الخبر الى سيف الدين غازى بعصيان الرُّها فسيّر العساكر اليها فسبقه الملك نور الدين الى البلد واستباحه وهم فى الطريق فعادوا، ومن العجب ما يُحكى انّ زين الدين علىّ الذى كان نايب الشهيد واولاده بقلعة الموصل جآءه هدية ارسلها اليه نور الدين من هذا الفتح وفى الجملة جارية فلمّا دخل اليها وخرج من عندها وقد اغتسل وقال لمن عنده تعلمون ما جرا لى فى يومنا هذا قالوا لا قال لمّا فتحنا الرُّها مع الشهيد وقع فى يدىّ من السبى جارية رايقة اعجبنى حُسنها ومال قلبى اليها فلم يكن باسرع من ان امر الشهيد فنودى بردّ السّبى والمال المنهوب وكان مهيبًا مخوّفًا فرددتُّها وقلبى متعلّق بها فلمّا كان الأن جآءتنى هدية نور الدين وفيها عدّة جوار فيها تلك الجارية فوطيتُها خوفًا ان تقع مثل تلك الردّة ❀

ذكر استيلآء عبد المؤمن على جزيرة الاندلس

فى هذه السنة سيّر عبد المؤمن ابن علىّ جيشًا الى جزيرة الاندلس فلكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك انّ عبد المؤمن لمّا كان يحاصر مرّاكش جآء اليه جماعة من اعيان الاندلس منهم ابو جعفر احمد بن محمّد ابن حمدين ومعهم مكتوب يتضمّن بيعة اهل

[1] خرشلين

البلاد الّتى هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم فى زمرة اصحابه الموحّدين واقامتهم لامره فقبل عبد المؤمن ذلك منهم وشكرهم عليه وطيّب قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا منه النصرة على الفرنج فجهّز جيشًا كثيفًا وسيّره معهم وعمّر اسطولًا وسيّره فى البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيليّة وصعدوا فى نهرها وبها جيش من الملثّمين[1] فحصروها برًّا وبحرًا وملكوها عنوةً وقُتل فيها جماعة وامن الناس فسكنوا واستولت العساكر على البلاد وكان لعبد المؤمن من بها ۞

ذكر قتل عبد الرحمن طغايرك وعبّاس صاحب الرىّ

فى هذه السنة قتل السلطانُ مسعود اميرَ حاجب دولته عبد الرحمن طغايرك وهو صاحب خلخال وبعض اذربيجان والحاكم فى دولة السلطان وليس للسلطان معه حكم وكان سبب قتله انّ السلطان لمّا ضيّق عليه عبد الرحمن وبقى معه شبه الاسير ليس له فى البلاد حكم حتّى انّ عبد الرحمن قصد غلامًا كان للسلطان وهو بك ارسلان المعروف بابن خاصّ بك ابن بلنكرى[2] وقد ربّاه السلطان وقرّبه فابعده عنه وصار لا يراه وكان فى [خاصّ] بك عقل وتدبير وجودة قريحة وتوصّل لما يزنه بعقله فجمع عبد الرحمن العساكر وخاصّ بك فيهم وقد استقرّ بينه وبين السلطان مسعود ان يقتل عبد الرحمن فاستدعى خاصّ بك جماعة ممّن يثق اليهم وتحدّث معهم فى ذلك فكلٌّ منهم خاف الاقدام عليه الّا رجلًا اسمه زنكى وكان جاندارًا فانّه بذل من نفسه ان يبداه بالقتل ووافق خاصّ بك على القيام فى الامر جماعةٌ من الامرآء فبينما عبد الرحمن فى موكبه ضربه زنكى الجاندار بمقرعة حديد كانت فى يده على راسه فسقط الى الارض فاجهز عليه خاصّ بك واعانه على حماية زنكى والقايمين معه من كان واطاه على ذلك من الامرآء وكان قتله بظاهر جنزة[3]، وبلغ الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد ومعه الامير عبّاس صاحب الرىّ وعسكره اكثر من عسكر السلطان فانكر ذلك وامتعض منه فداراه السلطان ولطف به واستدعى

---

[1] الملثمين   [2] بلنكرى   [3] جنزه

الامير البقش[1] كون خر وتتر وهو امير[2] اللحف وتتر[3] الذى كان حاجبًا فلمّا قوى بهما احضر عبّاسًا اليه فى داره فلمّا دخل اليه مُنع اصحابه من الدخول معه وعدلوا به الى حجرة وقالوا له اخلع الزرديّة فقال انّ لى مع السلطان ايمانًا وعهودًا فلكموه وخرج له غلمان أُعدّوا لذلك فحينئذ تشاهد وخلع الزرديّة والقاها وضربوه بالسيوف واحتزّوا راسه والقوه الى اصحابه ثمّ القوا جسده ونُهب رحله وانزعج البلد لذلك، وكان عبّاس من غلمان السلطان محمود حسن السيرة عادلًا فى رعيته كثير الجهاد للباطنيّة قتل منهم خلقًا كثيرًا وبنى من رؤسهم منارة بالرىّ وحصر قلعة الموت ودخل الى قرية من قراهم فالقى فيها النار فاحرق كلّ مَن فيها من رجل وامراة وصبىّ وغير ذلك فلمّا قُتل بالجانب الغربىّ ثمّ ارسلت ابنته فحملته الى الرىّ فدفنته هناك وكان مقتله فى ذى القعدة، ومن الاتّفاق العجيب انّ العبادىّ كان يعظ يومًا فحضره عبّاس فاسمع بعض اهل المجلس ورمى بنفسه نحو الامير عبّاس فضربه اصحابه ومنعوه خوفًا عليه لانّه كان شديد احتراس من الباطنيّة لا يزال لابسًا الزرديّة لا تفارقه الغلمان الاجلاد فقال له العبادىّ كم هذا الاحتراز والله لين قضى عليك بامر لتحلن انت بيدك ازرار الزرديّة فينفذ القضآء فيك وكان والله كما قال وقد كان السلطان استوزر ابن دارست وزير بوزابة [كارهًا على ما تقدّم ذكره فعزله الأن لانّه اختار العزل والعود الى صاحبه بوزابة][4] فلمّا عزله قرّر معه ان يصلح له بوزابة ويزيل ما عنده من الاستشعار بسبب قتل عبد الرحمن وعبّاس فسار الوزير وهو لا يعتقد النجاة فوصل الى بوزابة وكان ما نذكره ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة حبس السلطان مسعودٌ اخاه سليمان شاه بقلعة تكريت، وفيها توفّى الامير جاولى الطغرلى صاحب ارانيّة وبعض اذربيجان وكان قد تحرّك للعصيان وكان موته فجاةً مدّ قوسًا فنزف دما فمات، وتوفّى شيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل بن ابى سعيد الصوفى مات ببغداد ودُفن بظاهر رباط الدورىّ[5] بباب البصرة ومولده

[1] المقش [2] وهمر [3] وبمر [4] C. P. et 740. Ups: كان [5] الدورنى

سنة اربع وستّين واربعمائة وقام فى منصبه ولده عبد الرحيم، وفيها توفّى مسعود بن بلال شحنة بغداد وسار السلطان عنها، وفيها كان بالعراق جرادٌ كثير المحل اكثر البلاد، وفيها ورد العبادىّ الواعظ رسولًا من السلطان سنجر الى الخليفة ووعظ ببغداد وكان له قبولٌ بها وحضر مجلسه السلطان مسعود فمن دونه وامّا العامّة فانّهم كانوا يتركون اشغالهم لحضورهم مجلسه والمسابقة اليه، وفيها بعد قتل الشهيد زنكى ابن اقسنقر قصد صاحب دمشق حصن بعلبكّ وحصره وكان به نجم الدين ايّوب ابن شاذى[1] فخاف انّ اولاد زنكى لا يمكنهم انجاده بالعاجل فصالحه وسلّم القلعة اليه واخذ منه اقطاعًا ومالًا وملّكه عشر قُرًى من بلد دمشق وانتقل ايّوب الى دمشق فسكنها واقام بها، وفى هذه السنة فى ربيع الاخر توفّى عبد الله بن علىّ بن احمد المقرى ابن بنت الشيخ ابى منصور ومولده فى شعبان سنة اربع وستّين واربعمائة وكان مقريًا نحويًّا محدّثًا وله تصانيف فى القرآآت ۞

سنة ٥٤٢ ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

ذكر قتل بوزابة

لمّا اتّصل بالامير بوزابة قتل عبّاس جمع عساكره من فارس وخوزستان وسار الى اصفهان فحصرها وسيّر عسكرًا اخر الى همذان وعسكرًا ثالثًا الى قلعة الماهكى من بلد اللحف فامّا عسكره بالماهكى فانّه سار اليهم الامير البقش كون خر[2] فدفعهم عن اعماله وكان اقطاعه ثم انّ بوزابة سار عن اصفهان يطلب السلطان مسعودًا فراسله السلطان فى الصلح فلم يجب اليه وسار مجدًّا فالتقيا بمرج قراتكين وتصافّا فاقتتل العسكران فانهزم منه السلطان مسعود وميسرته واقتتل القلبان اشدّ قتال واعظمه صبر فيه الفريقان وصار الحرب بينهما فسقط بوزابة عن فرسه بسهم اصابه وقيل بل عثر به الفرس فأُخذ اسيرًا وحُمل الى السلطان فقُتل بين يديه وانهزم اصحابه لمّا أُخذ هو اسيرًا وبلغت هزيمة العسكر السلطانىّ من الميمنة والميسرة الى همذان وخراسان

[1] شادى [2] البقش كون خبر

وقتل من الفريقين خلق كثير وكان هذا الحرب من اعظم الحروب الكاينة بين الاعاجم ۞

ذكر طاعة اهل قابس للفرنج وغلبة المسلمين عليها

كان صاحب مدينة قابس قبل هذه السنة انسان اسمه رشيد فتوفى وخلّف اولادًا فعمد مولى له اسمه يوسف الى ولده الصغير واسمه محمّد فولّاه الامر واخرج ولده الكبير معمّر واستولى يوسف البلد وحكم على محمّد لصغر سنّه وجرى منه اشياء من التعرّض الى حُرَم سيّده والعهدة على ناقله وكان من جملتهنّ امراة من بنى قرّة فارسلت الى اخوتها تشكوا اليهم ما هى فيه فجآء اخوتها لاخذها فمنعها منهم وقال هذه حرمة مولاى ولم يسلّمها فسار بنو قرّة ومعمّر بن رشيد الى الحسن صاحب افريقية وشكوا اليه ما يفعل يوسف فكاتبه الحسن فى ذلك فلم يجبه وقال لئن لم يكفّ الحسن عنّى والّا سلّمتُ قابس الى صاحب صقلّية فجهّز الحسن العسكر اليه فلمّا سمع يوسف بذلك ارسل الى رجّار الفرنجى صاحب صقلّية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدًا بولاية قابس لاكوننّ نايبًا عنك كما فعلتَ مع بنى مطروح اصحاب طرابلس فسيّر اليه رجّار الخلعة والعهد فلبسها وقرئ العهد بمجمع الناس فجدّ حينئذ الحسن فى تجهيز العسكر الى قابس فساروا اليها ونازلوها وحصروها فثار اهل البلد بيوسف لما اعتمده من طاعة الفرنج وسلّموا البلد الى عسكر الحسن وتحصّن يوسف فى القصر فقاتلوه حتّى فتحوه وأُخذ يوسف اسيرًا فتوتّى عذابه معمّر ابن رشيد وبنو قرّة فقطعوا ذكره وجعلوه فى فيه وعُذّب بانواع العذاب وولى معمّر قابس مكان اخيه واخذ بنو قرّة اختهم وهرب عيسى اخو يوسف وولد يوسف وقصدوا رجّار صاحب صقلّية فاستجاروا به وشكوا اليه ما لقوا من الحسن فغضب لذلك وكان ما نذكره سنة ثلاث واربعين وخمسمايّة من فتح المهديّة ان شآء الله تعالى وهذا الذى كان من يوسف والله اعلم ۞

ذكر حادثة ينبغى ان يحتاط العاقل من مثلها

كان هذا يوسف صاحب قابس قد ارسل رسولاً الى رجّار صاحب صقلّية فاجتمع هو والحسين رسول صاحب المهديّة عنده فجرى بين

الرسولَيْن مناظرة فذكر رسول يوسف الحسن وما نال منه وذمّه ثمّ انّهما عادا فى وقت واحد وركبا البحر كلّ واحد منهما فى مركبه فارسل رسول الحسن رُقعة على جناح طاير يخبره بما كان من رسول يوسف فسيّر الحسن جماعة من اصحابه فى البحر فاخذوا رسول يوسف واحضروه عند الحسن فسبّه وقال ملّكتَ الفرنج بلاد الاسلام وطوّلتَ لسانك بذمّى ثمّ اركبه جملًا وعلى راسه جلاجل وطيف به فى البلد ونودى عليه هذا جزآء مَن سعى ان يملك الفرنج بلاد المسلمين فلمّا توسّط المهديّة ثار به العامّة فقتلوه بالحجارة ✿

ذكر مُلك الفرنج المريّة وغيرها من الاندلس

فى هذه السنة فى جمادى الاولى حصر الفرنج مدينة المريّة من الاندلس وضيّقوا عليها برًّا وبحرًا فملكوها عنوةً واكثروا القتل بها والنهب وملكوا ايضًا مدينة شاسة وولاية جيان وكلّها بالاندلس ثمّ استعادها المسلمون بعد ذلك منهم على ما نذكره ان شآء الله تعالى ✿

ذكر مُلك نور الدين محمود بن زنكى عدّة مواضع من بلد الفرنج

فى هذه السنة دخل نور الدين محمود ابن زنكى صاحب حلب بلد الفرنج ففتح منه مدينة ارتاح بالسيف ونهبها وحصر مابولة وبصرفوت[1] وكفرلاثا وكان الفرنج بعد قتل والده زنكى قد طمعوا وظنّوا انّهم بعده يستردّون ما اخذه فلمّا راوا من نور الدين هذا الجدّ فى اوّل امره علموا انّ ما امّلوه بعيد وخاب ظنّهم واملهم ✿

ذكر اخذ الحلّة من علىّ ابن دُبيس وعوده اليها

فى هذه السنة كثر فساد اصحاب علىّ ابن دُبيس بالحلّة وما جاورها وكثرت الشكاوى منه فاقطع السلطان مسعود الحلّة سلاركرد فسار اليها من همدان ومعه عسكر وانضاف اليه جماعة من عسكر بغداد وقصدوا الحلّة فجمع علىّ عسكره وحشد[2] والتقى العسكران بمطيرباذ فانهزم علىّ وملك سلاركرد الحلّة واحتاط على اهل علىّ ورجعت العساكر واقام هو بالحلّة بمماليكه واصحابه وسار علىّ ابن دُبيس فلحق

---

[1] بصرفون [2] وحشدوا

بالبقش كون خر[1] وكان باقطاعه فى اللحف متجنبا على السلطان فاستنجده فسار معه الى واسط واتّفق هو والطرنطاى وقصدوا الحلّة فاستنقذوها من سلاركرد فى ذى الحجّة وفارقها سلاركرد وعاد الى بغداد ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاولى خُطب للمستنجد بالله يوسف ابن المقتفى لامر الله بولاية العهد، وفيها ولى عون الدين يحيى ابن هبيرة كتابة ديوان الزمام ببغداد وولى زعيم الدين يحيى ابن جعفر المخزن، وفيها فى ربيع الاوّل مات ابو القسم طاهر بن سعيد بن ابى سعيد بن ابى الخير الميهنىّ شيخ رباط البسطامىّ ببغداد، وفى ربيع الاخر توفّيت فاطمة خاتون بنت السلطان محمّد زوجة المقتفى لامر الله، وفى رجب منها مات ابو الحسن محمّد بن المظفر بن علىّ ابن المُسلمة ابن رئيس الرؤساء ومولده سنة اربع وثمانين وكان قد تصوّف وجعل داره الّتى فى القصر رباطًا للصوفيّة، وفيها سار سيف الدين غازى ابن زنكى الى قلعة دارا فملكها وغيرها من بلد ماردين ثمّ سار الى ماردين وحصرها وخرّب بلدها ونهبه وكان سبب ذلك انّ اتابك زنكى لمّا قُتل تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن الى ما كان قد فتحه من بلادهما فاخذاه فلمّا ملك سيف الدين وتمكّن سار الى ماردين وحصرها وفعل ببلدها الافاعيل العظيمة فلمّا راى صاحبها وهو حينئذ حسام الدين تمرتاش ما يفعل فى بلده قال كنّا نشكوا من اتابك الشهيد واين ايّامه لقد كانت اعيادًا قد حصرنا غير مرّة فلم ياخذ هو ولا احدٌ من عسكره مخلاة تبن بغير ثمن ولا تعدّى هو وعسكره حاصل السلطان وارى هذا ينهب البلاد ويخرّبها ثمّ راسله وصالحه وزوّجه ابنته ورحل سيف الدين عنه وعاد الى الموصل وجُهّزت ابنة حسام الدين وسُيّرت اليه فوصلت وهو مريض قد اشفى على الموت فلم يدخل بها وبقيت عنده الى ان توفّى وملك قطب الدين مودود فتزوّجها على ما نذكره ان شآء الله تعالى، وفيها اشتدّ الغلآء بافريقية ودامت ايّامه

---

[1] البقش كون خز

فانّ اوّله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وعظم الامر على اهل البلاد حتّى اكل بعضهم بعضًا وقصد اهل البوادى المدن من الجوع فاغلقها اهلها دونهم وتبعه وباء وموت كثير حتّى خلت البلاد وكان اهل البيوت لا يبقى منهم احد وسار كثير منهم الى صقلّية فى طلب القوت ولقوا امرًا عظيمًا ☆

سنة ٥٤٣ ثمّ دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ،

ذكر مُلك الفرنج مدينة المهديّة بافريقية

قد ذكرنا سنة احدى واربعين وخمسمائة مسير اهل يوسف صاحب قابس الى رجّار ملك صقلّية واستغاثتهم به فغضب لذلك وكان بينه وبين الحسن بن علىّ بن يحيى بن تميم بن المعزّ ابن باديس الصنهاجىّ صاحب افريقية صلح وعهود الى مدّة سنتين وعلم انّه ان فاته فتح البلاد فى هذه الشدّة[1] التى اصابتهم وكانت الشدّة دوام الغلاء فى جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين الى هذه السنة وكان اشدّ ذلك منه سنة اثنتين واربعين فانّ الناس فارقوا البلاد والقرى ودخل اكثرهم الى مدينة صقلّية واكل الناس بعضهم بعضًا وكثر الموت فى الناس فاغتنم رجّار هذه السنة فعمر الاسطول واكثر منه فبلغ نحو مايتىّ وخمسين شينيًا مملوّة رجالًا وسلاحًا وقوتًا[2] وسار الاسطول عن صقلّية ووصل الى جزيرة قوصرة وهى ما بين المهديّة وصقلّية فصادفوا بها مركبًا وصل من المهديّة فأُخذ اهله واحضروا بين يدى جرجى مقدّم الاسطول فسالهم عن حال افريقية ووجد فى المركب قفص حمام فسالهم هل ارسلوا منها فحلفوا بالله انّهم لم يرسلوا شيئًا فامر الرجل الذى كان الحمام صحبته ان يكتب بخطّه انّنا لمّا وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلّية فسالناهم عن الاسطول المخذول فذكروا انّه اقلع الى جزاير القسطنطينيّة واطلق الحمام فوصل الى المهديّة فسرّ الامير الحسن والناس واراد جرجى بذلك ان يصل بغتةً ثمّ سار وقدّر وصولهم الى المهديّة وقت السحر ليحيط بها قبل ان يخرج اهلها فلو تمّ له

[1]) C. P. et 740. Ups: السنة [2]) قوة

ذلك لم يسلم منهم احدٌ فقدّر الله تعالى ان ارسل عليهم ريحًا عايلا فلم يقدروا على السير الّا بالمقاذيف فطلع النهار ثانى صفر فى هذه السنة قبل وصولهم فرءاهم الناس، فلمّا راى جرجى ذلك وانّ الخديعة فاتته ارسل الى الامير الحسن يقول انّما جيتُ بهذا الاسطول طالبًا بثار محمّد ابن رشيد صاحب قابس وردّه اليها وامّا انت فبيننا وبينك عهود وميثاق الى مدّة ونُريد منك عسكرًا يكون معنا، فجمع الحسن الناس من الفقهاء والاعيان وشاورهم فقالوا نقاتل عدوّنا فانّ بلدنا حصين فقال اخاف ان ينزل الى البرّ ويحصرنا برًّا وبحرًا ويحول بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما يقوتنا شهرًا فنوخذ قهرًا وانا ارى سلامة المسلمين من الاسر والقتل خير من الملك وقد طلب منّى عسكرًا الى قابس فان فعلتُ فما يحلّ لى معونة الكفّار على المسلمين وان امتنعتُ يقول انتقض ما بيننا من الصلح وليس يريد الّا ان يثبّطنا حتّى يحول بيننا وبين البرّ وليس لنا بقتاله طاقة والراى ان نخرج بالاهل والولد ونترك [عن] البلد فمَن اراد ان يفعل كفعلنا فليبادر معنا، وامر فى الحال بالرحيل واخذ معه مَن حضره وما خفّ حمله وخرج الناس على وجوههم باهليهم واولادهم وما خفّ من اموالهم واثاثهم ومن الناس مَن اختفى عند النصارى وفى الكنايس وبقى الاسطول فى البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهديّة الى ثلثى النهار فلم يبق فى البلد ممّن عزم على الخروج احدٌ فوصل الفرنج ودخلوا البلد بغير مانع ولا دافع ودخل جرجى القصر فوجده على حاله لم ياخذ الحسن منه الّا ما خفّ من ذخاير الملوك وفيه جماعة من حضاياه وراى الخزاين مملوّة من الذخاير النفيسة وكلّ شئ غريب يقلّ وجود مثله فختم عليه وجمع سرارى الحسن من قصره، وكان عدّة مَن ملك منهم من زيرى ابن مناد الى الحسن تسعة ملوك ومدّة ولايتهم مايتىْ سنة وثمانين سنة من احدى وستّين[1] وثلاثمايّة الى سنة ثلاث واربعين وخمسمايّة وكان بعض القُوّاد قد ارسله الحسن الى رجّار برسالة فاخذ لنفسه واهله منه امانًا فلم يخرج معهم ولمّا ملك المدينة نُهبت مقدار ساعتيْن ونودى بالامان فخرج مَن كان مستخفيًا واصبح

[1] خمس وثلاثين (

جرجى من الغد فارسل الى من قرب من العرب فدخلوا اليه فاحسن اليهم واعطاهم اموالاً جزيلة وارسل من جند المهديّة الذين تخلّفوا بها جماعة ومعهم امان لاهل المهديّة الذين خرجوا منها ودوابّ يحملون عليها الاطفال والنسآء وكانوا قد اشرفوا على الهلاك من الجوع ولهم بالمهديّة خبايا وودايع فلمّا وصل اليهم الامان رجعوا فلم يمض غير جمعة حتّى رجع اكثر اهل البلد، وامّا الحسن فانّه سار باهله واولاده وكانوا اثنى عشر ولدًا ذكرًا غير الاناث وخواصّ خدمه قاصدًا الى محرز ابن زياد وهو بالمعلقة فلقيه فى طريقه امير من العرب يسمّى حسن ابن ثعلب فطلب منه مالاً انكسر له فى ديوانه فلم يمكن الحسن اخراج مال لئلّا يوخذ فسلّم اليه ولده يحيى رهينةً وسار فوصل فى اليوم الثانى الى محرز وكان الحسن قد فضّله على جميع العرب واحسن اليه ووصله بكثير من المال فلقيه محرز لقآء جميلاً وتوجّع لما حلّ به فاقام عنده شهورًا والحسن كارهٌ للاقامة فاراد المسير الى ديار مصر الى الخليفة الحافظ العلوىّ واشترى مركبًا لسفره فسمع جرجى الفرنجىّ فجهّز شوانى ليأخذه فعاد الحسن عن ذلك وعزم على المسير الى عبد المؤمن بالمغرب فارسل كبّار اولاده يحيى وتميما وعليّا الى يحيى ابن العزيز وهو من بنى حمّاد وهما اولاد عمّ يستاذنه فى الوصول اليه وتجديد العهد به والمسير من عنده الى عبد المؤمن فاذن له يحيى فسار اليه فلمّا وصل لم يجتمع به يحيى وسيّره الى جزيرة بنى مزغنان هو واولاده ووكّل به من يمنعهم من التصرّف فبقوا كذلك الى ان ملك عبد المؤمن بجاية سنة سبع واربعين فحضر عنده وقد ذكرنا حاله هناك، ولمّا استقرّ جرجى بالمهديّة سيّر اسطولاً بعد اسبوع الى مدينة سفاقس وسيّر اسطولاً اخر الى مدينة سوسة فامّا سوسة فانّ اهلها لمّا سمعوا خبر المهديّة وكان واليها علىّ ابن الحسن الامير فخرج الى ابيه وخرج الناس لخروجه فدخلها الفرنج بلا قتال ثانى عشر صفر وامّا سفاقس فانّ اهلها اتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم اهل البلد فاظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتّى ابعدوا عن البلد ثمّ عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرّيّة وقُتل منهم جماعة

ودخل الفرنج البلد فلكوه بعد قتال شديد وقتل كثيرة وأُسر مَن بقى من الرجال وسبى الحريم وذلك فى الثالث والعشرين من صفر ثمّ نودى بالامان فعاد اهلها اليها وافتكّوا حرمهم واولادهم ورفق بهم وباهل سوسة والمهديّة وبعد ذلك وصلت كتبٌ من رجّار لجميع اهل افريقية بالامان والمواعيد الحسنة ولمّا استقرّت احوال البلاد سار جرجى فى اسطول الى قلعة اقليبية[1] وهى قلعة حصينة فلمّا وصل اليها سمعته العرب[2] فاجتمعوا اليها ونزل اليهم الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقُتل منهم خلق كثير فرجعوا خاسرين الى المهديّة وصار للفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن المغرب الى دون القيروان والله اعلم ۞

ذكر حصر الفرنج دمشق وما فعل سيف الدين غازى ابن زنكى

فى هذه السنة سار ملك الالمان من بلاده فى خلق كثير وجمع عظيم من الفرنج عازمًا على قصد بلاد الاسلام وهو لا يشكّ فى مُلكها بايسر قتال لكثرة جموعه وتوفّر امواله وعُدّده فلمّا وصل الى الشام قصده مَن به من الفرنج وخدموه وامتثلوا امره ونهيه فامرهم بالمسير معه الى دمشق ليحصرها ويملكها بزعمه فساروا معه ونازلوها وحصروها وكان صاحبها مجير الدين ابق ابن محمد بن بورى[3] بن طغدكين وليس له من الامر شئ وانّما الحكم فى البلد لمعين الدين انز[4] مملوك جدّه طغدكين وهو الذى اقام مجير الدين وكان معين الدين عاقلًا عادلًا خيّرًا حسن السيرة فجمع العساكر وحفظ البلد واقام الفرنج يحاصرونهم ثمّ انّهم زحفوا سادس ربيع الاوّل بفارسهم وراجلهم فخرج اليهم اهل البلد والعسكر فقاتلوهم وصبروا لهم وفيمن خرج للقتال الفقيه حجّة الدين يوسف ابن دى باس الفندلاوىّ المغربىّ وكان شيخًا كبيرًا فقيهًا صالحًا فلمّا رءاه معين الدين وهو راجل قصده وسلّم عليه وقال له يا شيخ انت معذور لكبر سنّك ونحن نقوم بالذبّ عن المسلمين وساله ان يعود فلم يفعل وقال له قد بعتُ واشترى منّى فوالله لا اقلته ولا استقلته فعنى قول الله تعالى إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَى مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ[5] وتقدّم فقاتل الفرنج حتّى قُتل عند النيرب

1) اقلسه 2) الهرب 3) نورى 4) بن 5) Cor. 9, 112.

نحو نصف فرسخ عن دمشق وقوى الفرنج وضعف المسلمون فتقدّم ملك الالمان حتّى نزل بالميدان الاخضر فايقن الناس بانّه يملك البلد وكان معين الدين قد ارسل الى سيف الدين غازى ابن اتابك زنكى يدعوه الى نصرة المسلمين وكفّ العدوّ عنهم فجمع عساكره وسار الى الشام واستصحب معه اخاه نور الدين محمود من حلب فنزلوا بمدينة حمص وارسل الى معين الدين يقول له قد حضرتُ ومعى كلّ من يحمل السلاح من بلادى فاريد ان يكون نوابى بمدينة دمشق لاحضر والقى الفرنج فان انهزمتُ دخلتُ انا وعسكرى البلد واحتمينا به وان ظفرنا فالبلد لكم لا انازعكم فيه فارسل الى الفرنج يتهدّدهم ان لم يرحلوا عن البلد فكفّ الفرنج عن القتال خوفًا من كثرة الجراح وربّما اضطرّوا الى قتال سيف الدين فابقوا على نفوسهم فقوى اهل البلد على حفظه واستراحوا من ملازمة الحرب وارسل معين الدين الى الفرنج الغرباء [يقول لهم] انّ ملك المشرق قد حضر فان رحلتم والّا سلّمتُ البلد اليه وحينئذ تندمون وارسل الى فرنج الشام يقول لهم بايّ عقل تساعدون هؤلاء علينا وانتم تعلمون انّهم ان ملكوا دمشق اخذوا ما بايديكم من البلاد الساحليّة وامّا انا فان رايتُ الضعف عن حفظ البلد سلّمتُه الى سيف الدين وانتم تعلمون انّه ان ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام فى الشام، فاجابوه الى التخلّى عن ملك الالمان وبذل لهم تسلّم حصن بانياس اليهم واجتمع الساحليّة بملك الالمان وخوّفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع الامداد اليه وانّه ربّما اخذ دمشق ونضعف عن مقاومته ولم يزالوا به حتّى رحل عن البلد وتسلّموا قلعة بانياس وعاد الفرنج الالمانيّة الى بلادهم وهى بوراء القسطنطينيّة وكفى الله المؤمنين شرّهم، وقد ذكر الحافظ ابو القسم ابن عساكر فى تاريخ دمشق انّ بعض العلماء حكى له انّه راى الفندلاوىّ[1] فى المنام فقال له ما فعل الله بك واين انت فقال غفر لى وانا فى جنّات عدن على سرر متقابلين ۞

---

1) الفندلاوى

ذكر ملك نور الدين محمود ابن زنكى حصن العريمة

لمّا سار الفرنج عن دمشق رحل نور الدين الى حصن العريمة وهو للفرنج فلكه وسبب ذلك انّ ملك الالمان لمّا خرج الى الشام كان معه ولد الفنش صاحب طليطلة وهو من اولاد اكابر ملوك الفرنج وكان جدّه هو الذى اخذ طرابلس الشام من المسلمين فاخذ حصن العريمة وتملّكه واظهر انّه يريد اخذ طرابلس من القمّص فارسل القمّص الى نور الدين محمود وقد اجتمع هو ومعين الدين أنز ببعلبكّ يقول له ولمعين الدين ليقصدا حصن العريمة ويملكاه من ولد الفنش فسارا اليه مجدّين فى عساكرهما وارسلا الى سيف الدين وهو بحمص يستنجدانه فامدّهما بعسكر كثير مع الامير عزّ الدين ابى بكر الدُّبيسىّ صاحب جزيرة ابن عمر وغيرهما فنازلوا الحصن وحصروه وبه ابن الفنش وامتنع به فزحف المسلمون اليه غير مرّة وتقدّم اليه النقّابون فنقبوا السور فاستسلم حينئذ مَن به من الفرنج فلكه المسلمون واخذوا كلّ مَن به من فارس وراجل وصبىّ وامراة وفيهم ابن الفنش واخربوا الحصن وعادوا الى سيف الدين وكان مثل ابن الفنش كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنيْن فعادت بغير اذنيْن ٭

ذكر الخلف بين السلطان مسعود وجماعة من الامرآء ووصولهم الى بغداد وما كان منهم بالعراق

فى هذه السنة فارق السلطان مسعود جماعة من اكابر الامرآء وهم من اذربيجان ايلدكز[1] المسعودىّ صاحب كنجة وارّانيّة وقيصر ومن الجبل البقش كون خر[2] وتتر[3] الحاجب وهو مسعودى[4] ايضًا وطرنطاىّ المحمودىّ شحنة واسط والدكين وقرقوب وابن طغايرك وكان سبب ذلك ميل السلطان الى خاصّ بك واطّراحه لهم فخافوا ان يفعل بهم مثل فعله بعبد الرحمن وعبّاس وبوزابة ففارقوه وساروا نحو العراق فلمّا بلغوا حلوان خاف الناس ببغداد واعمال العراق وغلت الاسعار وتقدّم الامام المقتفى لامر الله باصلاح السور وترميمه وارسل الخليفة اليهم

ايلدكر (1 البقش كون خز (2 تمر (3 مسعود (4

بالعبادىّ الواعظ فلم يرجعوا الى قوله ووصلوا الى بغداد فى ربيع الاخر والملك محمّد ابن السلطان محمود معهم ونزلوا بالجانب الشرقىّ وفارق مسعود بلال شحنة بغداد البلد خوفاً من الخليفة وسار الى تكريت وكانت له فعظم الامر على اهل بغداد ووصل اليهم علىّ ابن دُبيس صاحب الحلّة فنزل بالجانب الغربىّ فجنّد الخليفة اجنادًا يحتمى بهم ووقع القتال بين الامرآء وبين عامّة بغداد ومَن بها من العسكر واقتتلوا عدّة دفعات ففى بعض الايّام انهزم الامرآء الاعاجم من عمّة بغداد مكرًا وخديعةً وتبعهم العامّة فلمّا ابعدوا عادوا عليهم وصار بعض العسكر من ورآئهم ووضعوا السيف فقُتل من العامّة خلق كثير ولم يبقوا على صغير ولا كبير وفتكوا فيهم فاصيب اهل بغداد بما لم يُصابوا بمثله وكثُر القتلى والجرحى وأُسر منهم خلق كثير فقُتل البعض وشهر البعض ودفن الناس مَن عرفوا ومن لم يُعرف ترك طريحًا بالصحرآء وتفرّق العسكر فى المحالّ الغربيّة فاخذوا من اهلها الاموال الكثيرة ونهبوا بلد دُجَيل[1] وغيره واخذوا النسآء والولدان ثمّ انّ الامرآء اجتمعوا ونزلوا مقابل التاج وقبّلوا الارض واعتذروا وتردّدت الرسل بينهم وبين الخليفة الى اخر النهار وعادوا الى خيامهم ورحلوا الى النهروان فنهبوا البلاد وافسدوا فيها وعاد مسعود بلال شحنة بغداد من تكريت الى بغداد ثمّ انّ هولآء الامرآء تفرّقوا وفارقوا العراق وتوفّى الامير قيصر باذربيجان، هذا كلّه والسلطان مسعود مقيم ببلد الجبل والرسل بينه وبين عمّه السلطان سنجر متّصلة وكان السلطان سنجر قد ارسل اليه يلومه على تقديم خاصّ بك ويامره بابعاده ويتهدّده بانّه ان لم يفعل ان يقصده ويزيله عن السلطنة وهو يغالط ولا يفعل فسار السلطان سنجر الى الرىّ فلمّا علم السلطان مسعود بوصوله سار اليه وترضّاه واستنزله عمّا فى نفسه فسكن وكان اجتماعهما سنة اربع واربعين على ما نذكره ان شآء الله تعالى ☆

---

[1]) C. P. 740: بلد دحيل Ups: نكر وحل

ذكر انهزام الفرنج بيغرى[1]

فى هذه السنة هزم نور الدين محمود ابن زنكى الفرنج بمكان اسمه يغرى[1] من ارض الشام وكانوا قد تجمّعوا ليقصدوا اعمال حلب ليغيروا عليها فعلم نور الدين فسار اليهم فى عسكره فالتقوا بيغرى[1] واقتتلوا قتالًا شديدًا اجلت المعركة عن انهزام الفرنج وقُتل كثير منهم وأُسر جماعة من مقدّميهم ولم ينج من ذلك الجمع الّا القليل وارسل من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم وفى هذه الوقعة يقول ابن القيسرانّى فى قصيدته الّتى اوّلها

يا ليت انّ الصدّ مصدود   اوْلا فليت النوم مردود

ومنها ما هو فى ذكر نور الدين

وكيف لا يثنى على عيشنا   لمحمود والسلطان محمود
وصارم الاسلام لا ينثنى   الّا وشلو الكفر مقدود
مكارم لم تك موجودة   الّا ونور الدين موجود
وكم له من وقعة يومها   عند الملوك الكفر مشهود ۞

ذكر مُلك الغوريّة غزنة وعودهم عنها

فى هذه السنة قصد سورى ابن الحسين ملك الغور مدينة غزنة فلكها وسبب ذلك انّ اخاه ملك الغوريّة [قبله محمّد ابن الحسين كان قد صاهر بهرام شاه مسعود ابن][2] ابرهيم صاحب غزنة وهو من بيت سبكتكين فعظم شانه بالمصاهرة وعلت همّته فجمع جموعًا كثيرةً وسار الى غزنة ليملكها وقيل انّما سار اليها مُظهرًا للخدمة والزيارة وهو يريد المكر والغدر فعلم به بهرام شاه فاخذه وسجنه ثم قتله فعظم قتله على الغوريّة ولم يمكنهم الاخذ بثاره ولمّا قُتل ملك بعده اخوه سام ابن الحسين فمات بالجدرى[3] وملك بعده اخوه الملك سورى ابن الحسين بلاد الغور والله اعلم وقوى امره وتمكّن فى ملكه فجمع عسكره من الفارس والراجل وسار الى غزنة طالبًا بثار اخيه المقتول وقاصدًا ملك غزنة

[1]) بيعرى   [2]) Addidi e *Journ. As.* 1843, II, p. 188.   [3]) بالجزيرة

فلمّا وصل اليها ملكها فى جمادى الاولى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند وجمع جموعًا كثيرةً وعاد الى غزنة وعلى مقدّمته السلار لحسين وابرهيم العلوىّ امير هندوستان وكان عسكر غزنة الذين اقاموا مع سورى ابن الحسين الغورىّ وخدموه قلوبهم[1] مع بهرام شاه وانّما هم بظواهرهم مع سورى فلمّا التقى سورى وبهرام شاه رجع عسكر غزنة الى بهرام شاه وصاروا معه وسلّموا اليه سورى ملك الغوريّة وملك بهرام شاه غزنة فى المحرّم سنة اربع واربعين وصلب الملك سورى مع السيّد الماهيانىّ فى المحرّم ايضًا من السنة، وكان سورى احد الاجواد له الكرم الغزير والمروّة العظيمة حتّى انّه كان يرمى الدراهم فى المقاليع الى الفقرآء لتقع بيد مَن تقع[2] ومَن يتّفق[3] له، ثمّ عاود الغوريّة وملكوها وخرّبوها وقد ذكرناه سنة سبع واربعين وذكرنا هناك ابتدآء دولة الغوريّة لانّهم فى ذلك الوقت عظم محلّهم وفارقوا الجبال وقصدوا خراسان وعلا شانهم وفى بعض الخلف كما ذكرناه والله اعلم۞

ذكر مُلك الفرنج مدنًا من الاندلس

فى هذه السنة ملك الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة[4] ولم يبق للمسلمين فى تلك الجهات شئ الّا واستولى الفرنج على جميعها لاختلاف المسلمين بينهم وبقى بايديهم الى الآن۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى ابو بكر المبارك بن الكامل بن ابى غالب البغدادىّ المعروف ابوه بالخفّاف سمع الحديث الكثير وكان مفيد بغداد، وفيها غلت الاسعار بالعراق وتعذّرت الاقوات بسبب العسكر الوارد وقدم اهل السواد الى بغداد منهزمين قد أُخذت اموالهم وهلكوا جوعًا وعُريًا وكذلك ايضًا كان الغلآء فى اكثر البلاد خراسان وبلاد الجبل واصفهان وديار فارس والجزيرة والشام وامّا المغرب فكان اشدّ غلآء بسبب انقطاع الغيث ودخول العدوّ اليها، وفيها توفّى ابرهيم ابن نبهان

---

1) وقلوبهم 2) نقع 3) سفق 4) وافراعه

الرقّي ومولده سنة تسع وخمسين واربعمائة وصحب الغزالىّ والشاشىّ[1] وروى الجمع بين الصحيحين للحميدىّ عن مصنّفه، وفيها فى ذى القعدة توفّى الامام ابو الفضل الكرمانىّ الفقيه الحنفىّ امام خراسان ۞

ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة، سنة ٥٤٤

ذكر وفاة سيف الدين غازى ابن اتابك زنكى وبعض سيرته وملك اخيه قطب الدين

فى هذه السنة توفّى سيف الدين غازى ابن اتابك زنكى صاحب الموصل بها بمرض حادّ ولمّا اشتدّ مرضه ارسل الى بغداد واستدعى اوحد الزمان فحضر عنده فراى شدّة مرضه فعالجه فلم ينجع فيه الدوآء وتوفّى اواخر جمادى الاخرة وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرًا وعشرين يومًا وكان حسن الصورة والشباب وكانت ولادته سنة خمسمائة ودُفن بالمدرسة التى بناها بالموصل وخلف ولدًا ذكرًا فربّاه عمّه نور الدين محمود واحسن تربيّته وزوّجه ابنة اخيه قطب الدين مودود فلم تطُل ايّامه وتوفّى فى عنوان شبابه فانقرض عقب سيف الدين وكان كريمًا شجاعًا عاقلًا وكان يصنع كلّ يوم لعسكره طعامًا كثيرًا بكرةً وعشيةً فامّا الذى بكرة فيكون مائة راس غنم جيّدة وهو اوّل من حمل على راسه السنجق وامر الاجناد ألّا يركبوا الّا بالسيف فى اوساطهم والدبوس تحت ركبهم فلمّا فعل ذلك اقتدى به اصحاب الاطراف وبنى المدرسة الاتابكيّة العتيقة بالموصل وهى من احسن المدارس واوقفها على الفقهآء الحنفيّة والشافعيّة وبنى رباطًا للصوفيّة بالموصل ايضًا على باب المشرعة ولم تطُل ايّامه ليفعل ما فى نفسه من الخير وكان عظيم الهمّة ومن جملة كرمه انّه قصده شهاب الدين الحيص بيص وامتدحه بقصيدته التى اوّلها

الامَ يراك المجد فى زىّ شاعر وقد نحلت شوقًا فروع المنابر

فوصله بالف دينار عين سوى الخلع وغيرها، ولمّا توفّى سيف الدين غازى كان اخوه قطب الدين مقيمًا بالموصل فاتّفق جمال الدين

---

[1] والشاسى

الوزير وزين الدين علىّ امير الجيش على تمليكه فاحضروه واستحلفوه وحلفوا له واركبوه الى دار السلطنة وزين الدين فى ركابه واطاعه جميع بلاد اخيه سيف الدين كالموصل والجزيرة ولمّا ملك تزوّج الخاتون ابنة حُسام الدين تمرتاش لله كان قد تزوّجها اخوه سيف الدين وتوفّى قبل الدخول بها وهى امّ اولاد قطب الدين سيف الدين وعزّ الدين وغيرهما من اولاده ۞

ذكر استيلآء نور الدين على سنجار

لمّا ملك قطب الدين مودود الموصل بعد اخيه سيف الدين غازى كان اخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة فكاتبه جماعة من الامرآء وطلبوه وفيمَن كاتبه المقدّم عبد الملك والد شمس الدين محمّد وكان حينئذ مستحفظًا لسنجار فارسل اليه يستدعيه ليتسلّم سنجار فسار جريدة فى سبعين فارسًا من امرآء دولته فوصل الى ماكسين فى نفر يسير قد سبق اصحابه وكان يومًا شديد المطر فلم يعرفهم الذى يحفظ الباب فاخبر الشحنة انّ نفرًا من التركمان المتجنّدين قد دخلوا البلد فلم يستتمّ كلامه حتّى دخل نور الدين الدار على الشحنة فقام اليه وقبّل يده ولحق به باقى اصحابه ثم سار الى سنجار فوصلها وليس معه غير ركابى وسلاح دار ونزل بظاهر البلد وارسل الى المقدّم يعلمه بوصوله فرءاه الرسول وقد سار الى الموصل وترك ولده شمس الدين محمّد بالقلعة فاعلمه بمسير والده الى الموصل واقام من لحق اباه بالطريق فاعلمه بوصول نور الدين فعاد الى سنجار فسلّمها اليه فدخلها نور الدين وارسل الى فخر الدين قرا ارسلان صاحب الحصن يستدعيه اليه لمودّة كانت بينهما فوصل اليه فى عسكره فلمّا سمع اتابك قطب الدين وجمال الدين وزين الدين بالموصل بذلك جمعوا عساكرهم وساروا نحو سنجار فوصلوا الى تلّ يعفر وتردّدت الرسل بينهم بعد ان كانوا عازمين على قصده بسنجار فقال لهم جمال الدين ليس من الراى محاقتته وقتاله فانّنا نحن قد عظّمنا محلّه عند السلطان وما هو بصدده من الغزاة وجعلنا انفسنا دونه وهو فيظهر للفرنج تعظيمنا وانّه تبعنا ولا يزال يقول لهم ان

كنتم كما يجبّ والّا سلّمتُ البلاد لصاحب الموصل وحينئذ يفعل بكم ويصنع فاذا التقيناه فان هزمناه طمع السلطان فينا ويقول هذا الذى كانوا يعظّمونه ويحمون به اضعف منكم وقد هزموه وان هو هزمنا طمع فيه الفرنج ويقولون انّ الذين¹ كان يحتمى بهم اضعف منه وقد هزمهم وبالجملة فهو ابن اتابك واشار بالصلح وسار هو اليه فاصطلح وسلّم سنجار الى اخيه قطب الدين وسلّم مدينة حمص والرحبة بارض الشام اليه وبقى الشام له وديار الجزيرة لاخيه واتّفقا وعاد نور الدين الى حلب واخذ معه ما كان قد ادّخره ابوه عماد² الدين اتابك فيها من الخزاين وكانت كثيرة جدًّا ✿

ذكر وفاة الحافظ وولاية الظافر³ [ووزارة]⁴ ابن السلار

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة توفّى الحافظ الدين الله عبد المجيد ابن الامير ابى القسم ابن المنتصر بالله العلوىّ صاحب مصر وكانت خلافته عشرين سنة الّا خمسة اشهر وعمره نحوًا من سبع وسبعين سنة ولم يزل فى جميعها محكومًا عليه يحكم عليه وزراؤه حتّى انّه جعل ابنه حسنًا وزيرًا وولّى عهده فحكم عليه واستبدّ بالامر دونه وقتل كثيرًا من امراء دولته وصادر كثيرًا فلمّا راى الحافظ ذلك سقاه سُمًّا فمات وقد ذكرناه ولم يل الامر من العلويّين المصريّين مَن ابوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد وسيرد ذكر نسب العاضد وولى الخلافة بعده بمصر ابنه الظافر³ بامر الله ابو منصور اسمعيل ابن عبد المجيد الحافظ واستوزر ابن مصّال فبقى اربعين يومًا يدبّر الامور فقصده العادل ابن السلار من ثغر الاسكندريّة ونازعه فى الوزارة وكان ابن مصّال قد خرج من القاهرة فى طلب بعض المفسدين من السودان فخالفه⁵ العادل بالقاهرة وصار وزيرًا⁶ وسيّر عبّاس ابن ابى الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعزّ ابن باديس الصنهاجىّ فى عسكره وهو ربيب العادل الى ابن مصّال فظفر به وقتله وعاد الى القاهرة واستقرّ العادل وتمكّن ولم يكن للخليفة معه حكم ۶ وامّا سبب وصول عبّاس الى مصر فانّ جدّه يحيى اخرج ابا الفتوح من المهديّة فلمّا توفّى يحيى وولى بعده

¹) الذى ²) ابوه نور ³) الظاهر ⁴) C. P. ⁵) فخلفه
⁶) C. P. et 740. Ups.: وزيره

بلاد افريقية ابنه علىٌّ بن يحيى بن تميم [بن يحيى صاحب][1] افريقية اخرج اخاه ابا الفتوح والد عبّاس من افريقية سنة تسع وخمسمائة فسار الى الديار المصريّة ومعه زوجته بلّارة ابنة القاسم بن تميم بن المعزّ ابن باديس وولده عبّاس هذا هو صغير يرضع ونزل ابو الفتوح بالاسكندريّة فاكرم واقام بها مدّة يسيرة وتوفّى وتزوّجت بعده امراته بلّارة بالعادل ابن السلار وشبّ العبّاس وتقدّم عند الظافر[2] حتّى ولى الوزارة بعد العادل فانّ العادل قُتل فى المحرّم سنة ثمان واربعين قيل وضع ربيبه عبّاس مَن قتله فلمّا قُتل ولى الوزارة بعده وتمكّن منها وكان جَلدًا حازمًا ومع هذا ففى ايّامه اخذ الفرنج عسقلان واشتدّ وهن الدولة بذلك وفى ايّامه اخذ نور الدين محمود دمشق من مجير الدين أبق وصار الامر بعد هذا الى ان أُخذت مصر منهم على ما نذكره بعد ان شآء الله تعالى ۞

ذكر عود جماعة من الامرآء الى العراق

فى هذه السنة فى رجب عاد البقش كون خر[3] والطرنطاىّ وابن دُبيس ومعهم ملكشاه ابن السلطان محمود الى العراق وراسلوا الخليفة فى الخطبة لملكشاه فلم يلتفت اليهم وجمع العساكر وحصّن بغداد وارسل الى السلطان مسعود يعرّفه بالحال فوعده بالوصول الى بغداد فلم يحضر وكان سبب ذلك ما ذكرناه من وصول عمّه السلطان سنجر الى الرىّ فى معنى خاصّ بك فلمّا وصل الى الرىّ سار اليه السلطان مسعود ولقيه واسترضاه فرضى عنه فلمّا علم البقش بمراسلة الخليفة الى مسعود نهب النهروان وقبض على الامير علىّ ابن دُبيس فى رمضان فلمّا علم الطرنطاىّ بذلك هرب الى النعمانيّة ووصل السلطان مسعود الى بغداد منتصف شوّال ورحل البقش كون خر من النهروان واطلق علىّ ابن دبيس فلمّا وصل السلطان الى بغداد قصده علىّ والقى بنفسه بين يديه واعتذر فرضى عنه ، وذكر بعض المورخين هذه الحادثة سنة اربع واربعين وذكر ايضًا مثلها سنة ثلاث واربعين فظنّهما حادثتيْن وانا اظنّها واحدة ولكنّا تبعناه فى ذلك ونبّهنا عليه ۞

[1]) C. P. et 740.   [2]) الحافظ   [3]) خر

ذكر قتل البرنس صاحب انطاكيّة وهزيمة الفرنج

في هذه السنة غزا نور الدين محمود ابن زنكى بلاد الفرنج من ناحية انطاكيّة وقصد حصن حارم وهو للفرنج فحصره وخرّب ربضه ونهب سواده ثمّ رحل الى حصن انبّ فحصره ايضاً فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب انطاكيّة وحارم وتلك الاعمال وساروا الى نور الدين ليرحّلوه عن انبّ فلقيهم واقتتلوا قتالاً عظيماً وباشر نور الدين القتال ذلك اليوم فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقُتل منهم جمع كثير وأُسر امثالهم وكان ممّن قُتل البرنس صاحب انطاكيّة وكان عاتياً من عُتاة الفرنج وعظيماً من عظمآيهم ولمّا قُتل البرنس ملك بعده ابنه بيمند وهو طفل فتزوّجت امّه بابرنس اخر ليدبّر البلد الى ان يكبر ابنها واقام معها بانطاكيّة، ثمّ انّ نور الدين غزاهم غزوة اخرى فاجتمعوا ولقوه فهزمهم وقتل فيهم واسر وكان فيمن أُسر البرنس الثانى زوج امّ بيمند فتمكّن حينيّذ بيمند بانطاكيّة، واكثر الشعرآء مديح نور الدين وتهنيته بهذا الظفر فانّ قتل البرنس كان عظيماً عند الطايفتيّن وممّن قال فيه القيسراني الكاتب [في] القصيدة المشهورة له اوّلها

هذى العزايم لا ما تدّعى القضبُ وذى المكارم لا ما قالت الكتُبُ
وهذه الهمم اللاتى متى خطبت تعثّرت خلفها الاشعار والخطبُ
صافحتَ يا ابن عماد الدين ذروتَها براحة للمساعى دونها تعبُ
ما زال جدّك يبنى كلّ شاهقة حتّى بنى قبّة اوتادها الشهبُ
أغرت سيوفُك بالافرنج راجعة فواد رومية الكبرى لها يجب
ضربتَ كبشهم منها بقاصمة أودى بها الصُّلب احطّت[1] بها الصلُبُ
طهّرتَ ارض الاعادى من دمآيهم طهارة كلّ سيف عندها جُنُبُ

ذكر الخلف بين صاحب صقليّة وملك الروم

في هذه السنة اختلف رجّار الفرنجيّ صاحب صقليّة وملك القسطنطينيّة وجرى بينهما حروب كثيرة ودامت عدّة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولو لا ذلك لملك رجّار جميع بلاد افريقية

---

1) واحطّت

وكان القتال بينهم برًّا وبحرًا والظفر فى جميع ذلك لصاحب صقلّيّة حتّى انّ اسطوله فى بعض السنين وصل الى مدينة القسطنطينيّة ودخل فمّ المينا واخذوا عدّة شوانى من الروم واسروا جمعًا منهم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذى يفعل هذا بالروم والمسلمين جُرجى وزير صاحب صقلّيّة فمرض عدّة امراض منها البواسير والحصا ومات سنة ستّ واربعين وخمسمايّة فسكنت الفتنة واستراح الناس من شرّه وفساده ولم يكن عند صاحب صقلّيّة مَن يقوم مقامه بعده ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة زُلزلت الارض زلزلة عظيمة فقيل ان جبلًا مقابل حُلوان ساخ فى الارض، وفيها ولى ابو المظفّر يحيى ابن هبيرة وزارة الخليفة المقتفى لامر الله وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام وظهر له كفاية عظيمة عند نزول العساكر بظاهر بغداد وحسنُ قيام فى ردّهم فرغب الخليفة فيه فاستوزره يوم الاربعاء رابع ربيع الاخر سنة اربع واربعين وكان القمر على تربيع زُحل فقيل له لو اخّرْتَ لبس الخلعة لهذه التربيعات فقال واىّ سعادة اكبر من وزارة الخليفة ولبسها ذلك اليوم، وفيها فى المحرّم توفّى قاضى القضاة علىّ ابن الحسين الزينبىّ وولى القضاء عماد الدين ابو الحسن علىّ ابن احمد الدامغانى، وفيها فى المحرّم رَخُصت الاسعار بالعراق وكثرت الخيرات وخرج اهل السواد الى قراهم، وفيها توفّى الامير نظر امير الحاجّ وكان قد سار بالحاجّ الى الحلّة فمرض واشتدّ مرضه واستخلف على الحاجّ قايماز الارجوانى وعاد الى بغداد مريضًا فتوفّى فى ذى القعدة وكان خصيًّا عاقلًا خيّرًا له معروف كثير وصدقات وافرة، وفيها توفّى احمد ابن نظام المُلك الذى كان وزير السلطان محمّد والمسترشد بالله، وفيها توفّى علىّ بن رافع بن خليفة الشيبانىّ وهو من اعيان خراسان وله مايّة وسبع سنين شمسيّة، ومات الامام مسعود الصوافىّ فى المحرّم منها، وفيها توفّى معين الدين أُنُر نايب ابق صاحب دمشق وهو كان الحاكم والامر اليه وكان ابق صورة امير لا معنى تحتها، وفيها توفّى القاضى احمد بن محمّد بن الحسين الارّجانىّ ابو بكر قاضى تُستر وله شعر حسن فمنه قوله

ولمّا بلوتُ الناس اطلبُ عندهم اخًا ثقة عند اعتراض الشدايد
فطالعتُ فى حالَىْ رخآء وشدّة وناديتُ فى الاحيآء هل من مساعد
فلم أَرَ فيما سآئى غير شامت ولم أَرَ فيما سرّنى غير حاسد
تمتّعْتُما يا ناظرىَّ بنظرة واوردتما قلبى امرَّ الموارد
اعينىَّ كُفّا عن فوادى فانّهُ من البغى سعى اثنين فى قتل واحد،

وفيها توفّى ابو عبد الله عيسى بن هبة الله بن عيسى البزّاز وكان ظريفًا وله شعر حسنٌ كتب اليه صديق له رُقعةً وزاد فى خطابه فاجابه

قد زدتَنى فى الخطاب حتّى خشيتُ نقصاً من الزيادةْ
فاجعلْ خطابى خطاب مثلى ولا تُغَيِّرْ علىَّ عادةْ ۞

ثم دخلت سنة خمس واربعين وخمسمايةٍ، سنة ٥٤٥

ذكر أَخْذ العرب الحجاج

فى هذه السنة رابع عشر المحرّم خرج العرب زعب ومَن انضمّ اليها على الحجاج بالغرابى بين مكّة والمدينة فاخذوهم ولم يسلم منهم الّا القليل وكان سبب ذلك انّ نظرًا اميرِ الحاجّ [لمّا عاد من الحلّة على ما ذكرناه وسار على الحاجّ][1] قايماز الارجوانىّ وكان حدثًا غرًّا فسار بهم الى مكّة فلمّا راى اميرُ مكّة قايمازَ استصغره وطمع فى الحاجّ وتلطّف قايماز الحال معه الى ان عادوا فلمّا سار عن مكّة سمع باجتماع العرب فقال للحاجّ من المصلحة انا لا نمضى الى المدينة وضجّ الحجم وتهدّدوه بالشكوى منه الى السلطان سنجر فقال لهم فاعطوا العرب مالاً نستكفى به شرّهم فامتنعوا من ذلك فسار بهم الى الغرابى وهو منزل يخرج اليه من مضيق جبلَيْن فوقفوا على فم مضيق وقاتلهم قايماز ومَن معه فلمّا راى عجزه اخذ لنفسه امانًا وظفروا بالحجاج وغنموا اموالهم وجميع ما معهم وتفرّق الناس فى البرّ وهلك منهم خلق كثير لا يحصون كثرة ولم يسلم الّا القليل فوصل بعضهم الى المدينة وتحمّلوا منها الى البلاد واقام بعضهم مع العرب حتّى توصّل الى البلاد ثم انّ الله تعالى اقتصّ للحاجّ من زعب فلم يزالوا فى نقص وذلّة ولقد

[1]) C. P. et 740.

رايتُ شابًّا منهم بالمدينة سنة ستّ وسبعين وخمسمائة وجرى بينى وبينه مفاوضة قلتُ له فيها انّنى والله كنتُ اميل اليك حتّى سمعتُ انّك من زعب فنفرتُ وخفتُ شرّك فقال لِمَ فقلتُ بسبب اخذكم الحاجّ فقال لى انا لم ادرك ذلك الوقت وكيف رايت الله صنع بنا والله ما افلحنا ولا نجحنا قلّ العدد وطمع العدوّ فينا ۞

ذكر فتح حصن ناميا

فى هذه السنة فتح نور الدين محمود ابن الشهيد زنكى حصن ناميا من الفرنج وهو مجاور شيزر وحماة على تلّ عالٍ من احصن القلاع وامنعها فسار نور الدين اليه وحصره وبه الفرنج وقاتلهم وضيّق على مَن بها منهم فاجتمع مَن بالشام من الفرنج وساروا نحوه ليرحّلوه عنهم فلم يصلوا الّا وقد ملكه وملأه ذخاير وسلاحًا ورجالًا وجميع ما يحتاج اليه فلمّا بلغه سير الفرنج اليه رحل عنه وقد فرغ من امر الحصن وسار اليهم يطلبهم فحين راوا انّ الحصن قد ملك وقوّة عزم نور الدين على لقايهم عدلوا عن طريقه ودخلوا بلادهم وراسلوه فى المهادنة وعاد سالمًا مظفّرًا ومدحه الشعراء وذكروا هذا الفتح فمن ذلك قول ابن الروميّ من قصيدة اوّلها

اسْمى الممالك ما اتلّت منارها وجعلتَ مرهفة الحسام دسارها
واحقّ من ملك البلاد واهلها روف تكنّف عدله اقطارها

ومنها فى وصف الحصن

ادركتَ ثارك فى البغاة وكنتَ يا مختار امّة احمد مختارها
صابتْ نجومك فوقها واطال ما باتت تناقشها النجوم شرارها
عاربّة الزمن المعيد شمالها منك المعيرة واسترد معارها
امست مع الشعرى العبور واصبحت شعراء تستعلى الفحول شوارها

وهى طويلة ۞

ذكر حصر الفرنج قرطبة ورحيلهم عنها

فى هذه السنة سار السليطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج فى اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهى فى ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد

المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكرا كثيرا وجهز مقدمهم ابا زكرياء يحيى ابن يرموز ونفذهم[1] الى قرطبة فلما قربوا منها فلم يقدروا ان يلقوا عسكر السليطين في الوطاء وارادوا الاجتماع باهل قرطبة ليمنعوها لخطر العاقبة بعد القتال فسلكوا الجبال الوعرة والمضايق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوما في الوعر في مسافة اربعة ايام في السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما راهم السليطين وتحقق امرهم رحل عن قرطبة وكان [فيها][2] القايد ابو الغمر[3] السايب من ولد القايد ابن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرايها فلما رحل الفرنج خرج منها لوقته وصعد الى ابن يرموز وقال له انزلوا عاجلا وادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فلما اصبحوا من الغد راوا عسكر السليطين على راس الجبل الذى كان فيه عسكر عبد المؤمن فقال لهم ابو الغمر[3] هذا الذى خفته عليكم لانى علمت ان السليطين ما اقام الا طالبا لكم فان من الموضع الذى كان فيه طريق سهلة ولو لحقكم هناك نال مراده منكم ومن قرطبة فلما راى السليطين انهم قد فاتوه علم انه لم يبق له طمع في قرطبة فرحل عايدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر والله اعلم ☆

ذكر ملك الغورية هراة

في هذه السنة سار ملك الغور الحسن بن الحسين من بلاد الغور الى هراة فحصرها وكان اهلها قد كاتبوه وطلبوا يسلموها اليه هربا من الاتراك لهم وزوال هيبة السلطنة عنهم فامتنع اهل هراة عليه ثلاثة ايام ثم خرجوا اليه وسلموا البلد واطاعوه فاحسن اليهم وافاض عليهم النعم وغمرهم بالعدل واظهر طاعة السلطان سنجر والقيام على الوفاء له والانقياد اليه ☆

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة امر علاء الدين محمود ابن مسعود الغالب على امر نُنَرْيَثيث[4] اقامة الخطبة للخليفة ولبس السواد ففعل الخطيب ذلك فثار

1) بعدهم   2) C. P. et 740.   3) 740. C. P: المعمر Ups: النعم
4) ننرثيث

به عمّه واقاربه ومن وافقهم وقتلوه وكسروا المنبر وقتلوا الخطيب وكان فعل علآء الدين هذا لانّ اباه كان مسلمًا فلمّا تغلّب الاسماعيليّة على طريثيث[1] اظهر موافقتهم وابطن اعتقاد الشريعة وكان يناظر على مذهب الشافعىّ وازداد تقدّمًا بطريثيث[1] وجرتْ امورها بارادته فلمّا حضره الموت اوصى ان يُغسّله فقيه شافعىٌّ واوصى الى ابنه علآء الدين ان امكنه ان يعيد فيها اظهار شريعة الاسلام فعل فلمّا راى من نفسه قوّة فعله فلم يتمّ له، وفيها كثر المرض بالعراق لا سيّما ببغداد وكثر الموت ايضًا فيها ففارقها السلطان مسعود، وفيها توفّى الامير علىّ بن دُبيس بن صدقة صاحب الحلّة باسداباد[2] واتّهم طبيبه محمّد بن صالح بالمواطاة عليه فمات الطبيب بعده بقريب، وفيها استوزر عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب ابا جعفر ابن ابى احمد الاندلسىّ وكان مأسورًا عنده فوُصف له بالعقل وجودة الكتابة فاخرجه من الحبس واستوزره وهو اوّل وزير كان للموحّدين، وفى هذه السنة فى المحرّم جلس يوسف الدمشقىّ مدرّسًا فى النظاميّة ببغداد وكان جلوسه بغير امر الخليفة فمُنع يوم الجمعة من دخول الجامع فصلّى فى جامع السلطان ومُنع من التدريس فتقدّم السلطان مسعود الى الشيخ ابى النجيب بان يدرّس فيها فامتنع بغير امر الخليفة فاستخرج السلطان اذن الخليفة فى ذلك فدرّس منتصف المحرّم من السنة، وفيها توفّى ابو عبد الله محمّد بن علىّ مهران الفقيه الشافعىّ تفقّه على الهراسىّ[3] وولى قضآء نصيبين ثمّ ترك القضآء وتزهّد فاقام بجزيرة ابن عمر ثمّ انتقل الى جبل ببلد الحصن فى زاوية وكان له كرامات ظاهرة، وفيها مات الحسن ابن ذى النون بن ابى القسم بن ابى الحسن المسْعرىّ ابو المفاخر النيسابورىّ سمع الحديث الكثير وكان فقيهًا اديبًا دايم الاشتغال يعظ الناس وكان ممّا ينشد

مات الكرام وولّوا وانقضوا ومضوا   ومات من بعدهم تلك الكراماتُ
وخلّفونى فى قوم ذوى سفهٍ   لو ابصروا طيف ضيفٍ فى الكرى ماتوا

1) طرثيث   2) C. P. et 740. Ups: بسداباد   3) الهراى

ثم دخلت سنة ست واربعين وخمسماية، سنة ٥٤٦

ذكر انهزام نور الدين من جوسلين واسر جوسلين بعد ذلك

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجى وهى شمال حلب منها تل باشر وعين تاب واعزاز[1] وغيرها وعزم على محاصرتها واخذها وكان جوسلين لعنه الله فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والراى فلمّا علم بذلك جمع الفرنج فاكثر وسار نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا فانهزم المسلمون وقُتل منهم وأُسر جمع كثير وكان فى جملة مَن أُسر سلاح دار نور الدين فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيّره الى الملك مسعود ابن قلج ارسلان صاحب قونيّة واقصرا وقال له هذا سلاح زوج ابنتك وسياتيك بعده ما اعظم منه فلمّا علم نور الدين الحال عظم عليه ذلك واعمل الحيلة [على][2] جوسلين وهجر الراحة لياخذ بثاره واحضر جماعة من امرآء التركمان وبذل لهم الرغايب إن هم ظفروا بجوسلين وسلّموه اليه امّا قتيلاً او اسيرًا لانّه علم انّه متى قصده بنفسه احتمى بجموعه وحصونه فجعل التركمان عليه العيون فخرج متصيّدًا فلحقت به طايفة منهم وظفروا به فصانعهم على مال يؤدّيه اليهم فاجابوه الى اطلاقه اذا حضر المال فارسل فى احضاره فمضى بعضهم الى ابى بكر ابن الداية نايب نور الدين بحلب فاعلمه الحال فسيّر عسكرًا معه فكبسوا اوليك التركمان وجوسلين معهم فاخذوه اسيرًا واحضروه عنده وكان اسره من اعظم الفتوح لانّه كان شيطانًا عاتيًا شديدًا على المسلمين قاسى القلب واصيبت النصرانيّة كافّة باسره، ولمّا أُسر سار نور الدين الى قلاعه فملكها وهى تلّ باشر وعين تاب واعزاز وتلّ خالد وقُورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفر سود وكفرلاثا ودلوك ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك من اعماله فى مدّة يسيرة يرد تفصيلها وكان نور الدين كلّما فتح منها حصنًا نقل اليه من كلّ ما يحتاج اليه الحصون خوفًا من نكثة تلحق المسلمين من الفرنج فتكون بلادهم غير محتاجة الى ما

---

[1]) عزار

[2]) C. P. et 740.

يمنعها من العدوّ، ومدحه الشعرآء فمّن قال فيه القيسرانيّ من قصيدة فى ذكر جوسلين

كما اهدت الاقدار للقمص اسرَه ... واسعد قرن من حواه لك الاسرُ
طغى وبغى عدوًا على غلوايه ... فاورده الكفران عدواه والكُفرُ
وامست عزاز كاسمها بك عزّة ... تشقّ[1] على النسرين لو انّها وكرُ
فسرّ وآملك الدنيا ضيآء وبهجة ... فبالافق الداجى الى ذا السنا فقرُ
كانى بهذا العزم لا فُلّ حدُّه ... واقصاه بالاقصى وقد قضى الامرُ
وقد اصبح البيت المقدّس طاهرًا ... وليس سوى جارى الدمآء له طُهرُ ۞

ذكر حصر غرناطة والمريّة من بلاد الاندلس

فى هذه السنة سيّر عبد المؤمن جيشًا كثيفًا نحو عشرين الف فارس الى الاندلس مع ابى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى[2] وسيّر معهم نسآءهم فكنّ يسرن مفردات عليهنّ البرانس السود ليس معهنّ غير الخدم ومتى قرب منهنّ رجُل ضرب بالسياط فلمّا قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة وبها جمع من المرابطين فحصرها عمر وعسكره وضيّقوا عليها فجآء اليه احمد ابن ملحان صاحب مدينة وادى آش واعمالها بجماعته ووحّدوا وصار معه واتاه ابرهيم ابن همشك صهر ابن مردنيش[3] صاحب جيان[4] واصحابه ووحّدوا وصاروا ايضًا معه فكثر جيشه وحرّضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس ليبغته بالحصار قبل ان يتجهّز فلمّا سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فارسل الى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويستحثّه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجىّ فى عشرة الاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى حمّة بلقوارة[5] وبينها وبين مُرسية التى هى مقرّ ابن مردنيش[6] مرحلة فسمعوا بوصول الفرنج فرجع وحصر مدينة المريّة وهى للفرنج عدّة شهور فاشتدّ الغلآء فى العسكر وعُدمت الاقوات فرحلوا عنها وعادوا الى اشبيليّة فاقاموا بها ۞

---

1) نسق 2) الهمتاتى 3) مردبيس 4) حيان 5) بلقوارة 6) بردبيش

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاخر توفّى العبادىّ الواعظ واسمه المظفّر ابن اردشير بخوزستان وكان الخليفة المقتفى لامر الله قد سيّره فى رسالة الى الملك محمّد ابن السلطان محمود ليصلح بينه وبين بدر الحوايزى[1] فتوفّى هناك وجلس ولده ببغداد للعزآء واقيم بحاجب من الديوان العزيز وكان ابنه يجلس ويعظ ويذكر والده ويبكى هو والناس كافّة ونُقل العبادىّ الى بغداد ودُفن بالشونيزى ومولده سنة احدى وتسعين واربعمائة وسمع الحديث من ابى بكر الشّيْروىّ وزاهر الشحّامىّ وغيرهما، وفيها انفجر بثق النهروان الذى اتمّه بهروز[2] بكثرة الزيادة فى تامرّا[3] واهمال امرها حتّى عظم ذلك وتضرّر به الناس، وفيها سار الامير قجق فى طايفة من عسكر السلطان سنجر الى طريثيث بخراسان واغار على بلاد الاسماعيليّة فنهب وسبى وخرّب واحرق المساكن وفعل بهم افاعيل عظيمة وعاد سالمًا ☆

ثم دخلت سنة سبع واربعين وخمسمائة، سنة ٥٤٧

ذكر ملك عبد المؤمن بجاية وملك بنى حمّاد

فى هذه السنة سار عبد المؤمن ابن علىّ الى بجاية وملكها وملك جميع ممالك بنى حمّاد وكان لمّا اراد قصدها سار من مرّاكش الى سبتة سنة ستّ واربعين فاقام بها مدّة يعمل الاسطول ويجمع العساكر القريبة منه وامّا ما هو على طريقه الى بجاية من البلاد فكتب اليهم ليتجهّزوا ويكونوا على الحركة اىّ وقت طلبهم والناس يظنّون انّه يريد العبور الى الاندلس فارسل فى قطع السابلة عن بلاد شرق المغرب برًّا وبحرًا، وسار من سبتة فى صفر سنة سبع واربعين فاسرع السير وطوى المراحل والعساكر تلقاه فى طريقه فلم يشعر اهل بجاية الّا وهو فى اعمالها، وكان ملكها يحيى بن العزيز بن حمّاد اخر ملوك بنى حمّاد وكان مولعًا بالصيد واللهو لا ينظر فى شىٔ من امور مملكته قد حكم فيها بنو حمدون فلمّا اتّصل الخبر بميمون ابن حمدون جمع

---

[1] الحوادى (1 [2] C. P. Cod. 740: انتمه Ups: ابمهدبهرور [3] C. P. Ups: تامرا

العسكر وسار عن بجاية نحو عبد المؤمن فلقيهم مقدّمته وهي تزيد على عشرين الف فارس فانهزم اهل بجاية من غير قتال ودخلت مقدّمة عبد المؤمن بجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين وتفرّق جميع عسكر يحيى بن العزيز وهربوا برًّا وبحرًا وتحصّن يحيى بقلعة قسنطنطينيّة الهوآء وهرب اخواه الحارث وعبد الله الى صقليّة ودخل عبد المؤمن بجاية وملك جميع بلاد ابن العزيز بغير قتال، ثمّ انّ يحيى نزل الى عبد المؤمن بالامان فامّنه وكان يحيى قد فرح لمّا أُخذت بلاد افريقية من الحسن بن علىّ فرحًا ظهر عليه فكان يذمّه ويذكر معايبه فلم تطل المدّة حتى أُخذت بلاده ووصل الحسن بن علىّ الى عبد المؤمن فى جزاير بنى مزغنان وقد ذكرنا سنة ثلاث واربعين سبب مصيره اليها واجتمعا عنده فارسل عبد المؤمن يحيى بن العزيز[1] الى بلاد المغرب واقام بها واجرى عليه شيًّا كثيرًا، وامّا الحسن بن علىّ فانّه احسن اليه والزمه صحبته واعلى مرتبته فلزمه الى ان فتح عبد المؤمن المهديّة فجعله فيها وامر واليها ان يقتدى برايه ويرجع الى قوله، ولمّا فتح عبد المؤمن بجاية لم يتعرّض الى مال اهلها ولا غيره وسبب ذلك انّ بنى حمدون استامنوا فوفى لهم بامانه ❊

ذكر ظفر عبد المؤمن بصنهاجة

لمّا ملك عبد المؤمن بجاية تجمّعت صنهاجة فى امم لا يحصيها الّا الله تعالى وتقدّم عليهم رجل اسمه ابو قصبة واجتمع معهم من كتامة ولواتة وغيرهما خلق كثير وقصدوا حرب عبد المؤمن فارسل اليهم جيشًا كثيرًا ومقدّمهم ابو سعيد يخلف وهو من الخمسين فالتقوا فى عرض الجبل شرقىّ بجاية فانهزم ابو قصبة وقُتل اكثر مَن معه ونُهبت اموالهم وسبيت نسآؤهم وذراريهم، ولمّا فرغوا من صنهاجة ساروا الى قلعة بنى حمّاد وهى من احصن القلاع واعلاها لا تُرام على راس جبل شاهق لا يكاد الطرف يحقّقها لعلوّها ولكن القدر اذا جآء لا يمنع منه معقل ولا جيوش فلمّا راى اهلها عساكر الموحّدين

---

[1] عبد العزيز

هربوا منها فى رؤس الجبال وملكت القلعة وأُخذ جميع ما فيها من مال وغيره وحُمل الى عبد المؤمن فقسمه بين اصحابه ❊

ذكر وفاة السلطان مسعود ومُلك ملكشاه محمّد ابن محمود

فى هذه السنة اوّل رجب توفّى السلطان مسعود بن محمّد بن ملكشاه بهمدان وكان مرضه حُمّى حادّة نحو اسبوع وكان مولده سنة اثنتين وخمسمايّة فى ذى القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقىّ فلم يقُم له بعده راية يعتمد[1] بها ولا يلتفت اليها

فما كان قيس هُلْكه هُلْكُ واحد ... ولكنه بنيانُ قومٍ تهدّما

وكان رحمه الله حسن الاخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس فمن ذلك انّ اتابك زنكى صاحب الموصل ارسل اليه القاضى كمال الدين محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورىّ فى رسالة فوصل اليه واقام معه فى العسكر فوقف يومًا على خيمة الوزير حتّى قارب اذان المغرب فعاد الى خيمته فاذن المغرب وهو فى الطريق فراى انسانًا فقيهًا فى خيمة فنزل اليه فصلّى معه المغرب ثمّ ساله كمال الدين من اين هو فقال انا قاضى مدينة كذا فقال له كمال الدين القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وهو انا وانت وقاضى فى الجنّة وهو مَن لم يعرف ابواب هولاء الظلمة ولا يراهم فلمّا كان الغد ارسل السلطان واحضر كمال الدين اليه فلمّا دخل عليه وراه ضحك وقال القضاة ثلاثة فقال كمال الدين نعم يا مولانا فقال والله صدقت ما اسعد مَن لا يرانا ولا نراه ثمّ امر ان تقضى حاجته واعاده من يومه، وكان كريمًا عفيفًا عن الاموال الّا للرعايا حسن السيرة فيهم من اصلح السلاطين سيرة والينهم عريكة سهل الاخلاق لطيفًا فمن ذلك انّه اجتاز يومًا فى بعض اطراف بغداد فسمع امراة تقول لاخرى انظرى الى السلطان فوقف وقال حتّى تجىً هذه الستّ تنظر الينا، وله فضايل كثيرة ومناقب جمّة، وكان عهد الى ملكشاه ابن اخيه السلطان محمود فلمّا توفّى خطب له الامير خاص بك ورتّب الامور وقرّرها بين يديه واذعن له جميع العسكر بالطاعة

[1] يعتمد

ولمّا وصل الخبر الى بغداد بموت السلطان مسعود هرب الشحنة بها وهو مسعود بلال الى تكريت واستظهر الخليفة المقتفى لامر الله على داره ودور اصحاب السلطان ببغداد واخذ كلّ ما لهم فيها وكلّ من كان عنده وديعة لاحد منهم احضرها بالديوان وجمع الخليفة الرجال والعساكر واكثر التجنيد وتقدّم باراقة الخمور من مساكن اصحاب السلطان ووجد فى دار مسعود بلال شحنة بغداد كثير من الخمر فاريق ولم يكن الناس يظنّون انّه شرب الخمر بعد الحجّ وقبض على المؤيّد الألوسىّ الشاعر وعلى الحيص بيص الشاعر ثم اطلق الحيص بيص واعيد عليه ما اخذ منه، ثم انّ السلطان ملكشاه سيّر سلاركرد فى عسكر الى الحلّة فدخلها فسار اليه مسعود بلال شحنة بغداد واظهر له الاتّفاق معه فلمّا اجتمعا قبض عليه مسعود بلال وغرّقه واستبدّ بالحلّة فلمّا علم الخليفة ذلك جهّز العساكر اليه مع عون الدين ابن هبيرة فسار اليه فلمّا قاربوا الحلّة عبر مسعود بلال الفرات اليهم وقاتلهم فانهزم من عسكر الخليفة ونادى اهل الحلّة بشعار الخليفة فلم يدخلها وتمّت الهزيمة عليه وعلى اصحابه فعاد [الى] تكريت وملك عسكر الخليفة الحلّة وسيّر الوزير عسكرًا الى الكوفة وعسكرًا الى واسط فملكوها ثم ان عساكر السلطان وصلت الى واسط ففارقها عسكر الخليفة، فلمّا سمع الخليفة ذلك تجهّز بنفسه وسار عن بغداد الى واسط ففارقها العسكر السلطانىّ وملكها الخليفة وسار منها الى الحلّة ثم عاد الى بغداد فوصلها تاسع عشر ذى القعدة وكانت غيبته خمسة وعشرين يومًا، ثم انّ خاص بك ابن بلنكرى قبض على الملك ملكشاه الذى خطب له بالسلطنة بعد مسعود وارسل الى اخيه الملك محمّد سنة ثمان واربعين وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده ان يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة فسار الملك محمّد اليه فلمّا وصل اجلسه على تخت السلطنة اوايل صفر وخطب له بالسلطنة وخدمه وبالغ فى خدمته وحمل له هدايا عظيمة جليلة المقدار ثم انّه دخل الى الملك محمّد ثانى يوم وصوله فقتله محمّد وقتل معه زنكى الجاندار والقى براسيهما فتفرّق اصحابهما ولم ينتطح فيهما عنزان وكان ايدغدى التركمانىّ المعروف بشملة مع

خاص بك فنهاه من الدخول الى الملك محمّد فلم ينته فقُتل ونجا شملة فنهب جشير الملك محمّد ومضى طالبًا خوزستان واخذ محمّد من اموال خاص بك شيًا كثيرًا واستقرّ محمّد فى السلطنة وتمكّن وبقى خاص بك ملقى حتّى اكلته الكلاب وكان صبيًّا تركمانيًا اتّصل بالسلطان مسعود فتقدّم على ساير الامرآء ثمّ كان هذا خاتمة امره ۞

ذكر الحرب بين نور الدين محمود وبين الفرنج

فى هذه السنة تجمّعت الفرنج وحشدت الفارس والراجل وساروا نحو نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن مُلكها فوصلوا اليه وهو بدلوك فلمّا قربوا منه رجع اليهم ولقيهم وجرى المصافّ بينهم عند دلوك واقتتلوا اشدّ قتال رءاه الناس وصبر الفريقان ثمّ انهزم الفرنج وقُتل منهم وأُسر كثير وعاد نور الدين الى دلوك فملكها واستولى عليها وممّا قيل فى ذلك

اعدتَ بعصرك هذا الانيــــق فتوح النبىّ واعصارها

فواطاتَ تاحيد احديّهـا واسررتَ من بدر انوارها

وكان مهـاجرهـا تابـعيـك وانصارنا بك انصارها

فجدّدتَ اسلام سلمانهـا وعمّر جدّك عمـارهـا

وما يوم آنبَ الا كـذا ك بل طال بالبوع اشبارها

صدمتَ عزيمتهـا صدمة اذا بتّ مع المآء احجارها

وفى تـلّ باشـر باشرتهم برجف تسور اسوارها

وان دالكتهم دلـوك فقـد شدّدتَ فصدقت اخبارها ۞

ذكر الحرب بين سنجر والغوريّة

فى هذه السنة كان بين السلطان [سنجر] وبين الغوريّة حربٌ وكانت دولتهم اوّل ما قد ظهرت واوّل من ملك منهم رجل اسمه الحسين ابن الحسن ملك جبال الغور ومدينة فيروزكوه[1] وهى تقارب اعمال غزنة وقوى امره وتلقّب بعلاء الدين وتعرّض الى اعمال ثمّ جمع جيشًا وقصد هراة محاصرًا لها فنهب عسكره ناب واوبة ومارباد من هراة الرود[2] وسار الى بلخ وحصرها فقاتله الامير قماج ومعه جمع من الغزّ فغدروا

---

[1] فيروزكره [2] والرود

به وصاروا مع الغوريّ ملك بلخ، فلمّا سمع السلطان سنجر بذلك سار اليه ليمنعه فثبت له علآء الدين واقتتلوا فانهزم الغوريّة وأُسر علآء الدين وقُتل من الغوريّة خلق كثير لا سيّما الرجّالة واحضر السلطان سنجر علآء الدين بين يديه وقال له يا حسين لو ظفرتَ بى ما كنتَ تفعل فاخرج له قيد فضّة وقال كنتُ اقيّدك بهذا واحملك الى فيروزكوه فخلع عليه سنجر وردّه الى فيروزكوه فبقى بها مدّةً، ثمّ انّه قصد غزنة وملكها حينئذ بهرام شاه بن مسعود بن محمود بن سبكتكين فلم يثبت بها بين يدى علآء الدين بل فارقها الى مدينة كرمان وهى مدينة بين غزنة والهند وسكّانها قوم يقال لهم ابغان وليست هذه بالولاية المعروفة بكرمان فلمّا فارق بهرام شاه غزنة ملكها علآء الدين الغوريّ واحسن السيرة [فى اهلها][1] واستعمل عليهم اخاه سيف الدين واجلسه على تخت المملكة وخطب لنفسه ولاخيه سيف الدين بعده، ثمّ عاد علآء الدين الى بلد الغور وامر اخاه ان يخلع على اعيان البلد خلعًا نفيسةً ويصلهم بصلاة سنيّة ففعل ذلك واحسن [اليهم، فلما][2] جآء الشتآء ووقع الثلج وعلم اهل غزنة انّ الطريق قد انقطع اليهم [فكاتبوا بهرام شاه الذى كان صاحبها واستدعوه اليهم][3] فسار نحوهم فى عسكره فلما قارب البلد ثار اهله على سيف الدين بغير قتال فاخذوه وكان العلويّون هم الذين تولّوا أَسْرَه وانهزم الذين كانوا معه فمنهم مَن نجا ومنهم مَن أُخذ ثمّ انّهم سوّدوا وجه سيف الدين واركبوه بقرة واطافوا به البلد ثمّ صلبوه وقالوا فيه اشعارًا يهجونه وغنّوا بها حتّى النسآء، فلمّا بلغ الخبر الى اخيه علآء الدين الحسين قال شعرًا معناه ان لم اقلع غزنة فى مرّة واحدة فلستُ للحسين بن الحسين ثمّ توفّى بهرام شاه وملك بعده ابنه خسروشاه وتجهّز علآء الدين للحسين وسار الى غزنة سنة خمسين وخمسمائة فلمّا بلغ الخبر الى خسروشاه سار عنها الى لهاوور وملكها علآء الدين ونهبها ثلاثة ايّام واخذ العلويّين الذين اسروا

[3]) C. P. et 740. [2]) C. P. [1]) Vid. *Journ. Asiat.* 1843, II. p. 191.

اخاه فانتقم من رؤس الجبال وخرّب محلّة تلك صُلب فيها واخذ النسآء اللواتى قيل عنهنّ انّهنّ كنّ يغنين بهجآء اخيه والغوريّة[1] فادخلهنّ حمّامًا ومنعهنّ من الخروج حتّى متن فيه واقام بغزنة حتّى اصلحها ثمّ عاد الى فيروزكوه[2] ونقل معه من اهل غزنة خلقًا كثيرًا وحملهم المخالى مملوّة ترابًا فبنى به قلعة فى فيروزكوه[2] وهى موجودة الى الآن وتلقّب بالسلطان المعظّم وحمل الجتر[3] على عادة السلاطين السلجوقيّة ء وقد تقدّم سنة ثلاث واربعين وخمسمائة من اخبارهم وفيه مخالفة لهذا فى بعض الامر وكلا سمعناه ورايناه فى مصنّفاتهم فلهذا ذكرنا الامرين واقام للحسين على ذلك مدّة واستعمل ابنىْ اخيه وهما غياث الدين وشهاب الدين ۞

ذكر مُلك غياث الدين وشهاب الدين الغوريّين

لمّا قوى امر عمّهما علاء الدين الحسين ابن الحسين استعمل العمّال والامرآء على البلاد وكان ابنا اخيه وهما غياث الدين ابو الفتح محمّد ابن سام وشهاب الدين ابو المظفّر محمّد ابن سام فيمن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة وكان غياث الدين يلقّب حينئذ شمس الدين ويلقّب الاخر شهاب الدين ء فلمّا استعملهما احسنا السيرة فى عملهما وعدلا وبذلا الاموال فمال الناس اليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما من يحسدهما الى عمّهما علاء الدين وقال انّهما يريدا الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك فارسل عمّهما يستدعيهما اليه فامتنعا وكانا قد علما الخبر فلمّا امتنعا جهّز اليهما عسكرًا مع قايد يسمّى خروش الغورىّ فلمّا التقوا انهزم خروش ومن معه وأُسر هو وابقيا عليه واحسنا اليه وخلعا عليه واظهرا عصيان عمّهما وقطعا خطبته ء فتوجّه اليهما علاء الدين وسارا هما ايضًا اليه فالتقوا واقتتلوا قتالًا شديدًا فانهزم علاء الدين وأُخذ اسيرًا وانهزم عسكره فنادى فيهم ابنا اخيه بالامان فاحضرا عمّهما واجلساه على التخت ووقفا فى خدمته فبكا علاء الدين وقال هذان صبيّان قد فعلا ما لو قدرتُ عليه منهما لم افعله واحضر

---

[1] الحور ىه [2] فيروزكره [3] حمر

القاضى فى الحال وزوّج غياث الدين بنتًا له وجعله ولىّ عهده وبقى كذلك الى ان مات ء فلمّا توفّى ملك غياث الدين بعده وخطب لنفسه فى الغور وغزنة بالملك وبقى كذلك الى ان ملك الغزّ غزنة بعد موت علآء الدين طمعوا فيها بموته وبقيت بايديهم خمس عشر سنة يصبّون على اهلها العذاب ويتابعون الظلم كعادتهم [فى] كلّ بلدة ملكوها ولو انّهم لمّا ملكوا احسنوا السيرة فى الرعايا لدام ملكهم فلم يزل الغزّ بغزنة هذه المدّة وغياث الدين يقوى امره ويحسن السيرة والناس يميلون اليه ويقصدونه محبّةً له ۞

ذكر ملك غياث الدين غزنة وما جاورها من البلاد

لمّا قوى امر غياث الدين جهّز جيشًا كثيفًا مع اخيه شهاب الدين الى غزنة فيه اصناف الغوريّة والخلج والخراسانيّة فساروا اليها فلقيهم الغزّ وقاتلهم فانهزم الغوريّة وثبت شهاب الدين فيمن ثبت معه على صاحب علمهم فقتله واخذ العلم وتركه على حاله فتراجع الغزّ ولم يكونوا علموا بما كان من شهاب الدين فجآوا يطلبون علمهم فكلّما جآء اليه طايفة قتلهم فاتى على اكثرهم ودخل غزنة وتسلّمها واحسن السيرة فى اهلها وافاض العدل وسار من غزنة الى كرمان وشنوران[1] فملكها ثمّ تعدّى الى مآء السند وعمل على العبور الى بلد الهند وقصد لهاوور[2] وبها يوميذ خسروشاه ابن بهرام شاه المقدّم ذكر والده فلمّا سمع خسروشاه بذلك سار فيمن معه الى مآء السند فمنعه من العبور فرجع عنه وقصد خرشابور فملكها وما يليها من جبال الهند واعمال الابغان والله اعلم ۞

ذكر ملك شهاب الدين لهاوور[2]

لمّا ملك شهاب الدين جبال الهند قوى امره وجنانه وعظمت هيبته فى قلوب الناس واحبّوه لحسن سيرته فلمّا خرج الشتآء واقبل الربيع من سنة تسع وسبعين وخمسماية سار نحو لهاوور[2] فى جمع عظيم وحشد كثير من خراسان والغور وغيرها فعبر الى لهاوور[2]

---

1) C. P. et 740. Ups.: سنوران   2) لهاووز

وحصرها وارسل الى صاحبها خسروشاه والى اهلها يتهدّدهم ان منعوه واعلمهم انّه لا يزول حتّى يملك البلد وبذل لخسروشاه الامان على نفسه واهله وماله ومن الاقطاع ما اراد وان يزوّج ابنته بابن خسروشاه على ان يطأ بساطه ويخطب لاخيه فامتنع عليه واقام شهاب الدين محاصرًا له مضيّقًا عليه فلمّا راى اهل البلد والعسكر ذلك ضعفت نيّاتهم فى نصرة صاحبهم فخذلوه فارسل لمّا راى ذلك قاضى البلد والخطيب يطلبوان له الامان فاجابه شهاب الدين الى ذلك وحلف له وخرج اليه ودخل الغوريّة الى المدينة وبقى كذلك شهرَيْن مكرّمًا عند شهاب الدين فورد رسول من غياث الدين الى شهاب الدين يامره بانفاذ خسروشاه اليه ۞

ذكر انقراض دولة سبكتكين

لمّا انفذ غياث الدين الى اخيه شهاب الدين يطلب انفاذ خسروشاه اليه امره شهاب الدين بالتجهّز والمسير فقال انا لا اعرف اخاك ولا لى حديث الّا معك ولا يمين الّا فى عنقك فقوّاه وطيّب قلبه وجهّزه وسيّره وسيّر معه ولده واصحبهما جيشًا يحفظونهما فسارا كارهيْن فلمّا بلغا فرشابور خرج اهلها اليهما يبكون ويدعون لهما فزجرهم الموكّلون بهما وقالوا سلطانٌ يزور سلطانًا اخر لاىّ شىءٍ تبكون وضربوهم فعادوا وخرج ولد خطيبها الى خسروشاه متوجّعًا له قال فلمّا دخلتُ عليه اعلمتُه رسالة ابى وقلتُ انّه قد اعتزل الخطابة ولا حاجة بى الى خدمة غيركم فقال لى سَلّم عليه واعطانى فرجيّةً فوطًا ومصلّى من عمل الصوفيّة وقال هذه تذكرة ابيه عند ابى فسلّمه اليه وقل له دُرّ مع الدهر كيف ما دارا وانشد بلسان فصيح

وليس كعهد الداريا امّ مالك ولكن احاطتْ بالرقاب السلاسل،

قال فانصرفتُ الى ابى وعرّفتُه الحال فبكى وقال قد ايقن الرجل بالهلاك، ثمّ رحلوا فلمّا بلغوا بلد الغور لم يجتمع بهما غياث الدين بل امر بهما فرُفعا الى بعض القلاع فكان اخر العهد بهما، وهو اخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتدآء دولتهم سنة ستّ وستّين وثلاثمائة فتكون مدّة ولايتهم مايتَىْ سنة وثلاث عشرة سنة تقريبًا وكان ملوكهم

من احسن الملوك سيرة ولا سيّما جدّهم[1] محمود فانّ اثاره فى الجهاد معروفة واعماله للاخرة مشهورة

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم　　قومٌ بابآئهم او مجدهم قعدوا

فتبارك الذى لا يزول مُلكه ولا تغيّره الدهور فأُفٍّ لهذه الدنيا الدنيّة تفعل هذا بابنآئها نسال الله تعالى ان يكشف عن قلوبنا حتّى نراها بعين الحقيقة وان يقبل بنا اليه وان يشغلنا به عمّا سواه انّه على كلّ شئٍ قدير، هكذا ذكر بعض فضلآء خراسان انّ خسروشاه اخر ملوك آل سبكتكين وقد ذكر غيره انّه توفّى فى المُلك وملك بعده ابنه ملكشاه وسنذكره فى سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبالجملة فابتدآء دولة الغوريّة عندى فيها خلفٌ لو ينكشف الحقّ واصلحه ان شاء الله تعالى ۞

ذكر الخطبة لغياث الدين بالسلطنة

لمّا استقرّ مُلكهم بلهاوور[2] واتّسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم واموالهم كتب غياث الدين الى اخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقّب بالقاب السلاطين كان لقبه شمس الدين فتلقّب غياث الدين والدنيا معين الاسلام قسيم امير المومنين ولقّب اخاه بعزّ الدين ففعل شهاب الدين ذلك وخطب له بالسلطنة ۞

ذكر مُلك غياث الدين هراة وغيرها من خراسان

لمّا فرغ شهاب الدين من اصلاح امر لهاوور وتقرير قواعدها سار الى اخيه غياث الدين فلمّا اجتمع به استقرّ رايهما على المسير الى خراسان وقصد مدينة هراة ومحاصرتها　فسارا فى العساكر الكثيرة اليها وكان بها جماعة من الاتراك السنجريّة فنازلا البلد وحصراه وضيّقا على مَن به فاستسلموا اليهما وارسلوا يطلبون الامان منهما فاجابام الى ذلك وامناهم فتسلّما البلد واخرجا مَن فيه من الامرآء السنجريّة واستناب فيه غياث الدين خزنك[3] الغورىّ وسار غياث الدين واخوه الى فوشنج[4] فملكها ثمّ الى بادغيس وكالين وبيوار فملكها ايضًا وتسلّم

---

[1]) جده　[2]) بلهاووز　[3]) Cod. 740. C. P: حربك Ups: حربد

[4]) بوسنج

ذلك جميعه غياث الدين واحسن السيرة فى اهل البلاد ورجع الى فيروزكوه[1] ورجع شهاب الدين الى غزنة وكان ينبغى انّ حوادث الغوريّة تذكر فى السنين وانّما جمعنها ليتلو بعضها بعضًا ولانّ فيه ما لم يعرف تاريخه فتركناه بحاله ٭

ذكر مُلك شهاب الدين مدينة آجرة من بلد الهند

لمّا رجع شهاب الدين من خراسان الى غزنة اقام بها حتّى اراح واستراح هو وعساكره ثم سار الى بلد الهند فحاصر مدينة آجرة وبها ملك من ملوك الهند فلم يظفر منه بطايل وكان للهندىّ زوجة غالبة على امره فراسلها شهاب الدين انّه يتزوّجها فاعادت الجواب انّها لا تصلح له وانّها لها ابنة جميلة تزوّجه ايّاها فارسل اليها يجيبها الى التزويج بابنتها فسقتْ زوجها سُمًّا فمات وسلّمتْ البلد اليه فلمّا تسلّمه اخذ الصبية فاسلمت وتزوّجها وحملها الى غزنة واجرى عليها الجرايات الوافرة ووكّل بها مَن علّمها القرآن وتشاغل عنها فتوفّيت والدتها ثم توفّيت هى بعد عشر سنين ولم يرها ولم يقربها فبنى لها مشهدًا ودفنها فيه واهل غزنة يزورون قبرها، ثم عاد الى بلد الهند فذلّ له صعابها وتيسّر له فتح الكثير من بلادهم ودوّخ ملوكهم وبلغ منهم ما لم يبلغه احد قبله من ملوك المسلمين ٭

ذكر ظفر الهند على المسلمين

لمّا اشتدّت نكاية شهاب الدين فى بلاد الهند واثخانه فى اهلها واستيلاؤه عليهم اجتمع ملوكهم وتوامروا بينهم ووبّخ بعضهم بعضًا فاتّفق رايهم على الاجتماع والتعاضد على حربه فجمعوا عساكرهم وحشدوا واقبل اليهم الهنود من كلّ فجّ عميق على الصعب والذلول وجآوا بحدّهم وحديدهم وكان الحاكم على جميع الملوك المجتمعين امراة هى من اكبر ملوكهم فلمّا سمع باجتماعهم ومسيرهم اليه تقدّم هو ايضًا اليهم فى عسكر عظيم من الغوريّة والخلج والخراسانيّة فالتقوا واقتتلوا فلم يكن بينهم كثير قتال حتّى انهزم المسلمون وركبهم

[1] فيروزكره

الهنود يقتلون ويأسرون واثخنوا فيهم واصاب شهاب الدين ضربة بطلت منها يده اليسرى وضربة اخرى على راسه سقط منها الى الارض وحجز الليل بين الفريقين فاحسّ شهاب الدين جماعة من غلمانه الاتراك في ظلمة الليل وهم يطلبونه في القتلى ويبكون وقد رجع الهنود الى ورآئهم وكلّمهم وهو على ما به من الجهد فجآؤا اليه مسرعين وحملوه على رؤسهم رجّالة يتناوبون حمله حتّى بلغوا مدينة آجرة مع الصباح وشاع خبر سلامته في الناس فجآؤا اليه يهنّونه من اقطار البلاد فاوّل ما عمل انّه اخذ امرآء الغوريّة الذين انهزموا عنه واسلموه فملأ مخالى خيلهم شعيرًا وحلف لئن لم ياكلوه ليضربنّ اعناقهم فاكلوه ضرورةً، وبلغ الخبر الى اخيه غياث الدين فارسل اليه يلومه على عجلته واقدامه وانفذ اليه جيشًا عظيمًا ☆

ذكر ظفر المسلمين بالهند

ثمّ سلم شهاب الدين وعاد الى آجرة واتاه المدد من اخيه غياث الدين وعاد الهنود جدّدوا سلاحهم ووفروا جمعهم واقاموا عوض من قُتل منهم وسارت ملكتهم وهم معها في عدد يضيق عنه الفضآء فراسلها شهاب الدين يخدعها بانّه يتزوّجها فلم تجبه الى ذلك وقالت امّا الحرب وامّا ان تسلم بلاد الهند وتعود الى غزنة فاجابها الى العود الى غزنة وانّه يستاذن اخاه غياث الدين فعل ذلك مكرًا وخديعةً، وكان بين العسكريّن نهرٌ وقد حفظ الهنود المخاضات فلا يقدر احد من المسلمين يجوزه واقاموا ينتظرون ما يكون من جواب غياث الدين بزعمهم فبينما هم كذلك اذ وصل انسانٌ هندىٌّ الى شهاب الدين واعلمه انّه يعرف مخاضًا قريبًا من عسكر الهنود وطلب ان يُرسل معه جيشًا يعبّرهم المخاض ويكبسون الهنود وهم غارّون آمنون، فخاف شهاب الدين ان تكون خديعة ومكرًا فاقام له ضمنآء من اهل آجرة والمولتان فارسل معه جيشًا كثيفًا وجعل عليهم الامير الحسين بن خرميل[1] الغوريّ وهو الذى صار بعدُ صاحب هراة وكان من الشجاعة والراى

---

1) حرميل

بالمنزلة المشهورة   فسار الجيش مع الهندىّ فعبروا النهر فلم يشعر
الهنود الّا وقد خالطهم المسلمون ووضعوا السيف فيهم فاشتغل المولّون
بحفظ المخاضات فعبر شهاب الدين وباقى العساكر واحاطوا بالهنود
واكثروا القتل فيهم ونادوا بشعار الاسلام فلم ينج من الهنود الّا من
عجز المسلمون عن قتله واسره وقُتلت ملكتهم وتمكّن شهاب الدين بعد
هذه الوقعة من بلاد الهند وامن معرّة فسادهم والتزموا له بالاموال
وسلّموا اليه الرهاين وصالحوه ، واقطع مملوكه قطب الدين ايبك مدينة
دهلى وهى كرسى الممالك التى فتحها من الهند فارسل عسكرًا من الخلج
مع محمّد ابن بختيار فملكوا من بلاد الهند مواضع ما وصل اليها مسلم
قبله حتّى قاربوا حدود الصين من جهة المشرق ، وقد حدّثنى صديق
لى من التجار بوقعتين تشبه هاتين الوقعتين المذكورتين وبينهما
بعض الخلاف وقد ذكرناها سنة ثلاث وثمانين وخمسماية ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى يعقوب الكاتب ببغداد وكان يسكن بالمدرسة
النظاميّة وحضر متولّى المتركات وختم على الغرفة التى كان يسكنها
بالمدرسة فثار الفقهآء وضربوا المتولّى وهذه عادتهم فيمن يموت بها وليس
له وارث فقبض حاجب الباب على رجلين من الفقهآء وعاقبهما وحبسهما
فاغلق الفقهآء المدرسة والقوا كرسى الوعّاظ فى الطريق وصعدوا سطح
المدرسة ليلًا واستغاثوا وتركوا الادب وكان حينيذ مدرّسهم الشيخ
ابا النجيب فجآء والقى نفسه تحت التاج يعتذر فعفى عنه ، وفيها
توفّى حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميّافارقين وكانت ولايته
نيفًا وثلاثين سنة وتولّى بعده ابنه نجم الدين البى ، وفيها مات ابو
الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الارمويّ الشافعيّ المحدّث ومولده سنة
تسع وخمسين واربعماية ، وفيها توفّى ابو الاسعد عبد الرحمن القشيرى
فى شوّال وهو شيخ شيوخ خراسان ، وفيها فى المحرّم باض ديك ببغداد
بيضة وباض بازى بيضتين وباضت نعامة لا ذكر معها بيضة ☆

سنة ٥٤٨ ثم دخلت سنة ثمان واربعين وخمسماية،

ذكر انهزام سنجر من الغزّ ونهبهم خراسان وما كان منهم

فى هذه السنة فى المحرّم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغزّ وهم طايفة من الترك مسلمون كانوا بما وراء النهر فلمّا ملك الخطا اخرجوهم منه كما ذكرنا فقصدوا خراسان وكانوا خلقًا كثيرًا فاقاموا بنواحى بلخ يرعون فى مراعيها وكان لهم امرآء اسم احدهم دينار والاخر بختيار والاخر طوطى والاخر ارسلان والاخر جغر والاخر محمود فاراد الامير قماج وهو مقطع بلخ ابعادهم فصانعوه بشىء بذلوه له فعاد عنهم فاقاموا على حالة حسنة لا يوذون احدًا ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة، ثم انّ قماج عاودهم وامرهم بالانتقال عن بلده فامتنعوا وانضمّ بعضهم الى بعض واجتمع معهم غيرهم من طوايف الترك فسار قماج اليهم فى عشرة الاف فارس فجآء اليه امرآؤهم وسالوه ان يكفّ عنهم ويتركهم فى مراعيهم ويعطونه من كلّ بيت مايتَىْ درهم فلم يجبهم الى ذلك وشدّد عليهم فى الانتزاح عن بلده فعادوا عنه واجتمعوا وقاتلوه فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره واكثروا القتل فى العسكر والرعايا واسترقّوا النسآء والاطفال وعملوا كلّ عظيمة وقتلوا الفقهآء وخرّبوا المدارس، وانتهت الهزيمة بقماج الى مرو وبها السلطان سنجر فاعلمه الحال فراسلهم سنجر يتهدّدهم فامرهم بمفارقة بلاده فاعتذروا وبذلوا بذلًا كثيرًا ليكفّ عنهم ويتركهم فى مراعيهم فلم يجبهم الى ذلك وجمع عساكره من اطراف البلاد واجتمع معه ما يزيد على مايَة الف فارس وقصدهم ووقع بينهم حربٌ شديدٌ فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو ايضًا وتبعهم الغزّ قتلًا وأسرًا فصار قتلى العسكر كالتلال وقُتل علآء الدين قماج وأُسر [السلطان سنجر وأُسر][1] معه جماعة من الامرآء [فامّا الامرآء][2] فضربوا اعناقهم وامّا السلطان سنجر فانّ امرآء الغزّ اجتمعوا وقبّلوا الارض بين يديه وقالوا نحن عبيدك لا نخرج عن طاعتك فقد علمنا انّك لم ترد قتالنا وانّما غُلبتَ عليه فانت السلطان ونحن العبيد

[2]) C. P. [1]) C. P. et 740.

فمضى على ذلك شهران او ثلاثة ودخلوا معه الى مرو وهي كرسي مُلك خراسان وطلبها منه بختيار اقطاعًا فقال السلطان هذه دار الملك ولا يجوز ان تكون اقطاعًا لاحد فضحكوا منه وحنق له بختيار بفمه[1] فلمّا راى ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانكاه مرو وتاب عن الملك واستولى الغزّ على البلاد وظهر منهم من الجور ما لم يُسمع بمثله وولّوا على نيسابور واليًا فقسّط على الناس كثيرًا وعسفهم وضربهم وعلق في الاسواق ثلاث غراير وقال اريد ملئ هذه ذهبًا فثار عليه العامّة فقتلوه ومَن معه فركب الغزّ ودخلوا نيسابور ونهبوها نهبًا مجحفًا وجعلوها قاعًا صفصفًا وقتلوا الكبار والصغار واحرقوها، وقتلوا القضاة والعلمآء في البلاد كلّها فمّن [قُتل] الحسين ابن محمّد الارسابَنْدي[2] والقاضى على ابن مسعود والشيخ محي الدين محمّد ابن يحيى واكثر الشعرآء في مراثي محمّد ابن يحيى فمّن قال فيه على ابن ابرهيم الكاتب

مضى الذى كان يجنى الدرّ من فيه يسبيل بالفضل والافضال واديه
مضى ابن يحيى الذى قد كان صوب حيا لا بر شهر ومصباحًا لراجيه
خلا خراسان من علم ومن ورع لمّا نعاه الى الآفاق ناعيه
لمّا اماتوه مات الدين وأسفًا مَن ذا الذى بعد محي الدين يحييه

وبتعذّر وصف ما جرى منهم بتلك البلاد جميعها ولم يسلم من خراسان شيئًا لم تنهبه الغزّ غير هراة ودهستان لانّها كانت حصينة فامتنعت، وقد ذكر بعض مورّخى خراسان من اخبارهم ما فيه زيادة وضوح[3] وقال انّ هولآء الغزّ قوم انتقلوا من نواحي الثغر من اقاصى الترك الى ما ورآء النهر في ايّام المهدى واسلموا واستنصر بهم المقنّع صاحب المخاريق الشعبذة حتّى تمّ امره فلمّا سارت العساكر اليه خذله هولآء الغزّ واسلموه وهذه عادتهم في كلّ دولة كانوا فيها وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخاقانيّة الّا انّ الاتراك القارغليّة[4] تبعوهم وطردوهم عن اوطانهم، فدعاهم الامير زنكى ابن خليفة الشيبانيّ المستولى على حدود طخارستان اليه وانزلهم بلاده وكانت بينه وبين الامير قماج عداوة

---

1) بغمه 2) الارسانبدى 3) ضوح 4) الفارعلية

احكمتها الايّام للمجاورة الّذ بينهما وكلّ منهما يريد ان يعلو على الاخر ويحكم عليه فيقوى بهم زنكى وساروا معه الى بلخ لمحاربة تماج فكاتبهم تماج فمالوا اليه وخذلوا زنكى عند الحرب فاخذ زنكى وابنه اسبيرين فقتل تماجُ ابنَ زنكى وجعل يطعم اباه لحمه ثمّ قتل الاب ايضًا واقطع تماج الغزّ مواضع واباحهم مراعى بلاده، فلمّا قام الحسين ابن الحسين الغورى وقصد بلخ خرج اليه تماج وعسكره ومعه الغزّ ففارقه الغزّ وانضمّوا الى الغوريّ حتّى ملك مدينة بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ ففارقها الغوريّ بعد قتال انهزم منه ثمّ دخل [الى] السلطان سنجر لعجزه عن مقاومته فردّه الى غزنة، وبقى الغزّ بنواحى طخارستان وفى نفس تماج منهم الغيظ العظيم لما فعلوه معه فاراد صرفهم عن بلاده فتجمّعوا وانضمّ اليهم طوايف من الترك وقدّموا عليهم ارسلان موقا التركىّ فجمع تماج عسكره ولقيهم فاقتتلوا يومًا كاملًا الى الليل فانهزم تماج وعسكره وأُسر هو وابنه ابو بكر فقتلوهما واستولوا على نواحى بلخ وعاثوا فيها وافسدوا بالنهب والقتل والسلب، وبلغ السلطان سنجر الخبر فجمع عساكره وسار اليهم فراسلوه يعتذرون ويتنصّلون فلم يقبل عذرهم ووصل اليهم مقدّمة السلطان وفيها محمّد بن ابى بكر ابن تماج المقتول والمؤيّد اى[1] أبه فى المحرّم من سنة ثمان واربعين وخمسماية ووصل بعدهم السلطان سنجر فالتقاه الغزّ بعد ان ارسلوا يعتذرون ويبذلون الاموال والطاعة والانقياد الى كلّ ما يومرون به فلم يقبل سنجر ذلك منهم وسار اليهم فلقوه وقاتلوه وصبروا له ودام قتالهم فانهزم عسكر سنجر وهو معهم فتوجّهوا الى بلخ على اقبح صورة وتبعهم الغزّ واقتتلوا مرة ثانيةً فانهزم السلطان سنجر ايضًا ومضى منهزمًا الى مرو فى صفر من السنة فقصد الغزّ اليها فلمّا سمع العسكر الخراسانىّ بقربهم منهم اجفلوا من بين ايديهم هاربين لما دخل فى قلوبهم من خوفهم والرعب منهم فلمّا فارقها السلطان والعسكر دخلها الغزّ ونهبوها افحش نهب واقبحه وذلك فى جمادى الاولى من السنة وقُتل

---

1) اى

بها كثير من اهلها واعيانها منهم قاضى القضاة الحسن ابن محمّد الارسَبَنْدىّ[1] والقاضى علىّ ابن مسعود وغيرهما من الايمّة العلمآء، ولمّا خرج سنجر من مرو قصد بوزابة واخذه الغزّ اسيرًا واجلسوه على تخت السلطنة على عادته وقاموا بين يديه وبذلوا له الطاعة ثمّ عاودوا الغارة على مرو فى رجب من السنة فمنعهم اهلها وقاتلوهم قتالًا شديدًا بذلوا فيه جهدهم وطاقتهم ثمّ انّهم عجزوا فاستسلموا اليهم فنهبوها اقبح من النهب الاوّل لم يتركوا بها شيًا وكان قد فارق سنجر جميع امرآء خراسان ووزيره طاهر ابن فخر المُلك ابن نظام المُلك ولم يبق عنده غير نفر يسير من خواصّه وخدمه فلمّا وصلوا الى نيسابور احضروا الملك سليمان شاه ابن السلطان محمود فوصل الى نيسابور تاسع عشر جمادى الاخرة من السنة فاجتمعوا عليه وخطبوا له بالسلطنة وسار فى هذا الشهر جماعة من العسكر السلطانىّ الى طايفة كثيرة من الغزّ فاوقعوا بهم وقتلوا منهم كثيرًا وانهزم الباقون الى امرآيهم الغزّيّة فاجتمعوا معهم ولمّا اجتمعت العساكر على المُلك سليمان شاه وساروا الى مرو يطلبون الغزّ فبرز الغزّ اليهم فساعة رآهم العسكر الخراسانىّ انهزموا وولّوا على ادبارهم وقصدوا نيسابور وتبعهم الغزّ فمرّوا بطوس وهى معدن العلمآء والزهّاد فنهبوها وسبوا نسآءها وقتلوا رجالها وخرّبوا مساجدها ومساكن اهلها ولم يسلم من جميع ولاية طوس الّا البلد الذى فيه مشهد علىّ ابن موسى الرضى ومواضع اخر يسيرة لها اسوارٌ وممّن قُتل من اعيان اهلها امامها محمّد المارشكىّ[2] ونقيب العلويّين بها علىّ المُوسوىّ وخطيبها اسمعيل ابن الحُسن وشيخ شيوخها محمّد ابن محمّد وافنوا مَن بها من الشيوخ الصالحين وساروا منها الى نيسابور فوصلوا اليها فى شوّال سنة تسع واربعين ولم يجدوا دونها مانعًا ولا مدافعًا فنهبوها نهبًا ذريعًا وقتلوا اهلها فاكثروا حتّى ظنّوا انّهم لم يُبقوا بها احدًا حتّى انّه أُحصى فى محلّتَيْن خمسة عشر الف قتيل من الرجال دون النسآء والصبيان وسبوا نسآءها واطفالها واخذوا

---

[1] الارسانيدى [2] المارسكى

اموالها وبقى القتلى فى الدروب كالتلال بعضهم فوق بعض واجتمع اكثر اهلها بالجامع المنيعى تحصّنوا به فحصرهم الغزّ فعجز اهل نيسابور عن منعهم فدخل الغزّ اليهم فقتلوهم عن اخرهم وكانوا يطلبون من الرجال المال فاذا اعطاهم قتلوه وقتلوا كثيراً من ايمّة العلمآء والصالحين منهم محمّد ابن يحيى الفقيه الشافعىّ الذى لم يكن فى زمانه مثله كان رحلة الناس من اقصى الغرب والشرق اليه ورثاه جماعة من العلمآء منهم ابو الحسن علىّ ابن ابى القاسم البَيْهقىّ فقال

يا سافكًا دم عالم متبحّر　　قد طار فى اقصى الممالك صيتُه

بالله قُل لى يا ظلوم ولا تخف　　من كان محيى الدين كيف تميتُه

ومنهم الزاهد عبد الرحمن ابن عبد الصمد الاكّاف واحمد ابن الحسين الكاتب سبط القُشَيْرىّ وابو البركات الفُراوىّ والامام علىّ الصبّاغ المتكلّم واحمد ابن محمّد بن حامد وعبد الوهّاب المقاباذىّ والقاضى صاعدبين بن عبد الملك ابن صاعد والحسن ابن عبد الحميد الرازىّ وخلق كثير من الايمّة والزُهّاد والصالحين واحرقوا ما بها من خزاين الكتب ولم يسلم الّا بعضها، وحصروا شارستان[1] وهى منيعة فاحاطوا بها وقاتلهم اهلها من فوق سورها وقصدوا جوين وبذلوا نفوسهم لله تعالى واحموا بيضتهم والباقى اتى النهب والقتل عليه ثم قصدوا اسفراين فنهبوها وخرّبوها وقتلوا فى اهلها فاكثروا وممّن قُتل عبد الرشيد الاشعثىّ وكان من اعيان دولة السلطان فتركها واقبل على الاشتغال بالعلم وطلب الاخرة وابو الحسن الفَنْدُورجىّ[2] وكان من ذوى الفضايل لا سيّما فى علم الادب، ولمّا فرغ الغزّ من جوين واسفراين عادوا نيسابور فنهبوا ما بقى فيها بعد النهب الاوّل وكان قد لحق بشهرستان كثير من اهلها فحصرهم الغزّ واستولوا عليها ونهبوا ما كان فيها لاهلها ولاهل نيسابور ونهبوا الحرم والاطفال وفعلوا ما لم يفعله الكفّار مع المسلمين وكان العيّارون ايضًا ينهبون نيسابور اشدّ من نهب الغزّ ويفعلون اقبح من فعلهم، ثم ان السلطان سليمان شاه

---

[1] سارستان　[2] الفندروجى

ضعف وكان قبيح السيرة سيئ التدبير وانّ وزيره طاهر ابن فخر الملك ابن نظام الملك توفّى فى شوّال سنة ثمان واربعين فضعف امره واستوزر سليمان شاه بعده ابنه نظام الملك ابا علىّ الحسن ابن طاهر واختلّ امر دولته بالكلّيّة ففارق خراسان فى صفر سنة تسع واربعين وعاد الى جرجان فاجتمع الامرآء وراسلوا الخان محمود ابن محمّد بن بُغراخان وهو ابن اخت السلطان سنجر وخطبوا له على منابر خراسان واستدعوه اليهم فملّكوه امورهم وانقادوا له فى شوّال سنة تسع واربعين وخمسمائة وساروا معه الى الغزّ وهم يحاصرون هراة وجرت بينهم حروبٌ كان الظفر فى اكثرها للغزّ ورحلوا فى جمادى الاولى من سنة خمسين وخمسمائة وساروا معهم[1] مَن على هراة الى مرو وعاودوا المصادرة لاهلها، وسار الخان محمود ابن محمّد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيّد على ما نذكره وراسل الغزّ فى الصلح فاصطلحوا فى رجب من سنة خمسين وخمسمائة هدنةً على دخن وسيرد باقى اخبارهم سنة اثنتين وخمسين ۞

ذكر ملك المؤيّد نيسابور وغيرها

كان للسلطان سنجر مملوك اسمه اى[2] ابة ولقبه المؤيّد فلمّا كانت هذه الفتنة تقدّم وعلا شانه واطاعه كثير من الامرآء فاستولى على نيسابور وطوس ونسا وابيورد وشهرستان والدامغان وازاح الغزّ عن الجميع وقتل منهم خلقًا كثيرًا واحسن السيرة وعدل فى الرعيّة واستمال الناس ووفّر الخراج على اهله وبالغ فى مراعاة ارباب البيوت فاستقرّت البلاد له ودانت له الرعيّة لحسن سيرته وعظم شانه وكثرت جموعه فراسله خاقان محمود ابن محمّد فى تسليم البلاد والحضور عنده فامتنع وتردّدت الرسل بينهم حتى استقرّ على المؤيّد مال يحمله الى الملك محمود فكفّ عنه محمود واقام المؤيّد بالبلاد هو والسلطان محمود ۞

ذكر ملك ايتاخ الرىّ

كان ايتاخ[3] احد مماليك السلطان سنجر فلمّا كان من فتنة الغزّ ما ذكرناه هرب من خراسان ووصل الى الرىّ فاستولى عليها واقام بها

[1] معه [2] اى [3] ايماخ

وراسل السلطان محمّد شاه ابن محمود صاحب همذان واصفهان وغيرهما بخدمه وعاداه وارضاه واظهر له الطاعة وبقى بها الى ان مات السلطان محمّد فاستولى على عدّة بلاد تجاور الرىّ فملكها فعظم امره وعلا شانه وصارت عساكره عشرة الاف فارس فلمّا ملك سليمان شاه همذان على ما نذكره حضر عنده واطاعه لأنسه به كان ايّامَ مقام سليمان شاه بخراسان فتقوّى امره بذلك ۞

ذكر قتل ابن السلار وزير الظافر ووزارة عبّاس

فى هذه السنة فى المحرّم قُتل العادل ابن السلار وزير الظافر بالله قتله ربيبه عبّاس بن ابى الفتوح بن يحيى الصنهاجىّ اشار عليه بذلك الامير اسامة بن منقذ ووافق عليه الخليفة الظافر بالله فامر ولده نصرًا فدخل على العادل وهو عند جدّته امّ عبّاس فقتله وولى الوزارة بعده ربيبه عبّاس وكان عبّاس قد قدم من المغرب كما ذكرناه الى مصر وتعلّم الخياطة وكان خيّاطًا حسنًا فلمّا تزوّج ابن السلار بامّه احبّه واحسن تربيّته فجازاه بان قتله وولى بعده، وكانت الوزارة فى مصر لمن غلب والخلفآء ورآء الحجاب والوزرآء كالمتملّكين وقلّ ان وليها احدٌ بعد الافضل الّا بحرب وقتل وما شاكل ذلك فلذلك ذكرناهم فى تراجم مفردة والله اعلم ۞

ذكر الحرب بين العرب وعساكر عبد المؤمن

فى هذه السنة فى صفر كانت الحرب بين عسكر عبد المؤمن والعرب عند مدينة سطيف[1] وسبب ذلك انّ العرب وهم بنو هلال والاثبج[2] وعدى ورياح[3] وزغب وغيرهم من العرب لمّا ملك عبد المؤمن بلاد بنى حمّاد اجتمعوا[4] من ارض طرابلس الى اقصى المغرب وقالوا ان جاورنا عبد المؤمن اجلانا من المغرب وليس الراى الّا اللقآء الجدّ معه واخراجه من البلاد قبل ان يتمكّن وتحالفوا على التعاون والتظافر وان لا يخون بعضهم بعضًا وعزموا على لقايه بالرجال والاهل والمال ليقاتلوه قتال الحريم واتّصل الخبر بالملك رجّار الفرنجىّ صاحب صقليّة فارسل الى

---

[1] سطيف ([2] والاثبج ([3] ورباح ([4] واجتمعوا (

امراء العرب وهم محرز بن زياد وجبارة بن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم يحثّهم على لقآء عبد المؤمن ويعرض عليهم ان يرسل اليهم خمسة الاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على شرط ان يرسلوا اليه الرهاين فشكروه وقالوا ما بنا حاجة الى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين وساروا فى عدد لا يُحصى وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية الى بلاد المغرب فلمّا بلغه خبرهم جهّز من المُوَحّدين ما يزيد على ثلاثين الف فارس واستعمل عليهم عبد الله بن عُمر الهنتاتى وسعد الله بن يحيى وكان العرب اضعافهم فاستجرّهم المُوَحّدون وتبعهم العرب الى ان وصلوا الى ارض سَطيف بين جبال فحمل عليهم عسكر عبد المؤمن والعرب على غير اهبّة والتقى الجمعان واقتتلوا اشدّ قتال واعظمه فانجلت المعركة عن انهزام العرب ونصرة المُوَحّدين وترك العرب جميع ما لهم من اهل ومال واثاث ونعم فاخذ المُوَحّدون جميع ذلك وعاد الجيش الى عبد المؤمن بجميعه فقسم جميع الاموال على عسكره وترك النسآء والاولاد تحت الاحتياط ووكّل بهم من الخدم الخصيّان مَن يخدمهم ويقوم بحوايجهم وامر بصيانتهم فلمّا وصلوا معه الى مرّاكش انزلهم فى المساكن الفسيحة واجرى لهم النفقات الواسعة وامر عبد المؤمن ابنه محمدًا ان يكاتب امرآء العرب ويُعلمهم انّ نسآءهم واولادهم تحت الحفظ والصيانة وانّه قد بذل لهم الامان والكرامة فلمّا وصل كتاب محمّد الى العرب سارعوا الى المسير الى مرّاكش فلمّا وصلوا اليها اعطاهم عبد المؤمن نسآءهم واولادهم واحسن اليهم واعطاهم اموالًا جزيلة فاسترقّ قلوبهم بذلك واقاموا عنده وكان بهم حفيًّا واستعان بهم على ولاية ابنه محمّد للعهد على ما نذكره سنة احدى وخمسين ۞

ذكر مُلك الفرنج مدينة بونة وموت رجّار ومُلك ابنه غليالم[1]

فى هذه السنة سار اسطول رجّار ملك الفرنج بصقليّة الى مدينة بونة وكان المقدّم عليهم فتاه فيلب[2] المهدوىّ فحصرها واستعان بالعرب عليها فاخذها فى رجب وسبى اهلها وملك ما فيها غير انّه اغضى عن

---

1) غليالم Ups: قناوقلب C. P: فتاة فلب C. 740: فتاة فلب (2

جماعة من العلمآء والصالحين حتّى خرجوا باهليهم واموالهم الى القرى فاقام بها عشرة ايّام وعاد الى المهديّة وبعض الاسرى معه وعاد الى صقليّة فقبض رجّار عليه لما اعتمد من الرفق بالمسلمين فى بونة وكان فيلب[1] يقال انّه وجميع فتيانه مسلمون يكتمون ذلك وشهدوا عليه انّه لا يصوم مع الملك وانّه مسلم فجمع له رجّار الاساقفة والقسوس والفرسان فحكموا بان يُحرق فاحرق فى رمضان وهذا اوّل وَهْن دخل على المسلمين بصقليّة ولم يمهل الله رجّار بعده الّا يسيرًا حتّى [مات] فى العشر الاوّل من ذى الحجّة من السنة وكان مرضه الخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة وكان مُلكه نحو عشرين سنة ولمّا مات ملك بعده ابنه غليالم[2] وكان فاسد التدبير سىّٓ التصوير فاستوزر مايو البرصانى[3] فاسآء التدبير فاختلفت عليه حصون من جزيرة صقليّة وبلاد قلورية وتعدّى[4] الامر الى افريقية على ما نذكره ۞

ذكر وفاة بهرام شاه صاحب غزنة

فى هذه السنة فى رجب توفّى السلطان بهرام شاه بن مسعود بن ابرهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وكانت ولاية بهرام شاه ستًّا وثلاثين سنة وكان عادلاً حسن السيرة جميل الطريقة محبًّا للعلمآء مُكرمًا لهم باذلاً لهم الاموال الكثيرة جامعًا للكتب تُقرا بين يديه ويفهم مضمونها ولمّا مات ملك ولده خسروشاه المُلك بعده ۞

ذكر مُلك الفرنج مدينة عسقلان

فى هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان وكانت من جملة مملكة الظافر بالله العلوىّ المصرىّ وكان الفرنج كلّ سنة يقصدونها ويحصرونها فلا يجدون الى مُلكها سبيلًا وكان الوزرآء بمصر لهم الحكم فى البلاد والخلفآء معهم اسم لا معنىً تحته وكان الوزرآء كلّ سنة يرسلون اليها من الذخاير والاسلحة والاموال والرجال مَن يقوم بحفظها، فلمّا كان فى هذه السنة قُتل ابن السلار على ما ذكرناه واختلفت الاهوآء

---

1) C. 740: فيلب C. P: قملب Ups: قيلب

2) عليالم

3) C. P: مابو البُحرانى 740: مابو البرصانى Ups: المرصاى

4) تعد

في مصر وولى عبّاس الوزارة والى ان استقرّت قاعدة اغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان فاجتمعوا وحصروها فصبر اهلها وقاتلوهم قتالاً شديداً حتّى انّهم بعض الايّام قاتلوا خارج السور وردّوا الفرنج الى خيامهم مقهورين وتبعهم اهل البلد اليها فايس حينئذ الفرنج من مُلكه فبينا هم على عزم الرحيل واذا قد اتاهم الخبر انّ البلد قد وقع بين اهله [خلاف] وقتل منهم قتلى فصبروا وكان سبب هذا الاختلاف انّهم لمّا عادوا عن قتال الفرنج قاهرين منصورين ادّعى كلّ طايفة منهم انّ النصرة من جهتهم كانت وانّهم هم الذين ردّوا الفرنج خاسرين فعظم الخصام بينهم الى ان قُتل من احدى الطايفتين قتيل واشتدّ الخطب وعظم حينئذ وتفاقم الشرّ ووقعت الحرب بينهم فقُتل بينهم قتلى فطمع الفرنج وزحفوا اليه وقاتلوا عليه فلم يجدوا من يمنعهم فملكوه ❁

ذكر حصر عسكر الخليفة تكريت وعودهم عنها

في هذه السنة سيّر الخليفة المقتفى لامر الله عسكراً الى تكريت ليحصروها وارسل معهم مقدّماً عليهم [ابن] الوزير عون الدين ابن هبيرة وترشك وهو من خواصّ الخليفة وغيرهما فجرى بين ابن الوزير[1] وترشك منافرة اوجبت ان كتب ابن الوزير يشكوا من ترشك فامر الخليفة بالقبض على ترشك فعرف ذلك فارسل الى مسعود بلال صاحب تكريت وصالحه وقبض على ابن الوزير ومَن معه من المقدّمين وسلّمهم الى مسعود بلال [فانهزم العسكر وغرق منه كثير وسار مسعود بلال][2] وترشك من تكريت الى طريق خراسان فنهبا وافسدا فسار المقتفى عن بغداد لدفعهما فهربا من بين يديه فقصد تكريت فحصرها ايّاما وجرى له مع اهلها حروب من وراء السور فقُتل من العسكر جماعة بالنشاب فعاد الخليفة عنها ولم يملكها ❁

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وصلت مراكب من صقلّية فيها جمع من الفرنج فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصريّة، وفيها كان بين الكُرج بارمينيّة

---

[1]) الى البدر

[2]) C. P. et 740.

وبين قُلتقف صاحب ارزن الروم مصاف وحربٌ شديدٌ وانهزم قُلتقف واسره الكُرج ثم اطلقوه، وفيها توفى ابو العبّاس احمد ابن ابى غالب الورّاق المعروف بابن الطلاية الزاهد البغدادىّ بها وكان من الصالحين وله حديث وروايةٌ، وتوفى عبد الملك بن عبد الله بن ابى سهل ابو الفتح بن ابى القاسم الكَرُوخىّ[١] الهروىّ راوى جامع الترمذىّ ومولده سنة اثنتين ومن طريقه سمعناه ۞

سنة ٥٤٩ ثم دخلت سنة تسع واربعين وخمسمائة،

ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفايز

فى هذه السنة فى المحرّم قُتل الظافر بالله ابو المنصور اسمعيل ابن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوىّ صاحب مصر وكان سبب [قتله] انّ وزيره عبّاسًا كان له ولدٌ اسمه نصرٌ فاحبّه الظافر وجعله من ندمآيه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة فاتّفق ان قدم من الشام مؤيّد الدولة الامير اسامة ابن مُنقذ الكنانىّ فى وزارة ابن السلار واتّصل بعبّاس فحسّن له قتل العادل ابن السلار زوج أُمّه فقتله وولّاه الظافر الوزارة فاستبدّ بالامر وتمّ له ذلك وعلم الامرآء والاجناد انّ ذلك من فعل ابن مُنقذ فعزموا على قتله فخلا بعبّاس وقال له كيف تصبر على ما اسمع من قبيح القول قال وما ذلك قال الناس يزعمون انّ الظافر يفعل بابنك نصر وكان نصر خصيصًا بالظافر وكان مُلازمًا له ليله ونهاره وكان من اجمل الناس صورةً وكان الظافر يُتّهم به فانزعج لذلك وعظم عليه وقال كيف الحيلة قال تقتله فيذهب عنّا العار فذكر الحال لولده نصر فاتّفقا على قتله، وقيل انّ الظافر اقطع نصر ابن عبّاس قرية قليوب وهى من اعظم قرى مصر فدخل اليه مؤيّد الدولة ابن منقذ وهو عند ابيه عبّاس قال له نصر قد اقطعنى مولانا قرية قليوب فقال له مؤيّد الدولة ما هى فى مهرك بكثير فعظم عليه وعلى ابيه وانف من هذه الحال وشرع فى قتل الظافر فامر ابنه فحضر نصر عند الظافر وقال له اشتهى ان تجىّ الى دارى لدعوة صنعتُها ولا

---

[١] الكروجى

تكثر من الجمع تمشى معه فى نفر يسير من الخدم نبلا فلمّا دخل الدار قتله ومن معه وافلت خويدم صغير اختفى فلم يروه ودفن القتلى فى داره واخبر اباه عبّاسًا الخبر فبكّر الى القصر وطلب من الخدم الخصيصين بخدمة الظافر ان يطلبوا له اذنًا فى الدخول عليه لامر يريد ان ياخذ رايه فيه فقالوا انّه ليس فى القصر فقال لا بُدّ منه وكان غرضه ان ينفى التهمة عنه بقتله وان يقتل كلّ من بالقصر ممّن يخاف ان ينازعه فيمن يقيمه فى الخلافة فلمّا الحّ عليهم عجزوا عن احضاره فبينما هم يطلبونه حايرين دهشين لا يدرون ما الخبر اذ وصل اليهم الخويدم الصغير الذى شاهد قتله وقد هرب من دار عبّاس عند غفلتهم عنه واخبرهم بقتل الظافر فخرجوا الى عبّاس وقالوا له سل ولدك عنه فانّه يعرف اين هو لانّهما خرجا جميعًا فلمّا سمع ذلك منهم قال اريد ان اعترض[1] القصر لئلّا يكون قد اغتاله احدٌ من اهله فاستعرض القصر فقتل اخَوَيْن للظافر وهما يوسف وجبريل واجلس الفايز بنصر الله ابا القسم عيسى بن الظافر بامر الله اسمعيل ثانى يوم قُتل ابوه وله من العمر خمس سنين فحمله عبّاس على كتفه واجلسه على سرير الملك وبايع له الناس واخذ عبّاس من القصر من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة ما اراد ولم يترك فيه الّا ما لا خير فيه ۞

ذكر وزارة الملك الصالح ابن رُزّيك

كان السبب فى وزارة الملك الصالح ابن رُزّيك انّ عبّاسًا لمّا قتل الظافرَ واقام الفايز ظنّ انّ الامر يتمّ له على ما يريده فكان الحال خلاف ما اعتقده فانّ الكلمة اختلفت عليه وثار به الجند والسودان وصار اذا امر بالامر لا يلتفت اليه ولا يسمع قوله فارسل من بالقصر من النسآء والخدم الى الصالح طلايع ابن رُزّيك يستغيثون به وارسلوا شعورهم على الكتب وكان فى منية بنى خصيب واليًا عليها وعلى اعمالها وليست من الاعمال الجليلة وانّما كانت اقرب الاعمال اليهم وكان فيه شهامة فجمع ليقصد عبّاسًا وسار اليه فلمّا سمع عبّاس ذلك خرج من مصر

---

[1] اعبر

نحو الشام بما معه من الاموال التى لا تحصى كثرة والتحف والاشياء التى لا توجد الّا هناك ممّا كان اخذه من القصر فلمّا سار وقع به الفرنج فقتلوه واخذوا جميع ما معه فتقوّوا به، وسار الملك الصالح فدخل القاهرة باعلام سود وثياب سود حزنًا على الظافر والشعور التى أُرسلت اليه من القصر على روّس الرماح وكان هذا من الفال العجيب فانّ الاعلام السود العبّاسيّة دخلتها وازالت الاعلام العلويّة بعد خمس عشرة سنة، ولمّا دخل الصالح القاهرة خلع عليه خلع الوزارة واستقرّ فى الامر واحضر الخادم الذى شاهد قتل الظافر فاراه موضع دفنه فاخرجه ونقله الى مقابرهم بالقصر ولمّا قتل الفرنج عبّاسًا اسروا ابنه فارسل الملك الصالح الى الفرنج وبذل لهم مالًا واخذه منهم فسار من الشام مع اصحاب الصالح فلم يكلّم احدًا منهم كلمة واحدة الى ان راى القاهرة فانشد

بلى نحن كنّا اهلها فابادنا صروف الليالى والجدود العواثر

وادخل القصر فكان اخر العهد به فانّه قُتل وصُلب على باب زويلة واستقصى الصالح البيوت الكبّار والاعيان بالديار المصريّة فاملك اهلها وابعدهم عن ديارهم واخذ اموالهم فنهم مَن هلك ومنهم مَن تفرّق فى البلاد والحجاز واليمن وغيرها فعل ذلك خوفًا منهم ان يثوروا عليه وينازعوه فى الوزارة، وكان ابن مُنقذ قد هرب مع عبّاس فلمّا قُتل هرب الى الشام ❊

ذكر حصر تكريت ووقعة بكَمْزا[1]

فى هذه السنة ارسل الخليفة المقتفى لامر الله رسولًا الى والى تكريت بسبب مَن عندهم من الماسورين وهم ابن الوزير وغيره فقبضوا على الرسول فسيّر الخليفة عسكرًا اليهم فخرج اهل تكريت فقاتلوا العسكر ومنعوه من الدخول الى البلد فسار الخليفة بنفسه مستهلّ صفر فنزل على البلد فهرب اهله فدخل العسكر فشعثوا ونهبوا بعضه ونصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقًا فسقط من اسوارها برج وبقى الحصر كذلك الى الخامس وعشرين من ربيع الاوّل وامر الخليفة

[1]) C. P. et 740. Ups: نَجْرا

بالقتال والزحف فاشتدّ القتال وكثر القتلى ولم يبلغ منها غرضًا فرحل عايدًا الى بغداد فدخلها اخر الشهر، ثمّ امر الوزير عون الدين ابن هبيرة بالعود الى محاصرتها والاستعداد والاستكثار من الالات للحصار فسار اليها سابع ربيع الاخر ونازلها وضيّق عليها فوصل الخبر بانّ مسعود بلال وصل الى شهرابان ومعه البقش كون خر[1] وترشك وعسكر كثير ونهبوا البلاد فعاد الوزير الى بغداد، وكان سبب وصول هذا العسكر انّهم حثّوا الملك محمّد ابن السلطان محمود على قصد العراق فلم يتهيّأ له ذلك فسيّر هذا العسكر وانضاف اليهم خلق كثير من التركمان فخرج الخليفة اليهم فارسل بلال مسعود الى تكريت واخرج منها الملك ارسلان ابن السلطان طغرل ابن محمّد وكان محبوسًا بتكريت وقال انّ هذا سلطان تقاتل بين يديه بازآء الخليفة والتقى العسكران عند بكمزا[2] بالقرب من يعقوبا ودام بينهم المناوشة والمحاربة ثمانية عشر يومًا ثمّ انّهم التقوا اخر رجب فاقتتلوا فانهزمت ميمنة عسكر الخليفة وبعض القلب حتّى بلغت الهزيمة بغداد ونُهبت خزاينه وقُتل خازنه فحمل الخليفة بنفسه هو وولىّ عهده وصاح يآل هاشم كذب الشيطان وقرأ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا[3] وحمل باقى العسكر معه فانهزم مسعود والبقش وجميع مَن معهم وتمّت الهزيمة وظفر الخليفة بهم وغنم عسكره جميع مال التركمان من دوابّ وغنم وغير ذلك فبيع كلّ كبش بدانق وكانوا قد حضروا بنسآيهم واولادهم وخركاواتهم وجميع مالهم فأُخذ جميعه ونودى مَن اخذ من اولاد التركمان ونسآيهم شيًا فليردّه فردّوه، فاخذ البقش كون خر الملك ارسلان وانهزم الى بلد اللحف[4] وقلعة الماعكين، وفى هذه الحرب غدر بنو عوف من عسكر الخليفة ولحقوا بالعجم ومضى هندى الكردىّ ايضًا معهم وكان الملك محمّد قد ارسل عسكرًا مع خاصّ بك ابن اقسنقر نجدةً لكون خر فلمّا وصلوا الى الراذان[5] بلغهم خبر الهزيمة فعاد ورجع الخليفة الى بغداد فدخلها اوايل شعبان، فوصل الخبر انّ مسعود بلال وترشك

[1]) Ubique كون خز [2]) نكمرا [3]) Cor. 33, 25. [4]) اللجف [5]) الرادان

قصدوا مدينة واسط فنهبوا وخرّبوا فسيّر الخليفة الوزير ابن هبيرة فى عسكر خامس عشر شعبان فانهزم العجم فلحقهم عسكر الخليفة ونهب منهم شيئًا كثيرًا وعاد الى بغداد فلقّب الوزير سلطان العراق ملك الجيوش وسيّر الخليفة عسكرًا الى بلد اللحف[1] فاخذه وصار فى جملته، وامّا الملك الب ارسلان ابن طغرل فانّ البقش اخذه معه الى بلده فارسل اليه الملك محمّد يقول له ليحضر عنده وارسلان معه فات البقش كون خر فى رمضان فى هذه السنة وبقى ارسلان مع ابن البقش وحسن الجاندار فحملاه [الى] الجبل فخاف السلطان محمّد ان يصل ارسلان الى زوج أُمّه ابى بكر فيجعله ذريعة الى قهر البلاد فلم ينفعه حذره واتّصل ارسلان بابى بكر زوج امّه فصار معه وهو اخو بهلوان ابن ايلدكز[2] لامّه وطغرل الذى قتله خوارزم شاه ولد[3] هذا ارسلان وكان طغرل اخر السلجقويّة

ذكر مُلك نور الدين محمود مدينة دمشق

فى هذه السنة فى صفر ملك نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر مدينة دمشق واخذها من صاحبها مجير الدين أُنر ابن محمّد بن بورى بن طغدكين اتابك وكان سبب حرصه على ملكها انّ الفرنج لمّا ملكوا فى العام الماضى مدينة عسقلان لم يكن لنور الدين طريق الى ازعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان فلمّا ملك الفرنج عسقلان طمعوا فى دمشق حتّى انّهم استعرضوا كلّ مَن بها من مملوك وجارية من النصارى فمَن اراد المقام بها تركوه ومَن اراد العود الى وطنه اخذوه قهرًا شآء صاحبه ام أَبَى وكان لهم على اهلها كلّ سنة قطيعة ياخذونها منهم فكان رسلهم يدخلون البلد وياخذونها منهم فلمّا راى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى حينئذ للمسلمين بالشام مقام فاعمل الحيلة فى اخذها حيث علم انّها لا تُملك قوّةً لانّ صاحبها متى راى غلبةً ممّن يقصده راسل الفرنج واستعان بهم لئلّا يملكها مَن يقوى بها على قتالهم فراسل مجيرَ الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودّة حتّى وثق اليه فكان

---

[1]) اللحف [2]) ايلدكر [3]) C. P. et 740. Ups: وكذا

نور الدين يقول له فى بعض الاوقات انّ فلانًا قد كاتبنى فى تسليم دمشق يعين بعض امرآء مجير الدين فكان يبعد الذى قيل عنه ويأخذ اقطاعه فلمّا لم يبق عنده من الامرآء احدٌ قدّم اميرًا يقال له عطا ابن حفاظ السلمىّ الخادم وكان شهمًا شجاعا وفوّض اليه امر دولته فكان نور الدين لا يتمكّن معه من اخذ دمشق فقبض عليه مجير الدين وقتله فسار نور الدين حينئذ الى دمشق وكان قد كاتب مَن بها من الاحداث واستمالهم فوعدوه بالتسليم اليه فلمّا حصر نور الدين البلد ارسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم الاموال وتسليم قلعة بعلبكّ اليهم لينجدوه ويرحّلوا نور الدين عنه فشرعوا فى جمع فارسهم وراجلهم ليرحّلوا نور الدين عن البلد فالى ان اجتمع لهم ما يريدون تسلّم نور الدين البلد فعادوا بخُفّى حنين؛ واما كيفيّة تسليم دمشق فانّه لمّا حصرها ثار[1] الاحداث الذين راسلهم فسلّموا اليه البلد من الباب الشرقىّ وملكه وحصر مجير الدين فى القلعة وراسله فى تسليمها وبذل له اقطاعًا من جملته مدينة حمص فسلّمها اليه وسار الى حمص واعطاه عوضًا عنها بالس فلم يرضها وسار منها الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها دارًا بالقرب من النظاميّة وتوفّى بها ۞

ذكر قصد الاسماعيليّة خراسان والظفر بهم

فى هذه السنة فى ربيع الاخر اجتمع جمع كثير من الاسماعيليّة من قهستان بلغت عدّتهم سبعة الاف رجل ما بين فارس وراجل وساروا يريدون خراسان لاشتغال عساكرها بالغزّ وقصدوا اعمال خَوَاف وما يجاورها فلقيهم الامير فرخشاه ابن محمود الكاسانىّ[2] فى جماعة من حشمه واصحابه فعلم انّ لا طاقة له بهم وسار عنهم وارسل الى الامير محمّد ابن أُنر وهو من اكابر امرآء خراسان واشجعهم يعرّفه الحال وطلب منه المسير اليهم بعسكره ومَن قدر عليه من الامرآء ليجتمعوا عليهم ويقاتلوهم فسار محمّد ابن أُنر فى جماعة من الامرآء وكثير من العسكر واجتمعوا لهم وفرخشاه ودافعوا الاسماعيليّة وقاتلوهم وطال

[1] صار   [2] C. P. 740: اركاسانى Ups: الكلشانى

الحرب بينهم ثم نصر الله المسلمين وانهزم الاسماعيلية وكثر القتل فيهم واخذهم السيف من كل مكان وهلك اعيانهم وساداتهم بعضهم قتل وبعضهم أسر ولم يسلم منهم الا القليل الشريد وخلت قلاعهم وحصونهم من حام ومانع فلولا اشتغال العساكر بالغزّ لكانوا ملكوها بغير تعب ولا مشقة واراحوا المسلمين منهم ولكن لله امر هو بالغه ۞

ذكر مُلك نور الدين تل باشر

في هذه السنة او الّتي بعدها ملك نور الدين محمود ابن زنكى قلعة تلّ باشر وهي شماليّ حلب من امنع القلاع وسبب مُلكها انّ الفرنج لمّا رأوا مُلك نور الدين دمشق خافوه وعلموا انّه يقوى عليهم ولا يقدرون على الانتصاف منه لما كانوا يرون منه قبل مُلكها فراسله مَن بهذه القلعة من الفرنج وبذلوا له تسليمها فسيّر اليهم الامير حسان المنبجيّ وهو من اكابر امرآئه وكان اقطاعه ذلك الوقت مدينة منبج وهي تقارب تلّ باشر وامره ان يسير اليها ويتسلّمها فسار اليها وتسلّمها منهم وحصّنها ورفع اليها من الذخاير ما يكفيها سنين كثيرة ۞

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة مات استاذدار ابو الفتوح عبد الله ابن هبة الله بن المظفّر بن رئيس الرؤسآء وكان له صدقات ومعروف كثير ومجالسة الفقرآء ولمّا مات ولي الخلافة ابنه الاكبر عضد الدين ابا الفرج محمّد بن عبد الله ما كان الى ابيه، وتوفّي عبد الرحمن بن عبد الصمد بن احمد بن عليّ ابو القسم الاكّاف النيسابوريّ كان زاهدًا عابدًا فقيهًا مناظرًا وكان السلطان سنجر يزوره ويتبرّك بدعآئه وكان ربّما حجبه فلا يمكنه من الدخول اليه، وفيها توفّي ثقة الدولة ابو الحسن عليّ ابن محمّد الزُوينيّ القزوينيّ وكان يخدم ابا نصر محمّد ابن الفرج الابريّ وزوّجه ابنته شهدة الكاتبة فقرّبه المقتفى لامر الله وولّاه فبنى مدرسة بباب الازج[1] ۞

---

[1] الارج

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة، سنة ٥٥٠

في هذه السنة سار الخليفة المقتفى لامر الله الى دقوقا فحصرها وقاتل من بها ثم رحل عنها لانه بلغه ان عسكر الموصل قد تجهزوا للمسير لمنعه عنها فرحل ولم يبلغ غرضًا، وفيها استولى شملة التركمانى على خوزستان وصاحبه حينئذ ملكشاه محمود ابن محمد فسيّر الخليفة اليه عسكرًا فلقيهم شملة فى رجب وقاتلهم فانهزم عسكر الخليفة وأُسر وجوههم ثم احسن اليهم شملة واطلقهم وارسل يعتذر فقبل عذره وسار الى خوزستان فلكها وازاح عنها ملكشاه ابن السلطان محمود ابن محمد، وفيها سار الغزّ الى نيسابور فلكوها بالسيف فدخلوها وقتلوا محمد ابن يحيى الفقيه الشافعىّ ونحوًا من ثلاثين الفًا وكان السلطان سنجر له اسم السلطنة وهو معتقل لا يلتفت اليه حتى انه اراد كثيرًا من الايام ان يركب فلم يكن له من يحمل سلاحه فشدّه على وسطه وركب وكان اذا قدم اليه طعام يدّخر منه ما ياكله وقتًا اخر خوفًا من انقطاعه عنه لتقصيرهم فى واجبه ولانهم ليس هذا مما يعرفونه، وفيها وثب قسوس الارمن بمدينة آنى[1] فاخذوها من الامير شدّاد وسلّموها الى اخيه فضلون، وفيها فى ذى الحجة قتل الاتراك القارغليّة طمغاج خان ابن محمد بما وراء النهر والقوه فى الصحراء ونسبوه الى اشياء قبيحة وكان مدة مُلكه مستضعفًا غير مهيب، وفيها توفى ابو الفضل محمد بن ناصر بن علىّ البغدادىّ الحافظ الاديب وكان مشهورًا بالفضل وكان شافعيًّا وصار حنبليًّا مُغاليًا ومولده سنة سبع وستين واربعمائة فى شعبان وكان موته ايضًا فى شعبان، وفيها كان بالعراق وما جاوره من البلاد زلزلة كبيرة فى ذى الحجة، وفيها توفى يحيى الغسّانىّ النحوىّ الموصلىّ وكان فاضلًا خيّرًا، وتاج الدين ابو طاهر يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزورىّ[2] قاضى جزيرة ابن عمر ٭

---

1) اى 2) السهزروری

سنة ٥٥١ ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسماية،

ذكر عصيان الجزاير وافريقية على ملك الفرنج بصقلّية وما كان منهم

قد ذكرنا سنة ثمان واربعين وخمسماية موت رجّار ملك صقلّية ومُلك ولده غليالم وانّه كان فاسد التدبير فخرج عن حكمه عدّة من حصون صقلّية فلمّا كان هذه السنة قوى طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جزيرة جربة[1] وجزيرة قرقنة واظهروا الخلاف عليه وخالف عليه اهل افريقية فاوّل مَن اظهر الخلاف عليه عمر ابن ابى الحسين الفُرّيانى[2] بمدينة سفاقس وكان رجّار قد استعمل عليها لمّا فتحها اباه ابا الحسين وكان من العلمآء الصالحين فاظهر العجز والضعف وقال استعمل ولدى فاستعمله واخذ اباه رهينة الى صقلّية فلمّا اراد المسير اليها قال لولده عمر انّنى كبير السنّ وقد قارب اجلى فتى امكنتك الفرصةُ فى الخلاف على العدوّ فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر فى انّنى اقتل واحسب انى قد مُتُّ، فلمّا وجد هذه الفرصة دعا اهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلّهم فقالوا له انّ سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو امرنى بهذا واذا قتل بالشيخ الوف من الاعدآء فما مات فلم تطلع الشمس حتّى قتلوا الفرنج عن اخرهم وكان ذلك اوّل سنة احدى وخمسين وخمسماية، ثم اتبعه يحيى ابن مطروح بطرابلس وبعدهما محمّد ابن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فملكها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهديّة وسوسة، وارسل عمر ابن [ابى] الحسين الى زويلة وهى مدينة بينها وبين المهديّة نحو ميدان يحرضهم على الوثوب على مَن معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فاعانوا اهلها على مَن بالمهديّة من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهديّة، فلمّا اتصل الخبر بغاليالم ملك صقلّية احضر ابا الحسين وعرّفه ما عمل ابنه فامره ان يكتب اليه ينهاه من ذلك ويامره بالعود الى طاعته ويخوّفه عاقبة فعله

[1] جربه   [2] العرياني

فقال أمّن قدم على هذا يرجع بكتاب فارسل ملك صقلّية اليه رسولاً يتهدّده ويامره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلمّا كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى الرسول يقول له هذا ابى قد دفنته وقد جلستُ للعزآء به فاصنعوا به ما اردتم فعاد الرسول الى غليالم فاخبره بما صنع عمر ابن ابى الحسين فاخذ اباه وصلبه فلم يزل يذكر الله تعالى حتّى مات، وامّا اهل زويلة فانّهم كثر جمعهم بالعرب واهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهديّة وضيّقوا عليها وكانت الاقوات بالمهديّة قليلة فسيّر اليهم صاحب صقلّية عشرين شينيًا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وارسلوا الى العرب بذلوا لهم مالاً لينهزموا وخرجوا من الغد فاقتتلوا هم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقى اهل زويلة واهل سفاقس وركبوا فى البحر فنجوا وبقى اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا ابوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتّى قُتل اكثرهم ولم ينج الّا القليل فتفرّقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فلمّا قُتلوا هرب مَن سلم من الحرم والصبيان والشيوخ فى البرّ ولم يعرّجوا على شئٍ من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا مَن وجدوا فيها من النسآء والاطفال ونهبوا الاموال واستقرّ الفرنج بالمهديّة الى ان اخذها منهم عبد المؤمن على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر القبض على سليمان شاه وحبسه بالموصل

فى هذه السنة قبض زين الدين علىّ كوجك نايب قطب الدين مودود ابن زنكى ابن اقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمّد ابن ملكشاه وكان سليمان شاه عند عمّه السلطان سنجر قديمًا وقد جعله ولىّ عهده وخطب له على منابر خراسان فلمّا جرى لسنجر مع الغزّ ما ذكرناه وتقدّم على عسكر خراسان وضعفوا عن الغزّ مضى الى خوارزم شاه فزوّجه ابنة اخيه اتسيس[1] ثم

---

[1]) اقسيس

بلغه عنه ما كرهه فابعده فجآء الى اصفهان فنعه شحنتها من الدخول فضى الى قاشان فسيّر اليه محمّد شاه ابن اخيه محمود ابن محمّد عسكرًا ابعدوه عنها فسار الى خوزستان فنعه ملكشاه عنها فقصد اللحف[1] ونزل البندنيجيّين[2] وارسل رسولًا الى الخليفة المقتفى يُعلمه بوصوله وتردّدت الرسل بينهما الى ان استقرّ الامر على ان يرسل زوجته تكون رهينة فارسلها الى بغداد ومعها كثير من الجوار والاتباع وقال قد ارسلتُ هولآء رهاين فان اذن امير المومنين فى دخول بغداد فعلتُ والّا رجعتُ فاكرم الخليفة زوجته ومَن معها واذن له فى القدوم اليه فقدم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلثمايّة رجل فخرج ولد الوزير ابن هبيرة يلتقيه ومعه قاضى القضاة والنقيبان ولم يترجّل له ابن الوزير ودخل بغداد وعلى راسه الشمسة وخلع عليه الخليفة واقام ببغداد الى ان دخل المحرّم من سنة احدى وخمسين وخمسمايّة فاحضر فيه سليمان شاه الى دار الخليفة واحضر قاضى القضاة والشهود واعيان العبّاسيّين وحلف للخليفة على النصح والموافقة ولزوم الطاعة وانّه لا يتعرّض الى العراق بحال فلمّا حلف خُطب له ببغداد ولقب القاب ابيه غياث الدنيا والدين وباقى القابه وخلع عليه خلع السلطنة وسيّر معه من [عسكر][3] بغداد ثلاثة الاف فارس وجعل الامير قويدان[4] صاحب الحلّة امير حاجب معه وسار نحو بلاد الجبل فى ربيع الاوّل وسار الخليفة الى حلوان وارسل الى ملكشاه ابن السلطان محمود اخى السلطان محمّد صاحب همذان وغيرها يدعوه الى موافقته فقدم فى الفَىْ فارس فحلف كلّ منهما لصاحبه وجعل ملكشاه ولىّ عهد سليمان شاه وقوّاهما الخليفة بالمال والاسلحة وغيرها فساروا واجتمعوا ثمّ وايلدكز[5] فصاروا فى جمع كبير فلمّا سمع السلطان محمّد خبرهم ارسل الى قطب الدين مودود صاحب الموصل ونايبه زين الدين يطلب منهما المساعدة ويبذل لهما البذول الكثيرة ان ظفر فاجاباه الى ذلك ووافقا فقويت نفسه وسار الى لقآء سليمان شاه ومَن اجتمع معه من

---

1) اللحف
2) السدحس
3) C. P. Ups: قوسران
4) C. P. 740: قويدان
5) ايلدكر

عساكره ووقعت الحرب بينهم فى جمادى الاولى واشتدّ القتال بين الفريقَين فانهزم سليمان شاه ومَن معه وتشتّتت العسكر ووصل من عسكر الخليفة وكانوا ثلاثة الاف رجل نحو من خمسين رجلًا ولم يقتل منهم احدٌ وانّما أُخذت خيولهم واموالهم وتشتّتوا وجآءوا متفرّقين وفارق سليمان شاه ايلدكز[1] وسار نحو بغداد على شهرزور فخرج اليه زين الدين علىّ فى جماعة من عسكر الموصل وكان بشهرزور الامير بزان[2] مقطعًا لها من جهة زين الدين وسارا فوقفا على طريق سليمان شاه فاخذاه اسيرًا وحمله زين الدين الى قلعة الموصل وحبسه بها مكرمًا محترمًا الى ان كان من امره ما نذكره سنة خمس وخمسين ان شآء الله فلمّا قبض سليمان شاه ارسل زين الدين الى السلطان محمود يعرّفه ذلك ووعده المعاضدة على كلّ ما يريده منه والمساعدة له والله اعلم ✿

ذكر حصر نور الدين قلعة حارم

فى هذه السنة سار نور الدين محمود ابن زنكى الى قلعة حارم وهى للفرنج ثم لبيمند[3] صاحب انطاكيّة وهى تقارب انطاكيّة من شرقيها وحصرها وضيّق على اهلها وهى قلعة منيعة فى نحور المسلمين فاجتمعت الفرنج مَن قرب منها ومَن بَعُد وساروا نحوه ليرحّلوه عنها وكان بالحصن شيطان من شياطينهم يعرفون عقله ويرجعون الى رايه فارسل اليهم يقول انّنا نقدر على حفظ القلعة وليس بنا ضعف فلا تخاطروا انتم باللقآء فانّه ان هزمكم اخذها وغيرها والراى مطاولته فارسلوا اليه وصالحوه على ان يعطوه نصف اعمال حارم فاصطلحوا على ذلك ورحل عنهم فقال بعض الشعرآء

البستَ دين محمّد يا نوره ... عزًّا له فوق السُّها اسادُ
ما زلت قشمله بجياد القنا ... حتّى تثقّف عوده الميّادُ
لم يبق مذ ارهفتَ عزمك دونه ... عددٌ يُراع به ولا استعدادُ
انّ المنابر لو تطيق تكلّمًا ... حمدتْك عن خطبآئها الاعوادُ
ملك باطراف الفرنجة كلكلا ... طرفاه ضرب صادق وجلادُ

---

1) ايلدكر 2) C. P. 740 et Ups: بران 3) لسمند

حاموا فلمّا عاينوا خوض الردا — حاموا فرايس كيدهم او كادُوا
ورای البرنس وقد تبرنس ذلّة — حزمًا لحازم والمصاد مصادُ
من منكر ان ينسف السلّ النزق — وابوه ذاك العارض المدادُ
او ان يعيد الشمس كاسفة السنآء — نار لها ذاك الشهاب زنادُ
لا ينفع الاباء ما سمكوا[1] من الـ — علياء حتّى يرفع[2] الاولادُ

وهي طويلة ۞

ذكر وفاة خوارزم شاه اتسيز[3] وغيره من الملوك

فى هذه السنة تاسع جمادى الاخرة توفّى خوارزم شاه اتسيز[3] ابن محمّد ابن انوشتكين[4] وكان قد اصابه فالج فتعالج منه فلم يبرأ فاستعمل ادوية شديدة الحرارة بغير امر الاطبّاء فاشتدّ مرضه وضعفت قوّته فتوفّى وكان يقول عند الموت ما اغنى عنّى ماليه هلك عنى سلطانيه وكانت ولادته[5] فى رجب سنة تسعين واربعمائة ولمّا توفّى ملك بعده ابنه ارسلان فقتل نفرًا من اعمامه وسمل اخًا له فمات بعد ثلاثة ايّام وقيل بل قتل نفسه وارسل الى السلطان سنجر وكان قد هرب من أسر الغزّ على ما نذكره ببذل الطاعة والانقياد فكتب له منشورًا بولاية خوارزم وسيّر الخلع له فى رمضان فبقى فى ولايته ساكنًا امنًا وكان اتسيز[3] حسن السيرة كافًّا عن اموال رعيّته منصفًا لهم محبوبًا اليهم موثرًا للاحسان والخير اليهم وكان الرعيّة معه بين امن غامر وعدل شامل، وفى سابع عشر الشهر المذكور توفّى ابو الفوارس ابن محمّد ابن ارسلان شاه ملك كرمان وملك بعده ابنه سلجوق شاه، وفيها توفّى الملك مسعود ابن قلج ارسلان بن سليمان قتلمش صاحب قونية وما يجاورها من بلاد الروم وملك بعده ابنه قلج ارسلان ۞

ذكر هرب السلطان سنجر من الغزّ

فى هذه السنة فى رمضان هرب السلطان سنجر ابن ملكشاه من اسر الغزّ وجماعة من الامرآء الذين معه وسار الى قلعة ترمذ واستظهر بها على الغزّ وكان خوارزم شاه اتسيز ابن محمّد بن انوشتكين[4] والخاقان

[1]) C. P. et 740. Ups: سلكوا
[2]) C. P. et 740. Ups: ترفع
[3]) اقسيز
[4]) انوستكين
[5]) ولادته

محمود ابن محمّد يقصدان الغزّ فيقاتلانهم فيمن معهما فكانت الحرب بينهم سجالاً وغلب كلّ واحد من الغزّ والخراسانيّين على ناحية من خراسان فهو ياكل دخليا لا راس لهم يجمعهم وسار السلطان سنجر من ترمذ الى جيحون يريد العبور الى خراسان فاتّفق انّ مقدّم الاتراك القارغليّة[1] اسمه علىّ بك توفّى وكان اشدّ شى [على] السلطان سنجر وعلى غيره كثير الشرّ والفساد واثارة الفتن فلمّا توفّى اقبلت القارغليّة[1] على السلطان سنجر وكذلك غيرهم من ساير الامم من اقاصى البلاد وادانيها وعاد الى دار ملكه بمرو فى رمضان فكانت مدّة اسره مع الغزّ من سادس جمادى الاولى سنة ثمان واربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمسماية ۞

ذكر البيعة لمحمّد ابن عبد المؤمن بولاية عهد ابيه

فى هذه السنة امر عبد المؤمن بالبيعة لولده محمّد بولاية عهده وكان الشرط والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر ان يلى عمر الامر بعد عبد المؤمن فلمّا تمكّن عبد المؤمن من الملك وكثر اولاده احبّ ان ينقل الملك اليهم فاحضر امرآء العرب من هلال وزغب وعدى وغيرهم اليه ووصلهم واحسن اليهم ووضع عليهم من يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له نريد ان تجعل لنا ولىّ عهد من ولدك يرجع الناس اليه بعدك ففعلوا ذلك فلم يجبهم اكرامًا لعمر ينتىّ لعلوّ منزلته فى الموحّدين وقال لهم انّ الامر لابى حفص عمر ، فلمّا علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن واجاب الى خلع نفسه فحينئذ بويع لمحمّد بولاية العهد وكتب الى جميع بلاده بذلك وخطب له فيها جميعها فاخرج عبد المؤمن فى ذلك اليوم من الاموال شيأً كثيرًا ۞

ذكر استعمال عبد المؤمن اولاده على البلاد

فى هذه السنة استعمل عبد المؤمن اولاده على البلاد فاستعمل ولده ابا محمّد عبد الله على بجاية واعمالها واستعمل ابنه ابا الحسن عليًّا على فاس واعمالها وولّى ابنه ابا سعيد سبتة والجزيرة الخضرا ومالقة وكذلك

---

1) القارغلية

غيرهم ولقد سلك فى استعمالهم طريقًا عجيبًا وذلك انّه كان قد استعمل على البلاد شيوخ المُوحّدين المشهورين من اصحاب المهدى محمّد ابن تومرت وكان يتعذّر عليه ان يعزلهم فاخذ اولادهم وتركهم عنده يشتغلون فى العلوم فلمّا تمهّروا فيها وصاروا يقتدى بهم قال لابآيهم انى اريد ان تكونوا عندى استعين بكم على ما انا بصدده ويكون اولادكم فى الاعمال لانّهم علمآء فقهآء فاجابوا الى ذلك وهم فرحون مسرورون فولّى اولادهم ثمّ وضع عليهم بعضهم ممّن يعتمد عليه فقال انى ارى امرًا عظيمًا قد فعلتموه فارقتم فيه الحزم والادب فقالوا وما هو فقال اولادكم فى الاعمال واولاد امير المومنين ليس لهم منها شىٌ مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة وانى اخاف ان ينظر فى هذا فتسقط منزلتكم عنده فعلموا صدق القايل فحضروا عند عبد المومن وقالوا نحبّ ان تستعمل على البلاد السادة اولادك فقال لا افعل فلم يزالوا حتّى فعل ذلك لهم بسوالهم ايّاه ✿

ذكر حصر السلطان محمّد بغداد

فى هذه السنة فى ذى الحجّة حصر السلطان محمّد بغداد وسبب ذلك انّ السلطان محمّد ابن محمود كان قد ارسل الى الخليفة يطلب ان يخطب له ببغداد والعراق فامتنع الخليفة من اجابته الى ذلك فسار من همدان فى عساكر كثيرة نحو العراق ووعده اتابك قطب الدين صاحب الموصل ونايبه زين الدين علىّ بارسال العساكر اليه نجدةً له على حصر بغداد فقدم العراق فى ذى الحجّة سنة احدى وخمسين واضطرب الناس ببغداد وارسل الخليفة يجمع العساكر فاقبل خطلوبرس[1] فى عسكر واسط ورحل مهلهل الى الحلّة فاخذها واهتمّ الخليفة وعون الدين ابن هبيرة بامر الحصار وجمع جميع السفن وقطع الجسر وجعل الجميع تحت التاج ونودى منتصف المحرّم سنة اثنتين وخمسين ان لا يقيم احدٌ بالجانب الغربىّ فاجفل الناس واهل السواد ونُقلت الاموال الى حريم دار الخلافة وخرّب الخليفة قصر عيسى والمربّعة والقريّة والمستجدة والنجمى

---

[1] خطلوبرس

ونهب اصحابه ما وجدوا وخرّب اصحاب محمّد شاه نهر القلابين والتوثة¹ وشارع ابن رزق الله وباب الميدان وقُتُلْفُتا واما اهل الكرخ واهل باب البصرة فانّهم خرجوا الى عسكر محمّد وكسبوا معهم اموالاً كثيرةً ، وعبر السلطان محمّد فوق حرى الى الجانب الغربيّ ونهبت اونا واتّصل به زين الدين هناك وساروا فنزل محمّد شاه عند الرملة وفرّق الخليفة السلاح على الجند والعامّة ونصب المنجنيقات والعرّادات ، فلمّا كان فى العشرين من المحرّم ركب عسكر محمّد شاه وزين الدين علىّ ووقفوا عند الرقّة ورموا بالنشاب الى ناحية التاج فعبر اليهم عامّة بغداد فقاتلوهم ورموهم بالنفط وغيره ثمّ جرى بينهم عدّة حروب وفى ثالث صفر عاودوا القتال واشتدّت الحرب وعبر كثير من اهل بغداد سباحةً وفى السفن فقتلوا وكان يومًا مشهودًا ولم تزل الحرب بينهم كلّ وقت وعمل الجسر على دجلة وعبر عليه اكثر العسكر الى الجانب الشرقىّ وصار القتال فى الجانبين وبقى زين الدين فى الجانب الغربىّ ، وامر الخليفة فنودى كلّ مَن جُرح فله خمسة دنانير فكان كلّما جُرح انسان يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير فاتّفق انّ بعض العامّة جُرح جرحًا ليس بكبير فحضر الوزير يطلب الدنانير فقال له الوزير ليس هذا الجرح بشىء فعاود القتال فضُرب فانشقّت جوفه وخرج شىء من شحمها فحُمل الى الوزير فلمّا رءاه قال يا مولانا الوزير ايرضيك هذا فضحك منه واضعف له ورتّب له مَن يعالج جراحته الى ان برئ ، وتعذّرت الاقوات فى العسكر الّا انّ اللحم والفواكه والخضر كثيرة وكانت الغلّات ببغداد كثيرة لانّ الوزير كان يفرّقها فى الجند عوض الدنانير فيبيعونها فلم تزل الاسعار عندهم رخيصة الّا انّ اللحم والفاكهة والخضر قليل عندهم واشتدّ الحصار على اهل بغداد لانقطاع الموادّ عنهم وعدم المعيشة لاهلها ، وكان زين الدين وعسكر الموصل غير مجدّين فى القتال لاجل الخليفة والمسلمين وقيل لانّ نور الدين محمود ابن زنكى وهو اخو قطب الدين صاحب الموصل الاكبر ارسل الى زين الدين يلومه على

---

¹) C. P: القابين والتوثة :740 القلابين والتوبه :.Ups العلابين والبونه

قتال الخليفة ففتر واقصر ولم تزل الحرب فى اكثر الايّام وعمل السلطان محمّد شاه اربعمائة سلّم ليصعد الرجال فيها الى السور وزحفوا وقاتلوا ففتح اهل بغداد ابواب البلد وقالوا اىّ حاجة بكم الى السلاليم هذه الابواب مفتحة فادخلوا منها فلم يقدروا على ان يقربوها ، فبينما الامر على ذلك اذ وصل الخبر الى السلطان محمّد انّ اخاه ملكشاه وايلدكز[1] صاحب بلاد ارّان ومعه الملك ارسلان ابن الملك طغرل ابن محمّد وهو ابن امراة ايلدكز[1] قد دخلوا همدان واستولوا عليها واخذوا اهل الامرآء الذين مع محمّد شاه واموالهم فلمّا سمع محمّد شاه ذلك جدّ فى القتال لعلّه يبلغ مناه فلم يقدر على شىٔ ورحل عنها نحو همدان الرابع والعشرين من ربيع الاوّل سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وعاد زين الدين الى الموصل وتفرّق ذلك الجمع على عزم العود اذا فرغ محمّد شاه من اصلاح بلاده فلم يعودوا يجتمعون ، وفى كثرة حروبهم لم يقتل بينهم الّا نفر يسير وامّا الجراح كان كثيرًا ولمّا ساروا نهبوا يعقوبا وغيرها من طريق خراسان ، ولمّا رحل العسكر عن بغداد اصاب اهلها امراض شديدة حادّة وموت كثير للشدّة التى مرّت بهم ، وامّا ملكشاه ويلدكز[1] ومن معهما فانّهم ساروا من همدان الى الرىّ فخرج اليهم اينانج[2] شحنتها وقاتلهم فهزموه فارسل الملك محمّد الامير سقمس ابن قيماز[3] الحرامىّ فى عسكر نجدةً لاينانج[2] فسار سقمس وكان ايلدكز[1] وملكشاه ومن معهما قد[4] عادوا من الرىّ يريدون محاصرة الخليفة فلقيهم سقمس وقاتلهم فهزموه ونهبوا عسكره واثقالهم فاحتاج الملك محمّد الى الاسراع فسار فلمّا بلغ حُلوان بلغه انّ ايلدكز[1] بالدينور واتاه رسول من نايبه اينانج[2] انّه دخل همدان واعاد الخطبة له فيها فقويت نفسه وهرب شملة صاحب خوزستان الى بلاده وتفرّق اكثر جمع ايلدكز[1] وملكشاه وبقيا فى خمسة الاف فارس فعادا الى بلادهما شبه الهارب ، ولمّا دخل محمّد شاه همدان اراد التجهّز لقصد بلاد ايلدكز فابتدا به مرض السلّ وبقى به الى ان مات ۞

---

[1] ايلدكر [2] اسانج [3] قيمار [4] وقد

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل أُطلق ابو الوليد البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت ولمّا قدم بغداد خرج اخوه والموكب يستلقونه وكان يومًا مشهودًا وكان مقامه فى الحبس يزيد على ثلاث سنين ، وفيها احترقت بغداد فى ربيع الاخر وكثر الحريق بها واحترق درب فراشا ودرب الدوابّ ودرب اللبّان وخرابة ابن حربة والظفريّة والخاتونيّة ودار الخلافة وباب الازج[1] وسوق السلطان وغير ذلك ، وفيها فى شوّال قصد الاسماعيليّة طبس[2] بخراسان فاوقعوا بها وقعة عظيمة واسروا جماعة من اعيان دولة السلطان ونهبوا اولادهم ودوابّهم وقتلوا فيهم ، وفيها فى ذى القعدة توفّى شيخ الاسلام ابو المعالى الحسن ابن عبيد الله ابن احمد بن محمّد المعروف بابن الرزّاز بنيسابور وهو من اعيان الافاضل ، وفى هذه السنة توفّى مريد الدين ابن بيسان[3] رئيس آمد والحاكم فيها على صاحبها وولى ما كان اليه بعده ابنه كمال الدين ابو القسم ، وتوفّى ابو الحسن علىّ ابن الحسين الغزنوىّ الواعظ المشهور ببغداد وكان قدم اليها سنة ستّ عشرة وخمسمائة وكان له قبول عظيم عند السلاطين والعامّة والخلفآء الّا انّ المقتفى اعرض عنه بعد موت السلطان مسعود لاقبال السلطان عليه وكان موته فى المحرّم ، وتوفّى ابو الحسن ابن الخلّ الفقيه الشافعىّ شيخ الشافعيّة ببغداد وكان يؤمّ بالخليفة فى الصلاة ، وتوفّى ابن الامدىّ الشاعر وهو من اهل النيل من اعيان الشعرآء فى طبقة الغزىّ والارّجانىّ وكان عمره قد زاد على تسعين سنة ، وفيها قُتل مظفّر ابن حمّاد ابن ابى الخير صاحب البطيحة قتله نفيس ابن فضل ابن ابى الخير فى الحمام وولى بعده ، وفيها توفّى الواوا الحلبىّ الشاعر المشهور ، وفيها فى رمضان توفّى الحكيم ابو جعفر ابن محمّد البخارىّ باسفرائين وكان عالمًا بعلوم الحكمآء الاوايل ۞

---

[1] الارج   [2] طبس   [3] Cfr. *Edrisi*, vol. I. p. 453.   بيسان

سنة ٥٥٢ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسماية ،

ذكر الزلازل بالشام

فى هذه السنة فى رجب كان بالشام زلازل كثيرة قويّة خرّبت كثيرًا من البلاد وهلك فيها ما لا يُحصى كثرةً فخرب منها بالمرّة حماة وشَيْزر وكفرطاب والمعرّة[1] وافاميّة وحمص وحصن الاكراد وعرقة واللاذقيّة وطرابلس وانطاكيّة واما ما لم يكثر فيه الخراب ولكن خرب اكثره فى جميع[2] الشام وتهدّمت اسوار البلاد والقلاع ، فقام نور الدين محمود فى ذلك المقام المرضى وخاف على بلاد الاسلام من الفرنج حيث خربت الاسوارُ فجمع عساكره واقام باطراف البلاد فلم يزل كذلك حتّى فرغ اسوار البلاد ، واما كثرة القتلى فيكفى انّ معلّمًا كان بالمدينة وهى مدينة حماة ذُكر عنه انّه فارق المكتب لمهمّ عرض له فجأت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلّم فلم يات احدٌ يسأل عن صبى كان له بالمكتب ✿

ذكر ملك نور الدين حصن شَيْزر

نبتدى بذكر هذا الحصن ولمن كان قبل ان يملكه نور الدين محمود ابن زنكى فنقول هذا الحصن قريب من حماة بينهما نصف نهار وهو على جبل عالٍ منيع لا يسلك اليه الّا من طريق واحدة وكان لآل منقذ الكنانيّين يتوارثونه من ايّام صالح ابن مرداس الى ان انتهى الامر الى ابى المرهف نصر ابن علىّ بن نصر بن منقذ بعد ابيه ابى الحسن علىّ [وكان] بيده الى ان مات سنة احدى وتسعين واربعماية وكان شجاعًا كريمًا فلمّا حضره الموت استخلف[3] اخاه ابا سلامة مرشد بن علىّ فقال والله لاوليتُه ولاخرجنّ من الدنيا كما دخلتُها وكان عالمًا بالقرآن[4] وهو والد مويّد الدولة اسامة ابن منقذ فولّاها اخاه الاصغر سلطان ابن علىّ واصطحبا اجمل صحبة مدّة من الزمان فاولد مرشد عدّة اولاد ذكور وكبروا وسادوا منهم عزّ الدولة ابو الحسن علىّ ومويّد

---

1) المفرّة 2) وجميع 3) C. P. 740: استخلف Ups: استحضر
4) C. P. 740 addit: والادب Ups: بالقرآت

الدولة اسامة وغيرهما ولم يولد لاخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجآه اولادٌ ذكورٌ فحسد اخاه على ذلك وخاف اولاد اخيه على اولاده وسعى بينهم المفسدون فغيّروا كلّا منهما على اخيه فكتب سلطان الى اخيه مرشد ابيات شعر يعاتبه على اشياء بلغته عنه فاجابه بشعر فى معناه رايتُ اثبات ما تمسّ الحاجة اليه منه وهى هذه الابيات

ظلومٌ أَبَتْ فى الظلم الّا تماديا … وفى الصدّ والهجران الّا تغاليا
شكت هجرنا والذنب فى ذاك ذنبها … فيا عجبًا من ظالم جآء شاكيا
وطاوعت الواشين فىّ وطال ما … عصيتُ عذولًا فى هواها وواشيا
ومالَ بها تيه الجمال الى القِلَى … وهيهات ان امسى لها الدهر قاليا
ولا ناسيا ما اودعت من عهودها … وانّ هى ابدتْ جفوة وتناسيا
ولمّا اتانى من قريضك[1] جوهرٌ … جمعت المعالى فيه لى والمعانيا
وكنتُ هجرتُ الشعر حينا لانّهُ … تولّى برغمى حين ولّى شبابيا
واين من الستّين لفظٌ مفرّقٌ … اذا رُمت ادنى القول منه عصانيا
وقلتُ اخى يرعَى بنىَّ واسرتى … ويحفظ عهدى فيهم وذماميا
ويجزيهم ما لم اكلفه فعله … لنفسى فقد اعددتُه من تراثيا
فما لك لمّا ان حنى الدهر صعدتى … وثلّم منّى صارمًا كان ماضيا
تنكّرت حتّى صار برّك قسوة … وقربك منّى جفوة وتناسيا
واصبحت صفر الكفّ ممّا رجوتُه … ارى الياس قد عفى سبيل رجائيا
على انّنى ما حلتُ عمّا عهدته … ولا غيّرت هذى السنون ودادِيا
فلا غروَ عند الحادثات فانّنى … اراك يمينى والانام شماليا
تحلّ بها[2] عذرآء لو قرنت بها … نجوم السمآء لم تعد دراريا
تحلّت بدُرٍّ من صفاتك زانها … كما زان منظوم اللآلى الغوانيا
وعِش بانيًا للمجد ما كان واعيا … مشيدًا من الاحسان ما كان هاويا ء

وكان الامر بينهما فيه تماسك فلمّا توفّى مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسماية قلب اخوه لاولاده ظهر المجنّ وباداهم بما يسوهم واخرجهم من شيزر فتفرّقوا وقصد اكثرهم نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عمّهم

---

[1]) قريظك   [2]) C. P. Ups.: تهنّ عذرآ

فغاظه ذلك ولم يمكنه قصده والاخذ بثأرهم واعادتهم الى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج ولخوفه ان يسلّم شيزر الى الفرنج ثم توفّى سلطان وولى بعده اولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فاشتدّ حنقه عليهم وانتظر فرصة تمكّنه فلمّا خربت القلعة هذه السنة بما ذكرناه من الزلزلة لم ينج من بنى منقذ الذين بها احدٌ وسبب هلاكهم اجمعين انّ صاحبها منهم كان قد ختن ولدًا له وعمل دُعوة للناس واحضر جميع بنى منقذ عنده فى داره وكان له فرس يحبّه ولا يكاد يفارقه واذا كان فى مجلس اقيم الفرس على بابه وكان المهر فى ذلك اليوم على باب الدار فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلًا كان اوّلهم فقتله وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلّهم وخربت القلعة وسقط سورها وكلّ بناءٍ فيها ولم ينج منها الّا الشريد، فبادر اليها بعض امرآئه وكان بالقرب منها فصعد اليها وتسلّمها نور الدين منه فملكها وعمّر اسوارها ودورها واعادها جديدة ❁

ذكر وفاة الدبيسيّ صاحب جزيرة ابن عمر واستيلاء قطب الدين مودود على الجزيرة

كانت الجزيرة لاتابك زنكى فلمّا قُتل سنة احدى واربعين واقطعها ابنه سيف الدين غازى للامير ابى بكر الدبيسيّ وكان من اكابر امرآء والده فبقيت بيده الى الآن وتمكّن منها وصار بحيث ان يتعذّر على قطب الدين اخذها منه فمات فى ذى الحجّة سنة اثنتين وخمسين ولم يُخلّف ولدًا فاستولى عليها مملوك له اسمه غلبك واطاعه جندها فحصرهم مودود ثلاثة اشهر ثم تسلّمها من غلبك فى صفر من سنة ثلاث وخمسين واعطاه عوضها اقطاعًا كثيرًا ❁

ذكر وفاة السلطان سنجر

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل توفّى السلطان سنجر ابن ملكشاه ابن الب ارسلان ابو الحرث اصابه قولنج ثم بعده اسهال فمات منه ومولده سنجار من ديار الجزيرة فى رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة وسكن خراسان واستوطن مدينة مرو ودخل بغداد مع اخيه السلطان محمّد واجتمع معه بالخليفة المستظهر بالله فعهد الى محمّد بالسلطنة

وجعل سنجرا ولىّ عهده فلمّا مات محمّد خوطب لسنجر بالسلطان واستقام امره واطاعه السلاطين وخُطب له على اكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو اربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة ولم يزل امره عاليًا وجدّه متراقيًا الى ان اسره الغزّ على ما ذكرناه ثمّ انّه خلص بعد مدّة وجمع اليه اطرافه وكان يعود اليه مُلكه فادركه اجله وكان مهيبًا كريمًا رفيقًا بالرعيّة وكانت البلاد فى زمانه آمنة ولمّا مات دُفن فى قبّة بناها لنفسه سمّاها دار الاخرة ولمّا وصل خبر موته الى بغداد قطعت خُطبته ولم يجلس له فى الديوان للعزآء ، ولمّا حضر السلطان سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود بن محمّد بن بغراخان وهو ابن اخت السلطان سنجر فاقام بها خايفًا من الغزّ فقصد جُرجان يستظهر بها وعاد الغزّ الى مرو وخراسان واجتمع طايفة من عساكر خراسان على اى ابه المؤيّد فاستولى على طرف من خراسان وبقيت خراسان على هذا الاختلال الى سنة اربع وخمسين وراسل الغزّ الملك محمودًا على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين وسالوه ان يحضر عندهم ليملكوه عليهم فلم يثق اليهم وخافهم على نفسه فارسل ابنه اليهم فاطاعوه مديدة ثمّ لحق بهم الملك محمود على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين ۞

ذكر مُلك المسلمين مدينة المريّة وانقراض دولة الملثّمين بالاندلس

فى هذه السنة انقرضت دولة الملثّمين بالاندلس وملك اصحاب عبد المؤمن مدينة المريّة من الفرنج ، وسبب ذلك انّ عبد المؤمن لمّا استعمل ابنه ابا سعيد على الجزيرة الخضرآء ومالقة عبر ابو سعيد البحر الى مالقة واتّخذها دارًا وكاتبه ميمون ابن بدر اللمتونىّ صاحب غرناطة ان يوحّد ويسلّم اليه غرناطة فقبل ابو سعيد ذلك منه وتسلّم غرناطة فسار ميمون الى مالقة باهله وولده فتلقّاه ابو سعيد واكرمه ووجّهه الى مرّاكش فاقبل عليه عبد المؤمن وانقرضت دولة الملثّمين ولم يبق لهم الاّ جزيرة ميورقة مع بنى ابن غانية فلمّا ملك ابو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المريّة وهى بايدى الفرنج اخذوها من المسلمين سنة اثنتين واربعين وخمسمايةٍ فلمّا نازلها وافاه الاسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين فحصروا المريّة برًّا وبحرًا وجآء

الفرنج الى حصنها فحصرهم فيها ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى ابو سعيد سورًا على الجبل المذكور الى البحر وعمل عليه خندقًا فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج محصورًا بهذا السور والخندق ولا يمكن من ينجدهما من ان يصل اليهما ، فجمع اللادفونش ملك الفرنج بالاندلس المعروف بالسُّلَيْطِين فى اثنى عشر الف فارس من الفرنج ومعه محمّد ابن سعد ابن مردنيش فى ستّة الاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ودفع المسلمين عنها فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خايبين فمات السليطين فى عوده قبل ان يصل الى طُليطلة ، وتمادى الحصار على المريّة ثلاثة اشهر فضاقت الميرة وقلّت الاقوات على الفرنج فطلبوا الامان ليسلّموا الحصن فاجابهم ابو سعيد اليه وامّنهم وتسلّم الحصن ورحل الفرنج فى البحر عايدين الى بلادهم فكان مدّة مُلكهم المريّة مدّة عشر سنين ۞

ذكر غزو صاحب طبرستان الاسماعيليّة

فى هذه السنة جمع شاه مازندران رستم ابن علىّ ابن شهريار عسكره وسار ولم يُعلم احدًا جهة مقصده وسلك المضايق وجدّ السير الى بلد الاموت وهى للاسمعيليّة فاغار عليها واحرق القرى والسواد وقتل فاكثر وغنم اموالهم وسبى نسآءهم واسترقّ ابنآءهم فباعهم فى السوق وعاد سالمًا غانمًا واخذل الاسماعيليّة ودخل عليهم من الوهن ما لم يصابوا بمثله وخرّب من بلادهم ما لا يعبر فى السنين الكثيرة ۞

ذكر اخذ حجاج خراسان

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار حجاج خراسان فلمّا رحلوا عن بسطام اغار عليهم جمعٌ من الجند الخراسانيّة قد قصدوا طبرستان فاخذوا من امتعتهم وقتلوا نفرًا منهم وسلم الباقون وساروا من موضعهم فبينما هم سايرون اذ طلع عليهم الاسماعيليّة فقاتلهم الحجاج قتالًا عظيمًا وصبروا صبرًا عظيمًا فقُتل اميرهم فاخذلوا والقوا بايديهم واستسلموا وطلبوا الامان والقوا اسلحتهم مستامنين فاخذهم الاسماعيليّة وقتلوهم ولم يبقوا منهم الّا شرذمة يسيرة وقُتل فيهم من الايمّة العلمآء والزهّاد والصلحآء جمع كثير وكانت مصيبة عظيمة عمّت بلاد الاسلام وخصّت خراسان ولم

يبق بلدٌ الّا وفيه الماتم فلمّا كان الغد صَاف شيخ فى القتلى والجرحى ينادى يا مسلمين يا حاجّ ذهب الملاحدة وانا رجل مسلم فمن اراد الماء سقيتُه فمن كلّمه قتله واجهز عليه فهلكوا اجمعين الّا من سلم وولّى هاربًا وقليل ما هم ☆

ذكر الحرب بين المؤيّد والامير ايثاق

قد ذكرنا تقدّم الامير اى ابه غلوك السلطان سنجر وتقدّمه على عساكر خراسان ، فحسده جماعة من الامرآء منهم الامير ايثاق وهو من الامرآء السنجريّة وانحرف عنه وكان تارة يقصد خوارزم شاه وتارة مازندران وتارة يظهر الموافقة للمؤيّد ويبطن المخالفة فلمّا كان الأن قارق مازندران ومعه عشرة الاف فارس قد اجتمع معه كلّ من يريد الغارة على البلاد وكلّ منحرف عن المؤيّد وقصد خراسان واقام بنواحى نسا وابيورد لا يظهر المخالفة للمؤيّد بل يراسله بالموافقة والمعاضدة له ويبطن ضدّها وانتقل المؤيّد من المكاتبة الى المكافحة وسار اليه جريدة فاغار عليه واوقع به فتفرّق عنه جموعه ونجا بحشاشة نفسه وغنم المؤيّد وعسكره كلّ ما لايثاق ومضى منهزمًا الى مازندران ، وكان ملكها رستم بينه وبين اخ له اسمه علىّ تنازُع على الملك وقد قوى رستم فلمّا وصل ايثاق الى مازندران قتل عليًّا وحمل راسه الى اخيه رستم فعظم ذلك على رستم واشتدّ واستشاط غضبًا وقال اكل لحمى ولا اطعمه غيرى ، ولم يزل ايثاق يتردّد فى خراسان بالنهب والغارة لا سيّما مدينة اسفرائين فانّه اكثر من قصدها حتّى خربت فراسله السلطان محمود ابن محمّد والمؤيّد عوانه الى الموافقة فامتنع فسارا اليه فى العساكر فلمّا قارباه اتاهما كثير من عسكره فمضى من بين ايديهما الى طبرستان فى صفر سنة ثلاث وخمسين فتبعاه فى عساكرهما فارسل شاه مازندران يطلب الصلح فاجاباه واصطلحوا وحمل شاه مازندران اموالًا جليلةً وهدايا نفيسةً وسيّر ايثاق ابنه رهينة فعاد عنه ☆

ذكر الحرب بين المؤيّد وسنقر العزيزىّ

كان سنقر العزيزىّ من امرآء السلطان سنجر وممّن يناوى ايضًا المؤيّد اى ابه فلمّا اشتغل المؤيّد بحرب ايثاق سار سنقر من عسكر السلطان محمود ابن محمّد الى هراة ودخلها وبها جماعة من الاتراك

وتحصّن بها فاشير عليه بان يعتضد بالملك الحسين ملك الغوريّة فلم يفعل واستبدّ بنفسه منفردًا لانّه راى اختلاف الامرآء على السلطان محمود ابن محمّد فطمع وحدّثت نفسه بالقوّة ، فقصده المؤيّد الى هراة فلمّا وصل اليها قاتل مَن بها شيًا من قتال ثم انّ الاتراك مالوا الى المؤيّد واطاعوه وانقطع خبر سنقر العزيزىّ من ذلك الوقت ولم يُعلم ما كان منه فقيل انّه سقط من فرسه فمات وقيل بل اغتاله الاتراك فقتلوه وتقدّم السلطان محمود الى ولاية هراة فى عساكره وجنوده والتحق جماعة من عسكر سنقر بالامير ايثاق واغاروا على طوس وقراها فبطلت الزروع والحرث واستولى الخراب على البلاد وعمّت الفتن اطراف خراسان واصابهم العين فانّهم كانوا ايّام السلطان سنجر فى ارغد عيش وامنه وهذا دأب الدنيا لا يصفوا نعيمها وخيرها من كدر وشوايب وآفات وقد تخلّص شرّها من خيبر فنسأل الله ان يحسن لنا العون والعقبى بمحمّد وآله ✿

ذكر مُلك نور الدين بعلبكّ

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود بعلبكّ وقلعتها وكانت بيد انسان يقال له ضحّاك البقاعىّ منسوب الى بقاع بعلبكّ وكان قد ولّاه ايّاها صاحب دمشق فلمّا ملك نور الدين دمشق امتنع ضحّاك بها فلم يمكن نور الدين محاصرته لقربه من الفرنج فتلطّف الحال معه الى الآن فسلّمها واستولى عليها ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قلع الخليفة المقتفى لامر الله باب الكعبة وعمل عوضه بابًا مصفحًا بالنقرة المذهّبة وعمل لنفسه من الباب الاوّل تابوتًا يُدفن فيه اذا مات ، وفيها توفّى محمّد ابن عبد اللطيف بن محمّد بن ثابت ابو بكر الخجندىّ رئيس اصحاب الشافعىّ باصفهان وسمع الحديث بها من ابى علىّ الحدّاد وكان صدرًا مقدّمًا عند السلاطين وكان ذا حشمة عظيمة وجاه عريض ووقعت لموته فتنة عظيمة باصفهان وقُتل فيها خلق كثير ، وفيها كان بخراسان غلآء شديد اكلت فيه سآير الدوابّ حتّى

الناس وكان بنيسابور طبّاخ[1] فذبح انسانًا علويًّا وطبخه وباعه في الطبيخ ثم ظهر عليه انّه فعل ذلك فقُتل واسفر الغلاء وصلحت احوال الناس ، وفيها توفّي القاضي ابو العبّاس احمد ابن بختيار ابن علىّ المايداىّ[2] الواسطىّ قاضيها وكان فقيهًا عالمًا ، وفيها في ربيع الاخر توفّي القاضي برهان الدين ابو القسم منصور ابن ابى سعد محمد ابن ابى نصر احمد الصاعدىّ قاضى نيسابور وكان من ايمّة الفقهاء الحنفيّة ۞

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسماية ، سنة ٥٥٣

ذكر الحرب بين سنقر وارغش

في هذه السنة كانت حربٌ شديدةٌ بين سنقر الهمدانىّ وارغش المسترشدىّ وسببها انّ سنقر الهمدانىّ كان قد نهب سواد بغداد بطريق خراسان وكثر جمعه فخرج الخليفة المقتفى لامر الله جمادى الاولى بنفسه يطلبه فلمّا وصل الى بلد اللحف[3] قال له الامير خطلوبرس انا اكفيك هذا المهمّ وكان بينه وبين سنقر مودّة فركب اليه وتلاقيا وجرى بينهما عتاب طويل لاجل خروجه عن طاعة الخليفة فاجاب سنقر الى الطاعة وعاد خطلوبرس واصلح حاله فاقطعه بلد اللحف[3] والامير ارغش المسترشدىّ فلمّا توجّها الى اللحف[3] جرى بينهما منازعة فاراد سنقر قبض ارغش فرءاه محترزًا فتحاربا واقتتلا قتالًا شديدًا وغدر بارغش اصحابه فعاد منهزمًا الى بغداد وانفرد سنقر ببلد اللحف[3] وخطب فيه للملك محمّد فسيّر من بغداد عسكرًا لقتاله مقدّمهم خطلوبرس فجرت بينهما حرب شديدة انهزم في اخرها سنقر وقتلت رجاله ونهبت امواله التى [في] العسكر وسار هو الى قلعة الماهكى واخذ ما كان له فيها واستخلف فيها بعض غلمانه وسار هو الى همدان فلم يلتفت اليه الملك محمّد شاه فعاد الى قلعة الماهكى ۞

ذكر الحرب بين شملة وقايماز السلطانىّ

في هذه السنة ايضًا كان قتال بين شملة صاحب خوزستان ومعه ابن منكبة وبين قايماز السلطانىّ في ناحية بادرايا[4] فجمعا عسكرهما

1) طباخا 2) المايداى 3) اللحف 4) باذرايا

وساروا اليه فاتاه الخبر بذلك وهو يشرب فلم يحفل بذلك وركب اليهم في نحو ثلثمائة فارس وكان معجبًا بنفسه فحمل عليهم واختلط بهم فاحدقوا به وقاتل اشدّ قتال فانهزم اصحابه وأُخذ هو اسيرًا فتسلّمه انسان تركماني كان له عليه دمٌ لانّه قتل ابنًا للتركماني فقتله بابنه وارسل براسه الى محمّد شاه ؛ وارسل الخليفة عسكرًا ليقاتل شملة ومن معه فانـزاحـوا من بـين ايـديـهم ولحـقـوا بالـمـلـك ملكـشـاه بخـوزسـتـان فـيـلـك كـثـيـر مـنـهم بالـبـرد ☆

ذكر معاودة الغزّ الفتنة بخراسان

كان الاتراك الغزّيّة قد اقاموا ببلخ واستوطنوها وتركوا النهب والقتل ببلاد خراسان واتّفقت الكلمة بها على طاعة السلطان خاقان محمود ابن محمّد ارسلان وكان المتولّي لامور دولته المؤيّد اى ابه وعن رايه يصدر محمود فلمّا كان هذه السنة في شعبان سار الغزّ من بلخ الى مرو وكان السلطان محمود بسرخس[1] في العساكر فسار المؤيّد في طايفة من العسكر اليهم فاوقع بطايفة منهم. وظفر بهم ولم يزل يتبعهم الى ان دخلوا الى مرو اوايل رمضان وغنم من اموالهم وقتل كثيرًا وعاد الى سرخس فاتّفق هو والسلطان محمود على قصد الغزّ وقتالهم فجمعا العساكر وحشدا وسارا الى الغزّ فالتقوا سادس شوّال من هذه السنة وجرت بينهم حرب طال مداها فبقوا يقتتلون من يوم الاثنين سابع شوّال الى نصف الليل من ليلة الاربعاء الحادى عشر من الشهر تواقعوا عدّة وقعات متتابعة ولم يكن بينهما راحة ولا نزولٌ الّا لما لا بُدَّ منه انهزم الغزّ فيها ثلاث دفعات وعادوا الى الحرب فلمّا اسفر الصبح يوم الاربعاء انكشفت الحرب عن هزيمة عساكر خراسان تفرّقهم في البلاد وظفر الغزّ بهم وقتلوا فاكثروا فيهم وامّا الجرحى والاسرى فاكثر من ذلك ؛ وعاد المؤيّد ومن سلم معه الى طوس فاستولى الغزّ على مرو واحسنوا السيرة واكرموا العلماء والايمّة مثل تاج الدين ابى سعيد السمعانيّ وشيخ الاسلام عليّ البلخيّ وغيرهما واغاروا على سرخس وخربت القرى وجلى اهلها وقُتل من اهل سرخس نحو عشرة الاف قتيل ونهبوا

[1]) Cfr. Journ. As. 1846, II, 453. يستوحش

طوس ايضًا وقتلوا اهلها الّا القليل وعادوا الى مرو ، وامّا السلطان محمود ابن محمّد الخان والعساكر التى معه فلم يقدروا على المقام بخراسان من الغزّ فساروا الى جرجان ينتظرون ما يكون من الغزّ ، فلمّا دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة ارسل الغزّ الى السلطان يسألونه ان يحضر عندهم ليملّكوه امرهم فلم يثق بهم وخافهم على نفسه فارسلوا يطلبون منه ابنه جلال الدين عمر ليملّكوه امرهم ويصدروا عن امره ونهيه فى قليل الامور وكثيرها وتردّدت الرسل واحتاط السلطان محمود لولده بالعهود والمواثيق وتقرير القواعد ثمّ سيّره من جرجان الى خراسان فلمّا سمعوا الامرآء الغزّيّة بقدومه ساروا من مرو الى طريقه فالتقوه بنيسابور واكرموه وعظّموه ودخل نيسابور واتّصلت به العساكر الغزّيّة واجتمعوا عنده فى الثالث والعشرين من ربيع الاخر سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، ثمّ انّ السلطان محمود سار من جرجان الى خراسان فى الجيوش التى معه من الامرآء السنجريّة وتخلّف عنه المؤيّد اى ابه[1] فوصل الى حدود نسا وابيورد واقطع نسا لامير اسمه عمر ابن حمزة النسوى فقام فى حفظها المقام المرضى ومنع عنها ايدى المفسدين واقام السلطان محمود بظاهر نسا حتّى انسلخ جمادى الاخرة من السنة ، ولمّا كان الغزّ بنيسابور هذه السنة ارسلوا الى طوس يدعونهم الى الطاعة والموافقة فامتنع اهل رادكان[2] من اجابتهم الى ذلك وغيروا بسور بلدهم وبما عندهم من الشجاعة والقوّة والعدّة الوافرة والذخاير الكثيرة فقصدها طايفة من الغزّ وحصروهم وملكوا البلد وقتلوا فيه ونهبوا واكثروا ثمّ عادوا الى نيسابور وساروا مع جلال الدين محمّد ابن السلطان محمود الخان الى بيهق وحصروا سابزوار سابع عشر جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وخمسمائة فامتنع اهلها عليهم وقام بامرهم النقيب عماد الدين علىّ ابن محمّد ابن يحيى العلوىّ الحسينىّ نقيب العلويّين واجتمعوا معه ورجعوا الى امره ونهيه ووقفوا عند اشارته فامتنعوا على الغزّ وحفظوا البلد منهم وصبروا على القتال فلمّا راى الغزّ امتناعهم عليهم وقوّتهم ارسلوا اليهم

[1] اى ابه [2] راركان ؟

يطلبون الصلح فاصطلحوا ولم يقتل من اهل سابزوار فى تلك الحروب غير رجل واحد ورحل الملك جلال الدين والغزّ عن سابزوار فى السابع والعشرين من جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وخمسمائة وساروا الى نسا وابيورد ۞

ذكر اسر المؤيّد وخلاصه

قد ذكرنا انّ المؤيّد اى ابه تخلّف عن السلطان ركن [الدين] محمود ابن محمّد بجرجان فلمّا كان الآن سار من جرجان الى خراسان فنزل بقرية من قرى خُبوشان[1] اسمها زانك وبها حصن فسمع الغزّ بوصوله الى زانك فساروا اليه وحصروه فيه فخرج منه هاربًا فرءاه واحد من الغزّ فاخذه فوعده بمال جزيل ان اطلقه فقال الغزّى واين المال فقال هو مودوع فى بعض هذه الجبال فسار هو والغزّى فوصلا الى جدار قرية فيها بساتين وعيون فقال للفارس المال هاهنا وصعد الجدار ونزل من ظهره ومضى هاربًا[2] فراى الغزّ قد ملؤا الارض فدخل قرية فعرفه طحّان فيها فاعلم زعيم القرية به وطلب منه مركبًا فاتاه بما اراد واعانه على الوصول الى نيسابور فوصل اليها واجتمعت العساكر وقوى امره وعاد الى حاله واحسن الى الطحّان وبالغ فى الاحسان اليه ۞

ذكر اجتماع السلطان محمود مع الغزّ وعودهم الى نيسابور

لمّا عاد الغزّ ومعهم الملك محمّد ابن محمود الخان الى نسا وابيورد كما ذكرناه خرج والده السلطان محمود الخان وكان هناك فيمن معه من العساكر الخراسانيّة فاجتمع بهم واتّفقت الكلمة على طاعته واراد عمارة البلاد وحفظها فلم يقدر على ذلك فلمّا اجتمعوا ساروا الى نيسابور وبها المؤيّد اى ابه فى شعبان فلمّا سمع تقرّبهم منه رحل عنها الى خواف فى سادس عشره ووصلوا اليها فى الحادى والعشرين منه ونزلوا فيه وخافهم الناس خوفًا عظيمًا فلم يفعلوا بهم شيأً وساروا عنها فى السادس والعشرين منه الى سرخس ومرو وكان بها الفقيه المؤيّد ابن الحسين الموفّقى رئيس الشافعيّة وله بيت قديم وهو من اجناد الامام ابى سهل

---

[1] حبوشان [2] هاربا

الصعلوكىّ وله مصاهرة الى بيت ابى المعالى الجوينىّ وهو المقدّم فى البلد والمشار اليه وله من الاتباع ما لا يُحصى فاتّفق انّ بعض اصحابه قتل انسانًا من الشافعيّة اسمه ابو الفتوح الفستقانىّ خطأً وهذا ابو الفتوح له تعلّق بنقيب العلويّين بنيسابور وهو دخر الدين ابو القسم زيد ابن الحسن الحسينىّ وكان هذا النقيب هو الحاكم هذه المدّة بنيسابور فغضب من ذلك وارسل الى الفقيه المؤيّد يطلب منه القاتل ليقتصّ منه ويتهدّده ان لم يفعل فامتنع المؤيّد من تسليمه وقال لا مدخل لك مع اصحابنا انّما حكمك على الطايفة العلويّين فجمع النقيب اصحابه ومن يتبعه وقصد الشافعيّة فاجتمعوا له وقاتلوه فقُتل منهم جماعة ثم انّ النقيب احرق سوق العطّارين واحرقوا سكّة معاذ ايضًا وسكّة باغ طاهر ودار امام الحرمين ابى المعالى الجوينىّ وكان الفقيه المؤيّد الشافعىّ بها للصهر الذى بينهم وعظمت المصيبة على كافّة الناس وجمع بعد ذلك المؤيّد الفقيه جموعًا من طوس واسفرايين وجوين وغيرهم وقتلوا واحدًا من اتباع النقيب زيد يعرف بابن الحاجّى الأُشنانىّ فأمّم العلويّة ومَن معهم فاقتتلوا ثامن عشر شوّال من سنة اربع وخمسين وقامت الحرب على ساق وحرقت المدارس والاسواق والمساجد وكثر القتل فى الشافعيّة فالتجى المؤيّد الشافعىّ فى شرذمة الى قلعة فرخك[1] وقصُر باعُ الشافعيّة عن القتال ثم انتقل المؤيّد الى قرية من قرى طوس وبطلت دروس الشافعيّة بنيسابور وخرب البلد وكثر القتل فيه ۞

ذكر حصر صاحب خَتْلان[2] ترمذ وعوده وموته

فى هذه السنة فى رجب سار الملك ابو شجاع فرخشاه[3] وهو يزعم انّه من اولاد بهرام جور وقد تقدّم ذكره ايامَ كسرى ابرويز الى ترمذ وحصرها وكان سبب ذلك انّه كان فى طاعة السلطان سنجر فلمّا خرج عليه الغزّ طلبه ليحضر معه حربه لهم فجمع عسكره واظهر انّه واصل فيمّن عنده من العساكر اليه واقام ينتظر ما يكون منه فلمّا ظفر حصر وقال له سبقتنى بالحرب وان كان الظفر للغزّ قال لهم انّما

1) فدخلوا Cfr. *Journ. Asiat.* 1846, II, p. 459. 2) حتلان 3) فرحشاه

تَخَرَّتْ مَحَبَّةً وارادةً ان تملكوا   فلمّا انهزم سنجر وكان ما ذكرناه بقى الى الأن فسار الى ترمذ ليحصرها فجمع صاحبها فيروزشاه احمد ابن ابى بكر ابن قماج عسكره ولقيه ليمنعه فاقتتلوا فانهزم فيروزشاه ومضى منهزمًا لا يلوى على شىٍّ فاصابه فى الطريق قولنج فمات منه ۞

ذكر عود المؤيّد الى نيسابور وتخريب ما بقى منها

فى هذه السنة عاد المؤيّد اى ابه الى نيسابور فى عساكره ومعه الامام المؤيّد الموفّقىّ الشافعىّ الذى تقدّم ذكر الفتنة بينه وبين فخر الدين نقيب العلويّين وخروجه من نيسابور فلمّا خرج منها صار مع المؤيّد وحضر مع المؤيّد وحصر معه حصار نيسابور وتحصّن النقيب العلوىّ بشارستان واشتدّ الخطب وطال الحرب وسفكت الدمآء وهتكت الاستار وخرّبوا ما بقى من نيسابور من الدور وغيرها وبالغ الشافعيّة ومن معهم من الانتقام فخرّبوا المدرسة الصندليّة لاصحاب ابى حنيفة وخرّبوا غيرها وحصروا قهندز[1] وهذه الفتنة استاصلت نيسابور، ثمّ رحل المؤيّد اى ابه عنها الى بيهق فى شوّال من سنة اربع وخمسين وخمسمايةٍ، كان ينبغى ان تكون هذه الحوادث الغزّيّة الواقعة فى سنة اربع وخمسين مذكورة فى سنتها وانّما قدّمناها هاهنا ليتلو بعضها بعضًا فيكون احسن لسياقتها ۞

ذكر مُلك ملكشاه خوزستان

فى هذه السنة ملك ملكشاه ابن السلطان محمود بلد خوزستان واخذه من اشملة التركمانىّ وسبب ذلك انّ الملك محمّد ابن السلطان محمود لمّا عاد من حصار بغداد كما ذكرناه مرض وبقى مريضًا بهمدان ومضى اخوه ملكشاه الى قُمّ وقاجان وما والاها فنهبها جميعها وصادر اهلها وجمع اموالًا كثيرةً   فراسله اخوه محمّد شاه يامره بالكفّ عن ذلك ليجعله ولىّ عهده فى الملك فلم يفعل ومضى الى اصفهان فلمّا قاربها ارسل رسولًا الى ابن الخجندىّ[2] واعيان البلد فى تسليم البلد اليه فامتنعوا من ذلك وقالوا لاخيك فى رقابنا يمين ولا تعذّر به فحينئذ شرع ملكشاه فى الفساد والمصادرة لاهل القُرى، فلمّا سمع محمّد

---

1) قندهز   2) الخجندى

شاه الخبر سار عن همدان وعلى مقدّمته كرد بازوه الخادم فتفرّقت جموع ملكشاه عند قرميسين فلحق به قويدان[1] وكان قد فارق المقتفى لامر الله واتّفق مع سنقر الهمدانىّ فلحقا كلاهما به وحسّنا له قصد بغداد فسار عن بلد خوزستان الى واسط ونزل بالجانب الشرقىّ وهم على غاية الضرّ من الجوع فنهبوا القرى نهبًا فاحشًا ففتح بثق بتلك الناحية فغرق منهم كثير ولجا ملكشاه ومن سلم معه وساروا الى خوزستان فنعه شملة من العبور فراسله ليمكنه من العبور الى اخيه الملك محمّد شاه فلم يجبه الى ذلك وكاتب حينئذ الاكراد الكر الذين هناك واستدعاهم اليه ففرحوا به ونزل اليه من تلك الجبال خلق كثير فاطاعوه فرحل ونزل على كرخانا وطلب من شملة الحرب فألانّ له شملة القول وقال انا اخطب لك واكون معك فلم يقبل منه فاضطرّ شملة الى الحرب فجمع عسكره وقصده فلقيه ملكشاه ومعه سنقر الهمدانىّ وقويدان[1] وغيرهما من الامرآء فاقتتلوا فانهزم شملة وقتل كثير من اصحابه وصعد الى قلعته دُنْدرْزيين[2] وملك ملك شاه البلاد وجبى الاموال الكثيرة واظهر العدل وتوجّه الى ارض فارس ۞

ذكر الحرب بين التركمان والاسماعيليّة بخراسان

كان بنواحى قهستان طايفة من التركمان فنزل اليهم جمع من الاسماعيليّة من قلاعهم وهم الف وسبعمايّة فاوقعوا بالتركمان فلم يجدوا الرجال وكانوا قد فارقوا بيوتهم فنهبوا الاموال واخذوا النسآء والاطفال واحرقوا ما لم يقدروا على حمله وعاد التركمان فرءاوا ما فُعل بهم فتبعوا اثر الاسماعليّة فادركوهم وهم يقتسمون الغنيمة فكبّروا وحملوا عليهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاوا حتى افنوهم قتلاً واسرًا ولم ينج الّا تسعة رجال لا غير ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كثر فساد التركمان اصحاب ترجم الايوائىّ بالجبل فسُيّر اليهم من بغداد عسكر مقدّمهم منكبرس المسترشدىّ فلمّا قاربهم

[1]) C. P. et 740. Ups.: قويزان زين الدين وملكشاه

[2]) C. P. et 740. Ups.: دنذر

اجتمع التركمان فالتقوا واقتتلوا هم ومنكبرس فانهزم التركمان اقبح هزيمة وقُتل بعضهم وأُسر بعض وحُملت الرؤس والاسارى الى بغداد ، وفيها حجّ الناس فلمّا وصلوا الى مدينة النبيّ صلّعم وصل لهم الخبر انّ العرب قد اجتمعت لتاخذهم فتركوا الطريق وسلكوا طريق خيبر فوجدوا مشقّة شديدة ونجوا من العرب ، وفيها توفّى الشيخ نصر بن منصور بن الحسين العطّار ابو القسم الحرّانىّ ومولده بحرّان سنة اربع وثمانين واربعمائة واقام ببغداد وكثر ماله وصدقاته ايضًا وكان يقرأ القرأن وهو والد ظهير الدين الذى حكم فى دولة المستضئ بامر الله على ما نذكره ان شآء الله ، وفيها توفّى ابو الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب السجْزىّ ببغداد وهو سجزىّ الاصل هروىّ المنشآء وكان قدم الى بغداد سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة يريد الحجّ فسمع الناس بها عليه صحيح البخارىّ وكان عالى الاسناد فتاخّر لذلك عن الحجّ فلمّا كان هذه السنة عزم على الحجّ فمات ، وفيها توفّى يحيى بن سلامة بن الحسن ابن محمّد ابو الفضل الحصكفىّ[1] الاديب بميّافارقين وله شعر حسن ورسايل جيّدة مشهورة وكان يتشيّع ومولده بطنزة فمن شعره

وخليع بتّ اعذله   ويرى عذلى من العبث
قلتُ ان الخمر مخبثة   قال حاشاها من الخبث
قلتُ فالارفات تتبعها   قال طيّب العيش فى الرفث
قلتُ منها القئ قال اجل   شرفت عن مخرج الحدث
وساسلوها فقلتُ متى   قال عند الكون فى الجدث ☆

ثم دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، سنة ٥٥٤

ذكر مُلك عبد المؤمن مدينة المهديّة من الفرنج ومُلكه جميع افريقية

قد ذكرنا سنة ثلاث واربعين وخمسمائة مُلك الفرنج مدينة المهديّة من صاحبها الحسن بن تميم بن المعزّ ابن باديس الصنهاجىّ وذكرنا ايضًا سنة احدى وخمسين ما فعله الفرنج بالمسلمين فى زويلة المجاورة

1) الحصنكفى

للمهديّة من القتل والنهب فلمّا قتلهم الفرنج ونهبوا اموالهم هرب منهم جماعة وقصدوا عبد المؤمن صاحب المغرب وهو بمرّاكش يستجيرونه فلمّا وصلوا اليه ودخلوا عليه اكرمهم واخبروه بما جرى على المسلمين وانّه ليس فى ملوك الاسلام مَن يقصد سواه ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه واطرق ثمّ رفع راسه وقال ابشروا لانصرنّكم ولو بعد حين وامر بانزالهم واطلق لهم الفَىْ دينار ثمّ امر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج اليه العساكر فى السفر (1) وكتب الى جميع نوّابه فى الغرب وكان قد ملك الى قريب تونس يامرهم بحفظ جميع ما يتحصّل من الغلّات وان يترك فى سنبله ويخزن فى مواضعه وان يحفروا الابار فى الطرق ففعلوا جميع ما امرهم به وجمعوا الغلّات ثلاث سنين ونقلوها الى المنازل وطيّنوا عليها فصارت كانها تلال، فلمّا كان فى صفر من هذه السنة سار عن مرّاكش وكان اكثر اسفاره فى صفر فسار يطلب افريقية واجتمع من العساكر مايّة الف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وبلغ من حفظه لعساكره انّهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتاذى بهم سنبلة واذا نزلوا صلّوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة لا يتخلّف منهم احد كاين من كان، وقدّم بين يديه الحسن بن علىّ بن يحيى بن تميم بن المعزّ ابن باديس الصنهاجىّ كان صاحب المهديّة وافريقية وقد ذكرنا سبب مصيره عند عبد المؤمن فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس فى الرابع والعشرين من جمادى الاخرة من السنة وبها صاحبها احمد ابن خراسان واقبل اسطوله فى البحر فى سبعين شينيًا وطريدةً وشلندى فلمّا نازلها ارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد اشدّ قتال فلم يبق الّا اخذها ودخول الاسطول اليها فجآت ريح عاصف منعت المُوَحّدين من دخول البلد فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوه فلمّا جنّ الليل نزل سبعة عشر رجلًا من اعيان اهلها الى عبد المؤمن يسئلونه الامان لاهل بلدهم فاجابهم الى الامان لهم فى انفسهم واهليهم واموالهم لمبادرتهم الى الطاعة

---

(1) السفن

وامّا مَن عداهم من اهل البلد فيومنهم في انفسهم واهاليهم ويقاسمهم على اموالهم واملاكهم نصفَيْن وان يخرج صاحب البلد هو واهله فاستقرّ ذلك وتسلّم البلد وارسل اليه من يمنع العسكر من الدخول وارسل امنآه ليقاسموا الناس على اموالهم واقام عليها ثلاثة ايّام وعرض الاسلام مَن بها من اليهود والنصارى فمَن اسلم سلم ومَن امتنع قُتل واقام اهل تونس بها باجرة توخذ عن نصف مساكنهم وسار عبد المؤمن منها الى المهديّة والاسطول تحاذيه في البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان حينئذٍ بالمهديّة اولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهديّة غاية سهم فدخل عبد المؤمن من زويلة وامتلات بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة ومَن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب واهل البلاد ما يخرج عن الاحصآء واقبلوا يقاتلون المهديّة مع الايّام فلا يوثر فيها لحصانتها وقوّة سورها وضيق موضع القتال عليها لانّ البحر داير باكثرها فكانّها كفّ في البحر وزندها متّصل بالبرّ وكانت الفرنج تخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فتنال منه ويعودون سريعًا ، فامر عبد المؤمن ان يبنى سور من غرب المدينة يمنعهم من الخروج واحاط الاسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن في شينى ومعه الحسن ابن علىّ الذى كان صاحبها وطاف بها في البحر فهاله ما راى من حصانتها وعلم انّها لا تفتتح بقتال برًّا ولا بحرًا وليس لها الّا المطاولة وقال للحسن كيف نزلتَ عن مثل هذا الحصن فقال لقلّة مَن يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقتَ وعاد من البحر وامر بجمع الغلّات والاقوات وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صار في العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقولون متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هي حنطة وشعير فيتعجّبون من ذلك ، وتمادى الحصار وفي مدّته اطاع سفاقس عبد المؤمن ومدينة طرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف وسيّر ابنه ابا محمّد عبد الله في جيش ففتح بلادًا ، ثمّ انّ اهل مدينة قفصة لمّا رءاوا تمكّن عبد المؤمن

اجتمعوا على المبادرة الى طاعته وتسليم المدينة اليه فتوجّه صاحبها يحيى بن تميم بن المعزّ ومعه جماعة من اعيانها وقصدوا عبد المؤمن فلمّا اعلمه حاجبه بهم قال له عبد المؤمن قد اشتبه عليك ليس هولآء اهل قفصة فقال له لم يشتبه علىّ قال له عبد المؤمن كيف يكون ذلك والمهدى يقول انّ اصحابنا يقطعون اشجارها ويهدمون اسوارها ومع هذا فنقبل منهم ونكفّ عنهم ليقضى الله امرًا كان مفعولاً فارسل اليهم طايفة من اصحابه ومدحه شاعر منهم بقصيدة اوّلها

ما هزّ عطفيه بين البيض والاسل   مثل الخليفة عبد المؤمن بن علىّ

فوصله بالف دينار ولمّا كان فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة جآء اسطول صاحب صقلّية فى مايتة وخمسين شينيًّا غير الطرايد وكان قد وفد من جزيرة يابسة[1] من بلاد الاندلس وقد سبى اهلها واسرهم وحملهم معه فارسل اليهم ملك الفرنج يامرهم بالمجئ الى المهديّة فقدموا فى التاريخ فلمّا قاربوا المهديّة حطّوا شرعهم ليدخلوا المينا فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم الفرنج ما رءاوه من كثرة العساكر ودخل الرعب قلوبهم وبقى عبد المؤمن يمرّغ وجهه على الارض ويبكى ويدعوا للمسلمين بالنصر واقتتلوا فى البحر فانهزمت شوانى الفرنج واعادوا القلوع وتبعهم المسلمون فاخذوا منهم سبع شوانى ولو كان معهم شوانى لاخذوا اكثرهم وكان امرًا عجيبًا وفتحًا قريبًا وعاد اسطول المسلمين مظفّرًا منصورًا وفرّق فيهم عبد المؤمن الاموال ، ويئس اهل المهديّة حينئذ من النجدة وصبروا على الحصار ستّة اشهر الى اخر شهر ذى الحجّة من السنة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوا الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم ليخرجوا منها ويعودون الى بلادهم وكان قوتهم قد فنى حتّى اكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يتردّدون اليه ايّامًا بالكلام اللين فاجابهم الى ذلك وأمّنهم واعطاهم سفنًا فركبوا فيها وساروا

1) مابسة

وكان الزمان شتآء فغرق اكثرهم ولم يصل منهم الى صقليّة الّا النفر اليسير وكان صاحب صقليّة قد قال ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين هم بجزيرة صقليّة واخذنا حُرَمهم واموالهم فاهلك الله الفرنج غرقًا وكان مدّة ملكهم المهديّة اثنى عشرة سنة ، ودخل عبد المؤمن المهديّة بكرة عاشورآء من محرّم سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسمّاها عبد المؤمن سنة الاخماس واقام بالمهديّة عشرين يومًا فرتّب احوالها واصلح ما انثلم من سورها ونقل اليها الذخاير من الاقوات والرجال والعُدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن علىّ الذى كان صاحبها وامره ان يقتدى برايه فى افعاله واقنع الحسن بها اقطاعًا واعطاه دُورًا نفيسةً يسكنها وكذلك فعل باولاده ورحل من المهديّة اوّل صفر من السنة الى بلاد الغرب ❁

ذكر ايقاع عبد المؤمن بالعرب

لمّا فرغ عبد المؤمن من امر المهديّة واراد العود الى الغرب جمع امرآء العرب من بنى رياح[1] الذين كانوا بافريقية وقال لهم قد وجبت علينا نصرة الاسلام فانّ المشركين قد استفحل امرهم بالاندلس واستولوا على كثير من البلاد التى كانت بايدى المسلمين وما يقاتلهم احد مثلكم فبكم فتحت البلاد اوّل الاسلام وبكم يُدفع عنها العدوّ الآن ونريد منكم عشرة الاف فارس من اهل النجدة والشجاعة يجاهدون فى سبيل الله فاجابوا بالسمع والطاعة فحلّفهم على ذلك بالله تعالى وبالمصحف فحلفوا ومشوا معه الى مضيق جبل زغوان ، وكان منهم انسان يقال له يوسف بن مالك وهو من امرآئهم وروس القبايل فيهم فجآء الى عبد المؤمن بالليل وقال له سرًّا انّ العرب قد كرهت المسير الى الاندلس وقالوا ما غرضه الّا اخراجنا من بلادنا وانّهم لا يفون بما حلفوا عليه فقال ياخذ الله عزّ وجلّ الغادر فلمّا كان الليلة الثانية هربوا الى عشايرهم ودخلوا البرّ ولم يبق منهم الّا يوسف بن مالك فسمّاه عبد المؤمن يوسف الصادق ولم يحدث عبد المؤمن فى امرهم شيأً وسار مغربًا يحث السير حتّى قرب

---

[1] رباح

من القسنطينيّة فنزل فى موضع مخصب يقال له وادى النسآء والفصل ربيع والكلآء مستحسن فاقام به وضبط الطرق فلا يسير من العسكر احد البتّة ودام كذلك عشرين يومًا فبقى الناس فى جميع البلاد لا يعرفون لهذا العسكر خبرًا مع كثرته وعظمه ويقولون ما ازعجه الّا خبرٌ وصله من الاندلس فحثّ لاجله فى السير، فعادت العرب الذين جفلوا منه من البريّة الى البلاد لمّا امنوا جانبه وسكنوا البلاد التى الفوها واستقرّوا فى البلاد، فلمّا علم عبد المؤمن برجوعهم جهّز اليهم ولدَيْه ابا محمّد وابا عبد الله فى ثلاثين الف مقاتل من اعيان الموحّدين وشجعانهم فجدّوا السير وقطعوا المفاوز فما شعُرَ العرب الّا والجيش قد اقبل بغتةً من ورآئهم من جهة الصحرآء ليمنعوهم الدخول اليها ان راموا ذلك وكانوا قد نزلوا جنوبًا من القيروان عند جبل يقال له جبل القرن وهم زهآء ثمانين الف بيت والمشاهير من مقدّميهم ابو محفوظ محرز بن زيّاد ومسعود بن زمام البلّاط وجبارة بن كامل وغيرهم فلمّا اطلّت عساكر عبد المؤمن عليهم اضطربوا واختلفت كلمتهم ففرّ مسعود وجبارة بن كامل ومَن معهما من عشايرهما وثبت محرز بن زيّاد وامرهم بالثبات والقتال فلم يلتفتوا اليه، فثبت هو ومن معه جمهور العرب فناجزهم الموحّدون القتال فى العشر الاوسط من ربيع الاخر من السنة وثبت الجمعان واشتدّ العراك فاتّفق انّ محرز بن زيّاد قُتل ورفع راسه على رمح فانهزمت جموع العرب عند ذلك واسلموا البيوت والحريم والاولاد والاموال وحُمل جميع ذلك الى عبد المؤمن وهو بذلك المنزل فامر بحفظ النسآء العربيّات الصرايح وتمليّن معه تحت الحفظ والبرّ والصيانة الى بلاد الغرب وفعل معهنّ مثل ما فعل فى حريم الاثبج ثم اقبلت اليه وفود رياح[1] مهاجرين فى طلب حريمهم كما فعل الاثبج فاجمل الصنيع لهم وردّ الحريم اليهم فلم يبق منهم احدٌ الّا صار عنده وتحت حكمه وهو يخفض لهم الجناح ويبذل فيهم الاحسان ثم انّه جهّزهم الى ثغور الاندلس على الشرط الاوّل وجمعت عظام العرب المقتولين فى

---

1) رياح

هذه المعركة عند جبل قرن فبقيت دهرًا طويلًا كالتلّ العظيم يلوح للناظرين من مكان بعيد وبقيت افريقية مع نوّاب عبد المؤمن امنةً ساكنةً لم يبق فيها من امرآء العرب خارج عن طاعته الّا مسعود البلّاط بن زمام وطايفته فى اطراف البلاد ❊

ذكر غرق بغداد

فى هذه السنة ثامن ربيع الاخر كثرت الزيادة فى دجلة وخرق القورج[1] فوق بغداد واقبل المدّ الى البلد فامتلات الصحارى وخندق البلد وافسد المآء السور ففتح فيه فتحًا يوم السبت تاسع عشر الشهر فوقع بعض السور عليها فسدّها ثم فتح المآء فتحة اخرى واهملوها ظنًّا انّها تنفّس عن السور لئلا يقع فغلب المآء وتعذّر سدّه فغرق قراح ظفر والاجمة والمختارة والمقتديّة ودرب القبّار وخرابة ابن جُردة[1a] والريّانى[2] وقراح القاضى وبعض القطيعة وبعض باب الازج[3] وبعض المامونيّة وقراح ابى الشحم وبعض قراح ابن رزين وبعض الظفريّة ودبّ المآء تحت الارض الى اماكن فوقعت واخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربىّ فبلغت المعبرة عدّة دنانير ولم يكن يقدر عليها ثم نقص المآء وتهدّم السور وبقى المآء الذى داخل السور عليها ثم نقص المآء وتهدّم السور وبقى المآء الذى داخل السور يدبّ فى المحالّ التى لم يركبها المآء فكثر الخراب وبقيت المحالُّ لا تُعرف انّما هى تُلولٌ فاخذ الناس حدود دورهم بالتخمين وامّا الجانب الغربىّ فغرقت فيه مقبرة احمد بن حنبل وغيرها من المقابر وانخسفت القبور المبنية وخرج الموتى على راس المآء وكذلك المشهد والحربيّة وكان امرًا عظيمًا ❊

ذكر عود سنقر الهمدانىّ الى اللحف[4] وانهزامه

فى هذه السنة عاد سنقر الهمدانىّ الى اقطاعه وهو قلعة الماهكى وبلد اللحف[4] وكان الخليفة قد اقطعه للامير قايماز العميدىّ ومعه اربعمايةُ فارس فارسل اليه سنقر يقول له ارحل عن بلدى فامتنع فسار اليه وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه العميدىّ ورجع الى

---

1) العورج 1a) C. P. et 740. Ups.: جودة 2) والربانى
3) الارج 4) اللحف

بداد باسواء حال ، فبرز الخليفة وسار فى عساكره الى سنقر فوصل
ى النعمانيّة وسيّر العساكر مع ترشك ورجع الى بغداد ومضى ترشك
حو سنقر الهمدانىّ فتوغّل سنقر فى الجبال هاربًا ونهب ترشك ما وجد
، ولعسكره من مال وسلاح وغير ذلك واسر وزيره وقتل من راى من
صحابه ونزل على الماهكى وحصرها ايّامًا ثمّ عاد الى البندنيجيّن[1] وارسل
لى بغداد بالبشارة   وامّا سنقر فانّه لحق بملكشاه فاستنجده فسيّر
معه خمس مائة فارس فعاد ونزل على قلعة هناك وافسد اصحابه فى البلاد
فارسل ترشك [الى] بغداد يطلب نجدة فجاءته فاراد سنقر ان يكبس
ترشك فعرف ذلك فاحترز فعدل سنقر الى المخادعة فارسل رسولًا الى
ترشك يطلب منه ان يصلح حاله مع الخليفة فاحتبس ترشك الرسول
عنده وركب فيمن خفّ من اصحابه فكبس سنقر ليلاً فانهزم هو
واصحابه وكثر القتل فيهم وغنم ترشك اموالهم ودوابّهم وكلّ مالهم
ونـجـا سـنـقـر جـريحًـا ۞

ذكر الفتنة بين عامّة استراباذ

فى هذه السنة وقع فى استراباذ فتنة عظيمة بين العلويّين ومن
يتبعهم من الشيعة وبين الشافعيّة ومن معهم وكان سببها انّ الامام
محمّد البزوىّ وصل الى استراباذ فعقد مجلس الوعظ وكان قاضيها ابو
نصر سعد بن محمّد بن اسمعيل النعيم شافعىّ المذهب ايضًا فثار
العلويّون ومن يتبعهم من الشيعة بالشافعيّة ومن يتبعهم باستراباذ
ووقعت بين الطايفتيْن فتنة عظيمة انتصر فيها العلويّون فقُتل من
الشافعيّة جماعة وضرب القاضى ونُهبت داره ودور من معه وجرى
عليهم من الامور الشنيعة ما لا حدّ عليه ، فسمع شاه مازندران الخبر
فاستعظمه وانكر على العلويّين فعلهم وبالغ فى الانكار مع انّه شديد
التشيّع وقطع عنهم جرايات كانت لهم ووضع الجبايات والمصادرات على
العامّة فتفرّق كثير منهم وعاد القاضى الى منصبه وسكنت الفتنة ۞

---

[1] البندنيجين

ذكر وفاة الملك محمّد بن محمود بن محمّد بن ملكشاه

فى هذه السنة توفّى السلطان محمّد بن محمود بن محمّد وهو الذى حاصر بغداد طالبًا السلطنة وعاد عنها فاصابه سلٌّ وطال به فمات بباب همذان وكان مولده فى ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فلمّا حضره الموت امر العساكر فركبت واحضر امواله وجواهره وحظاياه ومماليكه فنظر الى الجميع من طيارة تُشرف على ما تحتها فلمّا رءاه بكى وقال هذه العساكر والاموال والمماليك والسرارى ما ارى[1] يدفعون عنّى مقدار[2] ذرة ولا يزيدون فى اجلى لحظةً وامر بالجميع فرفع بعد ان فرّق منه شيئًا كثيرا ، وكان عظيمًا كريمًا عاقلًا كثير التأنّى فى اموره وكان له ولد صغير فسلّمه الى اقسنقر الاحمديلى[3] وقال له انا اعلم ان لا تضيع مثل هذا الطفل وهو وديعة عندك فارحل به الى بلادك فرحل الى مراغة ، فلمّا مات اختلفت الامرآء فطايفة طلبوا ملكشاه اخاه وطايفة طلبوا سليمان شاه وهم الاكثر وطايفة طلبوا ارسلان الذى مع ايلدكز[4] فامّا ملكشاه فانّه سار من خوزستان ومعه دكلا صاحب فارس وشملة التركمانى وغيرهما فوصل الى اصفهان فسلّمها اليه ابن الخجندى[5] وجمع له مالاً انفقه عليه وارسل الى العساكر بهمدان يدعوهم الى طاعته فلم يجيبوه لعدم الاتّفاق بينهم ولانّ اكثرهم كان يريد سليمان شاه ☆

ذكر اخذ حرّان من نور الدين وعودها اليه

فى هذه السنة مرض نور الدين محمود ابن زنكى صاحب حلب مرضًا شديدًا أُرجف بموته وكان بقلعة حلب ومعه اخوه الاصغر اميران فجمع الناس وحصر القلعة وكان شيركوه وهو اكبر امرآيه بحمص فبلغه خبر موته فسار الى دمشق ليتغلّب عليها وبها اخوه نجم الدين ايّوب فانكر عليه ايّوب ذلك وقال اهلكتنا والمصلحة ان تعود الى حلب فان كان نور الدين حيًّا خدمته فى هذا الوقت وان كان قد مات

---

[1]) C. P. 740: اردّ Ups: اوذا [2]) C. P. et 740: مثقال
[3]) الاحمربلى [4]) ايلدكر [5]) الخجندى

ذا في دمشق نفعل ما نريد من مُلكها فعاد الى حلب مجدًّا وصعد القلعة واجلس نور الدين في شبّاك يراه الناس وكلّمهم فلمّا رءاوه حيًّا تفرّقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حرّان فملكها ، فلمّا عوفي نور الدين قصد حرّان ليخلصها فهرب اخوه منه وترك اولاده بحرّان في القلعة فملكها نور الدين وسلّمها الى زين الدين علىّ نايب اخيه قطب [الدين] صاحب الموصل ثمّ سار نور الدين بعد اخذ حرّان الى الرقّة وبها اولاد اميرك الجاندار وهو من اعيان الامرآء وقد توفّى وبقى اولاده فنازلها فشفع جماعة من الامرآء فيهم فغضب من ذلك وقال هلّا شفعتم في اولاد اخى لمّا اخذت منهم حرّان وكانت الشفاعة فيهم من احبّ الاشيـاء الىّ فـلـم يـشـفّـعـهـم واخـذهـا مـنـهـم ۞

ذكـر عـدّة حـوادث

في هذه السنة مرض الخليفة المقتفى لامر الله واشتدّ مرضه وعوفى فضربت البشآير ببغداد وفرّقت الصدقات من الخليفة ومن ارباب الدولة وغلق البلد اسبوعًا ، وفيها عاد ترشك الى بغداد ولم يشعر به احدٌ الّا وقد القى نفسه تحت التاج معه سيف وكفن وكان قد عصى على الخليفة والتحق بالعجم فعاد الآن فرضى عنه واذن له في دخول دار الخلافة واعطى مالا ، وفيها في جمادى الاولى ارسل محمّد ابن أَنَز صاحب قيستان عسكرًا الى بلد الاسماعيليّة من الجبال فقتلوا كثيرًا من العسكر واسروا الامير الذى كان مقدّمًا عليهم اسمه قيبة وهو صهر ابن أَنَز فبقى عندهم اسيرًا عدّة شهور حتّى زوّج ابنته من رئيس الاسماعيليّة علىّ بن الحسن وخلص من الاسر ، وفيها توفّى شرف الدين علىّ بن ابى القسم منصور بن ابى سعد الساعدىّ قضى نيسابور في شهر رمضان وكان موته بالرىّ ودُفن في مقبرة محمّد بن الحسن الشيبانىّ صاحب ابى حنيفة رضى الله عنهما وكان القاضى حنفيًّا ايضًا ۞

سنة ٥٥٥ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسماية ،

ذكر مسير سليمان شاه الى همذان

فى هذه السنة سار سليمان شاه من الموصل الى همذان ليتولّى السلطنة وقد تقدّم سبب قبضه واخذه الى الموصل وسبب مسيره اليها انّ الملك محمّد ابن السلطان محمود بن محمّد بن ملكشاه لمّا مات ارسل اكابر الامرآء من همذان الى اتابك قطب الدين مودود ابن زنكى صاحب الموصل يطلبون منه ارسال الملك سليمان شاه ابن السلطان محمّد بن ملكشاه اليهم ليولّوه السلطنة فاستقرّت القاعدة بينهم ان يكون سليمان شاه سلطانًا وقطب الدين اتابكه وجمال الدين وزير قطب الدين وزيرًا لسليمان شاه وتحالفوا على هذا وجهّز سليمان شاه بالاموال الكثيرة والبرك والدوابّ والالات وغير ذلك ممّا يصلح للسلاطين وسار ومعه زين الدين علىّ وعسكر الموصل الى همذان فلمّا قاربوا بلاد الجبل اقبلت[1] العساكر اليهم ارسالًا كلّ يوم يلقاه طايفة وامير فاجتمع مع سليمان شاه عسكرٌ فخافهم زين الدين على نفسه لانّه راى من تسلّطهم على السلطان واطّراحهم للادب معه ما اوجب الخوف معه فعاد الى الموصل فحين عاد عنه لم ينتظم امره ولم يتمّ له ما اراده وقبض العسكر عليه بباب همذان فى شوّال سنة ستّ وخمسين وخطبوا لارسلان شاه ابن الملك طغرل وهو الذى زوّج ايلدكز[2] بامّه وسيذكر مشروحًا ان شآء الله تعالى ☆

ذكر وفاة الفايز وولاية العاضد العلويّين

فى هذه السنة توفّى الفايز بنصر الله ابو القسم عيسى ابن اسمعيل الظافر صاحب مصر وكانت خلافته ستّ سنين ونحو شهرين وكان له لمّا ولى خمس سنين كما ذكرناه ولمّا مات دخل الصالح ابن رزّيك القصر واستدعى خادمًا كبيرًا وقال له مَن هاهنا يصلح للخلافة فقال هاهنا جماعة وذكر اسمآءهم وذكر له منهم انسانًا كبير السنّ فامر باحضاره فقال له بعض اصحابه سرًّا لا يكون عبّاس أحزم منك حيث

---

[1] قلت (1 ايلدكر (2

اختار الصغير وترك الكبّار واستبدّ بالامر فاعاد الصالح الرجل الى موضعه وامر حينئذ باحضار العاضد لدين الله ابى محمّد عبد الله ابى يوسف ابن الحافظ ولم يكن ابوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقًا قارب البلوغ فبايع له بالخلافة وزوّجه الصالح ابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسمع بمثله وعاشت بعد موت العاضد وخروج الامر من العلويّين الى الاتراك وتزوّجت ۞

ذكر وفاة الخليفة المقتفى لامر الله وشئ من سيرته

فى هذه السنة ثانى ربيع الاوّل توفّى امير المومنين المقتفى لامر الله ابو عبد الله محمّد ابن المستظهر بالله ابى العبّاس احمد ابن المقتدى بامر الله رضى الله عنه بعلّة التراقى وكان مولده ثانى عشر ربيع الاخر سنة تسع وثمانين واربعمائة وامّه امّ ولد تدعى ياعى وكانت خلافته اربعًا وعشرين سنةً وثلاثة اشهر وستّة عشر يومًا ووافق اباه المستظهر بالله فى علّة التراقى وماتا جميعًا فى ربيع الاوّل وكان حليمًا كريمًا عادلًا حسن السيرة من الرجال ذوى الراى والعقل الكثير وهو اوّل مَن استبدّ بالعراق منفردًا عن سلطان يكون معه من اوّل ايّام الديلم الى الآن واوّل خليفة تمكّن من الخلافة وحكم على عسكره واصحابه من حين تحكّم المماليك على الخلفآء من عهد المستنصر الى الآن الّا ان يكون المعتضد وكان شجاعًا مقدامًا مُباشرًا للحروب بنفسه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار فى جميع البلاد حتّى كان لا يفوته منها شئٌ ۞

ذكر خلافة المستنجد بالله

وفى هذه السنة بويع المستنجد بالله امير المومنين واسمه يوسف وامّه امّ ولد تدعى طاوُوس بعد موت والده وكان للمقتفى حظيّة وهى امّ ولده ابى علىّ فلمّا اشتدّ مرض المقتفى وايست منه ارسلت الى جماعة من الامرآء وبذلت لهم الاقطاعات الكثيرة والاموال الجزيلة ليُساعدوها على ان يكون ولدها الامير ابو علىّ خليفةً قالوا كيف الحيلة مع ولىّ العهد فقالت اذا دخل على والده قبضتُ عليه وكان يدخل الى ابيه كلّ يوم فقالوا لا بُدّ لنا من احد من ارباب الدولة فوقع اختيارهم على

ابى المعالى ابن الكيا الهراسىّ فدعوه الى ذلك فاجابهم على ان يكون وزيرًا فبذلوا له ما طلب   فلمّا استقرّت القاعدة بينهم وعلمت أمّ ابى علىّ احضرت عدّة من الجوارى واعطتهنّ السكاكين وامرتهنّ بقتل ولى العهد المستنجد بالله وكان له خصىّ صغير يرسله كلّ وقت يتعرّف اخبار والده فراى الجوارى بايديهنّ السكاكين وراى بيد ابى علىّ وامّه سيفَيْن فعاد الى المستنجد فاخبره وارسلته هى الى المستنجد تقول له انّ والده قد حضره الموت ليحضر ويشاهده فاستدعى استاذدار عضد الدولة واخذه معه وجماعة من الفرّاشين ودخل الدار وقد لبس الدرع واخذ بيده السيف فلمّا دخل ثار به الجوارى فضرب واحدةً منهنّ فجرحها وكذلك اخرى فصاح ودخل استاذ الدار ومعه الفرّاشون فهرب الجوارى واخذ اخاه ابا علىّ وامّه فسجنهما واخذ الجوارى فقتل منهنّ وغرّق منهنّ ودفع الله عنه ، فلمّا توفّى المقتفى لامر الله جلس للبيعة فبايعه اهله واقاربه واوّلهم عمّه ابو طالب ثمّ اخوه ابو جعفر ابن المقتفى وكان اكبر من المستنجد ثمّ بايعه الوزير ابن هبيرة وقاضى القضاة وارباب الدولة والعلمآء وخُطب له يوم الجمعة ونثرت الدنانير والدراهم ، حكى عنه الوزير عون الدين ابن هبيرة انّه قال رايتُ رسول الله صلّعم فى المنام منذ خمس عشرة سنة وقال لى يبقى ابوك فى الخلافة خمس عشرة سنة فكان كما قال صلّعم قال ثمّ رايتُه قبل موت ابى المقتفى باربعة اشهر فدخل بى فى باب كبير ثمّ ارتقى الى راس جبل وصلّى بى ركعتَيْن ثمّ البسنى قميصًا ثمّ قال لى قل اللهمّ اهدنى فيمن هديتَ وذكر دعآء القنوت ، ولمّا ولى الخلافة اقرّ ابن هبيرة على وزارته واصحاب الولايات على ولاياتهم وازال المكوس والضرايب وقبض على القاضى ابن المرخم وكان بئّس الحاكم واخذ منه مالًا كثيرًا وأُخذت كتبه فاحرق منها فى الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة فكان منها كتاب الشفآء لابن سينا وكتاب اخوان الصفآء وما يشاكلهما وقدم عضد الدين ابن رئيس الرؤسآء وكان استاذ الدار يمكنه وتقدّم الى الوزير ان يقوم له وعزل قاضى القضاة ابا الحسن علىّ بن احمد الدامغانىّ ورتّب مكانه ابو جعفر عبد الواحد الثقفىّ وخلع عليه ✿

ذكر الحرب بين عسكر خوارزم شاه والاتراك البرزيّة

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار طايفة من عسكر خوارزم شاه الى اجنه وهجموا على يغمرخان بن اودك ومن معه من الاتراك البرزيّة فاوقعوا بهم واكثروا القتل فانهزم يغمرخان وقصد السلطان محمود ابن محمّد الخان [والاتراك الغزيّة الذين معه وتوسّل اليهم بالقرابة وظنّ يغمرخان][1] انّ اختيار الدين ايثاق[2] هو الذى هيّج الخوارزميّة عليه فطلب من الغزّ انجاده ✿

ذكر احوال المؤيّد بخراسان هذه السنة

قد ذكرنا سنة ثلاث وخمسين عود المؤيّد اى ابه[3] الى نيسابور وتمكّنه منها وانّ ذلك كان سنة اربع وخمسين فلمّا دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة وراى المؤيّد تحكّمه فى نيسابور وتمكّنه فى دولته وكثرة جنده وعسكره احسن السيرة فى الرعيّة لا سيّما اهل نيسابور فانّه جبرهم وبالغ فى الاحسان اليهم وشرع فى اصلاح اعمالها واصلاح ولاياتها ، فسيّر طايفة من عسكره الى ناحية اسقيل وكان بها جمع قد تمرّدوا واكثروا العبث والفساد فى البلاد وطال تماديهم فى طغيانهم فارسل اليهم المؤيّد يدعوهم الى ترك الشرّ والفساد ومعاودة الطاعة والصلاح فلم يقبلوا ولم يرجعوا عمّا هم عليه فسيّر اليهم سريّة كثيرة فقاتلوهم واذاقوهم عاقبة ما صنعوا فاكثروا القتل فيهم وخرّبوا حصنهم وسار المؤيّد من نيسابور الى بيهق فوصلها رابع عشر ربيع الاخر من السنة وقصد منها حصن خسروجرد وهو حصن منيع بناه كيخسرو الملك قبل فراغه من قتل افراسياب[4] وفيه رجال شجعان فامتنعوا على المؤيّد فحصرهم ونصب عليهم المجانيق وجدّ فى القتال فصبر اهل الحصن حتّى نفد صبرهم ثمّ ملك المؤيّد القلعة واخرج كلّ من فيها [ورتّب فيها][5] من يحفظها وعاد منها الى نيسابور فى الخامس والعشرين من جمادى الاولى من السنة ، ثمّ سار الى هراة فلم يبلغ منها غرضًا فعاد الى نيسابور وقصد مدينة كندر[6] وهى من اعمال طريثيث[7] وقد تغلّب

---

1) C. P. 2) C. P.: ايناق 3) اى ابه 4) مراسيات
5) C. P. 6) كمدر 7) طرثيث

عليها رجل اسمه احمد كان خربندة واجتمع معه جماعة من الرنود وقطّاع الطريق والمفسدين فخرّبوا كثيرًا من البلاد وقتلوا كثيرًا من الخلق وغنموا من الاموال ما لا يُحصى وعظمت المصيبة بهم على خراسان وزاد البلآءُ فقصدهم المؤيّد فتحصّنوا بالحصن الذى لهم فقوتلوا اشدّ قتال ونصب عليهم العرادات والمنجنيقات فانعن هذا الخربندة احمد الى طاعة المؤيّد والانخراط فى سلك اصحابه واشياعه فقبله احسن قبول واحسن اليه وانعم عليه، ثم انّه عصى على المؤيّد وتحصّن بحصنه فاخذه المؤيّد منه قهرًا وعنوةً وقيّده واحتاط عليه ثم قتله واراح المسلمين منه ومن شرّه وفساده، وقصد المؤيّد فى شهر رمضان ناحية بيهق عازمًا على قتالهم لخروجهم عن طاعته فلمّا قاربها اتاه زاهدٌ من اهلها ودعاه الى العفو عنهم والحلم عن ذنوبهم ووعظه وذكّره فاجاب الى ذلك ورحل عنهم، فارسل السلطان محمود بن محمّد الخان وهو مع الغزّ الى المؤيّد بتقرير نيسابور وطوس واعمالها عليه وردّ الحكم فيها اليه فعاد الى نيسابور رابع ذى القعدة من السنة ففرح الناس بما تقرّر بينه وبين الملك محمود وبين الغزّ من ابقآء نيسابور عليه ليزول الخلف والفتن عن الناس ۞

ذكر الحرب بين شاه مازندران ويغمرخان

لمّا قصد يغمرخان الغزّ وتوسّل اليهم لينصروه على ايثاق لظنّه انّه هو الذى حسّن للخوارزميّة قصده فاجابوه الى ذلك وساروا معه على طريق نسا وابيورد ووصلوا الى الامير ايثاق فلم يجد لنفسه بهم قوّة فاستنجد شاه مازندران فجآءه ومعه من الاكراد والديلم والاتراك والتركمان الذين يسكنون نواحى ابسكون[1] جمع كثير فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم وانهزم الاتراك الغزّيّة والبرزيّة من شاه مازندران خمس مرّات ويعودون وكان على ميمنة شاه مازندران الامير ايثاق فحملت الاتراك الغزّيّة عليه لمّا ايسوا من الظفر بقلب شاه مازندران فانهزم ايثاق وتبعه باقى العسكر ووصل شاه مازندران الى سارية وقتل من عسكره اكثرهم،

ايسكون (١

حكى انّ بعض التجار كفّن ودفن من هولآء القتلى سبعة الاف رجل ، امّا ايثاق فانّه قصد فى هربه خوارزم واقام بها وسار الغزّ من المعركة الى دهستان وكان الحرب قريبًا منها فنقبوا سورها واوقعوا باهلها ونهبوهم وايل سنة ستّ وخمسين وخمسمايّة بعد ان خرّبوا جرجان وفرّقوا اهلها فى البلاد وعادوا الى خراسان ❁

ذكر وفاة خسرو شاه صاحب غزنة وملك ابنه بعده

فى هذه السنة فى رجب توفّى السلطان خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن ابرهيم بن مسعود ابن محمود[1] بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلًا حسن السيرة فى رعيّته محبًّا للخير واهله مقربًا للعلمآء محسنًا اليهم راجعًا الى قولهم وكان ملكه تسع سنين [وملك بعده ابنه ملك شاه][2] فلمّا ملك نزل علآء الدين الحسين ملك الغور الى غزنة فحصرها وكان الشتآء شديدًا والثلج كثيرًا فلم يمكنه المقام عليها فعاد الى بلاده فى صفر سنة ستّ وخمسين ❁

ذكر الحرب بين ايثاق وبغراتكين

فى هذه السنة منتصف شعبان كان بين الامير ايثاق والامير بغراتكين برغش الجُرْكانى[3] حربٌ وكان ايثاق قد سار الى بغراتكين فى اخر اعمال جُوين فنهب واخذ امواله وكلّ ما له وكان ذا نعمة عظيمة واموال جسيمة فانهزم بغراتكين عنها وخلاها فافتتحها ايثاق واستغنى بها وقويت نفسه بسببها وكثرت جموعه وقصده الناس وامّا بغراتكين فانّه ارسل [الى] المؤيّد صاحب نيسابور وصار فى جملته ومعدودًا من اصحابه فتلقّاه المؤيّد بالقبول ❁

ذكر وفاة ملكشاه بن محمود

فى هذه السنة توفّى ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمّد بن ملكشاه بن الب ارسلان باصفهان مسمومًا وكان سبب ذلك انّه لمّا كثر جمعه باصفهان ارسل الى بغداد وطلب ان يقطعوا خطبة عمّه سليمان شاه ويخطبون له ويعيدون القواعد بالعراق الى ما كانت اوّلاً والّا

[1]) محمد
[2]) C. P.
[3]) Codd. Par. برغش الجوكانى
Vid. *Journ. As.* 1846, II, 462

قصدهم ، فوضع الوزير عون الدين ابن هبيرة خصيًّا كان خصيصًا به يقال له اغلبك الكوهرابيني فمضى الى بلاد العجم واشترى جارية من قاضى همدان بالف دينار وباعها من ملكشاه وكان قد وضعها على سمّه ووعدها امورًا عظيمة [على] ذلك وسمّته فى لحم مشوى فاصبح ميّتًا وجآء الطبيب الى دكلا وشملة فعرّفهما انّه مسموم فعرفوا انّ ذلك من فعل الجارية فأُخذت وضُربت واقرّت وهرب اغلبك ووصل الى بغداد ووفى له الوزير بجميع ما استقرّ الحال عليه ولمّا مات اخرج اهل اصفهان اصحابه من عندهم وخطبوا لسليمان شاه واستقرّ مُلكه بتلك البلاد وعاد شملة الى خوزستان فاخذ ما كان ملكشاه تغلّب عليه منها ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة حجّ اسد الدين شيركوه ابن شاذى[1] مقدّم جيوش نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام وشيركوه هذا هو الذى ملك الديار المصريّة وسيرد ذكره ان شآء الله تعالى ، وفيها ارسل زين الدين علىّ تايب قطب الدين صاحب الموصل رسولًا الى المستنجد يعتذر ممّا جناه من مساعدة محمّد شاه فى حصار بغداد ويطلب ان يوذن له فى الحجّ فارسل اليه يوسف الدمشقىّ مدرّس النظاميّة وسليمان ابن قتلمش يطيّبان قلبه عن الخليفة ويعرّفانه الاذن فى الحجّ فحجّ ودخل الى الخليفة فاكرمه وخلع عليه ، وفيها توفّى قايماز الارجوانىّ امير الحاجّ سقط من الفرس وهو يلعب بالاكرة فسال مخّه من مناخيره واذنيه فمات ، وفيها فى ربيع الاخر توفّى محمّد ابن يحيى بن علىّ بن مسلم ابو عبد الله الزبيدىّ من اهل زبيد مدينة باليمن مشهورة وقدم بغداد سنة تسع واربعين وخمسمايةٍ وكان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان نحويًّا واعظًا وصحبه الوزير ابن هبيرة مرةً وكان موته ببغداد ✿

ثم دخلت سنة ستّ وخمسين وخمسماية ، سنة ٥٥٦

ذكر الفتنة ببغداد

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل خرج الوزير ابن هبيرة من داره الى الديوان والغلمان يطرّقون له وارادوا يردّون باب المدرسة الكماليّة بدار

[1] شادى (١

الخليفة فنعهم الفقهاء وضربوهم بالاجرّ فشهر اصحاب الوزير السيوف وارادوا ضربهم فنعهم الوزير ومضى الى الديوان فكتب الفقهاء مطالعة يشكون اصحاب الوزير فامر الخليفة بضرب الفقهاء وتاديبهم ونفيهم من الدار فضى استاذ الدار وعاقبهم هناك واختفى مدرّسهم الشيخ ابو طالب ثم انّ الوزير اعطى كلّ فقير دينارًا واستحلّ منهم واعادهم الى المدينة وظهر مدرّسهم ۞

ذكر قتل ترشك

فى هذه الايّام قصد جمع من التركمان الى البندنيجين فامر الخليفة بتجهيز عسكر اليهم وان يكون مقدّمهم ترشك وكان فى اقطاعه بلد اللحف[1] فارسل اليه الخليفة يستدعيه فامتنع من المجئ الى بغداد وقال يحضر العسكر فانا اقاتل بهم وكان عازمًا على الغدر فجهّز العسكر وساروا اليه وفيهم جماعة من الامرآء فلمّا اجتمعوا بترشك قتلوه وارسلوا راسه الى بغداد وكان قتل مملوكًا للخليفة فدفع اولياء المقتول وقيل لهم انّ اميـر المـومنـيـن قـد اقـتـصّ لابـيـكـم ممّـن قـتـلـه ۞

ذكر قتل سليمان شاه والخطبة لارسلان

فى هذه السنة فى ربيع الاخر قُتل السلطان سليمان شاه ابن السلطان محمّد ابن ملكشاه وسبب ذلك انّه كان فيه تهوّر وخرق وبلغ به من شرب الخمر حتّى انه شربها فى رمضان نهارًا وكان يجمع المساخر ولا يلتفت الى الامرآء فاهمل العسكر امره وصاروا لا يحضرون بابَهُ وكان قد ردّ جميع الامور الى شرف الدين كردبازو[2] الخادم وهو من مشايخ الخدم السلجقيّة يرجع الى دين وعقل وحسن تدبير فكان الامرآء يشكون اليه وهو يسكّنهم فاتّفق انّه شرب يومًا بظاهر همدان فى الكُشك فحضر عنده كردبازو فلامه على فعله فامر سليمان شاه مَن عنده من المساخرة فعبثوا بكردبازو حتّى انّ بعضهم كشف له سوأته فخرج مغضبًا فلمّا صحا سليمان ارسل اليه يعتذر فقبل عذره الّا انّه تجنّب الحضور عنده فكتب سليمان الى اينانج[3] صاحب الرىّ يطلب منه ان ينجده على كردبازو فوصل الرسول واينانج[3] مريض فاعاد الجواب يقول

---

1) اللحف 2) Variat scriptura inter كردبازو et كردبازه 3) ايتانج

اذا أفقت من مرض حصرت البك بعسكرى فبلغ الخبر كردبازو فازداد استيحاشا فارسل اليه سليمان يومًا يطلبه فقال اذا جآء اينانج[1] حضرت واحضر الامراء واستحلفهم على طاعته وكانوا كارهين لسليمان فحلفوا له فأوّل ما عمل ان قتل المساخرة الذين لسليمان وقال انّما افعل ذلك للملك ثم اصطلحا وعمل كردبازو دعوة عظيمة حضرها السلطان والامرآء فلمّا صار السلطان سليمان شاه فى داره قبض عليه كردبازو وعلى وزيره ابى القسم محمود بن عبد العزيز الحامدى وعلى اصحابه فى شوّال سنة خمس وخمسين وخمس مائة فقتل وزيره وخواصّه وحبس سليمان شاه فى قلعة ثم ارسل اليه مَن خنقه وقيل بل حبسه فى دار مجد الدين العلوى رئيس همذان وفيها قتل وقيل بل سقى سمًّا فمات والله اعلم ، وارسل الى ايلدكز[2] صاحب ارّانيّة واكثر بلاد اذربيجان يستدعيه اليه ليخطب للملك ارسلان شاه الذى معه وبلغ الخبر الى اينانج[3] صاحب الرىّ فسار ينهب البلاد الى ان وصل الى همذان فتحصّن كردبازو فطلب منه اينانج[3] ان يعطيه مصافًّا فقال انا لا احاربك حتّى يصل الاتابك الاعظم ايلدكز [وسار ايلدكز][4] فى عساكره جميعها يزيد على عشرين الف فارس ومعه ارسلان شاه بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه فوصل الى همذان فلقيهم كردبازو وانزله دار المملكة وخطب لارسلان شاه بالسلطنة بتلك البلاد وكان ايلدكز اتابكه والبهلوان حاجبه وهو اخوه لامّه وكان هذا ايلدكز احد مماليك السلطان مسعود وامرآيه فى اوّل امره فلمّا ملك اقطعه ارّان وبعض اذربيجان واتّفق الحروب والاختلاف فلم يحضر عند احد من السلاطين السلجقيّة وعظم شانه وقوى امره وتزوّج بامّ الملك ارسلان شاه فولدت له اولادًا منهم البهلوان محمّد وقزل ارسلان عثمان وقد ذكرنا سبب انتقال ارسلان شاه اليه وبقى عنده الى الأن فلمّا خطب له بهمدان ارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة لارسلان شاه ايضًا وان تُعاد القواعد الى ما كانت عليه ايّامَ السلطان مسعود فهين رسوله واعيد اليه على اقبح

[1] اينانج [2] ايلدكر [3] امانج [4] C. P.

حالته ، وامّا اينانج[1] صاحب الرىّ فانّ ايلدكز راسله ولاطفه فاصطلحا وتحالفا على الاتّفاق وتزوّج البهلوان ابن ايلدكز بابنة اينانج ونُقلت اليه بهمدان ☆

ذكر الحرب بين ابن اقسنقر وعسكر ايلدكز

لمّا استقرّ الصلح بين ايلدكز واينانج ارسل الى ابن اقسنقر الاحمديلىّ صاحب مراغة يدعوه الى الحضور فى خدمة السلطان ارسلان شاه فامتنع من ذلك وقال ان كففتم عنّى والّا فعندى سلطانٌ وكان عنده ولده[2] محمّد شاه ابن محمود كما ذكرناه وكان الوزير ابن هبيرة قد كاتبه يطمعه فى الخطبة لولد محمود شاه فجهّز ايلدكز عسكرًا مع ولده البهلوان فبلغ الخبر الى ابن اقسنقر فارسل الى شاه ارمن صاحب خلاط وحالفه وصارا يدًا واحدةً فسيّر اليه شاه ارمن عسكرًا كثيرًا واعتذر عن تاخّره بنفسه لانّه فى ثغر لا يُمكنه مفارقته فقوى بهم ابن اقسنقر وكثر جمعه وسار نحو البهلوان فالتقيا على نهر اسبيرود[3] فاشتدّ القتال بينهم فانهزم البهلوان اقبح هزيمة ووصل هو وعسكره الى همدان على اقبح صورة واستامن اكثر اصحابه الى ابن اقسنقر وعاد الى بلده منصورًا ☆

ذكر الحرب بين ايلدكز واينانج

لمّا مات ملكشاه ابن السلطان محمود كما ذكرناه اخذ طايفة من اصحابه ابنه محمودًا وانصرفوا به نحو بلاد فارس فخرج عليهم صاحبها زنكى ابن دكلا السلغرىّ فاخذه منهم وتركه فى قلعة اصطخر فلمّا ملك ايلدكز والسلطان ارسلان شاه الذى معه البلاد[4] وارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة للسلطان كما ذكرناه شرع الوزير عون الدين ابو المظفّر يحيى ابن هبيرة وزير الخليفة فى اثارة اصحاب الاطراف عليه وراسل الاحمديلىّ وكان ما ذكرناه وكاتب زنكى ابن دكلا صاحب بلاد فارس يبذل له ان يخطب للملك الذى عنده وهو ابن ملكشاه وعلّق الخطبة له بظفره بايلدكز فخطب ابن دكلا للملك الذى عنده وانزله

[1]) اينانج ubique. [2]) ولده [3]) اسبيروه [4]) C. P. et 740. Ups: ارسلان الرى البلادُ

من القلعة وضرب الطبل على بابه خمس نوب وجمع عساكره وكاتب اينانج صاحب الرى يطلب منه الموافقة وسمع ايلدكز الخبر فحشد وجمع وكثر عسكره وجموعه فكانت اربعين الفا وسار الى اصفهان يريد بلاد فارس وارسل الى زنكى ابن دكلا يطلب منه الموافقة ان يعود يخطب لارسلان شاه فلم يفعل وقال ان الخليفة قد اقطعنى بلاده وانا ساير اليه فرحل ايلدكز وبلغه ان جشيرا لارسلان بوقا وهو امير من امرآء زنكى وفى اقطاعه ارّجان بالقرب منه فانفذ سرية للغارة عليه فاتفق ان ارسلان بوقا عزم على تغيير الخيل التى معه اضعفها واخذ عوضها من ذلك الجشير فسار فى عسكره الى الجشير فصادف العسكر الذى سيّره ايلدكز لاخذ دوابه فقاتلهم واخذهم وقتلهم وارسل الروس الى صاحبه فكتب بذلك الى بغداد وطلب المدد فوعد بذلك ، وكان الوزير عون الدين ابن هبيرة ايضا قد كاتب الامرآء الذين مع ايلدكز يوبخهم على طاعته ويضعف رايهم ويحرضهم على مساعدة زنكى ابن دكلا وايناتج ، وكان ايناتج قد برز من الرى فى عشرة الاف فارس فارسل اليه ابن اقسنقر الاحمديلى خمسة الاف فارس وهرب ابن البازدار[1] صاحب قزوين وابن طغيرك وغيرهما فلحقوا بايناتج وهو فى صحرآء ساوة واما ايلدكز فانه استشار نصحاه فاشاروا بقصد ايناتج لانه اهم فرحل[2] اليه ونهب زنكى سهيرم وغيرها فرد ايلدكز اليه اميرا فى عشرة الاف فارس لحفظ البلاد فسار زنكى اليهم فلقيهم وقتلهم فانهزم عسكر ايلدكز اليه فتجلد ايلدكز وارسل يطلب عساكر اذربيجان فجآته مع ولده قزل ارسلان وسيّر زنكى ابن دكلا عسكرا كثيرا الى ايناتج واعتذر عن الحضور بنفسه عنده لخوفه على بلاده من شملة صاحب خوزستان فسار ايلدكز الى ايناتج وتدانى العسكران فالتقوا تاسع شعبان وجرى بينهم حرب عظيمة اجلت عن هزيمة ايناتج فانهزم اقبح هزيمة وقتلت رجاله ونهبت امواله ودخل الرى وتحصن فى قلعة طبرك وحصر ايلدكز الرى ثم شرع فى الصلح واقترح ايناتج اقتراحات فاجابه ايلدكز اليها

---

[1] البارداز [2] فدخل

واعطاه جرماذقان وغيرها وعاد ايلدكز الى همدان ، كان ينبغى ان تتاخّر هذه الحادثة والتى قبلها وانّما قدمت لتتبع اخواتها ☆

ذكر وفاة ملك الغور ومُلك ابنه محمّد

فى هذه السنة فى ربيع الاخر توفّى الملك علآء الدين الحسين ابن الحسين الغورىّ ملك الغور بعد انصرافه عن غزنة وكان عادلًا من احسن الملوك سيرةً فى رعيّته ولمّا مات ملك بعده ابنه سيف الدين محمّد واطاعه الناس واحبّوه وكان قد صار فى بلادهم جماعة من دُعاة الاسماعيليّة وكثر اتباعهم فاخرجهم[1] من تلك الديار جميعها ولم يبق فيها منهم احد وراسل الملوك وهاداهم واستمال المؤيّد اى ابه صاحب نيسابور وطلب موافقته ☆

ذكر الفتنة بنيسابور وتخريبها

كان اهل العبث والفساد بنيسابور قد طمعوا فى نهب الاموال وتخريب البيوت وفعل ما ارادوا فاذا نُهوا لم ينتهوا فلمّا كان الأن تقدّم المؤيّد اى ابه يقبض اعيان نيسابور منهم نقيب العلويّين ابو القسم زيد بن الحسن الحسينىّ وغيره وحبسهم فى ربيع الاخر سنة ستّ وخمسين وقال انتم الذين اطمعتم الرنود والمفسدين حتّى فعلوا هذه الفعال ولو اردتم منعهم لامتنعوا وقتل من اهل الفساد جماعة فخرّبت نيسابور بالكلّيّة ومن جملة ما خرب مسجد عقيل كان مجمعًا لاهل العلم وفيه خزاين الكتب الموقوفة وكان من اعظم منافع نيسابور وخرب ايضًا من مدارس الحنفيّة ثمان مدارس ومن مدارس الشافعيّة سبعة عشرة مدرسة واحرق خمس خزاين للكتب ونهب سبع خزاين كتب وبيعت بابخس الاثمان ، هذا ما امكن احصآؤه سوى ما لم يُذكر ☆

ذكر خلع السلطان محمود ونهب طوس وغيرها من خراسان

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة قصد السلطان محمود ابن محمّد الخان وهو ابن اخت السلطان سنجر وقد ذكرنا انّه ملك خراسان بعده ففى هذه السنة حصر المؤيّد صاحب نيسابور بشاذياخ وكان

---

[1] فاخرجها

الغزّ مع السلطان محمود فدامت الحرب الى اخر شعبان سنة ستّ وخمسين وخمسمائة ، ثم انّ محمودًا اظهر انّه يريد دخول الحمام فدخل الى شهرستان اخر شعبان كالهارب من الغزّ واقاموا على نيسابور[1] الى اخر شوّال ثم عادوا راجعين فعاثوا فى القُرى ونهبوها ونهبوا طوس نهبًا فاحشًا وحصروا المشهد الذى لعلىّ ابن موسى وقتلوا كثيرًا ممّن فيه ونهبوهم ولم يعرضوا للقبّة التى فيها القبر ، فلمّا دخل السلطان محمود الى نيسابور امهله المؤيّد الى ان دخل رمضان من سنة سبع وخمسين وخمسمائة واخذه وكحله واعماه واخذ ما كان معه من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة وكان يخفيها خوفًا عليها من الغزّ لمّا كان معهم وقطع المؤيّد خطبته من نيسابور وغيرها ممّا هو فى تصرّفه وخطب لنفسه بعد الخليفة المستنجد بالله واخذ ابنه جلال الدين محمّدًا الذى كان قد ملّكه الغزّ امرهم قبل ابيه وقد ذكرنا ذلك وسمله[2] ايضًا وسجنهما ومعهما جواريهما وحشمهما وبقيا فيها فلم تطل ايّامهما ومات السلطان محمود ثم مات ابنه بعده من شدّة وجده لموت ابيه والله اعلم ۞

ذكر عمارة شاذياخ نيسابور

كانت شاذياخ قد بناها عبد الله بن طاهر بن الحسين لمّا كان اميرًا على خراسان للمامون وسبب عمارتها انّه راى امراة جميلة تقود فرسًا تريد سقيَه فسالها عن زوجها فاخبرتْه به فاحضره وقال له خدمة الخيل بالرجال اشبه فلم تقعد انت فى دارك وترسل امراتك مع فرسك فبكى الرجل وقال له ظلمك يحملنا على ذلك فقال وكيف قال لانّك تنزل الجند معنا فى دورنا فان خرجتُ انا وزوجتى بقى البيت فارغًا فياخذ الجندىّ ما لنا فيه وان سقيتُ انا الفرس فلا امن على زوجتى من الجندىّ فرايتُ ان اقيم فى البيت وتخدم زوجتى الفرس فعظم الامر عليه وخرج من البلد لوقته ونزل فى الخيام وامر الجند فخرجوا من دور الناس وبنى شاذياخ دارًا له وللجنده وسكنها وهم معه ثم انّها دثرت بعد

---

[1] C. P. et 740. Ups.: بنيسابور [2] وشملة

ذلك فلمّا كان ايّام السلطان الب ارسلان ذكرت له هذه القصّة فامر بتجديدها ثمّ انّها تشعّثت بعد ذلك فلمّا كان الآن وخربت نيسابور ولم يمكن حفظها والغزّ تطرق البلاد وتنهبها امر المؤيّد حينئذ بعمل سورها وسدّ ثلمه وسكناه ففعل ذلك وسكنها هو والناس معه وخُربت حينئذ نيسابور كلّ خراب ولم يبق فيها اثنان ❊

ذكر قتل الصالح ابن رُزّيك ووزارة ابنه رُزّيك

فى هذه السنة فى شهر رمضان قُتل الملك الصالح ابو الغارات طلايع ابن رزّيك الارمنىّ وزير العاضد العلوىّ صاحب مصر وكان سبب قتله انّه تحكّم فى الدولة التحكّم العظيم واستبدّ بالامر والنهى وجباية الاموال اليه لصغر العاضد ولانّه هو الذى ولّاه ووتر الناس فانّه اخرج كثيراً من اعيانهم وفرّقهم فى البلاد ليامن وثوبهم عليه ثمّ انّه زوّج ابنته من العاضد فعاداه ايضًا الحرم من القصر فارسلت عمّة العاضد الاموال الى امرآء المصريّين ودعتهم الى قتله وكان اشدّهم عليه فى ذلك انسان يقال له ابن الداعى فوقفوا له فى دهليز القصر فلمّا دخل ضربوه بالسكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة الّا انّه حُمل الى داره وفيه حياة فارسل الى العاضد يعاتبه على الرضى بقتله مع اثره فى خلافته فاقسم العاضد انّه لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال ان كنت بريًّا فتسلّم عمّتك الىّ حتّى انتقم منها فامر باخذها فارسل اليها فاخذها قهرًا واحضرت عنده فقتلها ووصى بالوزارة ابنه رُزّيك ولُقّب العادل فانتقل الامر اليه بعد وفاة ابيه وللصالح اشعار حسنة بليغة تدلّ على فضل غزير فمنها فى الافتخار

ابى الله الّا ان يدوم لنا الدهر ويخدمنا فى مُلكنا العزّ والنصرُ
علمنا بانّ المال تفنى الوفه ويبقى لنا من بعده الاجر والذكرُ
خلطنا الندى بالباس حتّى كانّنا سحاب لديه البرق والرعد والقطرُ
قرانا اذا رُحنا الى الحرب مرّة قرانا ومن اضيافنا الذيب والنسرُ
كما انّنا فى السلم نبذل جودنا ويرتع فى انعامنا العبد والحرُّ

وكان الصالح كريمًا فيه ادب له شعر جيّد وكان لاهل العلم عنده انّفاق ويرسل اليهم العطا الكثير بلغه انّ الشيخ ابا محمّد ابن

الدهقان النحوى البغدادى المقيم بالموصل قد شرح بيتنا من شعره وهو هذا

تجنّب سمعى ما يقول العواذل　　واصبح لى شغل من الغزو شاغلُ

فجهّز اليه هديّة سنيّة ليرسلها اليه فقتل قبل ارسالها وبلغه ايضًا ان انسانًا من اعيان الموصل قد اثنى عليه بمكّة فارسل اليه كتابًا يشكره ومعه هديّة وكان الصالح اماميًا لم يكن على مذهب العلويّين المصريّين ولمّا ولى العاضد الخلافة وركب سمع الصالح ضجّة عظيمة فقال ما الخبر فقيل انّهم يفرحون بالخليفة فقال كانّى بهاولآء الجهلة وهم يقولون ما مات الاوّل حتّى استخلف هذا وما علموا انّنى كنت من ساعة استعرضهم استعراض الغنم٭ قال عمارة دخلتُ الى الصالح قبل قتله بثلاثة ايّام فناولنى قرطاسًا فيه بيتان من شعر وهما

نحن فى غفلة ونوم وللموت　　عيون يقظانة لا تنامُ

قد رحلنا الى الحمام سنينًا　　ليت شعرى متى يكون الحِمامُ

فكان اخر عهدى به وقال عمارة ايضًا ومن عجيب الاتّفاق انّنى انشدتُ ابنه قصيدة اقول فيها

ابوك الذى تسطوا الليالى بحدّه　　وانت يمين ان سطا وشمالُ

لرتبتّه العظمى وان طال عمره　　اليك مصير واجب ومنالُ

تخالصك اللحظ المصون ودونها　　حجاب شريف لا انقضا وجمالُ

فانتقل الامر اليه بعد ثلاثة ايّام ٭

ذكر الحرب بين العرب وعسكر بغداد

فى هذه السنة فى شهر رمضان اجتمعت خفاجة الى الحلّة والكوفة وطالبوا برسومهم من الطعام والتمر وغير ذلك فنعهم امير الحاجّ ارغش وهو مقطع الكوفة ووافقه على منعه الامير قيصر شحنة الحلّة وهما من مماليك الخليفة فافسدت خفاجة ونهبوا سواد الكوفة والحلّة فاسرا اليهم الامير قيصر شحنة الحلّة فى مايتين وخمسين فارسًا وخرج اليه ارغش فى عسكر وسلاح فانتزحت خفاجة من بين ايديهم وتبعهم العسكر الى رحبة أنشام فارسل خفاجة يعتذرون ويقولون قد قنعنا بلبن الابل وخبز الشعير وانتم تمنعونا رسومنا وطلبوا الصلح فلم يجبهم ارغش وقيصر وكان

ذن اجتمع مع خفاجة كثير من العرب فتصدقوا واقتتلوا وارسلت العرب
طايفة الى خيام العسكر ورحالهم فحالوا بينهم وبينها وحمل العرب حملة
منكرة فانهزم العسكر وقُتل كثير منهم وقُتل الامير قيصر وأُسرت جماعة
اخرى وجرح امير الحاجّ جراحة شديدة ودخل الرحبة فحماه شحنتها
واخذ له الامان وسيّره الى بغداد ومن نجا مات عطشًا فى البرّيّة وكان
اماة العرب يخرجن بالمآء يسقين الجرحى فاذا طلبه منهنّ احد من
العسكر اجهزن عليه وكثر النوح والبكآء ببغداد على القتلى وتجهّز
الوزير عون الدين ابن هبيرة والعساكر معه فخرج فى طلب خفاجة
فدخلوا البرّيّة وخرجوا الى البصرة ولمّا دخلوا البرّ عاد الوزير الى بغداد
وارسل بنو خفاجة يعتذرون ويقولون بُغى علينا وفارقنا البلاد فتبعونا
واضطررنا الى القتال وسالوا العفو عنهم فاجيبوا الى ذلك ۞

ذكر حصر المؤيّد شارستان

فى هذه السنة حصر المؤيّد اى ابه مدينة شارستان قريب
نيسابور وقاتله اهلها ونصب المجانيق والعرادات فصبر اهلها خوفًا على
انفسهم من المؤيّد ، وكان معه جلال الدين المؤيّد الموفقىّ الفقيه الشافعىّ
فبينما هو راكب اذ وصل اليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى
الاخرة من السنة وتعدّى الحجر منه الى شيخ من شيوخ بيهق فقتله
فعظمت المصيبة بقتل جلال الدين على اهل العلم خصوصًا اهل السنّة
والجماعة وكان فى عنفوان شبابه رحمه الله لمّا قُتل ، ودام الحصار الى شعبان
سنة سبع وخمسين وخمسمايّة فنزل خواجكى صاحبها بعد ما كثر
القتل ودام الحصر وكان لهذه القلعة ثلاثة روسآء هم ارباب النهى والامر وهم
الذين حفظوها وقاتلوا عنها احدهم خواجكى هذا والثانى داعى ابن
محمّد ابن اخى حرب العلوىّ والثالث الحسين ابن ابى طالب العلوىّ
الفارسىّ فنزلوا كلّهم ايضًا الى المؤيّد اى ابه فيمن معهم من اشياعهم
واتباعهم فامّا خواجكى فانّه أُثبت عليه انّه قتل زوجته ظلمًا وعدوانًا
واخذ مالها فقُتل بها وملك المؤيّد شارستان وصفت له فنهبها عسكره
الّا انّهم لم يقتلوا امراة ولا سبوها ۞

ذكر ملك الكرج مدينة انى[1]

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت الكرج مع ملكهم وساروا الى مدينة انى من بلاد ارّان وملكوها وقتلوا فيها خلقًا كثيرًا فانتدب لهم شاه ارمن ابن ابرهيم بن سكمان صاحب خلاط وجمع العساكر واجتمع معه من المتطوّعة خلق كثير وسار اليهم فلقوه وقتلوه فانهزم المسلمون وقُتل اكثرهم وأُسر كثير منهم وعاد شاه ارمن مهزومًا لم يرجع معه غير اربع مايـة فارس من عسكره ✿

ذكر ولاية عيسى مكّة حرسها الله تعالى

كان امير مكّة هذه السنة قاسم بن فُليتة بن قاسم بن ابى هاشم العلوى الحسينى فلمّا سمع بقرب الحجاج من مكّة صادر المجاورين واعيان اهل مكّة واخذ كثيرًا من اموالهم وهرب من مكّة خوفًا من امير الحاجّ ارغش وكان قد حجّ هذه السنة زين الدين على ابن بكتكين صاحب جيش الموصل ومعه طايفة صالحة من العسكر فلمّا وصل امير الحاجّ الى مكّة رتّب مكان قاسم بن فُليتة عمّه عيسى بن قاسم بن هاشم فبقى كذلك الى شهر رمضان ثم انّ قاسم ابن فليتة جمع جمعًا كثيرًا من العرب اطمعهم فى مال له بمكّة فاتبعوه فسار بهم اليها فلمّا سمع عمّه عيسى فارقها ودخلها قاسم فاقام بها اميرًا ايّامًا ولم يكن له مال يوصله الى العرب ثم انّه قتل قايدًا كان معه احسن السيرة فتغيّرت نيّات اصحابه عليه وكاتبوا عمّه عيسى فقدم عليهم فهرب وصعد جبل قبيس فسقط عن فرسه فاخذه اصحاب عيسى وقتلوه فعظم عليه قتله فاخذه وغسّله ودفنه بالمعلى عند ابيه فليتة واستقرّ الامر بعده لعيسى والله اعلم ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة سار عبد المؤمن ابن علىّ الى جبل طارق وهو على ساحل الخليج ممّا يلى الاندلس فعبر المجاز اليه وبنى عليه مدينة حصينة واقام بها عليه عدّة شهور وعاد الى مرّاكش ، وفيها فى المحرّم ورد نيسابور جمع كثير من تركمان بلاد فارس ومعهم اغنام كثيرة

[1]) Ubique اى

للتجارة فباعوها واخذوا الثمن ونزلوا على مرحلتَيْن من طابس كنكلى[1] وباتوا هناك فنزل اليهم الاسماعيليّة وكبسوهم ليلًا ووضعوا السيف فيهم فقتلوا واكثروا ولم ينجُ منهم الّا الشريد وغنم الاسماعيليّة جميع ما معهم من مال وعروض وعادوا الى قلاعهم ، وفيها كثرت الامطار فى اكثر البلاد ولا سيّما خراسان فانّ الامطار توالت فيها من العشرين من المحرّم الى منتصف صفر لم تنقطع ولا راى الناس فيها شمسًا ، وفيها كان بين الكُرج وبين الملك صلتق ابن علىّ صاحب ارزن الروم قتال وحرب انهزم فيه صلتق وعسكره وأُسر هو وكانت اخته شاه بانوار قد تزوّجها شاه ارمن بن سكمان بن ابرهيم بن سكمان صاحب خلاط فارسلت الى ملك الكرج[2] هديّة جليلة المقدار وطلبت منه ان يفاديها باخيها فاطلقه فعاد الى مُلكه ، وفيها قصد صاحب صيدا من الفرنج نور الدين محمود صاحب الشام ملتجيًا اليه فامّنه وسيّر معه عسكرًا يمنعه من الفرنج ايضًا فظهر عليهم فى الطريق كمين للفرنج فقتلوا من المسلمين جماعة وانهزم الباقون ، وفيها ملك قرا ارسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان[3] وكانت لطايفة من الاكراد يقال لهم الجونيّة فلمّا ملكها خرّبها واضاف ولايتها الى حصن طالب ، وفيها توفّى الكمال حمزة بن علىّ بن طلحة صاحب المخزن كان جليل القدر ايّام المسترشد بالله وولى المقتفى وبنى مدرسة لاصحاب الشافعىّ بالقرب من داره ثمّ حجّ وعاد قد لبس الفوط وزىّ الصوفيّة وترك الاعمال فقال بعض الشعرآء فيه

يا عضد الاسلام يا مَن سمت … الى العلا همّته الفاخرهْ
كانت لك الدنيا فلم ترضها … ملكًا فاخلدتَ الى الاخرهْ

وبقى منقطعًا فى بيته عشرين سنة ولم يزل محترمًا يغشاه الناس كافّة ❊

ثمّ دخلت سنة سبع وخمسين وخمسماية ، سنة ٥٥٧

ذكر فتح المؤيّد طوس وغيرها

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من صفر نازل المؤيّد اى ابه ابا بكر جاندار بقلعة وسكره خوى[4] من طوس وكان قد تحصّن بها

1) C. P.: طابس كمكلى 2) الروم 3) ساتان 4) وسكره حوس
740: وسكرة حوش

وهي حصينة منيعة لا ترام فقاتله واعانه اهل طوس على ابي بكر لسوء سيرته كانت فيهم وظُلمه فلمّا راى ابو بكر ملازمة المؤيّد ومواصلة القتال عليه خضع وذلّ ونزل من القلعة بالامان في العشرين من ربيع الآوّل من السنة فلمّا نزل منها حبسه المؤيّد وامر بتقييده ، ثمّ سار منها الى كرستان وصاحبها ابو بكر فاخر فنزل من قلعته وهي من امنع الحصون على رأس جبل عالٍ وصار في طاعة المؤيّد ودان له ووافقه ، وسيّر جيشًا في جمادى الاخرة منها الى اسفرايين فتحصّن رئيسها عبد الرحمن بن محمّد بن عليّ الحاجّ بالقلعة وكان ابوه كريم خراسان على الاطلاق ولكن كان هذا عبد الرحمن بئيس الخلف فلمّا تحصّن احاط به العسكر المؤيّديّ واستنزلوه من الحصن وحملوه مقيّدًا الى شاذياخ وحبس بها وقيل في ربيع الاخر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وملك المؤيّد ايضًا قهندز[1] نيسابور واستدارت مملكة المؤيّد حول نيسابور وعادت الى ما كانت عليه قبل الّا انّ اهلها انتقلوا الى شاذياخ وخربت المدينة العتيقة ، وسيّر المؤيّد جيشًا الى خوّاف وبها عسكر مع بعض الامرآء اسمه ارغش فكمن ارغش جمعًا في تلك المضايق والجبال وتقدّم الى عسكر المؤيّد فقاتلهم وطلع الكمين فانهزم عسكر المؤيّد وقُتل منهم جمعٌ وعاد الباقون الى المؤيّد بنيسابور ، وسيّر جيشًا الى بوشنج[2] هراة وهي في طاعة الملك محمّد ابن الحسين الغوريّ فحصروها واشتدّ الحصار عليها وقام القتال والزحف فسيّر الملك محمّد الغوريّ جيشًا اليها ليمنع عنها فلمّا قاربوا هراة فارقها العسكر الذي يحصرها وعادوا عنها وصفت تلك الولاية للغوريّة ❊

ذكر اخذ ابن مردنيش[3] غرناطة من عبد المؤمن وعودها اليه

في هذه السنة ارسل اهل غرناطة من بلاد الاندلس وهي لعبد المؤمن الى الامير ابرهيم بن همشك صهر ابن مردنيش[3] فاستدعوه اليهم ليسلّموا اليه البلد وكان قد وحّد وصار من اصحاب عبد المؤمن وفي طاعته وممّن يحرّضه على قصد ابن مردنيش[3] فلمّا وصل اليه رُسل

---

1) فنهدر 2) بوسنج 3) مردنيس

اهل غرناطة سار معهم اليها فدخلها وبها جمع من اصحاب عبد المؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر ابا سعيد عثمان ابن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذى كان عنده وتوجّه الى غرناطة لنصرة من فيها من اصحابهم فعلم بذلك ابرهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيش[1] ملك البلاد بشرق الاندلس فارسل اليه الفى فارس من انجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحى غرناطة فالتقوا هم ومن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن قبل وصول ابى سعيد اليهم فاشتدّ القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم ابو سعيد واقتتلوا ايضًا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طايفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجّالة والاجلاد حتّى قُتلوا عن اخرهم وانهزم حينيٍّذ ابو سعيد ولحق بمالقة ، وسمع عبد المؤمن الخبر وكان قد سار الى مدينة سلا فسيّر فى الحال ابنه ابا يعقوب يوسف فى عشرين الف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ المُوَحّدين فجدّوا المسير فبلغ ذلك ابن مردنيش[1] فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش[1] فى الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذى امر به ابن همشك اوّلًا وهم الفا فارس بظاهر القلعة الحمرآء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمرآء فيمن معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فاقاموا فى سفحه ايّامًا ثمّ سيّروا سرية اربعة الاف فارس فبيّتوا العسكر الذى بظاهر القلعة الحمرآء وقاتلوهم من جهاتهم فما لحقوا يركبون فقتلوهم عن اخرهم واقبل عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحى غرناطة فعلم ابن مردنيش[1] وابن همشك انّهم لا طاقة لهم بهم ففرّوا فى الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى المُوَحّدون على غرناطة فى باقى السنة المذكورة وعاد عبد المؤمن من مدينة سلا الى مرّاكش ❊

ذكر حصر نور الدين حارم

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الشام العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم وهى للفرنج غربىّ حلب

---

1) مردنيس

تحصرها وجدّ فى قتالها فامتنعت عليه بحصانتها وكثرة مَن بها من فرسان الفرنج ورجّالتهم وشجعانهم فلمّا علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم وراجلهم من ساير البلاد وحشدوا واستعدّوا وساروا نحوه ليرحّلوه عنها فلمّا قاربوه طلب منهم المصافّ فلم يجيبوه اليه وراسلوه وتلطّفوا الحال معه فلمّا راى انّه لا يمكنه اخذ الحصن ولا يجيبونه الى المصافّ عاد الى بلاده، وممّن كان معه فى هذه الغزوة مؤيّد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ[1] الكنانىّ وكان من الشجاعة فى الغاية فلمّا عاد الى حلب دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله فى العام الماضى سايرًا الى الحجّ فلمّا دخله الآن كتب على حايطه

لك الحمد يا مولاى كم لك منّةً ... علىّ وفضلًا لا يحيط به شكرى
نزلتُ بهذا المسجد العام قافلًا ... من الغزو موفور النصيب من الاجر
ومنه رحلت العيش فى عامى الذى ... مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فادّيت مفروضى واسقطتُ ثقل ما ... تحمّلتُ من وزر الشبيبة عن ظهرى

ذكر مُلك الخليفة قلعة الماهكى

فى هذه السنة فى رجب ملك الخليفة المسترشد بالله قلعة الماهكى وسبب ذلك انّ سنقر الهمدانىّ صاحبها سلّمها الى احد مماليكه ومضى الى همدان فضعف هذا المملوك عن مقاومة ما حولها من التركمان والاكراد فاشير عليه ببيعها من الخليفة فراسل فى ذلك فاستقرّ خمسة عشر الف دينار وسلاح وغير ذلك من الامتعة وعدّة من القُرى فسلّمها وتسلّم ما استقرّ له واقام ببغداد وهذه القلعة لم تزل من[2] ايّام المقتدر بالله بايدى التركمان والاكراد والى الآن

ذكر الحرب بين المسلمين والكُرج

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت الكُرج فى خلق كثير يبلغون ثلاثين الف مقاتل ودخلوا بلاد الاسلام وقصدوا مدينة دُوين اذربيجان فملكوها ونهبوها وقتلوا من اهلها وسوادها نحو عشرة الاف قتيل واخذوا النسآء سبايا واسروا كثيرًا واعرَوا النسآء وقادوهنّ حفاة عُراة واحرقوا

---

[1] منقد [2] فى

الجامع والمساجد فلمّا وصلوا الى بلادهم انكر نسآء الكُرج ما فعلوا بنسآء المسلمين وقلن لهم قد احوجتم المسلمين يفعلون بنا مثل ما فعلتم بنسآيهم وكسونهنّ ء ولمّا بلغ الخبر الى شمس الدين ايلدكز[1] صاحب اذربيجان والجبل واصفهان جمع عساكره وحشدها وانضاف اليه شاه ارمن بن سكمان[2] القطبى صاحب خلاط وابن اقسنقر صاحب مراغة وغيرها فاجتمعوا فى عسكر كثير يزيدون على خمسين الف مقاتل وساروا الى بلاد الكُرج فى صفر سنة ثمان وخمسين ونهبوها وسبوا النسآء والصبيان واسروا الرجال ولقيهم الكُرج واقتتلوا اشدّ قتال صبر فيه الفريقان ودامت الحرب بينهم اكثر من شهر وكان الظفر للمسلمين فانهزم الكُرج وقُتل منهم كثير وأُسر كذلك وكان سبب الهزيمة انّ بعض الكُرج حضر عند ايلدكز[3] فاسلم على يديه وقال له تعطينى عسكرًا حتّى اسير بهم فى طريق اعرفها واجئ الى الكُرج من ورآيهم وهم لا يشعرون فاستوثق منه وسيّر معه عسكرًا وواعده يومًا يصل فيه الى الكُرج فلمّا كان ذلك اليوم قاتل المسلمون الكُرج فبينما هم فى القتال وصل ذلك الكُرجىّ الذى اسلم ومعه العسكر وكبّروا وحملوا على الكُرج من ورآيهم فانهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من اموالهم ما لا يدخل تحت الاحصآء لكثرته فانّهم كانوا متيقّنين الظفر لكثرتهم فخيّب الله ظنّهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة ايّام بلياليها وعاد المسلمون منصورين ظاهرين ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة وصل الحجاج الى منى ولم يتم الحجّ لاكثر الناس لصدّهم عن دخول مكّة والطواف والسعى فمَن دخل يوم النحر مكّة طاف وسعى كمّل ومَن تاخّر عن ذلك مُنع دخول مكّة لفتنة جرت بين امير الحاجّ وامير مكّة كان سببها انّ جماعة من عبيد مكّة افسدوا فى الحاجّ بمنى فنفر عليهم بعض اصحاب امير الحاجّ فقتلوا منهم جماعة ورجع مَن سلم الى مكّة وجمعوا جمعًا واغاروا على جمال الحاجّ واخذوا منها

1) الدكز 2) شكمان 3) ايلدكر

قريبًا من الف جمل فنادى امير الحاجّ فى جنده فركبوا بسلاحهم ووقع القتال بينهم فقتل جماعة ونهب جماعة من الحاجّ واهل مكّة فرجع امير الحاجّ ولم يدخل مكّة ولم يقم بالزاهر غير يوم واحد وعاد كثير من الناس رجّالة لقلّة الجمال ولقوا شدّة ، وممّن حجّ هذه السنة جدّتنا امّ ابينا ففاتها الطواف والسعى فاستفتى لها الشيخ الامام ابو القاسم بن البرزىّ فقال تدوم على ما بقى عليها من احرامها وان احبّت تفدى وتحلّ من احرامها الى قابل وتعود الى مكّة فتطوف وتسعى فتكمّل الحجّة الاولى ثم تحرم احرامًا ثانيًا وتعود الى عرفات فتقف وترمى الجمار وتطوف وتسعى فتصير لها حجّة ثانية فبقيت على احرامها الى قابل وحجّت وفعلت كما قال فتمّ حجّها الاوّل والثانى ، وفيها نزل بخراسان برد كثير عظيم المقدار اواخر نيسان وكان اكثره بجوين ونيسابور وما والاها فاهلك الغلّات ثم جآء بعده مطر كثير دام عشرة ايّام ، وفيها فى جمادى الاخرة وقع الحريق ببغداد احترق سوق الطيوريّين والدور التى تليه مقابله الى سوق الصفرة الجديد[1] والخان الذى فى الرحبة ودكاكين البزوريّين وغيرها ، وفيها توفى الكيا الصباحىّ صاحب ألَموت مقدّم الاسماعيليّة وقام ابنه مقامه فاظهر التوبة واعاد هو ومن معه الصلوات وصيام شهر رمضان وارسلوا الى قزوين يطلبون من يصلّى بهم ويعلمهم حدود الاسلام فارسلوا اليهم ، وفيها فى رمضان درّس شرف الدين يوسف الدمشقىّ فى المدرسة النظاميّة ببغداد وكان مدرّسًا بمدرسة ابى حنيفة وكان موته فى ذى القعدة ، وفيها توفى صدقة ابن وزير الواعظ ، وفيها فى المحرّم توفى الشيخ عدى بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكاريّة من اعمال الموصل وهو من الشام من بلد بعلبكّ فانتقل الى الموصل وتبعه اهل سواد والجبال بتلك النواحى واطاعوه وحسّنوا الظنّ فـيـه وهـو مـشـهـور جـدًّا ۞

[1] الجديد

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، سنة ٥٥٨

ذكر وزارة شاور للعاضد بمصر ثم وزارة الضرغام بعده

في هذه السنة في صفر وزر شاور للعاضد لدين الله العلوي [صاحب مصر وكان ابتدآء امره ووزارته انّه كان يخدم الصالح][1] ابن رزّيك ولزمه فاقبل عليه الصالح وولّاه الصعيد وهو اكبر الاعمال بعد الوزارة فلمّا ولي الصعيد ظهرت منه كفاية عظيمة وتقدّم زايد واستمال الرعيّة والمقدّمين من العرب وغيرهم فعسُر امره على الصالح ولم يمكنه عزله فاستدام استعماله لئلّا يخرج عن طاعته ، فلمّا جُرح الصالح كان من جملة وصيته لولده العادل انّه لا يغيّر على شاور فانني انا اقوى منك وقد ندمتُ على استعماله ولم يمكني عزله فلا تغيّروا ما به فيكون لكم منه ما تكرهون ، فلمّا توفّي الصالح من جراحته وولي ابنه العادل الوزارة حسّن له اهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوّفوه منه ان اقرّه على عمله فارسل اليه بالعزل فجمع جموعًا كثيرةً وسار الى القاهرة بهم فهرب منه العادل ابن الصالح بن رزّيك فأُخذ وقُتل فكانت مدّة وزارته ووزارة ابيه قبله تسع سنين وشهرًا وايّامًا وصار شاور وزيرًا وتلقّب بامير الجيوش واخذ اموال بني رزّيك وودايعهم وذخايرهم واخذ منه ايضًا طى والكامل ابنا شاور شيًّا كثيرًا وتفرّق كثير منها وجُحد وظهرت عليهم انتقال الدولة عن شاور والمصريّين الى الاتراك ثم انّ الضرغام جمع جموعًا كثيرة ونازع شاور في الوزارة في شهر رمضان وظهر امره وانهزم شاور منه الى الشام على ما نذكره سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصار ضرغام وزيرًا كان هذه السنة ثلاثة وزرآء العادل ابن رزّيك وشاور وضرغام فلمّا تمكّن ضرغام من الوزارة قتل كثيرًا من الامرآء المصريّين لتخلوا له البلاد من منازع فضعفت الدولة بهذا السبب حتّى خرجت البلاد عن ايديهم ❊

ذكر وفاة عبد المؤمن وولاية ابنه يوسف

في هذه السنة في العشرين من جمادى الاخرة توفّي عبد المؤمن بن علي صاحب بلاد المغرب وافريقية والاندلس وكان قد سار من مرّاكش

[1]) C. P.

الى سلا فرض بها ومات ولمّا حضره الموت جمع شيوخ المُوَحّدين من اصحابه وقال لهم قد جرّبت ابنى محمّدًا فلم اره يصلح لهذا الامر وانّما يصلح له ابنى يوسف وهو اولى بها فقدّموه وتمّام به وبايعوه ودُعى بامير المومنين وكتموا موت عبد المؤمن وحُمل من سلا فى محفة بصورة مريض الى ان وصل الى مرّاكش وكان ابنه ابو حفص فى تلك المدّة حاجبًا لابيه فبقى مع اخيه على مثل حاله مع ابيه يخرج فيقول للناس امير المومنين امر بكذا ويوسف يقعد مقعد ابيه الى ان كملت المبايعة له فى جميع البلاد واستقرّت قواعد الامور له ثمّ اظهر موت ابيه عبد المؤمن فكانت ولايته ثلاثة وثلاثين سنة وشهورًا وكان عاقلًا حازمًا سديد الراى حسن السياسة للامور كثير البذل للاموال الّا انّه كان كثير السفك لدمآ المسلمين على الذنب الصغير وكان يعظّم امر الدين ويقوّيه ويُلزم الناس فى ساير بلاده بالصلاة ومَن رءاه وقت الصلاة غير مصلّ قُتل وجمع الناس بالغرب على مذهب مالك فى الفروع وعلى مذهب ابى الحسن الاشعرىّ فى الاصول وكان الغالب على مجلسه اهل العلم والدين المرجع اليهم والكلام معهم ولهم ۞

ذكر مُلك المُؤيّد اعمال قومس والخطبة للسلطان ارسلان بخراسان

فى هذه السنة سار المُؤيّد اى ابه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان واستناب بقومس مملوكه تنكز[1] فقام تنكز بمدينة بسطام فجرى بين تنكز وبين شاه مازندران اختلاف أدّى الى الحرب فجمع كلّ منهما عسكره والتقوا اوايل ذى الحجّة فى هذه السنة واقتتلوا فانهزم عسكر مازندران وأُخذت اسلابهم وقُتل منهم طايفة كبيرة ، ولمّا ملك المُؤيّد بلاد قومس ارسل اليه السلطان ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه خلعًا نفيسةً وأَلْوية معقودة وهدية جليلة وامره ان يهتمّ باشعات بلاد خراسان ويتولّى ذلك اجمع وان يخطب له فلبس المُؤيّد الخلع فخطب له فى البلاد التى فى يده ، وكان السبب فى هذا اتابك شمس الدين ايلدكز فانّه كان هو الذى

[1] تنكز ubique.

يحكم في مملكة ارسلان وليس لارسلان غير الاسم وكان بين ايلدكز وبين المؤيّد مودّة ذكرناها عند قتل المؤيّد ، فلمّا اطاع المؤيّد السلطان ارسلان خطب له ببلاده وهى قومس ونيسابور وطوس واعمال نيسابور جميعها ومن نسا الى طبس كنكلى وكان يخطب لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطبة فى جرجان ودهستان لخوارزم شاه بن ارسلان بن اتسز[1] وبعده للامير ايثاق وكانت الخطبة فى مرو وبلخ وهراة وسرخس وهذه البلاد بيد الغزّ الّا هراة فانّها بيد الامير ايتكين وهو مسالم للغزّ فكانوا يخطبون للسلطان سنجر فيقولون اللهمّ اغفر للسلطان السعيد المبارك سنجر وبعده للامير الذى هو الحاكم فى تلك البلاد ٭

ذكر قتل الغزّ ملك الغور

فى هذه السنة فى رجب قُتل سيف الدين محمّد ابن الحسين الغورىّ ملك الغور قتله الغزّ وسبب ذلك انّه جمع عساكره وحشد فاكثر وسار من جبال الغور يريد الغزّ وهم ببلخ واجتمعوا وتقدّموا اليه فاتّفق انّ ملك الغور خرج من معسكره فى جماعة من خاصّته جريدة فسمع به امراء الغزّ فساروا يطلبونه مجدّين قبل ان يعود الى معسكره فاوقعوا به فقاتلهم اشدّ قتال رءاه الناس فقُتل ومعه نفر ممّن كان معه واسر طايفة وهربت طايفة فلحقوا بعسكرهم وعادوا الى بلادهم منهزمين لا يقف الاب على ابيه ولا الاخ على اخيه وتركوا كلّ ما معهم بحاله ونجوا بنفوسهم فكان عمر ملك الغور لمّا قُتل نحو عشرين سنة وكان عادلا حسن السيرة فمن عدله وخوفه عاقبة الظلم انّه حاصر اهل هراة فلمّا ملكها اراد عسكره ان ينهبوها فنزل على درب المدينة واحضر الاموال والثياب فاعطى جميع عسكره منها وقال هذا خيرٌ من ان تنهبوا اموال المسلمين وتسخطوا الله تعالى فانّ المُلك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم ، ولمّا قُتل عاد الغزّ الى بلخ ومرو وقد غنموا شيأً كثيراً من العسكر الغورىّ لانّ اهله تركوه ونجوا ٭

[1] انسز

ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج

فى هذه السنة انهزم نور الدين محمود ابن زنكى من الفرنج تحت حصن الاكراد وهى الوقعة المعروفة بالبقيعة تحت حصن الاكراد محاصرًا له وعازمًا على قصد طرابلس ومحاصرتها فبينما الناس يومًا فى خيامهم وسط النهار لم يرعهم الّا ظهور صلبان الفرنج من ورآء الجبل الذى عليه حصن الاكراد وذلك انّ الفرنج اجتمعوا واتّفق رايهم على كبسة المسلمين نهارًا فانّهم يكونون[1] امنين فركبوا من وقتهم ولم يتوقّفوا حتّى يجمعوا عساكرهم وساروا مجدّين فلم يشعر بذلك المسلمون الّا وقد قربوا منهم فارادوا منعهم فلم يطيقوا ذلك فارسلوا الى نور الدين يعرّفونه الحال فرهقهم الفرنج بالحملة فلم يثبت المسلمون وعادوا يطلبون معسكر المسلمين والفرنج فى ظهورهم فوصلوا معًا الى العسكر النورىّ فلم يتمكّن المسلمون من ركوب الخيل واخذ السلاح الّا وقد خالطوهم فاكثروا القتل والاسر وكان اشدّهم على المسلمين الدوقس الرومىّ فانّه كان قد خرج من بلاده الى الساحل فى جمع كثير من الروم فقاتلوا محتسبين فى زعمهم فلم يبقوا على احد وقصدوا خيمة نور الدين وقد ركب فيها فرسه ونجا بنفسه ولسرعته ركب الفرس والشبحة فى رجله فنزل انسان كردىّ قطعها فنجا نور الدين وقُتل الكردىّ فاحسن نور الدين الى مخلّفيه ووقف عليهم الوقوف ونزل نور الدين على بحيرة قدس[2] بالقرب من حمص وبينه وبين المعركة اربع فراسخ وتلاحق به من سلم من العسكر وقال له بعضهم ليس من الراى ان تقيم ههنا فانّ الفرنج ربّما حملهم الطمع على المجى الينا فنوخذ ونحن على هذا الحال فوبّخه واسكته وقال اذا كان معى الف فارس لقيتهم ولا ابالى بهم ووالله لا استظل بسقف حتّى اخذ بثارى وثار الاسلام ثم ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والثياب والخيام والسلاح والخيل فاعطى اللباس عوض ما أُخذ منهم جميعه بقولهم فعاد العسكر كأن لم تُصبه هزيمة وكلّ من قُتل اعطى اقطاعه لاولاده ، وامّا الفرنج فانّهم كانوا عازمين على

---

[1] يكون [2] قدس

قصد حمص بعد الهزيمة لانّها اقرب البلاد اليهم فلمّا بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم قالوا لم يفعل هذا الّا وعنده قوّة يمنعنا بها ولمّا راى اصحاب نور الدين كثرة خرجه قال له بعضهم انّ لك فى بلادك ادرارات وصدقات كثيرة على الفقهآء والفقرآء والصوفيّة والقرآء فلو استعنت فى هذا الوقت لكان اصلح فغضب من ذلك وقال والله انى لا ارجوا النصر الّا باوليائك فانّما ترزقون وتنصرون بضعفآيكم كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عنّى وانا نايم على فراشى بسهام لا تخطى واصرفها الى مَن لا يقاتل عنّى الّا اذا رانى بسهام قد تصيب وقد تخطى وهولآء القوم لهم نصيب فى بيت المال كيف يحلّ لى ان اعطيه غيرهم ، ثم انّ الفرنج راسلوا نور الدين يطلبوا منه الصلح فلم يجبهم وتركوا عند حصن الاكراد مَن يحميه وعادوا الى بلادهم ✿

ذكر اجلا بنى اسد من العراق

فى هذه السنة امر الخليفة المستنجد بالله باهلاك بنى اسد اهل الحلّة المزيديّة لما ظهر من فسادهم ولما كان فى نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمّدًا لمّا حصرا[1] بغداد فامر يزدن بن قماج بقتالهم واجلآيهم من البلاد وكانوا منبسطين فى البطايح والزرم[2] فلا يقدر عليهم فتوجّه يزدن اليهم وجمع عساكر كثيرة من فارس وراجل وارسل الى ابن معروف مقدّم المُنْتَفِق[3] وهو بارض البصرة فجآء فى خلق كثير وحصرهم وسكر عنهم المآء وصابرهم مدّة فارسل الخليفة يعتب على يزدن ويعجّزه وينسبه الى موافقته فى التشيّع وكان يزدن يتشيّع فجدّ هو وابن معروف فى قتالهم والتضييق عليهم وسدّ مسالكهم فى المآء فاستسلموا حينئذ فقُتل منهم اربعة الاف قتيل ونودى فيمن بقى مَن وُجد بعد هذا فى الحلّة المزيديّة فقد حلّ دمه فتفرّقوا فى البلاد ولم يبق منهم بالعراق مَن يُعرف وسلّمت بطايحهم الى ابن معروف وبلادهم ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة وقع فى بغداد حريق فى باب درب قَرّاشا الى مشرعة الصبّاغين من الجانبين ، وفيها فى رجب توفّى سديد الدولة ابو

1) حضر 2) Cod. 740: الزبر 3) منتفق

عبد الله بن عبد الكريم بن ابرهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الانبارى كاتب الانشآء بديوان الخلافة وكان فاضلاً اديبًا ذا تقدّم كثير عند الخلفآء والسلاطين وخدم من[1] سنة ثلاثين وخمسمايّة الى الآن فى ديوان الخلافة وعاش حتّى قرب تسعين سنة ، وتوفّى فى رمضان هبة الله ابن الفضل بن عبد العزيز بن محمّد المتوثى[2] سمع الحديث وهو من الشعرآء المشهورين الّا انّه كثير الهجو ومن شعره

يا مَن هجرت ولا تبالى … هل ترجع دولة الوصال
هل اطمع يا عذاب قلبى … ان ينعم فى هواك بالى
الطرف كما عهدت باك … والجسم كما ترين بال
ما ضرّك ان تعلّلينى … فى الوصل بموعد محال
اهواك وانت حظّ غيرى … يا قاتلتى فما احتيالى

وهى اكثر من هذا ۞

سنة ٥٥٩ ## ثمّ دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمايّة ،

ذكر مسير شيركوه وعساكر نور الدين الى ديار مصر وعودهم عنها

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سيّر نور الدين محمود ابن زنكى عسكرًا كثيرًا الى مصر وجعل عليهم الامير اسد الدين شيركوه ابن شادى[3] وهو مقدّم عسكره واكبر امرآء دولته واشجعهم وسنذكر سنة اربع وستّين سبب اتّصاله بنور الدين وعلوّ شانه عنده ان شآء الله تعالى ، وكان سبب ارسال هذا الجيش انّ شاور وزير العاضد لدين الله العلوىّ صاحب مصر نازعه فى الوزارة ضرغام وغلب عليها فهرب شاور منه الى الشام ملتجيًا الى نور الدين ومستجيرًا به فاكرم مثواه واحسن اليه وانعم عليه وكان وصوله فى ربيع الاوّل من السنة وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد اقطاعات العساكر ويكون شيركوه مقيمًا بعساكره فى مصر ويتصرّف هو بامر نور الدين واختياره فبقى نور الدين يقدّم الى هذا الغرض رجلًا ويؤخّر اخرى فتارة يحمله رعاية لقصد شاور

---

[1] فى ‎ [2] المتنوثى ‎ [3] شادى

بابه وطلب الزيادة فى المُلك والتقوّى على الفرنج وتارة يمنعه خطر الطريق وانّ الفرنج فيه وتخوّف انّ شاور ان استقرّت قاعدته ربّما لا يفى ثمّ قوى عزمه على ارسال الجيوش فنقدّم بتجهيزها وازاحة عللها وكان هوى اسد الدين فى ذلك وعنده من الشجاعة وقوّة النفس ما لا يبالى بمخافة فتجهّز وساروا جميعًا وشاور فى صحبتهم فى جمادى الاولى من سنة تسع وخمسين وتقدّم نور الدين الى شيركوه ان يعيد شاور الى منصبه وينتقم له ممّن نازعه فيه وسار نور الدين الى طرف بلاد الفرنج ممّا يلى دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرّض لاسد الدين ومَن معه فكان قُصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين ووصل اسد الدين والعساكر معه الى مدينة بلبيس فخرج اليهم ناصر الدين اخو ضرغام بعسكر المصريّين ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة ووصل اسد الدين فنزل على القاهرة اواخر جمادى الاخرة فخرج ضرغام من القاهرة سلخ الشهر فقُتل عند مشهد السيّدة نفيسة وبقى يومَيْن ثمّ حُمل ودُفن فى القرافة وقُتل اخوه فارس المسلمين وخلع على شاور مستهلّ رجب واعيد الى الوزارة وتمكّن منها واقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور وعاد عمّا كان قرّره لنور الدين من البلاد المصريّة ولاسد الدين ايضًا وارسل اليه يامره بالعود الى الشام فاعاد الجواب بالامتناع وطلب ما كان قد استقرّ بينهم فلم يجبه شاور اليه فلمّا راى ذلك ارسل الى نوّابه فتسلّموا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقيّة فارسل شاور الى الفرنج يستمدّهم ويخوّفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج قد ايقنوا بالهلاك ان تمّ مُلكه لها ء فلمّا ارسل شاور يطلب منهم ان يساعدوه على اخراج اسد الدين من البلاد جآءهم فرجٌ لم يحتسبوه وسارعوا الى تلبية دعوته ونصرته وطمعوا فى تلك الديار المصريّة وكان قد بذل لهم مالًا على المسير اليه وتجهّزوا وساروا ء فلمّا بلغ نور الدين ذلك سار بعساكره الى اطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير فلم يمنعهم ذلك لعلمهم انّ الخطر فى مقامهم اذا ملك اسد الدين مصر اشدّ فتركوا فى بلادهم مَن يحفظها وسار ملك القدس فى الباقين الى مصر ء وكان قد وصل الى الساحل جمع كثير من الفرنج فى البحر لزيارة البيت

المقدس فاستعان بهم الفرنج الساحليّة فاعانوهم فسار بعضهم معهم واقام بعضهم فى البلاد لحفظها فلمّا قارب الفرنج مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس فاقام بها هو وعسكره وجعلها له ظهرًا يتحصّن به فاجتمعت العساكر المصريّة والفرنج ونازلوا اسد الدين شيركوه بمدينة بلبيس وحصروه بها ثلاثة اشهر وهو ممتنع بها مع انّ سورها قصير جدًّا وليس لها خندق ولا فصيل يحميها وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضًا ولا نالوا منه شيأً، فبينما هم كذلك اذ اتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على حارم ومُلك نور الدين حارم ومسيره الى بانياس على ما نذكره ان شآء الله تعالى فحينئذ سقط فى ايديهم وارادوا العودة الى بلادهم ليحفظوها فراسلوا اسد الدين فى الصلح والعود الى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها الى المصريّين فاجابهم الى ذلك لانّه لم يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج ولانّ الاقوات والذخاير قلّت عليه وخرج من بلبيس فى ذى الحجّة، فحدّثنى من راى اسد الدين حين خرج من بلبيس قال اخرج اصحابه بين يديه وبقى فى اخرهم وبيده لتّ من حديد يحمى ساقتهم والمسلمون والفرنج ينظرون اليه قال فاتاه فرنجىٌّ من الغربآء الذين خرجوا من البحر فقال له امّا تخاف ان يغدروا بك هولآء المصريّون والفرنج وقد احاطوا بك وباصحابك ولا يبقى لكم بقيّة فقال شيركوه يا ليتهم فعلوه حتّى كنتَ ترى ما افعله كنتُ والله اضع السيف فلا يقتل منّا رجل حتّى يقتل منهم رجالٌ وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفنى شجعانهم فنملك بلادهم ونُهلك من بقى والله لو اطاعنى هولآء لخرجتُ اليكم من اوّل يوم ولكنّهم امتنعوا فصلّب على وجهه وقال كنّا نعاجب من فرنج هذه البلاد ومبالغتهم فى صفتك وخوفهم منك والأن فقد عذرتهم ثم رجع عنه، وسار شيركوه الى الشام فوصل سالمًا وكان الفرنج قد وضعوا له على مضيق فى الطريق رصدًا لياخذوه او ينالوا منه ظفرًا فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق ففيه يقول عمارة

اخذتم عن الافرنج كلّ ثنية وقلتم لايدى الخيل مُرّى على مُرّى

لئن نصبوا فى البرّ جسرًا فانّكم عبرتم ببحر من حديد على الجسر

ولفظة مُرّى فى اخر البيت الاوّل اسم ملك الفرنج *

ذكر هزيمة الفرنج وفتح حارم

فى هذه السنة فى شهر رمضان فتح نور الدين محمود ابن زنكى قلعة حارم من الفرنج وسبب ذلك انّ نور الدين لمّا عاد منهزمًا من البقيعة تحت حصن الاكراد كما ذكرناه قبلُ فرّق الاموال والسلاح وغير ذلك من الالات على ما تقدّم فعاد العسكر كانّهم لم يُصابوا واخذ فى الاستعداد للجهاد والاخذ بثاره واتّفق مسير بعض الفرنج مع ملكهم الى مصر كما ذكرناه فاراد ان يقصد بلادهم ليعودوا عن مصر فارسل الى اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وديار الجزيرة والى فخر الدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا والى نجم الدين البى صاحب ماردين وغيرهم من اصحاب الاطراف يستنجدهم ، فامّا قطب الدين فانّه جمع عسكره وسار مُجدًّا وفى مقدمته زين الدين علىّ امير جيشه ، وامّا فخر الدين صاحب الحصن فبلغنى عنه انّه قال له ندماؤه وخواصّه على اىّ شئٍ عزمتَ فقال على القعود فانّ نور الدين قد تحشّف من كثرة الصوم والصلاة وهو يلقى نفسه فى المهالك فكلّهم وافقه على هذا الراى فلمّا كان الغد امر بالتجهُّز للغزاة فقال له اولياك ما عدا ممّا بدا فارقناك امس على حالة فنراك اليوم على ضدّها فقال ان نور الدين قد سلك معى طريقًا ان لم انجده خرج اهل بلادى عن طاعتى واخرجوا البلاد عن يدى فانّه قد كاتب زهّادها وعُبّادها والمنقطعين عن الدنيا يذكر لهم ما لقى المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر ويستمدّ منهم الدعآء ويطلب ان يحثّوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كلّ واحد من اوليك ومعه اصحابه واتباعه وهم يقرؤون كتب نور الدين ويبكون ويلعنوننى ويدعون علىّ فلا بدّ من المسير اليه ثمّ تجهّز وسار بنفسه ، وامّا نجم الدين فانّه سيّر عسكرًا ، فلمّا اجتمعت العساكر سار نحو حارم فحصرها ونصب عليها المجانيق وتابع الزحف اليها ، فاجتمع مَن بقى بالساحل من الفرنج فجآوا فى حدّهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم وقسوسهم ورهبانهم واقبلوا اليه من كلّ حدب ينسلون وكان المقدّم عليهم البرنس بيمند صاحب

انطاكيّة وتمص صاحب طرابلس واعمالها وابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج والدوك وهو مقدّم كبير من الروم وجمعوا الفارس والراجل فلمّا قاربوه رحل عن حارم الى ارتاح طمعًا ان يتبعوه فيتمكّن منهم ببعدهم عن بلادهم اذا لقوه فساروا فنزلوا على غمّر[1] ثم علموا عجزهم عن لقآيه فعادوا الى حارم فلمّا عادوا تبعهم نور الدين فى ابطال المسلمين على تعبية الحرب فلمّا تقاربوا اصطفّوا للقتال فبدا الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وفيها عسكر حلب وصاحب الحصن فانهزم المسلمون فيها وتبعهم الفرنج فقيل كانت تلك الهزيمة من الميمنة على اتّفاق ورأى دبّروه وهو ان يتبعهم الفرنج فيبعدوا عن راجلهم فيميل عليهم مَن بقى من المسلمين بالسيوف فاذا عاد فرسانهم لم يلقوا راجلاً يلجؤن اليه ولا وزير يعتمدون عليه ويعود المنهزمون فى اثارهم فياخذهم المسلمون من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم فكان الامر على ما دبّروه فانّ الفرنج لمّا تبعوا المنهزمين عطف عليهم زين الدين علىّ فى عسكر الموصل على راجل الفرنج فافناهم قتلًا واسرًا وعاد خيّالتهم ولم يمعنوا فى الطلب خوفًا على راجلهم فعاد المنهزمون فى اثارهم فلمّا وصل الفرنج رءاوا رجالهم قتلى واسرى فسقط فى ايديهم ورءاوا انّهم قد هلكوا وبقوا فى الوسط قد احدق بهم المسلمون من كلّ جانب فاشتدّت الحرب وقامت على ساق وكثر القتل فى الفرنج وتمّت عليهم الهزيمة فعدل حينيذ المسلمون عن القتل الى الاسر فاسروا ما لا يُحدّ وفى جملة الاسرى صاحب انطاكيّة والقمص صاحب طرابلس وكان شيطان الفرنج واشدّهم شكيمة على المسلمين والدوك مقدّم الروم وابن جوسلين وكان عدّة القتلى تزيد على عشرة الاف قتيل واشار المسلمون على نور الدين بالمسير الى انطاكيّة وتملّكها لخلوّها[2] من حام يحميها ومقاتل يذبّ عنها فلم يفعل وقال امّا المدينة فامرها سهل وامّا القلعة فنيعة وربّما سلّموها الى ملك الروم لانّ صاحبها ابن اخيه ومجاورة بيمند احبّ الىّ من مجاورة صاحب قسطنطينيّة ، وبثّ السرايا

---

1) Cod. 740. C. P. et Ups: عمر   2) وخلوّها

فى تلك الاعمال فنهبوها واسروا اهلها وقتلوهم ثمّ انّه فادى برنس بيمند صاحب انطاكيّة واشترى من المسلمين خلقًا كثيرًا فاطلقهم ❊

ذكر مُلك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج ايضًا

فى ذى الحجّة من هذه السنة فتح نور الدين محمود قلعة بانياس وهى بالقرب من دمشق وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ولمّا فتح حارم اذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم واظهر انّه يريد طبريّة فجعل مَن بقى من الفرنج همّتهم حفظها وتقويتها فسار محمود الى بانياس لعلمه بقلّة مَن فيها من الحماة المانعين عنها ونازلها وضيّق عليها وقاتلها وكان فى جملة عسكره اخوه نصرة الدين امير اميران فاصابه سهم فاذهب احدى عينيه فلمّا رءاه نور الدين قال له لو كشف لك عن الاجر الذى اعدّ لك لتمنّيت ذهاب الاخرى وجدّ فى حصارها فسمع الفرنج فجمعوا فلم تتكامل عدّتهم حتّى فتحها على انّ الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم واسرهم فملك القلعة وملاها ذخاير وعدّةً ورجالاً وشاطر الفرنج فى اعمال طبريّة وقرّروا له على الاعمال التى لم يشاطرهم عليها ما فى كلّ سنة ووصل خبر مُلك حارم وحصر بانياس الى الفرنج بمصر فصالحوا شيركوه وعادوا ليدركوا بانياس فلم يصلوا الّا وقد ملكها ، ولمّا عاد منها الى دمشق كان بيده خاتم بفصّ ياقوت من احسن الجوهر وكان يسمّى الجبل لكبره وحسنه فسقط من يده فى شعرة بانياس وهى كثيرة الاشجار ملتفّة الاغصان فلمّا ابعد عن المكان الذى ضاع فيه علم به فاعاد اصحابه فى طلبه ودلّهم على المكان الذى كان اخر عهده به فيه وقال اظنّ هناك سقط فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعرآء الشاميّين اظنّه ابن منير يمدحه ويهنّيه بهذه الغزاة ويذكر الجبل الياقوت

ان يمتر الشكّاك فيك بانّك	المهدىّ مطفى جمرة الدجّال
فلعودة الجبل الذى اضللته	بالامس بين غياطل وجبال
لم يُعطها الّا سليمانٌ وقد	نبت الربا بموسك الاعجل
رحرحرى لسرير ملكك انّه	كسريره عن كلّ حدّ عال
فلو البحار السبعة استهوينه	وامرتّهن قذفنه فى الحال

ولمّا فتح الحصن كان معه ولد معين الدين أنز الذى سلّم بانياس الى الفرنج فقال له للمسلمين بعد الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذاك قال لانّ اليوم برّد الله جلد والدك من نار جهنّم ☆

ذكر اخذ الاتراك غزنة من ملكشاه وعوده اليها

فى هذه السنة قصد بلاد غزنة الاتراك المعروفون بغز[1] ونهبوها وخرّبوها وقصدوا غزنة وبها صاحبها ملكشاه ابن خسروشاه المحمودى فعلم انّه لا طاقة له بهم ففارقها وسار الى مدينة لهاوور[2] وملك الغز مدينة غزنة وكان القيم بامرهم امير اسمه زنكى بن علىّ بن خليفة الشيبانىّ ، ثم انّ صاحبها ملكشاه جمع وعاد الى غزنة ففارقها زنكى وعاد ملكها ملكشاه ودخلها فى جمادى الاخرة سنة تسع وخمسين وخمسماية وتمكّن فى دار ملكه ☆

ذكر وفاة جمال الدين الوزير وشىّ من سيرته

فى هذه السنة توفّى جمال الدين ابو جعفر محمّد بن علىّ بن ابى منصور الاصفهانىّ وزير قطب الدين صاحب الموصل فى شعبان مقبوضًا وكان قد قُبض عليه سنة ثمان وخمسين فبقى فى الحبس نحو سنة ، حكى لى انسانٌ صوفىٌّ يقال له ابو القاسم كان مختصًّا بخدمته فى الحبس قال لم يزل مشغولًا فى محبسه بامر اخرته وكان يقول كنتُ اخشى ان انقل من الدست الى القبر فلمّا [اتّفق] ان مرض قال لى فى بعض الايّام يا ابا القاسم اذا جآء طاير ابيض الى الدار فعرّفنى قال فقلتُ فى نفسى قد اختلط عقله فلمّا كان الغد اكثر السؤال عنه واذ طاير ابيض لم ار مثله قد سقط فقلتُ جآء الطاير فاستبشر ثم قال جآء الحقّ واقبل على الشهادة وذكر الله تعالى الى ان توفّى فلمّا توفّى طار ذلك الطاير فعلمتُ انّه راى شيئًا فى معناه ، ودُفن بالموصل عند فتح الكرامىّ رحمة الله عليهما نحو سنة ثم نُقل الى المدينة فدُفن بالقرب من حرم النبى صلعم فى رباط بناه لنفسه وقال لابى القاسم بينى وبين اسد الدين شيركوه عهدٌ مَن مات منّا قبل صاحبه حمله الى المدينة فدفنه بها

---

[1] نعى [2] لهاووز

فى التربة التى عملتها فاذا انا متّ فامضى اليه وذكّره فلمّا توفّى سار ابو القاسم الى شيركوه فى المعنى فقال له شيركوه كم تريد فقال اريد اجرة جمل يحمله وجمل يحملنى وزادى فانتهره وقال مثل جمال الدين يحمل هكذا الى مكّة واعطاه مالًا صالحًا ليحمل معه جماعة يحجّون عن جمال الدين وجماعة يقرؤون عليه بين يدى تابوته اذا حُمل واذا نزل عن الجمل واذا وصل الى مدينة يدخل اوليك القرّآء ينادون للصلاة عليه فيصلّى عليه فى كلّ بلدة يجتاز بها واعطاه ايضًا مالًا للصدقة عنه فصلّى عليه فى تكريت وبغداد والحلّة وفيد ومكّة والمدينة وكان يجمع له فى كلّ بلد من الخلق لا يُحصى ولمّا ارادوا الصلاة عليه بالحلّة صعد شاب على موضع مرتفع وانشد باعلا صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطال ما … سرى جوده فوق الركاب ونايلُهْ
يمرّ على الوادى فتثنى رماله … عليه وبالنادى فتثنى اراملُهْ

فلم نر باكيًا اكثر من ذلك اليوم فطافوا به حول الكعبة وصلّوا عليه بالحرم الشريف وبين قبره وقبر النبى صلّعم خمسة عشر ذراعًا ء واما سيرته فكان رحمه الله اسخى الناس واكثرهم بذلًا للمال رحيمًا بالخلق متعطّفًا عليهم عادلًا فيهم فمن اعماله الحسنة انه جدّد بناء مسجد الخيف بمنى وغرم عليه اموالًا كثيرةً جسيمةً وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وذهّبها وعملها بالرخام ولمّا اراد ذلك ارسل الى المقتفى لامر الله هديّة جليلة وطلب منه ذلك وارسل الى الامير عيسى امير مكّة هديّة كثيرة وخلعًا سنيّة منها عمامة شراها ثلاثمائة دينار حتّى مكّنه من ذلك وعمّر ايضًا المسجد الذى على جبل عرفات والدرج التى يصعد فيها اليه وكان الناس يلقون شدّة فى صعودهم وعمل بعرفات ايضًا مصانع للمآء واجرى المآء اليها من نعمان فى طرق معمولة تحت الارض فخرج عليها مال كثير وكان يجرى المآء فى المصانع كلّ سنة ايّام عرفات وبنى سورًا على مدينة النبى صلّعم وعلى فيد وبنى لها ايضًا فصيلًا وكان يخرج على باب داره كلّ يوم للصعاليك والفقرآء مايّة دينار اميرىّ هذا سوى الادرارات والتعهّدات للايمّة والصالحين وارباب البيوت ء

ومن ابنيته العجيبة التى لم ير الناس مثلها الجسر الذى بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس فقُبض قبل ان يفرغ وبنى عندها ايضًا جسرًا كذلك على النهر المعروف بالارباد[1] وبنى الربط وقصده الناس من اقطار الارض ويكفيه انّ ابن الخُجندىّ رئيس اصحاب الشافعىّ باصفهان قصده وابن الكافى قاضى همذان فاخرج عليهما مالًا عظيمًا وكانت صدقاته وصلاته من اقاصى خراسان الى حدود اليمن وكان يشترى الاسرى كلّ سنة بعشرة آلاف دينار هذا من الشام حسب سوى ما يشترى من الكرج، حكى لى والدى عنه قال كثيرًا ما كنتُ ارى جمال الدين اذا قُدّم اليه الطعام ياخذ منه ومن الحلوى ويتركه فى خبز بين يديه فكنتُ انا ومَن يراه نظنّ انّه يحمله الى امّ ولده علىّ فاتّفق انّه فى بعض السنين جآء الى الجزيرة مع قطب الدين وكنتُ اتولّى ديوانها وحمل جاريته امّ ولده الى دارى لتدخل الحمام فبقيت فى الدار ايّامًا فبينما انا عنده فى الخيام وقد اكل الطعام فعل كما كان يفعل ثمّ تفرّق الناس فقمتُ فقال اقعد فقعدتُ فلمّا خلا المكان قال لى قد اثرتُك اليوم على نفسى فاننى فى الخيام ما يمكننى ان افعل ما كنتُ افعله خذ هذا الخبز واحمله انت فى كمّك فى هذه المنديل واترك الحماقة من راسك وعُدْ الى بيتك فاذا رايتَ فى طريقك فقيرًا يقع فى نفسك انّه مستحقّ فاقعد انت بنفسك واطعمه هذا الطعام قال ففعلتُ ذلك وكان معى جمعٌ كثيرٌ ففرّقتُهم فى الطريق لئلّا يرونى افعل ذلك وبقيتُ فى غلمانى فرايتُ فى موضع انسانًا اعمى وعنده اولاده وزوجته وهم من الفقر فى حال شديد فنزلتُ عن دابّتى اليهم واخرجتُ الطعام واطعمتُهم ايّاه وقلتُ للرجل تجىءُ غدًا بكرة الى دار فلان اعنى دارى ولم اعرّفه نفسى فاننى اخذ لك من صدقة جمال الدين شيأً ثمّ ركبتُ اليه العصر فلمّا رءانى قال ما الذى فعلتَ فى الذى قلتُ لك فاخذتُ اذكر له شيأً يتعلّق بدولتهم فقال ليس عن

[1]) C. P. et 740 eandem habent scripturam.

هذا اسالك انّما اسالك عن الانعام الذى سلّمته اليك فذكرتُ له الحال ففرح ثمّ قال بقى انّك لو قلتَ للرجل يجئ اليك هو واهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجرى لهم كلّ شهر دنانير قال فقلتُ له قد قلتُ للرجل حتّى يجئَ الىّ فازداد فرحًا وفعلتُ بالرجل ما قال ولم يزل يصل اليه رسمه حتّى قُبض وله من هذا كثير فمن ذلك انّه تصدّق بثيابه من على بدنه فى بعض السنين التى[1] تعذّرت الاقوات فيها ۞

ذكر اجلآء القارغليّة من ورآء النهر

كان خان خانان الصينىّ ملك الخطا قد فوّض ولاية سمرقند وبخارا الى الخان جغرى خان ابن حسن تكين واستعمله عليهما وهو من بيت الملك قديم الابوّة فبقى فيها مدبّرًا لامورها فلمّا كان الآن ارسل اليه ملك الخطا باجلآء الاتراك القارغليّة من اعمال بخارا وسمرقند الى كاشغر وان يتركوا حمل السلاح ويشتغلوا بالزراعة وغيرها من الاعمال فتقدّم جغرى خان اليهم بذلك فامتنعوا فالزمهم والحّ عليهم بالانتقال فاجتمعوا وصارت كلمتهم واحدة فكثروا وساروا الى بخارا فارسل الفقيه محمّد بن عمر بن برهان الدين عبد العزيز ابن مازة رئيس بخارا الى جغرى خان يعلمه ذلك ويحثّه على الوصول اليهم بعساكره قبل ان يعظم شرّهم وينهبوا البلاد وارسل اليهم ابن مازة يقول لهم انّ الكفّار بالامس لمّا طرقوا هذه البلاد امتنعوا عن النهب والقتل وانتم مسلمون غزاة يقبح بكم مدّ الايدى الى الاموال والدمآء وانا ابذل لكم من الاموال ما ترضون به لتكفّوا عن النهب والغارة فتردّدت الرسل بينهم فى تقرير القاعدة وابن مازة يطاول بهم ويمادى الايّام الى ان وصل جغرى خان فلم يشعر الاتراك القارغليّة الّا وقد دهمهم جغرى خان فى جيوشه وجموعه بغتةً ووضع السيف فيهم فانهزموا وتفرّقوا وكثر القتل فيهم والنهب واختفى طآيفة منهم فى الغياض والاجام ثمّ ظفر بهم اصحاب جغرى خان فقطعوا دابرهم ودفعوا عن بخارا ونواحيها ضررهم وخلت الارض منهم ۞

ذكر استيلآء سنقر على الطالقان وغرشستان[2]

فى هذه السنة استولى الامير صلاح الدين سنقر وهو من مماليك

---

1) الذى 2) غرشنسان

السنجريّة على بلاد الطالقان واغار على حدود غرشستان[1] وتابع الغارات عليها حتّى ملكها فصار الولايتان له وبحكمه وله فيها حصون منيعة وقلاع حصينة وصالح الامرآء الغزّيّة وحمل لهم الاتاوة كلّ سنة ✿

ذكر قتل صاحب هراة

كان صاحب هراة اينتكين بينه وبين الغزّ مهادنة فلمّا توفّى ملك الغور محمّد طمع فى بلادهم فغزاهم غير مرّة ونهب واغار فلمّا كان فى شهر رمضان من هذه السنة جمع اينتكين جموعه وسار الى بلاد الغور وساروا الى باميان والى ولاية بُست والرُّخّج فقاتله صاحبها طغرل[2] تكين برنقش[3] العلكىّ من قبل الغوريّة فظهروا الى باميان واستولى [على] بست والرخّج فسلّمها الى بعض اولاد ملوك الغور وامّا اينتكين فانّه توغّل فى بلاد الغور فاتاه اهلها وقاتلوه وصدوه وصدقوه القتال فانهزم عسكره وقُتل هو فى المعركة ✿

ذكر مُلك شاه مازندران قومس وبسطام

قد ذكرنا استيلآء المؤيّد صاحب نيسابور على قومس وبسطام وتلك البلاد وانّه استناب بها مملوكه تنكز[4] فلمّا كان هذه السنة جهّز شاه مازندران جيشًا واستعمل عليهم اميرًا له يُعرف بسابق الدين القزوينىّ فسار الى دامغان فلكها فجمع تنكز مَن عنده من العساكر وسار اليه الى دامغان فخرج اليه القزوينىّ فوصل الى تنكز على غرّة منه فلم يشعر هو وعسكره الّا وقد كبسهم القزوينىّ ووضع السيف فيهم فتفرّقوا وولّوا منهزمين واستولى عسكر شاه مازندران على تلك البلاد وعاد تنكز الى المؤيّد صاحب نيسابور واشتغل بالغارة على بسطام وبلاد قومس ✿

ذكر عصيان غُمارة[5] بالمغرب

لمّا تحقّق الناس موت عبد المؤمن سنة تسع وخمسين ثارت قبايل غمارة مع مفتاح بن عمرو وكان مقدّمًا كبيرًا وتبعوه باجمعهم وامتنعوا فى جبالهم وهى معاقل مانعة وهم امم جمّة فتجهّز اليهم ابو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن ومعه اخوه عمرو وعثمان فى جيش كبير من الموحّدين والعرب وتقدّموا اليهم فاقتتلوا سنة احدى وستّين وخمسماية فانهزمت

---

1) غرشنشان 2) نغرك 3) برنقش 4) تنكر ubique.
5) غمازة ubique.

غمارة وقُتل منهم كثير وفيمن قُتل مفتاح بن عمرو مقدّمهم وجماعة من اعيانهم ومقدّميهم وملكوا بلادهم عنوةً وكان هناك قبايل كثيرة يريدون الفتنة فانتظروا ما يكون من غمارة فلمّا قُتلوا ذلّت تلك القبايل وانقادوا للطاعة ولم يبق متحرّك لفتنة ومعصية فسكنت الدهماء فى جميع المغرب ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اغار امير محمّد ابن أنز على بلد الاسماعيليّة خراسان واهلها غافلون فقتل منهم وغنم واسر وسبى واكثر وملا اصحابه ايديهم من ذلك ، وفيها توفّى ابو الفضل نصر ابن خلف ملك سجستان وعمره اكثر من مائة سنة ومدّة مُلكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه شمس الدين ابو الفتح احمد بن نصر وكان ابو الفضل ملكًا عادلًا عفيفًا عن رعيّته وله اثار حسنة فى نصرة السلطان سنجر فى غير موقف ، وفيها خرج ملك الروم من القسطنطينيّة فى عساكر لا تُحصى وقصد بلاد الاسلام التى بيد قلج ارسلان وابن دانشمند[1] فاجتمع التركمان فى تلك البلاد فى جمع كبير فكانوا يغيرون على اطراف عسكره ليلًا فاذا اصبح لا يرى احدًا وكثر القتل فى الروم حتّى بلغت عدّة القتلى عشرات الوف فعاد الى القسطنطينيّة وملك المسلمون منه عدّة حصون ، وفيها توفّى الامام عمر الخوارزمىّ خطيب بلخ ومفتيها بها ، والقاضى ابو بكر المحمودىّ صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسيّة على نمط مقامات الحريرىّ بالعربيّة ۞

ثمّ دخلت سنة ستّين وخمسماية ، سنة ٥٦٠

ذكر وفاة شاه مازندران ومُلك ابنه بعده

فى هذه السنة ثامن ربيع الاوّل توفّى شاه مازندران رستم بن علىّ بن شهريار[2] بن قارن ولمّا توفّى كتم ابنه علاء الدين الحسن موته ايّامًا حتّى استولى على ساير الحصون والبلاد ثمّ اظهره فلمّا ظهر خبر وفاته اظهر ايثاق صاحب جرجان ودهستان المنازعة لولده فى المُلك ولم

---

1) دانشمد 2) سهريار

يرع حقّ ابيه عليه فانّه لم يزل يذبّ عنه ويحميه اذا التجا اليه ولكن الملك عقيم ولم يحصل من منازعته على شئٍ غير سوء السمعة وقبح الاحدوثة ❊

ذكر حصر عسكر المؤيّد نسا ورحيلهم عنها

كان المؤيّد قد سيّر جيشًا الى مدينة نسا فحصروها الى جمادى الاولى فى هذه السنة فسيّر خوارزم شاه ايل[1] ارسلان ابن اتسز[2] جيشًا الى نسا فلمّا قاربوها رحل عنها عسكر المؤيّد وعادوا الى نيسابور اواخر جمادى الاولى وسار عسكرُ المؤيّد الى عسكر خوارزم لانّهم توجّهوا الى نيسابور فتقدّم العسكر المؤيّدى ليردّوهم عنها فلمّا سمع العسكر الخوارزمىّ بهم عاد عنهم وصار صاحب نسا فى طاعة خوارزم شاه والخطبة له فيها وسار عسكر خوارزم الى دهستان فالتجى صاحبها الامير ايثاق الى المؤيّد صاحب نيسابور بعد تمكّن الوحشةُ بينهما فقبله المؤيّد احسن قبول وسيّر اليه جيشًا كثيفًا فاقاموا عنده حتّى دفع الضرر من نفسه وبلده من جهة طبرستان وامّا دهستان فانّ عسكر خوارزم غلبوا عليها وصار لهم فيها شحنة ❊

ذكر استيلآء المؤيّد على هراة

قد ذكرنا قتل صاحب هراة سنة تسع وخمسين فلمّا قُتل تجهّز الامرآء الغزّيّة وساروا الى هراة وحصروها وقد تولّى امرها انسان يلقّب اثير الدين وكان له ميل الى الغزّ وهو يحاربهم ظاهرًا ويراسلهم باطنًا فيلك لهذا السبب خلق كثير من اهل هراة فاجتمع اليها اهلها فقتلوه وقام مقامه ابو الفتوح بن علىّ بن فضل الله الطغرائىّ فارسل اهلها الى المؤيّد اى ابه صاحب نيسابور بالطاعة والانقياد اليه فسيّر اليهم مملوكه سيف الدين تنكز[3] فى جيش وسيّر جيشًا اخر غاروا على سرخس ومرو فاخذوا دوابّ الغزّ وعادوا سالمين فلمّا سمع الغزّ بذلك رحلوا عن هراة الى مرو ❊

---

[1] ابن   [2] اشنر   [3] تنكر

ذكر الحرب بين قلج ارسلان وبين ابن الدانشمند[1]

فى هذه السنة كانت الفتنة بين الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونيّة وما يجاورها من بلد الروم وبين ياغى ارسلان ابن دانشمند[1] صاحب ملطيّة وما يجاورها من بلد الروم وجرى بينهما حرب شديدة وسببها انّ قلج ارسلان تزوّج ابنة الملك صلتق بن علىّ بن ابى القاسم فسُيّرت الزوجة الى قلج ارسلان مع جهاز كثير لا يعلم قدره واغار ياغى صاحب ملطيّة عليه واخذ العروس وما معها واراد ان يزوّجها بابن اخيه ذى النون بن محمّد بن دانشمند فامرها بالردّة عن الاسلام فزوّجها من ابن اخيه فجمع قلج ارسلان عسكره وسار الى ابن دانشمند فالتقيا واقتتلا فانهزم قلج ارسلان والتجى الى ملك الروم واستنصره فارسل اليه جيشًا كثيرًا فمات ياغى ارسلان ابن دانشمند فى تلك الايّام وملك قلج ارسلان بعض بلاده واصطلح هو والملك ابرهيم بن محمّد بن دانشمند لانّه ملك البلاد بعد عمّه ياغى ارسلان واستولى ذو النون ابن محمّد بن دانشمند على مدينة قيساريّة وملك شاهان شاه ابن مسعود اخو قلج ارسلان على مدينة انكوريّة واستقرّت القواعد بينهم واتّفقوا ۞

ذكر الفتنة بين نور الدين وقلج ارسلان

فى هذه السنة كانت وحشة متاكّدة بين نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام وبين قلج ارسلان بن مسعود ابن قلج ارسلان صاحب الروم ادّت الى الحرب والتصاغن فلمّا بلغ خبرها الى مصر كتب الصالح ابن رزّيك وزير صاحب مصر الى قلج ارسلان ينهاه عن ذلك ويأمره بموافقته وكتب فيه شعرًا

نقول ولكن اين مَن يتفهّم ... ويعلم وجه الراى والراى مُبْهَمُ
وما كلّ مَن قاس الامور وساسها ... يوفّق للامر الذى هو احزم
وما احدٌ فى الملك يبقى مخلّدا ... وما احد ممّا قضى الله يسلم
ابن بعد ما ذاق العدى طعم حربكم ... [بغيكم وكانت][2] وهى صاب وعلقم

---

1) الرانشهد 2) C. P.

رجعتم الى حكم التنافس بينكم | وفيكم من الشحناء نار تضرم
امّا عندكم مَن يتّقى الله وحده | امّا فى رعاياكم من الناس مُسلمُ
تعالوا لعلّ الله ينصر دينه | اذا ما نصرنا الدين نحن وانتمُ
ونهض نحو الكافرين بعزمة | بامثالها نحوى البلاد تقسم

وهى اطول من هذا هكذا ذكر بعض العلماء هذه الحادثة وانّ الصالح ارسل بهذا الشعر فان كان الشعر للصالح فينبغى ان تكون الحادثة قبل هذا التاريخ ويحتمل ان يكون هذا التنافس كان ايّام الصالح فكتب الابيات ثم استدّ الى الآن ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى صفر وقع باصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدين عبد اللطيف ابن الخجندى[1] وغيره من اصحاب المذاهب بسبب التعصّب للمذاهب فدام القتال بين الطايفتين ثمانية ايّام متتابعة قُتل فيها خلق كثير واحترق وهُدم كثير من الدور والاسواق ثم افترقوا على اقبح صورة ٭ وفيها بنى الاسماعيليّة قلعة بالقرب من قزوين فقيل لشمس الدين ايلدكز عنها فلم يكن له انكار لهذه الحال خوفًا من شرّهم وغايلتهم فتقدّموا بعد ذلك الى قزوين فحصروها وقاتلهم اهلها اشدّ قتال رءاه الناس وحكى لى بعض اصدقآينا بل مشايخنا من الايمّة الفضلاء قال كنتُ بقزوين اشتغل بالعلم وكان بها انسان يقود جمعًا كبيرًا وكان موصوفًا بالشجاعة وله عصابة حمرآء اذا قاتل عصب بها راسه قال فكنت احبّه واشتهى الجلوس معه قال فبينما انا عنده يومًا واذا هو يقول كانى بالملاحدة وقد قصدوا البلد غدًا فخرجنا اليهم وقاتلناهم فكنتُ اوّل الناس وانا متعصّب بهذه العصابة فقاتلناهم فلم يقتل غيرى ثم ترجع الملاحدة ويرجع اهل البلد قال فوالله لمّا كان الغد واذ قد وقع الصوت بوصول الملاحدة فخرج الناس قال فذكرتُ قول الرجل فخرجتُ والله وليس لى همّة الّا انظر هل يصحّ ما قال ام لا قال فلم يكن الّا قليل واذ قد عاد الناس وهو محمول على ايديهم قتيلاً بعصابته الحمرآء وذكروا

[1] الخجندى

انّه لم يقتل بينهم غيره فبقيتُ متعجّبًا من قوله كيف صحّ ولم يتغيّر منه شئٌ ومن اين له هذا اليقين ولمّا حكى لى هذه الحكاية لم اسأله عن تاريخها وانّما كان فى هذه المدّة فى تلك البلاد فلهذا اثبتها هذه السنة على الظنّ والتخمين ، وفيها قبض المؤيّد اى ابه صاحب نيسابور على وزيره ضيآء الملك محمّد بن ابى طالب سعد بن ابى القاسم محمود الرازىّ وحبسه واستوزر بعده نصير الدين ابا بكر محمّد بن ابى نصر محمّد المستوفىّ وهو من اعيان الدولة السنجريّة ، وفى هذه السنة وردت الاخبار انّ الناس حجّوا سنة تسع وخمسين ولقوا شدّة وانقطع منهم خلق كثير فى فيد والثعلبيّة وواقصة وغيرها وهلك كثير ولم يمض الحجاج الى مدينة النبى صلّعم لهذه الاسباب ولشدّة الغلآء فيها وعدم ما يقتات ووقع الوبآء فى البادية وهلك منهم عالم لا يُحصون وهلكت مواشيهم وكانت الاسعار بمكّة غالية ، وفيها فى صفر قبض المستنجد بالله على الامير توبة ابن العقيلىّ وكان قد قرب منه قربًا عظيمًا بحيث يخلوا معه واحبّه المستنجد محبّة كثيرة فحسده الوزير ابن هبيرة فوضع كتبًا من العجم مع قوم وامرهم ان يتعرّضوا فيوخذوا ففعلوا ذلك وأُخذوا واحضروا عند الخليفة فاظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد فلمّا وقف الخليفة عليها خرج الى نهر الملك يتصيّد وكانت حلل توبة على الفراة فحضر عنده فامر بالقبض عليه فقبض وادخل بغداد ليلًا وحبس فكان اخر العهد به فلم يمتع الوزير بعده بالحياة بل مات بعد ثلاثة اشهر وكان توبة من اكمل العرب مُروّةً وعقلًا وسخآءً واجازة واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرّق فى الناس ، وفيها فى ربيع الاوّل توفّى الشهاب محمود ابن عبد العزيز الحامدىّ الهروىّ وزير السلطان ارسلان ووزير اتابك شمس الدين ايلدكز ، وفيها توفّى عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى بن محمّد بن المظفّر وزير الخليفة وكان موته فى جمادى الاولى ومولده سنة تسعين واربعمائة ودُفن بالمدرسة التى بناها للحنابلة بباب البصرة وكان حنبليّ المذهب ديّنًا خيّرًا عالمًا يسمع حديث النبى صلّعم وله فيه التصانيف الحسنة وكان ذا راى سديد ونافق على المقتفى نفاقًا عظيمًا حتّى انّ المقتفى كان يقول لم يزر لبنى العبّاس

مثله ولمّا مات قبض على اولاده واهله ، وتوفّى بهذه السنة محمّد ابن سعيد البغدادىّ بالموصل وله شعر حسن فمن قوله

افدى الذى وكلنى حبّه بطول اعلالى وامراضى
ولست ادرى بعد ذا كلّه اساخط مولاى ام راضٍ ،

وفيها توفّى الشيخ الامام ابو القسم عمر بن عكرمة بن البرزىّ الشافعىّ تفقّه على الفقيه الكيا الهراسىّ وكان واحد عصره فى الفقه تاتيه الفتاوى من العراق وخراسان وساير البلاد وهو من جزيرة ابن عُمَر ۞

سنة ٥٦١ ثمّ دخلت سنة احدى وستّين وخمسماية ،

ذكر فتح المنيطرة من الفرنج

فى هذه السنة فتح نور الدين محمود ابن زنكى حصن المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكره وانّما سار اليه جريدة على غرّة منهم وعلم انّه ان جمع العساكر حذروا انّما سار اليه جريدة وانتهز الفرصة وسار الى المنيطرة وحصره وجدّ فى قتاله فاخذه عنوةً وقهرًا وقتل من بها وسبى وغنم غنيمة كثيرة فانّ الذين به كانوا امنين فاخذتهم خيل الله بغتةً وهم لا يشعرون ولم يجتمع الفرنج لدفعه الّا وقد ملكه ولو علموا انّه جريدة فى قلّة من العساكر لاسرعوا اليه انّما ظنّوه انّه فى جمع كثير فلمّا ملكه تفرّقوا وايسوا من ردّه ۞

ذكر قتل خطلوبرس مقطع واسط

فى هذه السنة قُتل خطلوبرس مقطع واسط قتله ابن اخى شملة صاحب خوزستان وسبب ذلك انّ ابن شنكا وهو ابن اخى شملة كان قد صاهر منكبرس مقطع البصرة فاتّفق انّ المستنجد بالله قتل منكبرس سنة تسع وخمسين وخمسماية فلمّا قُتل قصد ابن شنكا البصرة ونهب قُراها فارسل من بغداد الى كمشتكين صاحب البصرة بمحاربة ابن شنكا فقال انا عامل لستُ بصاحب جيش يعنى انّه ضامن لا يقدر على اقامة عسكر فطمع ابن شنكا واصعد الى واسط ونهب سوادها فجمع خطلوبرس مقطعها جمعًا وخرج الى قتاله وكاتب ابن شنكا الامرآء الذين مع خطلوبرس فاستمالهم ثمّ قاتلهم فانهزم عسكره فقتله واخذ

ابن شنكا علم خطلوبرس فنصبه فلمّا رءاه اصحابه ظنّوه باقيًا فجعلوا يعودون اليه وكلّ مَن رجع اخذه ابن شنكا فقتله او اسره ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة خرج الكُرج فى جمع كثير واغاروا على بلدان حتّى بلغوا كنجة فقتلوا واسروا وسبوا كثيرًا ونهبوا ما لا يُحصى ٭ وفيها توفّى الحسن بن العبّاس بن رستم ابو عبد الله الاصفهانىّ الرستمىّ الشيخ الصالح وهو مشهور يروى عن احمد بن خلف وغيره ٭ وفيها فى ربيع الاخر توفّى الشيخ عبد القادر ابن ابى صالح ابو محمّد الجيلىّ المُقيم ببغداد ومولده سنة سبعين واربعمايّة وكان من الصلاح على حال وهو حنبلىّ المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد ٭

ثمّ دخلت سنة اثنتين وستّين وخمسمايّة ٭ سنة ٥٦٢

ذكر عود اسد الدين شيركوه الى مصر

قد ذكرنا سنة تسع وخمسين وخمسمايّة مسير اسد الدين شيركوه الى مصر وما كان منه وقُفوله الى الشام فلمّا وصل الى الشام اقام على حاله فى خدمة نور الدين الى الآن وكان بعد عوده منها لا يزال يتحدّث بها وبقصدها[1] وكان عنده من الحرص على ذلك كثير فلمّا كان هذه السنة تجهّز وسار فى ربيع الاخر فى جيش قوىّ وسيّر معه نور الدين جماعة من الامرآء فبلغت عدّتهم الفىْ فارس وكان كارهًا لذلك ولكن لمّا راى جدّ اسد الدين فى المسير لم يمكنه الّا ان يسيّر معه جمعًا خوفًا من احادث يتجدّد عليهم فيضعف الاسلام فلمّا اجتمع معه عسكره سار الى مصر على البرّ وترك بلاد الفرنج على يمينه فوصل الديار المصريّة فقصد اطفيح وعبر النيل عندها الى الجانب الغربىّ ونزل بالجيزة مقابل مصر وتصرّف فى البلاد الغربيّة وحكم عليها واقام نيفًا وخمسين يومًا ٭ وكان شاور لمّا بلغه مجىٔ اسد الدين اليهم قد ارسل الى الفرنج يستنجدهم فاتوه على الصعب والذلول طمعًا فى ملكها وخوفًا ان يملكها اسد الدين فلا يبقى لهم فى بلادهم مقام معه ومع نور الدين

[1] وبقصدها

فالرجآء يقودهم والخوف يسوقهم ، فلمّا وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب الغربيّ وكان اسد الدين وعساكره قد ساروا الى الصعيد فبلغ مكاناً يعرف بالبابَيْن وسارت العساكر المصريّة والفرنج وراه فادركوه بها لخامس والعشرين من جمادى الاخرة وكان ارسل الى المصريّين والفرنج جوّاسين فعادوا اليه واخبروه بكثرة عددهم وعُددهم وجدّهم فى طلبه فعزم على قتالهم الّا انّه خاف من اصحابه ان تضعُف نفوسهم عن القتال فى هذا المقام الخطر الذى عطبهم فيه اقرب من سلامتهم لقلّة عددهم وبُعدهم عن اوطانهم وبلادهم وخطر الطريق فاستشارهم فكلّهم اشاروا عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقيّ والعود الى الشام وقالوا له ان نحن انهزموا وهو الذى يغلب على الظنّ فالى اين نلتجى وبمَن نحتمى وكلّ مَن فى هذه الديار من جندىّ وعامىّ وفلّاح عدوّ لنا ، فقام امير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين برغش صاحب شقيف وكان شجاعاً وقال من يخاف القتل والاسر فلا يخدم الملوك بل يكون فى بيته مع امراته والله لين عُدنا الى نور الدين من غير غلبة ولا بلآء نُعذر فيه لياخذنّ ما لنا من اقطاع وجامكية وليعودن علينا بجميع ما اخذناه منذ خدمناه الى يومنا هذا ويقول تاخذون اموال المسلمين وتفرّون عن عدوّهم وتُسلّمون مثل مصر الى الكفّار والحقّ بيده ، فقال اسد الدين هذا الراى وبه اعمل وقال ابن اخيه صلاح الدين مثله وكثر الموافقون لهم واجتمعت الكلمة على القتال فاقام بمكانه حتّى ادركه المصريّون والفرنج وهو على تعبيّة وجعل الاثقال فى القلب يتكثّر بها ولانّه لم يمكنه ان يتركها بمكان اخر فينهبها اهل البلاد وجعل صلاح الدين فى القلب وقال له ولمن معه انّ المصريّين والفرنج يجعلون حملتهم على القلب ظنّا منهم انى فيه فاذا حملوا عليكم فلا تُصدقوهم القتال ولا تهلكوا نفوسكم واندفعوا قُدّامهم بين ايديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا فى اعقابهم واختار هو من شجعان عسكره جمعاً يثق بهم ويعرف صبرهم فى الحرب ووقف بهم فى الميمنة فلمّا تقاتل الطايفتان فعل الفرنج ما ذكره وحملوا على القلب فقاتلهم مَن به قتالاً يسيراً وانهزموا بين ايديهم غير متفرّقين ومعهم الفرنج فحمل حينيّذ

اسد الدين فيمن معه على من تخلّف من الذين حملوا من المسلمين والفرنج الفارس والراجل فهزمهم ووضع السيف فيهم فاثخن واكثر القتل والاسر فلمّا عاد الفرنج من اثر المسلمين رءاوا عسكرهم مهزومًا والارض منهم قفرًا فانهزموا ايضًا وكان هذا من اعجب ما يورّخ انّ الفىّ فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل ۞

ذكر مُلك اسد الدين الاسكندريّة وعوده الى الشام

لمّا انهزم المصريّون والفرنج من اسد الدين بالبابَيْن سار الى ثغر الاسكندريّة وجبى ما فى القُرى على طريقه من الاموال ووصل الى الاسكندريّة فتسلّمها بمساعدة من اهلها سلّموها اليه فاستناب بها صلاح الدين ابن اخيه وعاد الى الصعيد فملكه وجبى امواله واقام به حتّى صام رمضان ، وامّا المصريّون والفرنج فانّهم عادوا واجتمعوا على القاهرة واصلحوا حال عساكرهم وجمعوا وساروا الى الاسكندريّة فحصروا صلاح الدين بها واشتدّ الحصار وقلّ الطعام على مَن بها فصبر اهلها على ذلك وسار اسد الدين من الصعيد اليهم وكان شاور قد افسد بعض مَن معه من التركمان فوصل رسل الفرنج والمصريّين يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين الف دينار سوى ما اخذه من البلاد فاجابه الى ذلك وشرط الفرنج ان لا يقيموا بالبلاد ولا يتملّكوا منها قرية واحدة فاجابوا الى ذلك واصطلحوا وعادوا الى الشام وتسلّم المصريّون الاسكندريّة فى نصف شوّال ووصل شيركوه الى دمشق ثامن عشر ذى القعدة وامّا الفرنج فانّهم استقرّ بينهم وبين المصريّين ان يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من انفاذ عسكر اليهم ويكون لهم من دَخْل مصر كلّ سنة مائة الف دينار هذا كلّه استقرّ مع شاور فانّ العاضد لم يكن له معه حكم قد حجر عليه وحجبه عن الامور كلّها وعاد الفرنج الى بلادهم بالساحل الشامىّ وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم وكان الكامل شجاع ابن شاور قد ارسل الى نور الدين مع بعض الامرآء ينهى محبّته وولآءه ويسأله الدخول فى طاعته وضمن على نفسه انّه يفعل هذا ويبذل مالاً يحمله كلّ سنة فاجابه الى ذلك وحمل اليه مالاً جزيلًا فبقى الامر على ذلك الى ان قصد الفرنج

مصر سنة اربع وستين وخمسمائة فكان ما نذكره هناك ان شآء الله تعالى ۞

ذكر ملك نور الدين صافيثا وعريمة

فى هذه السنة جمع نور الدين العساكر فسار اليه اخوه قطب الدين من الموصل وغيره فاجتمعوا على حمص فدخل نور الدين بالعساكر بلاد الفرنج فاجتازوا على حصن الاكراد فاغاروا ونهبوا وقصدوا عرقة فنازلوها وحصروها وحصروا حلبة واخذوها وخربوها وسارت عساكر المسلمين فى بلادهم يمينًا وشمالاً تغير وتخرب البلاد وفتحوا العريمة وصافيثا وعادوا الى حمص فصاموا بها رمضان ثم ساروا الى بانياس وقصدوا حصن هونين وهو للفرنج ايضًا من امنع حصونهم ومعاقلهم فانهزم الفرنج عنه واحرقوه فوصل نور الدين من الغد فهدم سوره جميعه واراد الدخول الى بيروت فتجدّد فى العسكر خُلف اوجب التفرّق فعاد قطب الدين الى الموصل واعطاه نور الدين مدينة الرقّة على الفرات وكانت له فاخذها فى طريقه وعاد الى الموصل ۞

ذكر قصد شنكا البصرة

فى هذه السنة عاود ابن شنكا فقصد البصرة ونهب بلدها وخرّبه من الجهة الشرقيّة وسار الى مطارا فخرج اليه كمشتكين صاحب البصرة وواقعه فاجتمع بشرف الدين الى جعفر ابن البلدىّ الناظر فيها ومعهما مقطعيهما ارغش واتّصلت الاخبار بانّ ابن شنكا واصلٌ الى واسط فخاف الناس منه خوفًا شديدًا فلم يصل اليها ۞

ذكر قصد شملة العراق

فى هذه السنة وصل شملة صاحب خوزستان الى قلعة الماهكى من اعمال بغداد وارسل الى الخليفة المستنجد بالله يطلب شيًّا من البلاد ويشتّط فى الطلب فسيّر الخليفة اكثر عساكره اليه ليمنعوه وارسل اليه يوسف الدمشقىّ يلومه ويحذّره عاقبة فعله فاعتذر بانّ ايلدكز والسلطان ارسلان شاه اقطعا الملك الذى عنده وهو ولد ملكشاه البصرة وواسط وعرض التوقيع بذلك وقل انا اقنع بثلث ذلك فعاد الدمشقىّ بذلك فامر الخليفة بلعنه وانّه من الخوارج وجمعت العساكر وسيّرت الى

ارغش المسترشدىّ وكان بالنعمانيّة هو وشرف الدين ابو جعفر ابن البلدىّ ناظر واسط مقابل شملة ثمّ انّ شملة ارسل قلج ابن اخيه فى طايفة من العسكر لقتال طايفة من الاكراد فركب ارغش فى بعض العسكر الذى عنده وسار الى قلج فحاربه فاسر قلج وبعض اصحابه وسيّرهم الى بغداد وبلغ شملة وطلب الصلح فلم تقع الاجابة اليه ثمّ انّ ارغش سقط عن فرسه بعد الوقعة فمات وبقى شملة مقيمًا مقابل عسكر الخليفة فلمّا علم انّه لا قدرة له عليهم رحل وعاد الى بلاده وكانت مدّة سفره اربعة اشهر ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة عصى غازى ابن حسّان المنبجىّ على نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام وكان نور الدين قد اقطعه مدينة منبج فامتنع عليه فيها فسيّر اليه عسكرًا فحصروه واخذوها منه واقطعها نور الدين اخاه قطب الدين ينال ابن حسّان وكان عادلًا خيّرًا محسنًا الى الرعيّة جميل السيرة فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف ابن ايّوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمايةٍ وفيها توفّى فخر الدين ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا واكثر ديار بكر ولمّا اشتدّ مرضه ارسل الى نور الدين محمود صاحب الشام يقول له بيننا صحبة فى جهاد الكفّار اريد ان ترعى بها ولدى ثمّ توفّى وملك بعده ولده محمّد فقام نور الدين الشامىّ بنصرته والذبّ عنه بحيث انّ اخاه قطب الدين مودودًا صاحب الموصل اراد قصد بلاده فارسل اليه اخوه نور الدين يمنعه ويقول له ان قصدتّه او تعرّضتَ الى بلاده منعتُك قهرًا فامتنع من قصده ٭ وفيها توفّى ابو المعالى محمّد بن الحسين بن حمدون الكاتب ببغداد وكان على ديوان الزمام فقُبض عليه فمات محبوسًا ٭ وفيها توفّى تاج المسترشدىّ ولد الامير يزدن وهو من اكابر الامرآء ببغداد ۞

سنة ٥٦٣ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسماية ٭

ذكر فراق زين الدين الموصل وتحكّم قُطب الدين فى البلاد

فى هذه السنة فارق زين الدين علىّ ابن بكتكين النايب عن قطب الدين مودود ابن زنكى صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم فى الدولة واكثر البلاد بيده منها اربل وفيه بيته واولاده وخزاينه ومنها شهرزور وجميع القلاع التى معها وجميع بلد الهكاريّة وقلاعه منه العماديّة وغيرها وبلد الحميديّة وتكريت وسنجار وحرّان وقلعة الموصل هو بها وكان قد اصابه طرش وعمى ايضًا فلمّا عزم على مفارقة الموصل الى بيته باربل سلّم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقى معه اربل حسب وكان شجاعًا عاقلًا حسن السيرة سليم القلب ميمون النقيبة لم ينهزم من حرب قطّ وكان كريمًا كثير العطاء للجند وغيرهم مدحه الحيص بيص بقصيدة فلمّا اراد ان ينشد قال انا لا اعرف ما يقول ولكنّى اعلم انّه يريد شيأً فامر له بخمسماية دينار وفرس وخلعة مجموع ذلك الف دينار ولم يزل باربل الى ان مات بها بهذه السنة ٭ ولمّا فارق زين الدين قلعة الموصل سلّمها قطب الدين الى فخر الدين عبد المسيح وحكّمه فى البلاد فعمر القلعة وكانت خرابًا لانّ زين الدين كان قليل الالتفات الى العمارة وسار عبد المسيح سيرة سديدة وسياسة عظيمة وهو خصىّ ابيض من مماليك زنكى اتابك عماد الدين ٭

ذكر الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة

فى هذه السنة ارسل اقسنقر الاحمديلى صاحب مراغة الى بغداد يسأل ان يُخطب للملك الذى هو عنده وهو ولد السلطان محمّد شاه ويبذل انّه لا يطأ ارض العراق ولا يطلب شيأً غير ذلك ويبذل مالًا يحمله اذا اجيب الى ما التمسه فاجيب بتطييب قلبه ٭ وبلغ الخبر ايلدكز صاحب البلاد فساءه ذلك وجهّز عسكرًا كثيفًا وجعل المقدّم عليهم ابنه البهلوان وسيّرهم الى اقسنقر فوقعت بينهم حربٌ اجلت عن هزيمة اقسنقر وتحصّنه بمراغة ونازله البهلوان وحصره وضيّق عليه ثم ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا وعاد البهلوان الى ابيه بهمدان ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة استوزر الخليفة المستنجد بالله شرف الدين ابا جعفر احمد بن محمّد بن سعيد المعروف بابن البلدىّ وكان ناظرًا بواسط ابان فى ولايتها عن كفاية عظيمة فاحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤساء قد تحكّم تحكّمًا عظيمًا فتقدّم الخليفة الى ابن البلدىّ بكفّ يده وايدى اهله واصحابه ففعل ذلك ووكّل بتاج الدين اخى استاذ الدار وطالبه بحساب نهر الملك لانّه كان يتولّاه من ايّام المقتفى وكذلك فعل بغيره فحصّل بذلك اموالًا جمّة وخافه استاذ الدار على نفسه فحمل مالًا كثيرًا ٭ وفى هذه السنة توفّى عبد الكريم بن محمّد بن منصور ابو سعيد ابن ابى المظفّر السمعانىّ المروزىّ الفقيه الشافعىّ وكان مكثرًا من سماع الحديث سافر فى طلبه وسمع منه ما لم يسمعه غيره ورحل الى ما ورآء النهر وخراسان دفعات ودخل الى بلد الجبل واصفهان والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد وله التصانيف المشهورة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب النسب وغير ذلك احسن فيها ما شآء وقد جمع مشيختخه فزادت عدّتهم على اربعة الاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج ابن الجوزىّ فقطعه فمن جملة قوله فيه انّه كان ياخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى فيقول حدّثنى فلان بما ورآء النهر وهذا باردٌ جدًّا فانّ الرجل سافر الى ما ورآء النهر حقًّا وسمع فى عامّة بلاده من عامّة شيوخه فاىّ حاجة به الى هذا التدليس البارد وانّما ذنبه عند ابن الجوزىّ انّه شافعىّ وله اسوة بغيره فانّ ابن الجوزىّ لم يبق على احد الا مكسرى[1] الحنابلة ٭ وفيها توفّى قاضى القضاة ابو البركات جعفر ابن عبد الواحد الثقفىّ فى جمادى الاخرة ٭ وفيها توفّى يوسف الدمشقىّ مدرّس النظاميّة بخوزستان وكان قد سار رسولًا الى شملة ٭ وفيها توفّى الشيخ ابو النجيب الشهرزورىّ الصوفىّ الفقيه وكان من الصالحين المشهورين ودُفن ببغداد ٭

---

[1]) C. P. et 740. Ups: مكرى

ثم دخلت سنة اربع وستين وخمسماية ٥٦٤ سنة

ذكر مُلك نور الدين قلعة جعبر

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود ابن زنكى قلعة جعبر اخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن علىّ بن مالك العقيلىّ وكانت بيده ويد ابآيه من قبله من ايّام السلطان ملكشاه وقد تقدّم ذكر ذلك وهى من امنع القلاع واحصنها مطلّة على الفراة من الجانب الشرقىّ ٭ واما سبب مُلكها فانّ صاحبها نزل منها يتصيّد فاخذه بنو كلاب وحملوه الى نور الدين فى رجب سنة ثلاث وستّين فاعتقله واحسن اليه ورغّبه فى الاقطاع والمال ليسلّم اليه القلعة فلم يفعل فعدل الى الشدّة والعنف وتهدّده فلم يفعل فسيّر اليها نور الدين عسكرًا مقدّمه الامير فخر الدين مسعود بن علىّ الزعفرانىّ فحصرها مدّة فلم يظفر منها بشىّ فامدّهم بعسكر اخر وجعل على الجميع الامير مجد الدّين ابا بكر المعروف بابن الداية وهو رضيع نور الدين واكبر امرآيه فحصرها ايضًا فلم ير له فيها مطمعًا فسلك مع صاحبها طريق اللين واشار عليه ان ياخذ من نور الدين العوض ولا يخاطر فى حفظها بنفسه فقبل قوله وسلّمها فاخذ عوضًا عنها سَرُوج واعمالها والملّاحة التى بين بلد حلب وباب بزاعة وعشرين الف دينار معجلة وهذا اقطاع عظيم جدًّا الّا انّه لا حصْنَ فيه وهذا اخر امر بنى مالك بالقلعة ولكلّ امر امَدٌ ولكلّ ولاية نهاية بلغنى انّه قيل لصاحبها أيّها احبُّ اليك واحسن مقامًا سروج والشام ام القلعة فقال هذه اكثر مالاً وامّا العزّ ففارقناه بالقلعة ٭

ذكر مُلك اسد الدين مصر وقتل شاور

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار اسد الدين شيركوه ابن شاذى الى ديار مصر فملكها ومعه العساكر النوريّة وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكّن الفرنج من البلاد المصريّة وانّهم جعلوا لهم فى القاهرة شحنة وتسلّموا ابوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم واعيان فرسانهم وحكموا على المسلمين حكمًا جايرًا وركبوهم بالاذى العظيم فلمّا راوا ذلك وانّ البلاد ليس فيها مَن يردّهم ارسلوا الى ملك الفرنج بالشام وهو

مرى ولم يكن للفرنج مذ ظهر بالشام مثله شجاعةً ومكرًا ودهآء يستدعونه ليملكها واعلموه خلوّها من موانع وهوّنوا امرّها عليه فلم يجبهم فاجتمع اليه فرسان الفرنج وذووا الراى منهم واشاروا عليه بقصدها وتملّكها فقال لهم الراى عندى انّنا لا نقصدها ولا طمعة لنا واموالها تُساق الينا تتقوّى بها على نور الدين وان نحن قصدناها لنملكها فانّ صاحبها وعساكره وعامّة بلاده وفلّاحيها لا يسلّمونها الينا ويقاتلوننا دونها ويحملهم الخوف منّا على تسليمها الى نور الدين ولئن صار له فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الفرنج واجلاؤهم من ارض الشام فلم يقبلوا قوله وقالوا له انّها لا مانع فيها ولا حامى والى ان يتجهّز عسكر نور الدين ويسير اليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من امرها وحينئذ يتمنّى نور الدين منّا السلامة فسار معهم على كره وشرعوا يتجهّزون ويظهرون انّهم يريدون قصد مدينة حمص فلمّا سمع نور الدين شرع ايضًا بجمع عساكره وامرهم بالقدوم عليه وجدّ الفرنج فى السير الى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهرًا مستهلّ صفر ونهبوها وقتلوا فيها واسروا وكان جماعة من اعيان المصريّين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة عداوةً منهم لشاور منهم ابن الخيّاط وابن فرجلة فقوى جنان الفرنج وساروا من بلبيس الى مصر فنزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها فخاف الناس منهم ان يفعلوا بهم كما فعلوا باهل بلبيس فحملهم الخوف منهم على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم فى حفظه فلو انّ الفرنج احسنوا السيرة فى بلبيس ملكوا مصر والقاهرة ولكنّ الله تعالى حسّن لهم ذلك اى ما فعلوا ليقضى الله امرًا كان مفعولًا وامر شاور باحراق مدينة مصر تاسع صفر وامر اهلها بالانتقال منها الى القاهرة وان ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونُهبت المدينة وافتقر اهلها وذهبت اموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفًا ان يملكها الفرنج فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يومًا ء وارسل الخليفة العاضد الى نور الدين يستغيث به ويعرّفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وارسل فى الكتب شعور النسآء وقال هذه شعور نسآئى من قصرى يستغثن بك لتنقذهنّ من الفرنج فشرع فى تسيير

الجيوش ، وامّا الفرنج فانّهم اشتدّوا فى حصار القاهرة وضيّقوا على اهلها وشاور هو المتولّى للامر والعساكر والقتال فضاق به الامر وضعُف عن ردّهم فاخلد الى اعمال الحيلة فارسل الى ملك الفرنج يذكر له مودّته ومحبّته له قديمًا وانّ هواه معه لخوفه من نور الدين والعاضد وانّما المسلمون لا يوافقونه على التسليم اليه ويشير بالصلح وأَخْذ مال لئلّا يتسلّم البلاد نور الدين فاجابه الى ذلك على ان يعطوه الف الف دينار مصريّة يعجّل البعض ويمهل بالبعض فاستقرّت القاعدة على ذلك وراى الفرنج انّ البلاد قد امتنعت عليه وربّما سلّمت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا ناخذ المال فنتقوّى به ونعاود البلاد بقوّة لا نبالى معها بنور الدين وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللّٰهُ وَٱللّٰهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ[1] فعجّل لهم شاور مائة الف دينار وسالهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال فرحلوا قريبًا وجعل شاور يجمع لهم المال من اهل القاهرة ومصر فلم يتحصّل له الّا قدرٌ لا يبلغ خمسة الاف دينار وسببه انّ اهل مصر كانوا قد احترقت دورهم وما فيها وما سلم نُهب وهم لا يقدرون على الاقوات فضلاً عن الاقساط وامّا اهل القاهرة فالاغلب على اهلها الجند وغلمانهم فلهذا تعذّرت عليهم الاموال وهم فى خلال هذا يراسلون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثُلث بلاد مصر وان يكون اسد الدين مقيمًا عندهم فى عسكر واقطاعهم من البلاد المصريّة ايضًا خارجًا عن الثُلث الذى لهم ، وكان نور الدين لمّا وصله كُتب العاضد بحلب ارسل الى اسد الدين يستدعيه اليه فخرج القاصد فى طلبه فلقيه على باب حلب وقد قدمها من حمص وكانت اقطاعه وكان سبب وصوله انّ كتب المصريّين وصلته ايضًا فى المعنى فسار ايضًا الى نور الدين واجتمع به وعجب نور الدين من حضوره فى الحال وسرّه ذلك وتفأّل به وامر بالتجهيز الى مصر واعطاه مايتىْ الف دينار سوى الثياب والدوابّ والاسلحة وغير ذلك وحكّمه فى العسكر والخزاين واختار من العسكر الفىْ فارس واخذ المال وجمع ستّة الاف فارس وسار هو ونور الدين الى باب دمشق فوصلها سلخ

[1] Cor. 3, 47.

صفر ورحل الى راس المآء واعطى نور الدين كلّ فارس ممّن مع اسد الدين عشرين دينارًا معونةً غير محسوبة من جامكيته واضاف الى اسد الدين جماعة اخرى من الامرآء منهم مملوكه عزّ الدين جرديك[1] وغرس الدين قلج وشرف الدين برغش[2] وعين الدولة الياروقىّ وقطب الدين ينال ابن حسّان المنبجىّ وصلاح الدين يوسف ابن ايّوب اخى شيركوه على كره منه وعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ[3] احبّ نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته ومُلكه وسيرد ذلك عند موت شيركوه ان شآ الله تعالى ؞ وسار اسد الدين شيركوه من راس المآء مجدًّا منتصف ربيع الاوّل فلمّا قارب مصر رحل الفرنج الى بلادهم بخُفَّى حُنين خايبين ممّا أمَّلوا وسمع نور الدين بعودهم فسرّه ذلك وامر بضرب البشاير فى البلاد وبثّ رسله فى الافاق مبشّرين بذلك فانّه كان فتحًا جديدًا لمصر وحفظًا لبلاد الشام وغيرها ؞ فامّا اسد الدين فانّه وصل الى القاهرة سابع جمادى الاخرة ودخل اليها واجتمع بالعاضد لدين الله وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضديّة وفرح به اهل مصر وأُجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع عن ذلك لانّه راى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على اظهار ما فى نفسه وشرع يماطل اسد الدين فى تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال واقطاع الجند وافراد ثُلث البلاد لنور الدين وهو يركب كلّ يوم الى اسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا[4] ثمّ انّه عزم على ان يعمل دعوة يدعوا اليها اسد الدين والامرآء الذين معه ويقبض عليهم ويستخدم مَن معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج فنهاه ابنه الكامل وقال له والله لئن عزمتَ على هذا الامر لاعرفنّ شيركوه فقال له ابوه والله لئن لم تفعل هذا لنقتلنّ جميعًا فقال صدقتَ ولئن نقتل ونحن مسلمون والبلاد اسلاميّة خير من ان نقتل

[1]) حرديك [2]) برغش [3]) Cor. 2, 213. [4]) Cor. 4, 119.

وقد ملكها الفرنج فانّه ليس بينك وبين عود الفرنج الّا ان يسمعوا بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارسًا واحدًا ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه، ولمّا راى العسكر النورىّ مطل شاور خافوا شرّه فاتّفق صلاح الدين يوسف ابن ايّوب وعز الدين جُرديك وغيرهم على قتل شاور فنهاهم اسد الدين فسكتوا وهم على ذلك العزم من قتله فاتّفق انّ شاور قصد عسكر اسد الدين على عادته فلم يجده فى الخيام كان قد مضى يزور قبر الشافعىّ رضى الله عنه فلقيه صلاح الدين يوسف وجُرديك فى جمع من العسكر وخدموه واعلموه بانّ شيركوه فى زيارة قبر الامام الشافعىّ فقال نمضى اليه فساروا جميعًا فسايره صلاح الدين وجُرديك والقوه الى الارض عن فرسه فهرب اصحابه عنه فأُخذ اسيرًا فلم يمكنهم قتله بغير امر اسد الدين فتوكّلوا بحفظه وسيّروا اعلموا اسد الدين فحضر ولم يمكنه الّا اتمام ما عملوه وسمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر فارسل الى اسد الدين يطلب منه راس شاور وتابع الرسل بذلك فقتل وارسل راسه الى العاضد فى السابع عشر من ربيع الاخر ودخل اسد الدين القاهرة فراى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم امير المومنين يعنى العاضد يامركم بنهب دار شاور فتفرّق الناس عنه اليها فنهبوها وقصد هو قصر العاضد فخلع عليه خلع الوزارة ولُقب الملك المنصور امير الجيوش وسار بالخلع الى دار الوزارة وهى التى كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقرّ فى الامر وغلب عليه ولم يبق له مانع ولا منازع واستعمل على الاعمال من يثق اليه من اصحابه واقطع البلاد لعساكره، وامّا الكامل ابن شاور فانّه لمّا قُتل ابوه دخل القصر هو واخوته معتصمين به فكان اخر العهد بهم فكان شيركوه يتاسّف عليه كيف عُدم لانّه بلغه ما كان منه مع ابيه فى منعه من قتل شيركوه وكان يقول وددتُ انّه بقى لاحسن اليه جزاء الصنيعة☆

ذكر وفاة اسد الدين شيركوه

لمّا ثبت قدم اسد الدين وظنّ انّه لم يبق له منازع اتاه اجله

حَتّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً¹ فتوفّى يوم السبت الثانى والعشرين من جمادى الاخرة سنة اربع وستّين وخمسمائة وكانت ولايته شهريْن وخمسة ايّام ، وامّا ابتدآء امره وسبب اتّصاله بنور الدين فانّه كان هو واخوه نجم الدين ايّوب ابنا شاذى من بلد دوين من اذربيجان واصلهما من الاكراد الرواديّة وهذا القبيل هم اشرف الاكراد فقدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فراى من نجم الدين عقلاً وافرًا وحسن سيرة وكان اكبر من شيركوه فجعله مستحفظًا لقلعة تكريت وهى له فسار اليها ومعه اخوه شيركوه ، فلمّا انهزم اتابك الشهيد زنكى ابن اقسنقر بالعراق من قراجا الساقى على ما ذكرناه سنة ستّ وعشرين وخمسمائة وصل منهزمًا الى تكريت فخدمه نجم الدين واقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فاحسن ايّوب صحبتهم وسيرهم ثمّ انّ شيركوه قتل انسانًا بتكريت لملاحة جرت بينهما فاخرجهما بهروز من القلعة فسارا الى الشهيد زنكى فاحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعًا حسنًا فلمّا ملك قلعة بعلبكّ جعل ايّوب مستحفظًا بها ، فلمّا قُتل الشهيد حصر عسكر دمشق بعلبكّ وهو بها فضاق عليه الامر وكان سيف الدين غازى ابن زنكى مشغولاً عنه باصلاح البلاد فاضطرّ الى تسليمها اليهم فسلّمها على اقطاع ذكره فاجيب الى ذلك وصار من اكبر الامرآء بدمشق ، واتّصل اخوه اسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد قتل زنكى وكان يخدمه فى ايّام والده فقرّبه وقدّمه وراى منه شجاعة يعجز غيره عنها فزاده حتّى صار له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدّم عسكره فلمّا اراد نور الدين مُلك دمشق امره فراسل اخاه ايّوب وهو بها وطلب منه المساعدة على فتحها فاجاب الى [ذلك على] ما يزاد منه على اقطاع ذكره له ولاخيه وقُرًى يتملّكانها فاعطاهما ما طلبا وفتح دمشق على ما ذكرناه ووفا لهما وصارا اعظم امرآء دولته فلمّا اراد ان يرسل

¹) Cor. 6, 44.

العساكر الى مصر لم ير لهذا الامر العظيم والمقام الخطر غيره فارسله ففعل ما ذكرناه اوّلاً واخرًا والله اعلم ۞

ذكر مُلك صلاح الدين مصر

لمّا توفّى اسد الدين شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن اخيه ايّوب ابن شاذى قد سار معه على كره منه للمسير حكى لى عنه بعض اصدقآينا ممّن كان قريبًا اليه خصيصًا به قال لمّا رَدَت كُتب العاضد على نور الدين يستغيث به من الفرنج ويطلب ارسال العساكر احضرنى واعلمنى الحال وقال تمضى الى عمّك اسد الدين بحمص مع رسولى اليه ليحضر وتحثّه انت على الاسراع فما يحتمل الامر التاخير ففعلتُ وخرجنا من حلب فما كنّا على ميل من حلب حتّى لقيناه قادمًا فى هذا المعنى فامره نور الدين بالمسير فلمّا قال له نور الدين ذلك التفت عمّى الىّ فقال لى تجهّز يا يوسف فقلتُ والله لو اعطيتَ مُلك مصر ما سرتُ اليها فلقد قاسيتُ بالاسكندريّة وغيرها ما لا أنساه ابدًا فقال لنور الدين لا بُدَّ من مسيره معى فتامر به فامرنى نور الدين وانا استقيل وانقضى المجلس وتجهّز اسد الدين ولم يبق غير المسير قال لى نور الدين لا بُدَّ من مسيرك مع عمّك فشكوتُ اليه الضايقة وعدم البرك فاعطانى ما تجهّزتُ به فكانّما اساق الى الموت فسرتُ معه وملكها ثمّ توفّى فملّكنى الله تعالى ما لا كنتُ اطمع فى بعضه واما كيفيّة ولايته فانّ جماعة من الامرآء النوريّة الذين كانوا بمصر طلبوا التقدّم على العساكر وولاية الوزارة العاضديّة بعده منهم عين الدولة الياروقىّ وقطب الدين ينال وسيف الدين المشطوب الهكّارىّ وشهاب الدين محمود الحارمىّ وهو خال صلاح الدين وكلّ واحد من هولآء يخطبها وقد جمع اصحابه ليغالب عليها فارسل العاضد الى صلاح الدين احضره عنده وخلع عليه وولّاه الوزارة بعد عمّه وكان الذى حمله على ذلك انّ اصحابه قالوا له ليس فى الجماعة اضعف ولا اصغر سنًّا من يوسف والراى ان يولّى فانّه لا يخرج من تحت حكمنا ثمّ نضع على العساكر مَن يستميلهم الينا فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد ثمّ ناخذ يوسف او نخرجه فلمّا خلع عليه لقب الملك الناصر ولم يطعه احد من

اوليك الامرآء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا خدموه وكان الفقيه عيسى الهكارى معه فسعى مع المشطوب حتى اماله اليه وقال له انّ هذا الامر لا يصل اليك مع عين الدولة والحارمىّ وغيرهما ثم قصد الحارمىّ وقال هذا صلاح الدين هو ابن اختك وعزّه وملكه لك وقد استقام له الامر فلا تكن اوّل مَن يسعى فى اخراجه عنه ولا يصل اليك فال اليه ايضًا ثم فعل مثل هذا بالباقين وكلّهم اطاع غير عين الدولة الياروقىّ فانّه قال انا لا اخدم يوسف وعاد الى نور الدين بالشام ومعه غيره من الامرآء وثبت قدم صلاح الدين ومع هذا فهو نايب عن نور الدين وكان نور الدين يكاتبه بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته على راس الكتاب تعظيمًا عن ان يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب الامير الاسفهسلار صلاح [الدين] وكافة الامرآء بالديار المصريّة يفعلون كذا ء واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال فمالوا اليه واحبّوه وضعُف امر العاضد ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته واهله فارسلهم اليه وشرط عليهم طاعته والقيام بامره ومساعدته وكلّهم فعل ذلك واخذ اقطاعات الامرآء المصريّين فاعطاهم اهله والامرآء الذين معه وزادهم فازدادوا له حبًّا وطاعةً ء قد اعتبرتُ التواريخ فرايتُ كثيرًا من التواريخ الاسلاميّة التى يمكن ضبطها ورايتُ كثيرًا ممّن يبتدى الملك تنتقل الدولة عن صلبه الى بعض اهله واقاربه منهم اوّل الاسلام معاوية ابن ابى سفيان اوّل مَن ملك من اهل بيته فتنقل الملك من اعقابه الى بنى مروان من بنى عمّه ثم من بعده السفّاح اوّل مَن ملك من بنى العبّاس انتقل الملك من اعقابه الى اخيه المنصور ثم السامانيّة اوّل مَن استبدّ منهم نصر بن احمد فانتقل الملك عنه الى اخيه اسمعيل بن احمد واعقابه ثم يعقوب الصفّار وهو اوّل مَن ملك من اهل بيته فانتقل الملك الى اخيه عمرو واعقابه ثم عماد الدولة ابن بويه اوّل مَن ملك من اهله انتقل الملك عنه الى اخويه ركن الدولة وعزّ الدولة ثم خلص فى اعقاب ركن الدولة ومعزّ الدولة ثم خلص فى اعقاب ركن الدولة ثم الدولة السلجقيّة اوّل مَن ملك منهم طغرلبك انتقل الملك الى اولاد اخيه داود ثم هذا شيركوه كما

ذكرناه انتقل الملك الى اعقاب اخيه ايّوب ثم انّ صلاح الدين لمّا انشى الدولة وعظّمها وصار كانّه اوّلٌ لها نقل الملك الى اعقاب اخيه العادل ولم يبق بيد اعقابه غير حلب وهذه اعظم الدُول الاسلاميّة ولولا خوف التطويل لذكرنا اكثر من هذا والذى اظنّه السبب فى ذلك انّ الذى يكون اوّل دولة يكثر وياخذ المُلك وقلوب مَن كان فيه متعلّقة به فلهذا يحرمه الله اعقابه ومَن يفعل ذلك من اجلّهم عقوبة له ٭

ذكر وقعة السودان بمصر

فى هذه السنة فى اوايل ذى القعدة قُتل مؤتمن الخلافة وهو خصىّ كان بقصر العاضد اليه الحكم فيه والتقدّم على جميع من يحويه فاتّفق هو وجماعة من المصريّين على مكاتبة الفرنج واستدعايهم الى البلاد والتقوّى بهم على صلاح الدين ومَن معه وسيّروا الكُتب مع انسان يثقون اليه واقاموا ينتظرون جوابه وسار ذلك القاصد الى البير البيضا فلقيه انسان تركمانىّ فراى معه نعلَين جديدَين فاخذهما منه وقال فى نفسه لو كانا ممّا يلبسه هذا الرجل لكان خلقين فانّه رث الهيّة وارتاب به وبهما فاتى به صلاح الدين ففتقهما فراى الكتاب فيهما فقراه وسكت عليه وكان مقصود مؤتمن الخلافة ان يتحرّك الفرنج الى الديار المصريّة فاذا وصلوا اليها خرج صلاح الدين فى العساكر الى قتالهم فيثور مؤتمن الخلافة بمَن معه من المصريّين على متخلّفيهم فيقتلونهم ثم يخرجون باجمعهم يتبعون صلاح الدين فياتونه من ورآء ظهره والفرنج من بين يديه فلا يبقى لهم باقية فلمّا قرأ الكتاب سال عن كاتبه فقيل رجل يهودىّ فأحضر فامر بضربه وتقريره فابتدا واسلم واخبره الخبر واخفى صلاح الدين الحال وانّ مؤتمن الخلافة استشعر فلازم القصر ولم يخرج منه خوفاً واذا خرج لم يبعد من صلاح الدين [وصلاح الدين] لا يظهر له شياً من الطلب لئلا ينكر ذلك فلمّا طال الامر خرج من القصر الى قرية له تعرف بالخرقانية للتنزه فلمّا علم به صلاح الدين ارسل اليه جماعة فاخذوه وقتلوه واتوا براسه وعزل جميع الخدم الذين يتولّون امر قصر الخلافة واستعمل على الجميع بهآء الدين قراقوش وهو خصىٌّ ابيض وكان لا يجرى فى القصر صغيرًا ولا كبيرًا الّا بامره ، فغضب السودان لقتل

مؤتمن الخلافة للجنسيّة ولانّه كان يتعصّب لهم فحشدوا وجمعوا فزادت عدّتهم على خمسين الفًا وقصدوا حرب الاجناد الصلاحيّة فاجتمع العسكر ايضًا وقاتلوهم بين القصريّن وكثر القتل فى الفريقيّن فارسل صلاح الدين الى محلّتهم المعروفة بالمنصورة فاحرقها على اموالهم واولادهم فلمّا اتاهم الخبر بذلك ولّوا منهزمين فركبهم السيف وأُخذت عليهم افواه السكك فطلبوا الامان بعد ان كثر فيهم القتل فاجيبوا الى ذلك فاخرجوا من مصر الى الجيزة فعبر اليهم شمس الدولة اخو صلاح الدين الاكبر فى طايفة من العسكر فاباده بالسيف ولم يبق منهم الّا القليل الشريد وكفى الله تعالى شرّهم والله اعلم ۞

ذكر مُلك شملة فارس واخرجه عنها

فى هذه السنة ملك شملة صاحب خوزستان بلاد فارس وأُخرج عنها وسبب ذلك انّ زنكى ابن دكلا صاحبها اسآ السيرة مع عسكره فارسلوا الى شملة بخوزستان وحسّنوا له قصد فارس فجمع عساكره وتجهّز وسار اليها فخرج اليه زنكى ابن دكلا ووقعت بينهم حرب خامر فيها اصحاب زنكى عليه فانهزم فى شرذمة من عسكره ونجا بنفسه وقصد الاكراد الشوانكار والتجا اليهم فاجاره صاحبها واحسن ضيافته ونزل شملة ببلاد فارس فملكها فاسآ السيرة الى اهلها ونهب ابن اخيه ابن شنكا البلاد فتغيّرت بواطن اهلها عليه واجتمع الى زنكى بعض العسكر الذين خامروا عليه لما رءاوا من سُوء سيرة شملة واستعاد زنكى بلاده ورجع الى ملكه وعاد شملة الى بلاده خوزستان ۞

ذكر مُلك ايلدكز الرىّ

فى هذه السنة ملك ايلدكز مدينة الرىّ والبلاد التى كانت بيد اينانج وسبب ذلك انّ ايلدكز كان قد استقرّ الامر بينه وبين اينانج على مال يؤدّيه الى ايلدكز فمنعه سنتين فارسل ايلدكز يطلب المال فاعتذر بكثرة غلمانه وحاشيته فتجهّز ايلدكز وقصد الرىّ فالتقاه اينانج وحاربه حربًا عظيمًا فانهزم اينانج ومضى منهزمًا فتحصّن بقلعة طبرك فحصره ايلدكز فيها وراسل سرًّا جماعة من مماليكه فاطمعهم فى الاقطاعات والاموال والاحسان العظيم ليقتلوا اينانج فقتلوه وكانوا جماعة

كثيرة وسلّموا البلد الى ايلدكز فرتّب فيه عمر ابن علىّ باغ وعاد الى همذان ولم يف للغلمان الذين قتلوا اينانج وسلّموا البلد اليه بما وعدهم وقال مثل هولآء ينبغى ان لا يستخدموا وابعدهم عنه فتفرّقوا فى البلاد فسار بعضهم وهو الذى تولّى قتله الى خوارزم شاه فصلبه خوارزم شاه نكالاً بما فعل بصاحبه ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة رُاءىَ فى دار الخليفة رجل غريب فى الطريق التى يركب فيه وفى يده سكين صغيرة وفى يده سكين اخرى كبيرة فاخذوه وقرّروه فقال انا من حلب فحبس وعوقب البوّاب ولم يعلم من اين دخل ، وفيها قبض ابن البلدىّ وزير الخليفة على الحسين ابن محمّد المعروف بابن السيبىّ وعلى اخيه الاصغر وكانا ابنَىْ عمّة عضد الدين استاذ الدار وكان الاصغر عامل البيمارستان فقطعت يده ورجله قيل كان عنده صنجٌ يقبض بها ويحمل الى الديوان بالصنج الصحيحة وقيل غير ذلك وحُمل الى البيمارستان فمات به وكان شاعرًا فمن شعره وهو محبوس هذه الابيات

سلام على اهلى وصحبى وجُلاسى ... ومَن فى فؤادى ذكرُهم راسبٌ راسى
اعالج فيكم كلّ همّ ولا ارى ... لداء همومى غير رويتكم اسى
لقد ابدت الايّام لى كلّ شدّة ... تشيب لها الاكباد فضلًا عن الراس
فيا ابنة عبد الله صبرًا على الذى ... لقيتُ فهذا الحكم من مالك الناس
فلو ابصرتْ عيناك ذلّى بكيت لى ... بدمع سوىّ بالمدامع رجّاس
اقول لقلبى والهموم تنوشه ... وقد حدّثته النفس بالضرّ والباس
فلو همّ طيف من خيالى يزوركم ... لمانعه دون المغالق حُرّاسى
وما حذرى الّا على النفس لا على ... سواها لانّى حلف فقر وافلاس ،

وفيها توفّى المعمّر بن عبد الواحد بن رجّار ابو احمد الاصفهانىّ الحافظ يروى عن اصحاب ابى نُعَيْم وكان موته بالبادية ذاهبًا الى الحجّ فى ذى القعدة ، وفى رجب منها توفّى الشيخ ابو محمّد الفارقىّ المتكلّم على الناس وكان احد الزهّاد له كرامات كثيرة وكان يتكلّم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور ، وفيها ماتت جُعَيْفر الرقّاص من ندمآء دار الخلافة ، وفى

شوّال منها توفى القاضى ابو الحسن علىّ بن يحيى القرشىّ الدمشقىّ ، وفى ذى الحجّة توفى نجم الدين بن محمّد بن علىّ بن القسم الشهرزورىّ قاضى الموصل وولى ابنه حجّة الدين عبد القاهر القضآء ۞

ثم دخلت سنة خمس وستّين وخمسمائة ، سنة ٥٦٥

ذكر حصر الفرنج دمياط

فى هذه السنة فى صفر نزل الفرنج على مدينة دمياط من الديار المصريّة وحصروها وكان الفرنج بالشام لمّا ملك اسد الدين شيركوه مصر قد خافوه وايقنوا بالهلاك وكاتبوا الفرنج الذين بصقليّة والاندلس وغيرها يستمدّونهم ويعرّفونهم ما تجدّد من مُلك الاتراك مصر وانّهم خايفون على البيت المقدّس منهم فارسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرّضونهم على الحركة فامدّوهم بالاموال والرجال والسلاح واتّعدوا للنزول على دمياط ظنًّا منهم انّهم يملكونها ويتّخذونها ظهرًا يملكون به الديار المصريّة فَرَدَّ ٱللّٰهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا[1] فلمّا نزلوا عليها كان اسد الدين قد مات وملك صلاح الدين فاجتمعوا عليها وحصروها وضيّقوا على مَن بها ، فارسل اليها صلاح الدين العساكر فى النيل وحشر فيها كلّ مَن عنده وامدّهم بالاموال والسلاح والذخاير وارسل الى نور الدين يشكوا ما هم فيه من المخافة ويقول انى ان تاخّرتُ من دمياط ملكها الفرنج وان سرتُ اليها خلفنى المصريّون فى اهلها واموالها بالشرّ وخرجوا عن طاعتى وساروا فى اثرى والفرنج أمامى فلا يبقى لنا باقية فسيّر نور الدين العساكر اليه أَرسالا يتلوا بعضها بعضًا ثمّ سار هو بنفسه الى بلاد الفرنج الشاميّة فنهبها واغار عليها واستباحها فوصلت الغارات الى ما لم تكن تبلغه قبل لخُلُوّ البلاد من مانع ، فلمّا راى الفرنج تتابع العساكر الى مصر ودخول نور الدين الى بلادهم ونهبها وتخريبها رجعوا خايبين لم يظفروا بشئٍ ووجدوا بلادهم خرابًا واهلها بين قتيل واسير فكانوا موضع المثل خرجت النعامة تطلب قرنين رجعت بلا اذنين وكان مدّة مقامهم على دمياط خمسين

[1]) Cor. 33, 25.

يوماً اخرج فيها صلاح الدين اموالًا لا تُحصى حكى انّه قال ما رايتُ اكرم من العاضد ارسل الىّ مرّة لمقام الفرنج على دمياط الف الف دينــار مصــريّــة سـوى الـثـيـاب وغـيـرهـا ٭

ذكـر حـصـر نـور الـديـن الـكـرك

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة سار نور الدين الى بلد الفرنج فحصر الكرك وهو من امنع المعاقل على طرف البرّ وكان سبب ذلك انّ صلاح الدين ارسل الى نور الدين يطلب ان يرسل اليه والده نجم الدين ايّوب فجهّزه نور الدين وسيّره وسيّر معه عسكراً واجتمع معه من التجار خلق كثير وانضاف اليهم مَن كان له مع صلاح الدين انسٌ وصحبةٌ فخاف نور الدين عليهم من الفرنج فسار فى عساكره الى الكرك فحصره وضيّق عليه ونصب عليه المنجنيقات فاتاه الخبر انّ الفرنج قد جمعوا له وساروا اليه وقد جعلوا فى مقدّمتهم ابن هنفرى وقريب ابن الرقيق[1] وهما فارسا الفرنج فى وقتهما فرحل نور الدين نحو هذَيْن المقدّمَيْن ليلقاهما ومَن معهما قبل ان يلتحق بهما باقى الفرنج فلمّا قاربهما رجعا القهقرى واجتمعا بباقى الفرنج وسلك نور الدين وسط بلادهم ينهب ويحرق ما على طريقه من القرى الى ان وصل الى بلاد الاسلام فنزل على عشترا واقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم فلم يبرحوا من مكانهم فاقام هو حتّى اتاهم خبر الزلزلة الحادثة فرحل ، وامّا نجم الدين ايّوب فانّه وصل الى مصر سالمًا هو ومَن معه وخرج العاضد الخليفة الـيـتـلـقـاه اكـرامًا لـه ٭

ذكـر غـزوة لـسـريـة نـوريّـة

كان شهاب الدين الياس بن ايلغازى بن ارتق صاحب قلعة البيرة قد سار فى عسكره وهو فى مايَتَىْ فارس الى نور الدين وهو بعشترا فلمّا وصل الى قرية اللبوة وهى من عمل بعلبكّ ركب متصيّدًا فصادف ثلثمايّة فارس من الفرنج قد ساروا للاغارة على بلاد الاسلام سابع عشر شوّال فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا واشتدّ القتال وصبر الفريقان لا سيّما المسلمون فانّ الف فارس لا يصبرون لحملة ثلثمايّة

[1]) C. P.: قريب بن الدقيق :740 قريب بن الدقيق

فارس افرنجيّة وكثر القتلى بين الطايفتين فانهزم الفرنج وعمّهم القتل والاسر فلم يفلت منهم الّا من لا يعتدّ به وسار شهاب الدين برؤس القتلى وبالاسرى الى نور الدين فركب نور الدين والعسكر فلقوهم فراى نور الدين فى الرؤس راس مقدّم الاسبتار صاحب حصن الاكراد وكان من الشجاعة بمحلّ كبير وكان شجىً فى حلوق المسلمين ۞

ذكر الزلزلة وما فعلته بالشام

فى هذه السنة ايضًا ثانى عشر شوّال كانت زلازل عظيمة متتابعة هايلة لم ير الناس مثلها وعمّت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدّها كان بالشام فخرّبت كثيرًا من دمشق وبعلبكّ وحمص وحماة وشيزر وبعرين وحلب وغيرها وتهدّمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهلك منهم ما يخرج عن الحدّ فلمّا اتاه الخبر سار الى بعلبكّ ليعمّر ما انهدم من سورها وقلعتها فلمّا وصلها اتاه خبر باقى البلاد وخراب اسوارها وقلاعها وخلوّها من اهلها فجعل ببعلبكّ من يعمرها ويحفظها وسار الى حمص ففعل مثل ذلك ثم الى حماة ثم الى بعرين وكان شديد الحذر على ساير البلاد من الفرنج ثم اتى مدينة حلب فراى فيها من اثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانّها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب ممّن نجا كلّ مبلغ وكانوا لا يقدرون ياوون مساكنهم خوفًا من الزلزلة فاقام بظاهرها وباشر عمارتها بنفسه فلم يزل كذلك حتّى احكم اسوار البلاد وجوامعها وامّا بلاد الفرنج فانّ الزلازل ايضًا عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفًا من نور الدين عليها فاشتغل كلّ منهم بعمارة بلاده خوفًا من الاخر ۞

ذكر وفاة قطب الدين مودود ابن زنكى وملك ابنه سيف الدين غازى

فى هذه السنة فى ذى الحجّة مات قطب الدين مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل بالموصل وكان مرضه حمّى حادّة ولمّا اشتدّ مرضه وصّى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكى وعدل عنه الى ابنه الاخر سيف الدين غازى وانّما صرف الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكى ابن مودود لانّ القيّم بامور دولته والمقدّم فيها كان

خادمًا له يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانّه كان ضوع عمّه نور الدين لكثرة مقامه عنده ولانّه زوج ابنته وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتّفق فخر الدين وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش ابن ايلغازى وهى والدة سيف الدين على صرف المُلك عن عماد الدين الى سيف الدين فدخل عماد الدين الى عمّه نور الدين مستنصرًا به ليعينه على اخذ المُلك لنفسه ، وتوفّى قطب الدين وعمره نحو اربعين سنة وكان مُلكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفًا وكان فخر الدين هو المدبّر للامور والحاكم فى الدولة وكان قطب الدين من احسن الملوك سيرةً واعفّهم عن اموال رعيّته محسنًا اليهم كثير الانعام عليهم محبوبًا الى كبيرهم وصغيرهم عطوفًا على شريفهم ووضيعهم كريم الاخلاق حسن الصحبة لهم فكانّ القايل اراده بقوله

خلق كمثل المزن طيب مذاقة والروضة الغنّاء طيب نسيم
كالسيف لكنّ فيه حلم واسعٌ عمّن جنا والسيف غير حليم
كالغيث الّا انّ وابل جُوده ابدًا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر الّا انّه ذو رحمة والدهر قاسى القلب غير رحيم

وكان سريع الانفعال للخير بطيئًا عن الشرّ جمّ المناقب قليل المعايب رحمه الله ورضى عنه وعن جميع المسلمين بمنّه وكرمه انّه جواد كريم ✿

نذكر حالة ينبغى للملوك ان يحترزوا من مثلها

حدّثنى والدى رحمه الله قال كنتُ اتولّى جزيرة ابن عمر لقطب الدين كما علمتم فلمّا كان قبل موته بيسير اتانا كتاب من الديوان بالموصل يامرون بمساحة جميع بساتين العقيمة وهذه العقيمة هى قرية تحاذى الجزيرة منها دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها يُمسح فيوخذ منه على كلّ جريب شئٌ معلوم وبعضها عليه خراج وبعضها مطلق من الجميع قال وكان لى فيها ملك كثير فكنتُ اقول انّ المصلحة ان لا يغير على الناس شئٌ وما اقول هذا لاجل ملكى فاننى انا امسح ملكى وانّما اريد ان يدوم الدعآء من الناس للدولة فجآنى كتاب النايب يقول لا بُدّ من المساحة قال فاظهرت الامر وكان بها قوم صالحون لى بهم انس وبيننا مودّة فجآنى الناس كلّهم واوليك معهم يطلبون المراجعة فاعلمتهم

الى رجعتُ وما أُجبتُ الى ذلك فجآنى منهم رجلان اعرف صلاحهما وطلبا منّى المعاودة ومخاطبة ثانية ففعلت فاصرّوا على المسامحة فعرّفتُهما الحال قال فما مضى الّا عدّة ايّام واذا قد جآنى الرجلان فلمّا رايتهما ظننتُ انّهما جآءا يطلبان المعاودة فعجبتُ منهما واخذتُ اعتذر اليهما فقالا ما جينا اليك فى هذا وانّما جينا نعرّفك انّ حاجتنا قضيتْ قال فظننتُ انّهما قد ارسلا الى الموصل الى من يشفع لهما فقلتُ مَن الذى خاطب فى هذا بالموصل فقالا انّ حاجتنا قد قضيتْ من السمآء ولكافّة اهل العقيمة قال فظننتُ انّ هذا ممّا قد حدّثا به نفوسهما ثمّ قاما عنّى فلم يمض غير عشرة ايّام واذا قد جآنا كتاب من الموصل يامرون باطلاق المساجين[1] والمحبسين والمكوس ويامرون بالصدقة ويقول انّ السلطان يعنى قطب الدين مريض يعنى على حالة شديدة ثمّ بعد يومَين او ثلاثة جآنا الكتاب بوفاته فعجبتُ من قولهما واعتقدتُه كرامةً لهما فصار والدى بعد ذلك يكثر اكرامهما واحترامهما ويزورهما ۞

ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن وابن مردنيش[2]

كان محمّد ابن سعيد بن مردنيش[2] ملك شرق الاندلس قد اتّفق هو والفرنج وامتنع على عبد المؤمن وابنه بعده فاستفحل امره لا سيّما بعد وفاة عبد المؤمن فلمّا كان هذه السنة جهّز اليه يوسف ابن عبد المؤمن فجاسوا بلاده وخرّبوها واخذوا مدينتَين من بلاده واخافوا عساكره وجنوده واقاموا ببلاده مدّة ينتقلون فيها ويجبون اموالها ۞

ذكر وفاة صاحب كرمان والخلف بين اولاده

فى هذه السنة توفّى الملك طغرل ابن قاورت صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر وجرى بينهما قتال انهزم فيه بهرام شاه الى خراسان فدخل على المؤيّد صاحب نيسابور واستنجده فانجده بعساكر سار بها الى كرمان فجرى بين الاخوَين حربٌ ظفر فيها بهرام شاه [وهرب ارسلان شاه فقصد اصفهان مستجيرًا بايلدكز فانفذ معه عسكرًا واستنقذوا البلاد من بهرام شاه وسلّموها الى اخيه

---

[1] مساجد [2] مردنيس

ارسلان شاه فعاد][1] بهرام شاه الى نيسابور مستجيرًا بالمؤيّد صاحبها فاقام عنده فاتّفق انّ اخاه ارسلان شاه مات فسار الى كرمان فملكها واقام بها بغير منازع *

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كثرت الاذيّة من عبد الملك بن محمّد بن عطاء وتطرّق الى بلاد حلوان ونهب وافسد واخذ من الحجاج فانفذ اليه من بغداد عسكر فنازلوه فى قلاعه وضايقوه ونهبوا امواله واموال اهله حتّى اذعن بالطاعة ولا يعاود اذى للحجاج ولا غيرهم فعاد عنهم العسكر * وفيها توفّى مجد الدين ابو بكر ابن الداية وهو رضيع نور الدين وكان اعظم الامرآء منزلةً عنده وله فى اقطاعه حلب وحارم وقلعة جعبر فلمّا توفّى ردّ نور الدين ما كان له الى اخيه شمس الدين علىّ ابن الداية * وفيها فى شعبان توفّى احمد بن صالح بن شافع[2] ابو الفضل الجيلىّ وهو من مشهورى المحدّثين الجيلىّ بالجيم والياء تحتها نقطتان *

سنة ٥٦٦ ثمّ دخلت سنة ستّ وستّين وخمسماية *

ذكر وفاة المستنجد بالله

فى هذه السنة تاسع ربيع الاخر توفّى المستنجد بالله ابو المظفّر يوسف بن المقتفى لامر الله ابى عبد الله محمّد بن المستظهر بالله وقد تقدّم باقى النسب فى غير موضع وامّه امّ ولد اسمها طاووس وقيل نرجس روميّة ومولده مستهلّ ربيع الاخر سنة عشر وخمسماية وكان اسمر تامّ القامة طويل اللحية وكان سبب موته انّه مرض واشتدّ مرضه وكان قد خافه استاذ الدار عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤسآء وقطب الدين قايماز المقتفوىّ وهو حينيذ اكبر امير ببغداد فلمّا اشتدّ مرض الخليفة اتّفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له ما يوذيه فوصف له دخول الحمّام فامتنع لضعفه ثمّ انّه دخل واغلق عليه بابه فمات وهكذا سمعتُ عن غير واحد ممّن يعلم الحال وقيل انّ الخليفة كتب الى وزيره مع طبيبه ابن صفية يامره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين وصلبهما

---

[1] C. P. [2] سابع

فاجتمع ابن صفية باستاذ الدار واعداه خطّ للخليفة فقال له تعود وتقول انّنى اوصلتُ الخطّ الى الوزير ففعل ذلك وحضر استاذ الدار قطب الدين ويزدن[1] واخاه تنامش وعرض الخطّ عليهم فاتّفقوا على قتل الخليفة فدخل اليه يزدن[2] وقايماز الحميدىّ فحملاه الى الحمّام وهو يستغيث والقياه واغلقا الباب عليه وهو يصيح الى ان مات رحمه الله ، وكان وزيره ابا جعفر ابن البلدىّ وبينه وبين استاذ الدار وبين قطب الدين عداوة مستحكمة لانّ المستنجد بالله كان يأمره باشيا تتعلّق بهما فيفعلها فكانا يظنّان انّه هو الذى يسعى بهما فلمّا مرض المستنجد وارجف بموته ركب الوزير ومعه الامرآء والاجناد وغيرهما بالعُدد فلم يتحقّق عنده خبر موته فارسل اليه عضد الدين يقول انّ امير المومنين قد خفّ ما به من المرض واقبلت العافية فخاف الوزير ان يدخل دار الخلافة بالجند فربّما انكر عليه ذلك فعاد الى داره وتفرّق الناس عنه وكان عضد الدين وقطب الدين قد استعدّا للهرب لمّا ركب الوزير خوفًا منه ان دخل الدار ان يأخذهما فلمّا عاد اغلق استاذ الدار ابواب الدار واظهروا وفاة المستنجد واحضر هو وقطب الدين ابنه ابا محمّد الحسن وبايعاه بالخلافة ولقّباه المستضئ بامر الله وشرطا عليه شروطًا ان يكون عضد الدين وزيرًا وابنه كمال الدين استاذ الدار وقطب الدين امير العسكر فاجابهم الى ذلك ، ولم يتولّ الخلافة مَن اسمه الحسن الّا الحسن بن علىّ بن ابى طالب والمستضئ بامر الله واتّفقا فى الكنية والكرم فبايعه اهل بيته البيعة الخاصّة يوم توفّى ابوه وبايعه الناس من الغد فى التاج بيعة عامّة واظهر من العدل اضعاف ما عمل ابوه وفرّق اموالاً جليلة المقدار ، وعلم الوزير ابن البلدىّ فسقط فى يده وقرع سنّه ندمًا على ما فرط فى عوده حيث لا ينفعه واتاه مَن يستدعيه للجلوس للعزآء والبيعة للمستضئ فمضى الى دار الخلافة فلمّا دخلها صرف الى موضع وقُتل وقطع قطعًا والقى فى دجلة رحمه الله وأُخذ جميع ما فى داره فراوا فيها خطوط المستنجد بالله بامره فيها بالقبض عليهما وختّه

---

[1] ويردن [2] يردن

الوزير قد راجعه فى ذلك وصرفه عنه فلمّا وقعا عليهما عرفا برآتها ممّا كانا يظنّان فيه فندما حيث فرّطا فى قتله ، وكان المستنجد بالله من احسن الخلفآء سيرة مع الرعيّة عادلاً فيهم كثير الرفق بهم واطلق كثير من المكوس ولم يترك بالعراق منها شيأً وكان شديدًا على اهل العبث والفساد والسعاية بالناس بلغنى انّه قبض على انسان كان يسعى بالناس فاطال حبسه فشفع فيه بعض اصحابه المختصّين بخدمته وبذل عنه عشرة الاف دينار فقال انا اعطيك عشرة الاف دينار وتحضر لى انساناً اخر مثله لاكفّ شرّه عن الناس ولم يطلقه وردّ كثيرًا من الاموال على اصحابه ايضًا وقبض على القاضى ابن المرخم واخذ منه مالًا كثيرًا فاعاده على اصحابه ايضًا وكان ابن المرخم ظالمًا جايرًا فى احكامه ۞

ذكر مُلك نور الدين الموصل واقرار سيف الدين عليها

لمّا بلغ نور الدين محمود وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل ومُلك ولده سيف الدين غازى الموصل والبلاد التى كانت لابيه بعد وفاته وقام فخر الدين عبد المسيح بالامر معه وتحكّمه عليه وكان يبغض فخر الدين لما يبلغه عنه من خشونة سياسته فقال انا اولى بتدبير اولاد اخى وملكهم وسار عند انقضاء العزاء جريدة فى قلّة من العسكر وعبر الفراة عند قلعة جعبر مستهلّ المحرّم من هذه السنة وقصد الرقّة فحصرها واخذها ثم سار الى الخابور فملكه جميعه وملك نصيبين واقام بها فجمع العساكر فاتاه بها نور الدين محمّد بن قرارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وكثر جمعه وكان قد ترك اكثر عساكره بالشام لحفظ ثغوره فلمّا اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها ونصب عليها المنجنيقات وملكها وسلّمها الى عماد الدين ابن اخيه قطب الدين وكان قد جآته كتب الامرآء الذين بالموصل سرًّا يبذلون له الطاعة ويحثّونه على الوصول اليهم فسار الى الموصل فاتى مدينة بلد وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقىّ وسار فنزل شرقى الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل ومن العجب انّ يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة ، وكان سيف الدين غازى قد سيّر عزّ الدين مسعود ابن قطب الدين الى اتابك شمس الدين

ايلدكز صاحب همدان وبلد الجبل واذربيجان واصفهان والرىّ وتلك الاعمال يستنجده على عمّه نور الدين فارسل ايلدكز رسولاً الى نور الدين ينهاه عن التعرّض الى الموصل ويقول له انّ هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها فلم يلتفت اليه وقال للرسول قل لصاحبك انا اصلح لاولاد اخى منك فلِمَ تدخل نفسك بيننا وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همدان فانّك قد ملكتَ هذه المملكة العظيمة واهملت الثغور حتّى غلب الكرج عليها وقد بليت انا ولى مثل ربع بلادك بالفرنج وهم اشجع العالم فاخذت معظم بلادهم واسرت ملوكهم ولا يحلّ لى السكوت عنك فانّه يجب علينا القيام بحفظ ما اهملت وازالة الظلم عن المسلمين ، فاقام نور الدين على الموصل فعزم مَن بها من الامرآء على مجاهرة فخر الدين عبد المسيح بالعصيان وتسليم البلد الى نور الدين فعلم ذلك فارسل الى نور الدين فى تسليم البلد اليه على ان يقرّه بيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان ولما له فاجابه الى ذلك وشرط انّ فخر الدين ياخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعًا يرضيه فتسلّم البلد ثالث عشر جمادى الاولى من هذه السنة ودخل القلعة من باب السرّ لانّه لمّا بلغه عصيان عبد المسيح عليه حلف ان لا يدخلها الّا من احصن موضع فيها ولمّا ملكها اطلق ما بها من المكوس وغيرها من ابواب المظالم وكذلك فعل بنصيبين وسنجار والخابور وهكذا كان جميع بلاده من الشام ومصْرَ ووصله وهو على الموصل يحاصرها خلعة من الخليفة المستضئ بامر الله فلبسها ولمّا ملك الموصل خلعها على سيف الدين ابن اخيه وامره وهو بالموصل بعمارة الجامع النورىّ وركب هو بنفسه الى موضعه فراه وصعد منارة مسجد ابى حاضر فاشرف منها على موضع الجامع فامر ان يضاف الى الارض التى شاهدها ما يجاورها من الدور والحوانيت وان لا يوخذ منها شئ بغير اختيار اصحابه وولّى الشيخ محمّد الملّا عمارته وكان من الصالحين الاخيار فاشترى الاملاك من اصحابها باوفر الاثمان وعمره فخرج عليه اموال كثيرة وفرغ من عمارته سنة ثمان وستّين وخمسمائة ، وامّا نور الدين فانّه عاد الى الشام واستناب فى قلعة الموصل خصيًّا كان له اسمه كستكين ولقبه سعد الدين وامر

سيف الدين ان لا ينفرد عنه بقليل من الامور ولا بكثير وحكّمه واقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن اخيه قطب الدين فلمّا فعل ذلك قال كمال الدين ابن الشهرزوريّ هذا طريق الى اذّى يحصل ببيت اتابك لانّ عماد الدين كبير لا يرى طاعة سيف الدين [وسيف الدين][1] هو الملك لا يرى الاغضا لعماد الدين فيحصل الخلف ويطمع الاعداء فكان كذلك على ما نذكره سنة سبعين وخمسمائة وكان مقام نور الدين بالموصل اربعة وعشرين يومًا واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وغيّر اسمه فسمّاه عبد الله واقطعه اقطاعًا كبيرًا ۞

ذكر غزو صلاح الدين بلاد الفرنج وفتح ايلة

وفى هذه السنة سار صلاح الدين ايضًا عن مصر الى بلاد الفرنج فاغار على اعمال عسقلان والرملة وهجم على ربض غزّة فنهبه واتاه ملك الفرنج فى قلّة من العسكر مسرعين لردّه عن البلاد فقاتلهم وهزمهم وافلت ملك الفرنج بعد ان اشرف ان يوخذ اسيرًا وعاد الى مصر وعمل مراكب مفصّلة وحملها قطعًا على الجمال فى البرّ وقصد ايلة فجمع قطع المراكب والقاها فى البحر وحصر ايلة برًّا وبحرًا وفتحها فى العشر الاوّل من ربيع الاخر واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر ۞

ذكر ما اعتمده صلاح الدين بمصر

هذه السنة كان بمصر دار للشحنة تُسمّى دار المعونة يحبس فيها مَن يريدُ حبسه فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعيّة وازال ما كان فيه من الظلم وبنى دار العدل مدرسة للشافعيّة ايضًا وعزل قضاة المصريّين وكانوا شيعة واقام قضيًا شافعيًّا فى مصر فاستناب القضاة الشافعيّة فى جميع البلاد فى العشرين من جمادى الاخرة ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اشترى تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين منازل العزّ[2] بمصر وبناها مدرسة للشافعيّة وفيها اغار شمس الدولة تورانشاه اخو صلاح الدين على الاعراب الذين بالصعيد وكانوا قد

---

1) C. P. et 740.

2) C. P. العزّ

افسدوا فى البلاد ومدّوا ايديهم فكفّوا عمّا كانوا يفعلونه ، وفيها مات القاضى ابن الخلال من اعيان الكتّاب المصريّين وفضلآيهم وكان صاحب ديوان الانشآء بها ، وفيها وقع حريق ببغداد فى درب المطبخ وفى خرابة ابن جُرْدَة[1] ، وفيها توفّى الامير نصر ابن المستظهر بالله عمّ المستنجد بالله وعمه وهو اخر من مات من اولاد المستظهر بالله وكان موته فى ذى القعدة ودُفن فى الترب بالرصافة ، وفيها جُعل ظهير الدين ابو بكر نصر ابن العطّار صاحب المخزن ببغداد ولُقّب ظهير الدين ، وفيها حجّ بالناس الامير طاشتكين المستنجدىّ وكان نعم الامير رحمه الله ٥

ثم دخلت سنة سبع وستّين وخمسماية ، سنة ٥٦٧

ذكر اقامة الخطبة العباسيّة بمصر وانقراض الدولة العلويّة

فى هذه السنة فى ثانى جمعة من المحرّم قطعت خطبة العاضد لدين الله ابى محمّد الامام عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ابى الميمون عبد المجيد بن ابى القسم محمّد بن المستنصر بالله ابى تميم معدّ بن الظاهر لاعزاز دين الله ابى الحسن علىّ بن الحاكم بامر الله ابى علىّ المنصور بن العزيز بالله ابى منصور بن نزار بن المعزّ لدين الله ابى تميم معدّ بن المنصور بالله ابى الظاهر اسمعيل بن القايم بامر الله ابى القسم محمّد بن المهدى بالله ابى محمّد عبيد الله وهو اوّل العلويّين من هذا البيت الذين خطب لهم بالخلافة وخوطبوا بامْرة المومنين وكان سبب الخطبة العباسيّة بمصر انّ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب لمّا ثبت قدمه بمصر وازال المخالفين له وضعف امر الخليفة بها العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونايبه قراقوش وهو خصى كان من اعيان الامرآء الاسديّة كلّهم يرجعون اليه فكتب اليه نور الدين محمود ابن زنكى يامره بقطع الخطبة العاضديّة واقامة الخطبة المستضيّة فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام اهل الديار المصريّة عليهم لميلهم الى العلويّين وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم ويريد بقآئهم خوفًا من

---

[1]) C. P. جودة :Ups حرابه بن جُرْدَه :740 خربة ابن جردة

نور الدين فانه كان يخافه ان يدخل الى الديار المصرية ياخذها منه فكان يريد يكون العاضد معه حتى ان قصده نور الدين امتنع به وباهل مصر عليه فلمّا اعتذر الى نور الدين بذلك لم يقبل عذره والحّ عليه بقطع خطبته والزمه الزامًا لا فسحة له فى مخالفته وكان على الحقيقة نايب نور الدين واتّفق انّ العاضد مرض هذا الوقت مرضًا شديدًا فلمّا عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار امرآه فنهم من اشار به ولم يُفكر فى المصريّين ومنهم من خافه الّا انّه ما يمكنه الّا امتثال امر نور الدين ء وكان قد دخل الى مصر انسانٌ اعجميٌّ يعرف بالامير العالم رايته انا بالموصل فلمّا راى ما هم فيه من الاحجام وانّ احدًا لا يتجاسر يخطب للعبّاسىّ قال انا ابتدئ بالخطبة له فلمّا كان اوّل جمعة من المحرّم صعد المنبر قبل الخطيب ودعى للمستضىّ ففعلوا ذلك فلم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى ساير بلاد مصر ففعلوا وكان العاضد قد اشتدّ مرضه فلم يُعلمه احد من اهله واصحابه بقطع الخطبة وقالوا ان عوفى فهو يعلم وان توفّى فلا ينبغى ان نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته فتوفّى يوم عاشورآء ولم يعلم بقطع الخطبة ولمّا توفّى جلس صلاح الدين للعزآء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه فحفظه بهآء الدين قراقوش الذى كان قد رتّبه قبل موت العاضد فحمل الجميع الى صلاح الدين وكان من كثرته يخرج عن الاحصآء وفيه من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة ما تخلو الدنيا عن مثله ومن الجواهر التى لم توجد عند غيرهم فنه الجبل الياقوت وزنه سبعة عشر درهمًا او سبعة عشر مثقالًا انا لا اشكّ فانى رايته ووزنته واللؤلؤ الذى لم يوجد مثله ومنه النصاب الزُمرد الذى طوله اربع اصابع فى عرض عقد كبير ووجد فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد وقد احتاطوا بالحفظ فلمّا راوه ظنّوه عمل لاجل اللعب فيه فسخروا من العاضد فاخذه انسانٌ فضرب به فضرط فتضاحكوا منه ثم اخر كذلك وكان كلّ من ضرب به ضرط فالقاه احدهم فكسره فاذا الطبل لاجل قولنج فندموا على كسره لمّا قيل لهم ذلك وكان فيه من الكتب النفيسة المعدومة المثل ما لا يُعدّ فباع جميع ما فيه ونقل اهل العاضد الى موضع من

القصر ووكّل بهم مَن يحفظهم واخرج جميع مَن فيه من أَمة وعبد فباع البعض واعتق البعض ووهب البعض وخلى القصر من سُكّانه كان لم يغن بالامس فسبحان الحىّ الدايم الذى لا يزول مُلكه ولا تغيّره الدهور ولا يقرب النقص حماه ، ولمّا اشتدّ مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظنّ ذلك خديعة فلم يمض اليه فلمّا توفى علم صدقه فندم على تخلّفه عنه وكان يصفه كثيرًا بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه وانقياده وكان فى نسبه تسع خُطب لهم بالخلافة وهم الحافظ والمستنصر والظاهر والحاكم والعزيز والمعزّ والمنصور والقايم والمهدىّ ومنهم مَن لم يخطب له بالخلافة ابوه يوسف ابن الحافظ وجدّ ابيه وهو الامير ابو القسم محمّد بن المستنصر وبقى مَن خُطب له بالخلافة وليس من ابايه المستعلى والامر والظافر والفايز وجميع مَن خُطب له منهم بالخلافة اربعة عشر خليفة منهم بافريقية المهدى والقايم والمنصور والمعزّ الى ان سار الى مصر ومنهم بمصر المعزّ المذكور وهو اوّل مَن خرج اليها من افريقية والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والامر والحافظ والظافر والفايز والعاضد وجميع مدّة مُلكهم من حين ظهر المهدى بسجلماسة فى ذى الحجّة من سنة تسع وتسعين ومايتين الى ان توفى العاضد مايتان واثنتان وسبعون سنة وشهرًا تقريبًا ، وهذا دأب الدنيا لم تُعط الّا واستردت ولم تحل الّا وتمرّرت ولم تصف الّا وتكدّرت بل صفوها لا يخلوا من الكدر وكدرها قد يخلوا من الصفو نسأل الله تعالى ان يقبل بقلوبنا اليه ويُرينا الدنيا حقيقة ويزهدنا فيها ويرغبنا فى الاخرة انّه سميع الدعآء قريب من الاجابة ، ولمّا وصلت البشارة الى بغداد بذلك ضُربت البشاير بها عدّة ايّام وزُيّنت بغداد وظهر من الفرح والجذل ما لا حدّ عليه وسُيّرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواصّ الخدم المقتفويّة والمقدّمين فى الدولة لنور الدين وصلاح الدين فسار صندل الى نور الدين والبسه الخلعة وسيّر الخلعة التى لصلاح الدين وللخطبآء بالديار المصريّة والاعلام السود ثمّ انّ هذا صندل صار استاذ دار الخليفة المستضئ بامر الله ببغداد وكان يدرى الفقه على مذهب الشافعىّ وسمع الحديث ورواه ويعرف

اشياء حسنة وفيه دين وله معروف كثير وهو من محاسن بغداد ۞

ذكر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنًا

فى هذه السنة جرت امور اوجبت ان تاثر نور الدين من صلاح الدين ولم يظهر ذلك وكان سببه انّ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب سار عن مصر فى صفر من هذه السنة الى بلاد الفرنج غازيًا ونازل حصن الشوبك وبينه وبين الكرك يوم وحصره وضيّق على مَن به من الفرنج وادام القتال وطلبوا الامان واستمهلوه عشرة ايّام فاجابهم الى ذلك فلمّا سمع نور الدين بما فعله صلاح الدين سار عن دمشق قاصدًا بلاد الفرنج ايضًا ليدخل اليه من جهة اخرى فقيل لصلاح الدين ان دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه الحال انت من جانب ونور الدين من جانب ملكها ومتى زال الفرنج عن الطريق واخذ ملكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين وان جآء نور الدين اليك وانت هاهنا فلا بُدّ لك من الاجتماع به وحينيئذ يكون هو المتحكّم فيك بما شآء ان شآء تركك فقد لا تقدر على الامتناع عليه والمصلحة الرجوع الى مصر، فرحل عن الشوبك عايدًا الى مصر ولم ياخذه من الفرنج وكتب الى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصريّة لامور بلغته عن بعض شيعته العلويّين وانّهم عازمون على الوثوب بها فانّه يخاف عليها من البعد عنها ان يقوم اهلها على مَن تخلّف بها فيخرجوهم وتعود ممتنعة واطال الاعتذار فلم يقبلها نور الدين منه وتغيّر عليه وعزم على [قصد] مصر واخراجه عنها وظهر ذلك فسمع صلاح الدين الخبر فجمع اهله وفيهم ابوه نجم الدين ايّوب وخاله شهاب الدين الحارمىّ ومعهم سآير الامرآء واعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين وحركته اليه واستشارهم فلم يجبه احدٌ بكلمة واحدة فقام تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين فقال اذا جآنا قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من اهلهم فشتمهم نجم الدين ايّوب وانكر ذلك واستعظمه وشتم تقى الدين واقعده وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا خالك شهاب الدين ونحن اكثر محبّة لك من جميع مَن ترى والله لو رايتُ انا وهذا خالك نور الدين لم نمكنه الّا ان نقبل بين يديه ولو امرنا ان نضرب

عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنّا نحن هكذا فما ظنّك بغيرنا وكلّ مَن تراه عندك من الامرآء لو راى نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم وهذه البلاد له ونحن مماليكه ونُوّابه فيها فان اراد سمعنا واطعنا والراى ان تكتب كتاباً مع نجّاب تقول فيه بلغنى انّك تريد الحركة لاجل البلاد فاىّ حاجة الى هذا يرسل المولى نجّاباً يضع فى رقبتى منديلاً ويأخذنى اليك وما هاهنا مَن يمتنع ‌ٍ واقام الامرآء وغيرهم وتفرّقوا على هذا فلمّا خلا به ايّوب قال له باىّ عقل فعلتَ هذا اما تعلم انّ نور الدين اذا سمع عزمنا على منعه ومحاربته جعلنا اهمّ الوجوه اليه وحينئذ لا تقوى به وامّا الان اذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا والاقدار تعمل عملها ووالله لو اراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلتُه انا عليها حتّى امنعه واقتل ففعل صلاح الدين ما اشار به فترك نور الدين قصده واشتغل بغيره فكان الامر كما ظنّه ايّوب فتوفّى نور الدين ولم يقصده وملك صلاح الدين البلاد وكان هـذا من احـســن الآرآء واجــودهــا ۞

ذكر غزوة الى الفرنج بالشام

وفى هذه السنة خرج مركبان من مصر الى الشام فارستا بمدينة لاذقية فاخذهما الفرنج وهما مملوتان من الامتعة والتجار وكان بينهم وبين نور الدين هدنة فنكثوا وغدروا فارسل نور الدين اليهم فى المعنى واعادة ما اخذوه من اموال التجار فغالطوه واحتجّوا بامور منها انّ المركبَيْن كانا قد انكسرا ودخلهما المآء وكان الشرط انّ كلّ مركب ينكسر ويدخله المآء ياخذونه فلم يقبل مغالطتهم وجمع العساكر وبثّ السرايا فى بلادهم بعضها نحو انطاكيّة وبعضها نحو طرابلس وحصر هو حصن عرقة وخرّب ربضه وارسل طايفة من العسكر الى حصن صافيثا وعريمة فاخذهما عنوةً ونهب وخرّب وغنم المسلمون غنايم كثيرة وعادوا اليه وهو بعرقة فسار فى العساكر جميعها الى ان قارب طرابلس ينهب ويخرب ويحرق ويقتل وامّا الذين ساروا الى انطاكيّة ففعلوا فى ولايتها مثل ما فعل فى ولاية طرابلس فراجعه الفرنج وبذلوا جميع ما اخذوه من المركبَيْن وتجديد الهدنة معهم فاجابهم الى ذلك واعادوا ما

اخذوا وهم صاغرون وقد خربت بلادهم وغنمت اموالهم ✿

ذكر وفاة ابن مردنيش[1] وملك يوسف ابن عبد المؤمن بلاده

في هذه السنة توفي الامير محمّد بن سعد ابن مردنيش[1] صاحب البلاد بشرق الاندلس وهي مرسية وبلنسية وغيرهما ووصى اولاده ان يقصدوا بعد موته الامير ابا يعقوب وكان قد اجتاز الى الاندلس في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش[1] فحين رءاهم يوسف فرح بهم وسرّه قدومهم عليه وتسلّم بلادهم وتزوّج اختهم واكرمهم وعظم امرهم ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه ✿

ذكر عبور الخطا جيحون والحرب بينهم وبين خوارزم شاه

في هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون يريدون خوارزم فسمع صاحبها خوارزم شاه ايل[2] ارسلان ابن اتسز[3] فجمع عساكره وسار الى امرية ليقاتلهم ويصدّهم فمرض واقام بها وسيّر بعض جيشه مع امير كبير اليهم فلقيهم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم الخوارزميّون وأُسر مقدّمهم ورجع به الخطا الى ما وراء النهر وعاد خوارزم شاه الى خوارزم مريضاً ✿ —

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اتّخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وهي التي يقال لها المناسيب وهي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها وجعلها في جميع بلاده وسبب ذلك انّه لمّا اتّسعت بلاده وطالت مملكته وعرضت اكنافها وتباعدت اوايلها عن اواخرها ثم انّها جاورت بلاد الفرنج وكانوا ربّما نازلوا حصنًا من ثغوره فالى ان يصل الخبر ويصل اليهم قد بلغوا غرضهم منه فامر بالحمام ليصل الخبر اليه في يومه واجرى الجرايات على المرتّبين لحفظها واقامتها فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للمسلمين ، وفيها عزل الخليفة المستضيء بامر الله وزيره عضد الدين ابا الفرج ابن رئيس الرؤساء لانّ قطب الدين قايماز الزمه بعزله فلم يمكنه مخالفته ، وفيها مات ابو محمّد عبد الله بن احمد الخشاب اللغويّ وكان قيّمًا بالعربيّة وسمع الحديث ، وفيها مات البوريّ[4] الفقيه الشافعيّ تفقّه

---

1) مردنيس 2) وايل 3) انسز 4) C. P. 740: البيروى Ups: البردى

على محمّد[1] ابن يحيى وقدم بغداد ووعظ وكان يذمّ الحنابلة وكثرت اتباعه فاصابه اسهال فمات هو وجماعة من اصحابه فقيل انّ الحنابلة اهدوا له حلوًا فاكل منها فمات وكلّ من اكل منها ؛ وفيها مات القرطبيّ ابو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الازدىّ الاندلسىّ وكان اماما فى القراة والنحو وغيره من العلوم زاهدًا عابدًا انتفع به الناس فى كثير من البلاد ولا سيّما اهل الموصل فانّه اقام بها وفيها توفّى رحمه الله ۞

ثمّ دخلت سنة ثمان وستّين وخمسمائة ؛ سنة ٥٦٨

ذكر وفاة خوارزم شاه [ايل] ارسلان ومُلك ولده سلطان شاه وبعده ولده الاخر تُكش وقتل المؤيّد ومُلك ابنه

فى هذه السنة توفّى خوارزم شاه [ايل] ارسلان ابن اتسز[2] ابن محمّد بن انوشتكين قد عاد من قتال الخطا مريضًا فتوفّى وملك بعده سلطان شاه محمود ودبّرت والدته المملكة والعساكر وكان ابنه الاكبر علآء الدين تكش مقيمًا فى الجند قد اقطعه ابوه ايّاها فلمّا بلغه موت ابيه وتولية اخيه الصغير انف من ذلك وقصد ملك الخطا واستمدّه على اخيه واطمعه فى الاموال وذخاير خوارزم فسيّر معه جيشًا كثيفًا مقدّمهم قرما فساروا حتّى قاربوا خوارزم فخرج سلطان شاه وامّه الى المؤيّد اىدى له هديّة جليلة المقدار ووعده اموال خوارزم وذخايرها فاغترّ بقوله وجمع جيوشه وسار معه حتّى بلغ سوبرلى[3] بليدة على عشرين فرسخًا من خوارزم وكان تكش قد عسكر بالقرب منها فتقدّم اليهم فلمّا تراءى الجمعان انهزم عسكر المؤيّد وكسر المؤيّد وأُخذ اسيرًا وجئ به الى خوارزم شاه تكش فامر بقتله فقُتل بين يديه صبرًا وهرب سلطان شاه واخذ الى دهستان فقصده خوارزم شاه تكش فافتتح المدينة عنوة فهرب سلطان شاه وأُخذت امّه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ولمّا عاد المنهزمون الى نيسابور ملّكوا ابنه طغان شاه ابا بكر ابن المؤيّد واتّصل به سلطان شاه ثمّ سار من هناك الى غياث الدين ملك الغوريّة فاكرمه

[1]) C. P. et 740. Ups.: محمود

[2]) Cfr. Journ. Asiat. 1846, II, 473. انسز

[3]) سورى

وعظّمه واحسن ضيافته ، وامّا علآء الدين تكش فانّه لمّا ثبت قدمه بخوارزم اتّصلت به رسل الخطا بالاقتراحات والتحكّم كعادتهم فاخذته حميّة الملك والدين وقتل احد اقارب الملك وكان قد ورد اليه ومعه جماعة ارسله ملكهم فى مطالبة خوارزم شاه بالمال فامر خوارزم شاه اعيان خوارزم فقتل كلّ واحد منهم رجلًا من الخطا فلم يسلم منهم احد ونبذوا الى ملك الخطا عهده وبلغ ذلك سلطان شاه فسار الى ملك الخطا واغتنم الفرصة بهذه الحال واستنجده على اخيه علآء الدين تكش وزعم له انّ اهل خوارزم معه يريدونه ويختارون مُلكه عليهم ولو راوه لسلّموا البلد اليه فسيّر معه جيشًا كثيرًا من الخطا مع قرما[1] ايضًا فوصلوا الى خوارزم فحصروها فامر خوارزم شاه علآء الدين باجرآء مآء جيحون عليها فكادوا يغرقون فرحلوا ولم يبلغوا منها غرضًا ولحقهم الندم حيث لم ينفعهم ولاموا سلطان شاه وعنّفوه فقال لقرما لو ارسلتَ معى جيشًا الى مرو لاستخلصتُها من يد دينار الغُزّىّ وكان قد استولى عليها من حين كانت فتنة الغزّ الى الآن فسيّر معه جيشًا فنزل على سرخس على غرّة من اهلها وهجم على الغزّ فقتل مقتلة عظيمة فلم يتركوا بها احدًا منهم والقى دينار ملكهم نفسه فى خندق القلعة فأُخرِج منه ودخل القلعة وتحصّن بها وسار سلطان شاه الى مرو فملكها وعاد الخطا الى ما ورآء النهر وجعل سلطان شاه دأبه قتال الغزّ والقتل فيهم والنهب منهم فلمّا عجز دينار عن مقاومته ارسل الى نيسابور الى طغان شاه ابن المؤيّد يقول له ليرسل اليه من يسلّم اليه قلعة سرخس فارسل اليه جيشًا مع امير اسمه قراقوش فسلّم اليه دينار القلعة ولحق بطغان شاه فقصد سلطان شاه سرخس وحصر قلعتها وبلغ ذلك طغان شاه فجمع جيوشه وقصد سرخس فلمّا التقى هو وسلطان[2] شاه فرّ طغان شاه الى نيسابور وذلك سنة ستّ وسبعين وخمسمائة فاخلى قراقوش قلعة سرخس ولحق بصاحبه وملكها سلطان شاه ثمّ اخذ طوس والزام وضيق الامر على طغان شاه بعلوّ همّته وقلّة قراره وحرصه على طلب

---

[1]) Alii: قوما Ups. h. l: قوم [2]) وطغان

الملك وكان طغان شاه يحبّ الدعة ومعاقرة الخمر فلم يزل الحال كذلك الى ان مات طغان شاه سنة اثنتين وثمانين وخمسمايّة فى المحرّم وملك ابنه سنجر شاه فغلب عليه مملوك جدّه المؤيّد اسمه منكلى تكين فتفرّق الامرآء انفة من تحكّمه واتّصل اكثرهم بسلطان شاه وسار الملك دينار الى كرمان ومعه الغزّ فملكها وامّا منكلى تكين فانّه اسآء السيرة فى الرعيّة واخذ اموالهم وقتل بعض الامرآء فسمع خوارزم شاه بذلك فسار اليه فحصره بنيسابور فى ربيع الاوّل سنة اثنتين وثمانين وخمسمايّة فحصرها شهرين فلم يظفر بها وعاد الى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين الى نيسابور فحصرها وطلبوا منه الامان فامّنهم فسلّموا البلد اليه فقتل منكلى تكين واخذ[1] سنجر شاه واكرمه وانزله بخوارزم واحسن اليه فارسل الى نيسابور يستميل اهلها ليعود اليهم فسمع به خوارزم شاه فاخذ سنجر شاه فسمله وكان قد تزوّج بامّه وزوّجه بابنته فماتت فزوّجه باخته وبقى عنده الى ان مات سنة خمس وتسعين[2] وخمسمايّة، ذكر هذا ابو الحسن بن ابى القسم البيهقىّ فى كتاب مسارب التجارب وقد ذكر غيره من العلمآء بالتواريخ هذه الحوادث مخالفة لهذا فى بعض الامور مع تقديم وتاخير ونحن نوردها فقال انّ تكش خوارزم شاه ابن ارسلان اخرج اخاه سلطان شاه من خوارزم وكان قد ملكها بعد موت ابيه فجآء الى مرو فملكها وازاح الغزّ عنها فخرجوا ايّامًا ثم عادوا عليه فاخرجوه منها وانتهبوا خزانته وقتلوا اكثر رجاله فعبر الى الخطا فاستنجدهم وضمن لهم مالًا وجآء بجيش عظيم فاخرج الغزّ عن مرو وسرخس ونسا وابيورد وملكها وردّ الخطا فلمّا ابعدوا كاتب غياث الدين الغورىّ يطلب منه ان ينزل عن هراة وبوسنج وبادغيس وما ولاها ويتوعّده ان هو لم ينزل عن ذلك فاجابه غياث الدين يطلب منه اقامة الخطبة له بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان فلمّا سمع الرسالة سار عن مرو وشنّ الغارات على بادغيس وبيوار[3] وما والاها وحصر بوسنج ونهب الرساتيق وصادر الرعايا فلمّا سمع غياث الدين ذلك لم يرض

[1]) C. P. et 740. Ups: واقر [2]) وسبعين [3]) سوا

نفسه ان يسير هو بل سيّر ملك سجستان وكاتب ابن اخته بهآء الدين سام صاحب باميان باللحاق به لانّ اخاه شهاب الدين كان بالهند والزمان شتآء فجآء بهآء الدين ابن اخت غياث الدين وملك سجستان ومن معهما من العساكر ووافق ذلك وصول سلطان شاه الى هراة فلمّا علم بوصولهم عاد الى مرو من غير ان يقاتلها واحرق كلّ ما مرّ به من البلاد ونهب واقام بمرو الى الربيع واعاد مراسلة غياث الدين فى المعنى فارسل الى اخيه شهاب الدين يعرّفه الحال فنادى فى عساكره الرحيل لساعته وعاد الى خراسان واجتمع هو واخوه غياث الدين وملك سجستان وغيرهم من العساكر وقصدوا سلطان شاه فلمّا علم ذلك جمع عساكره واجتمع عليه من الغزّ والمفسدين وقُطّاع الطريق ومن عنده طمع خلق كثير فنزل غياث الدين ومن معه فى الطالقان ونزل سلطان شاه بمرو الروذ وتقدّم عسكر الغوريّة اليه وتواعدوا للمصافّ وبقوا كذلك شهرَين والرسل تتردّد بين غياث الدين وبين سلطان شاه وشهاب الدين يطلب من اخيه غياث الدين الاذن فى الحرب فلا يتركه وتقرّر الامر على ان يسلّم غياث الدين الى سلطان شاه بوسنج وبادغيس وقلاع بيوار وكره ذلك شهاب الدين وبهآء الدين صاحب باميان الّا انّهما لم يخالفا غياث الدين وفى اخر الامر حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين وحضر الامرآء ليكتب العهد فقال الرسول انّ سلطان شاه يطلب ان يحضر شهاب الدين وبهآء الدين هذا الامر فارسل غياث الدين اليهما فاعادا الجواب انّنا مماليكك ومهما تفعله لا يمكننا مخالفتك فبينما الناس مجتمعون فى تحرير الامر واذ قد اقبل مجد الدين العلوىّ الهروىّ اليه وكان خصيصًا بغياث الدين بحيث يفعل فى ملكه ما يختار فلا يخالف فجآء العلوىّ وبيده فى يد الب غازى ابن اخت غياث الدين وقد كتبوا الكتاب وقد احضر غياث الدين اخاه شهاب الدين وبهآء الدين سام ملك الباميان فجآء العلوىّ كانّه يُسارر غياث الدين ووقف فى وسط الحلقة وقال للرسول يا فلان تقول لسلطان شاه قد تمّ لك الصلح من جانب السلطان الاعظم ومن شهاب الدين وبهآء الدين ويقول لك العلوىّ خصمك انا ومولانا الب غازى بيننا وبينك السيف

ثم صرخ صرخة ومزّق ثيابه وحثّ التراب على راسه واقبل على غياث الدين وقال له هذا واحدٌ طرده اخوه واخرجه فريدًا وحيدًا ثم تترك له ما ملكناه باسيافنا من الغزّ والاتراك والسنجريّة فاذا سمع هذا عنّا يجئُ اخوه يطلب منازعته والهند وجميع ما بيدك فحرّك غياث الدين راسه ولم يفهْ بكلمة فقال ملك سجستان للعلوىّ اترك الامر ينصلح فلمّا لم يتكلّم غياث الدين بمنع العلوىّ قال شهاب الدين لجاووشيته نادوا في العسكر بالتجهّز للحرب والتقدّم الى مرو الروذ وقام وانشد العلوىّ بيتًا من الشعر عجميًّا معناه انّ الموت تحت السيوف اسهل من الرضى بالدنيّة فرجع الرسول الى سلطان شاه واعلمه الحال فرتّب عساكره للمصافّ والتقى الفريقان واقتتلوا فصبروا للحرب فانهزم سلطان شاه وعسكره واخذ اكثر اصحابه اسارى فاطلقهم غياث الدين ودخل سلطان شاه مرو في عشرين فارسًا ولحق به من اصحابه نحو الف وخمسمائة فارس ‌ولمّا سمع خوارزم شاه تكش بما جرى لاخيه سار من خوارزم في الفىْ فارس وارسل الى جيحون ثلاثة الاف فارس يقطعون الطريق على اخيه ان اراد الخطا وجدّ في السير ليقبض على اخيه قبل ان يقوى فاتت الاخبار سلطان شاه بذلك فلم يقدر على عبور جيحون الى الخطا فسار الى غياث الدين وكتب اليه يعلمه قصده اليه فكتب الى هراة وغيرها من بلاده باكرامه واحترامه وحمل الاقامات اليه ففعل به ذلك وقدم على غياث الدين والتقاه واكرمه وانزله معه في داره وانزل اصحاب سلطان شاه كلّ انسان منهم عند مَن هو في طبقته فانزل الوزير عند وزيره والعارض عند عارضه وكذلك غيره واقام عنده حتّى انسلخ الشتاء فارسل علاء الدين ابن خوارزم شاه الى غياث الدين يذكره ما صنعه اخوه سلطان شاه من تخريب بلاده وجمع العساكر عليه ويشير بالقبض عليه وردّه اليه فانزل الرسول واذا قد اتى كتاب نايبه بهراة يخبره انّ كتاب خوارزم شاه جاء يتهدّده فاجابه انّه لا يُظهر لخوارزم شاه انّه اعلمه بالحال واحضر الرسول وقال له يقول لعلاء الدين امّا قولك انّ سلطان شاه اخرب البلاد واراد مُلكها فلعمرى انّه ملكٌ وابن ملك وله همّة عالية واذا اراد الملك فتله اراده وللامور مدبّر يوصلها

الى مستحقّها وقد التجا اليّ وينبغى ان تنزاح عن بلاده وتعطيه نصيبه ممّا خلّف ابوه ومن الاملاك التى خلّف والاموال واحلف لكما يمينًا على المودّة والمصافاة وتخطب لى بخوارزم وتزوّج اخى شهاب الدين باختك، فلمّا سمع خوارزم شاه الرسالة امتعض لذلك وكتب الى غياث الدين كتابًا يتهدّده بقصد بلاده فجهّز غياث الدين العساكر مع ابن اخت الب غازى وصاحب سجستان وسيّرها مع سلطان شاه الى خوارزم وكتب الى المؤيّد صاحب نيسابور يستنجده وكان قد صار بينهما مصاهرة زوّج المؤيّد ابنه طغان شاه بابنة غياث الدين فجمع المؤيّد عساكره واقام بظاهر نيسابور على طريق خوارزم، وكان خوارزم شاه قد سار عن خوارزم الى لقآء عسكر الغوريّة الذين مع اخيه سلطان شاه وقد نزلوا بطرف الرمل فبينما هو فى مسيره اتاه خبر المؤيّد انّه قد جمع عساكره وانّه على قصد خوارزم ان فارقها فوقع فى قلبه وعاد الى خوارزم فاخذ امواله وذخايره وعبر جيحون الى الخطا واخلا خوارزم فوقع بها خبطٌ عظيمٌ فحضر جماعة من اعيانها عند الب غازى وسالوه ارسال امير معهم يضبط البلد فخاف ان تكون مكيدة فلم يفعل، فبينما هم على ذلك توفّى سلطان شاه سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة فكتب الب غازى الى غياث الدين يُعلمه الخبر فكتب اليه يامره بالعود اليه فرجع ومعه اصحاب سلطان شاه فامر غياث الدين بان يُستخدموا واقطع الاجناد الاقطاعات الجيّدة وكلّهم قابل احسانه بكفران وسنذكر باقى اخبارهم، ولمّا سمع خوارزم شاه تكش بوفاة اخيه عاد الى خوارزم وارسل الى سرخس ومرو شحنآء فجهّز اليهم امير هراة عمر المرغنىّ[1] جيشًا فاخرجوهم[2] وقال[3] حتّى نستاذن السلطان غياث الدين وارسل خوارزم شاه رسولاً الى غياث الدين يطلب الصلح والمصاهرة وسيّر مع رسوله جماعة من فقهآء خراسان والعلويّين ومعهم وجيه الدين محمود بن محمود وهو الذى جعل غياث الدين شافعيًّا وكان له عنده منزلة كبيرة فوعظوه وخوّفوه الله تعالى واعلموه انّ خوارزم شاه يراسلهم

[1]) C. P. Ups.: المرغى et 740. Ups.: وقالوا [2]) C. P. Ups.: فاخرجهم [3]) C. P.

يتهددهم بانّه يجئ بالاتراك والخطا ويستبيح حريمهم واموالهم وقالوا له امّا ان تحصر انت بنفسك وتجعل مرو دار مُلكك حتّى ينقطع طمع الكافرين ويامن اهلها وامّا ان تصالح خوارزم شاه فاجاب الى الصلح وترك معارضة البلاد ء فلمّا سمع مَن بخراسان من الغزّ بذلك طمعوا فى البلاد فعاودوا النهب والاحراق والتخريب فسمع خوارزم شاه فجمع عساكره وحصر بخراسان ودخل مرو وسرخس ونسا وابيورد وغيرها واصلح البلاد وتطرّق الى طوس وهى للمؤيّد صاحب نيسابور فجمع المؤيّد جيوشه وسار اليه فلمّا سمع خوارزم شاه بمسيره اليه عاد الى خوارزم فلمّا وصل الى الرمل اقام بطرفه فلمّا سمع المؤيّد بعودة خوارزم شاه طمع فيه وتبعه فلمّا سمع خوارزم شاه بذلك ارسل الى المناهل التى فى البريّة فالقى فيها الجيف والتراب بحيث لم يمكن الانتفاع بها فلمّا توسّط المؤيّد البريّة طلب المآء فلم يجده فجآء خوارزم شاه اليه وهو على تلك الحال ومعه المآء على الجمال فاحاط به فامّا عسكره فاستسلموا باسرهم وجئ بالمؤيّد اسيرًا الى خوارزم شاه فامر بضرب عنقه فقال له يا مخنّث هذا فعال الناس فلم يلتفت اليه وقتله وحمل راسه الى خوارزم فلمّا قُتل ملك نيسابور ملك[1] ما كان له ابنه طغان شاه فلمّا كان من قابل جمع خوارزم شاه عساكره وسار الى نيسابور فحاصرها وقاتلها فتبعه طغان شاه واخذه وزوّجه اخته وحمله معه الى خوارزم وملك نيسابور وما كان لطغان شاه وقوى امره ء هذا الذى ذكره فى هذه الرواية مخالف لما تقدّم ولو امكن الجمع بين الروايتين لفعلتُ فان احدهما قد قدّم ما اخّره الاخر فلهذا اوردنا جميع ما قالاه ولبُعد البلاد عنّا لم نعلم اىّ القولَيْن اصحّ لنذكره ونترك الاخر وانّما اوردتُها فى موضع واحد لانّ ايّام سلطان شاه لم تطل له ولاعقابه حتّى تتفرّق على السنين فلهذا اوردتُها متتابعة ❊

ذكر غارة الفرنج على بلد حوران وغارة المسلمين[2] على بلد الفرنج

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل اجتمعت الفرنج وساروا الى بلد حوران من اعمال دمشق للغارة عليه وبلغ الخبر الى نور الدين وكان

---

[1] وملك [2] الفرنج

قد برز ونزل هو وعسكره بالكُسْوة فسار اليهم مُجِدًّا وقدم بجموعه عليهم فلمّا علموا بقربه منهم دخلوا الى السواد وهو من اعمال دمشق ايضًا ولحقهم المسلمون فتخطّفوا من ساقتهم ونالوا منهم وسار نور الدين فنزل فى عشترا[١] وسيّر منها سريّة الى اعمال طبريّة فشنّوا الغارات عليها فنهبوا وسبوا واحرقوا وخرّبوا فسمع الفرنج ذلك فرحلوا اليهم ليمنعوا عن بلدهم فلمّا وصلوا كان قد فرغ المسلمون من نهبهم وغنيمتهم وعادوا وعبروا النهر وادركهم الفرنج فوقف مقابلهم شجعان المسلمين وحماتهم فقاتلوهم فاشتدّ القتال وصبر الفريقان الفرنج يرومون ان يلحقوا الغنيمة فيردّوها والمسلمون يريدون ان يمنعوهم عنها لينجو بها مَن قد سار معها فلمّا طال القتال بينهم وابعدت الغنيمة وسلمت مع المسلمين عاد الفرنج ولم يقدروا يستردّوا منها شيئًا ٭

ذكر مسير شمس الدولة الى بلد النوبة

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار شمس الدولة تورانشاه ابن ايّوب اخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى بلد النوبة فوصل الى اوّل بلادهم ليتغلّب عليه ويملكه وكان سبب ذلك انّ صلاح الدين واهله كانوا يعلمون انّ نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر فاستقرّ الراى بينهم انّهم يتملّكون امّا بلاد النوبة او بلاد اليمن حتّى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدّوه عن البلاد فان قووا على منعه اقاموا بمصر وان عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها فجهّز شمس الدولة وسار الى اسوان ومنها الى بلد النوبة فنازل قلعةً اسمها ابريم فحصرها وقاتله اهلها فلم يكن لهم بقتال العسكر الاسلاميّ قوّة لانّهم ليس لهم جُنّة ان تقيهم السهام وغيرها من الة الحرب فسلّموها فملكها واقام بها ولم يرَ للبلاد دخلاً يُرغب فيه وتُحتمل المشقّة لاجله وقوتهم الذرّة فلمّا راى عدم الحاصل وقشف العيش مع مباشرة الحروب ومعاناة التعب والمشقّة تركها وعاد الى مصر بما غنم وكان عامّة غنيمتهم العبيد والجوارى ٭

---

١) عشتر

ذكر ظفر مليح ابن ليون بالروم

فى هذه السنة فى جمادى الاولى هزم مليح ابن ليون الارمنىّ صاحب بلاد الدروب المجاورة لحلب عسكرَ الروم من القسطنطينيّة وسبب ذلك انّ نور الدين كان قد استخدم مليحًا المذكور واقطعه اقطاعًا سنيًّا وكان ملازم الخدمة لنور الدين ومشاهدًا لحروبه مع الفرنج ومباشرًا لها وكان هذا من جيّد الراى وصايبه فانّ نور الدين لمّا قيل له فى معنى استخدامه واعطايه الاقطاع فى بلاد الشام قال استعين به على قتال اهل ملّته واريح طايفة من عسكرى تكون بازآيه لتمنعه من الغارة على بلاد المجاورة له ، وكان مليح ايضًا يتقوّى بنور الدين على مَن يُجاوره من الارمن والروم وكان مدينة اذنة والمصيصة وطرسوس بيد ملك الروم صاحب القسطنطينيّة فاخذها مليح منهم لانّها تجاور بلاده فسيّر اليه ملك الروم جيشًا كثيفًا وجعل عليهم بعض اعيان البطارقة من اقاربه فلقيهم مليح ومعه طايفة من عسكر نور الدين فقاتلهم وصدَقهم القتال وصبرهم فانهزمت الروم وكثر فيهم القتل والاسر وقويت شوكة مليح وانقطع امل الروم من تلك البلاد وارسل مليح الى نور الدين كثيرًا من غنايمهم ومن الاسرى ثلاثين رجلًا من مشهوريهم واعيانهم فسيّر نور الدين بعض ذلك الى الخليفة المستضئ بامر الله وكتب يعتدّ بهذا الفتح لان بعض جنده فعلوه ٭

ذكر وفاة ايلدكز

فى هذه السنة توفى اتابك شمس الدين ايلدكز بهمدان وملك بعده ابنه محمّد البهلوان ولم يختلف عليه احد وكان ايلدكز هذا مملوكًا للكمال السُمَيْرَمىّ[1] وزير السلطان محمود فلمّا قُتل الكمال كما ذكرناه سار[2] ايلدكز الى السلطان محمود فلمّا ولى السلطان مسعود السلطنة ولّاه آرّانيّة فمضى اليها ولم يعُد يحضر عند السلطان مسعود ولا غيره ثم ملك اكثر اذربيجان وبلاد الجبل وهمذان وغيرها واصفهان والرىّ وما والاها من البلاد وخطب بالسلطنة لابن امرأته ارسلان شاه

---

[1]) C. P. et 740. Ups.: السمرمى   [2]) وصار

ابن دنغرل وكان عسكره خمسين الف فارس سوى الاتباع واتّسع مُلكه من باب تفليس الى مكران ولم يكن للسلطان ارسلان معه حكم انّما كان له جراية تصل اليه وبلغ من تحكّمه عليه انّه شرب ليلة فوهب ما في خزانته وكان كثيرًا فلمّا سمع ايلدكز بذلك استعاده جميعًا وقال له متى اخرجتَ المال في غير وجهه اخذتُه ايضًا من غير وجهه وظلمتَ الرعيّة وكان ايلدكز عاقلًا حسن السيرة يجلس بنفسه للرعيّة ويسمع شكاويهم وينصف بعضهم من بعض ❁

ذكر وصول الترك الى افريقية ومُلكهم طرابلس وغيرها

في هذه السنة سار طايفة من الترك من ديار مصر مع قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين يوسف ابن ايّوب الى جبال نفوسة واجتمع به مسعود ابن زمام المعروف بمسعود البلّاط وهو من اعيان الامرآء هناك وكان خارجًا عن طاعة عبد المومن فاتّفقا وكثر جمعهما ونزلا على طرابلس الغرب فحاصراها وضيّقا على اهلها ثم فُتحت فاستولى عليها قراقوش واسكن اهله قصرها وملك كثيرًا من بلاد افريقية ما خلا المهديّة وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع وصار مع قراقوش عسكر كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب بما جبلت عليه من التخريب والنهب والافساد بقطع الاشجار والثمار وغير ذلك فجمع بها اموالًا عظيمةً وجعلها بمدينة قابس وقويت نفسه وحدّثتْه بالاستيلآء على جميع افريقية لبُعد ابي يعقوب ابن عبد المؤمن صاحبها عنها وكان ما سنذكره ان شآء الله ❁

ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس

في هذه السنة جمع ابو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن عساكره وسار من اشبيليّة الى الغزو فقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة رندى وهي بالقرب من طليطلة شرقًا منها وحصرها واجتمعت الفرنج على ابن الفنش ملك طليطلة في جمع كثير فلم يقدموا على لقآء المسلمين فاتّفق انّ الغلآء اشتدّ على المسلمين وعدمت الاقوات عندهم وهم في جمع كثير فاضطرّوا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيليّة واقام يعقوب بها الى سنة احدى وسبعين وخمسماية وهو على ذلك يجهّز العساكر ويسيّرها

الى غزو بلاد الفرنج فى كلّ وقت فكان فيها عدّة وقايع وغزوات ظهر فيها من العرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفّين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز اليه احد ثمّ عاد ابو يعقوب الى مرّاكش ❊

ذكر نهب نهاوند

فى هذه السنة نهب عسكر شملة نهاوند وسبب ذلك انّ شملة كان ايّام ايلدكز لا يزال يطلب منه نهاوند لكونها مجاورة بلاده ويبذل فيها الاموال فلا يجيبه الى ذلك فلمّا مات ايلدكز وملك بعده ولده محمّد البهلوان وسار الى اذربيجان لاصلاحها نفذ شملة ابن اخيه ابن شنكا لاخذ نهاوند وبلغ اهل البلد الخبر فتحصّنوا وحصرهم وقاتلهم وقاتلوه والحشوا فى سبّه فلمّا علم انّه لا طاقة له بهم رجع الى تستر وهى قريبة منها وارسل اهل نهاوند الى البهلوان يطلبون منه نجدة فتاخّرت عنهم فلمّا اطمانّوا خرج ابن شنكا من تستر فى خمس مائة فارس وسار يومًا وليلة فقطع اربعين فرسخًا حتّى وصل الى نهاوند وضرب البوق واظهر انّه من اصحاب البهلوان لانّه جآءهم من ناحيته ففتح اهل البلد له الابواب فدخله فلمّا توسّط قبض على القاضى والرؤسآء وصلبهم ونهب البلد وقطع انف الوالى واطلقه وتوجّه نحو ماسبذان قاصدًا للعراق ❊

ذكر قصد نور الدين بلاد قلج ارسلان

فى هذه السنة سار نور الدين محمود ابن زنكى الى مملكة عزّ الدين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهى ملطية وسيواس واقصرا وغيرها ملازمًا على حربه واخذ بلاده منه وكان سبب ذلك انّ ذا النون ابن دانشمند صاحب ملطية وسيواس قصده قلج ارسلان واخذ بلاده واخرجه عنها طريدًا فريدًا فصار الى نور الدين مستجيرًا به وملتجيًا اليه فاكرم نزله واحسن اليه وحمل له ما يليق ان يحمل الى الملوك ووعده النصرة والسعى فى ردّ مُلكه اليه ثمّ انّه ارسل الى قلج ارسلان يتشفّع فى اعادة مُلكه فلم يجبه الى ذلك فسار نور الدين اليه فابتدا بكيسون

وبهنسى ومرعش ومرزبان فلكها وما بينها وكان مُلكه لمرعش اوايل ذى القعدة والباق بعدها فلمّا ملكها سيّر طايفة من عسكره الى سيواس فلكوها وكان قلج ارسلان لمّا سار نور الدين الى بلاده قد سار من شرقيها التى تلى الشام الى وسطها وراسل نور الدين يستعطفه ويسئله الصلح فتوقّف نور الدين عن قصده رجآء ان ينصلح الامر بغير حرب فاتاه عن الفرنج ما ازعجه فاجابه الى الصلح وشرط عليه ان ينجده بعساكر الى الغزاة وقال له انت مجاور الروم ولا تغزوهم وبيدك قطعة كبيرة من بلاد الاسلام ولا بُدّ من الغزاة معى فاجابه الى ذلك وتبقى سيواس على حالها بيد نوّاب نور الدين وهى لذى النون فبقى العسكر فى خدمة ذى النون الى ان مات نور الدين فلمّا مات رحل عسكره عنها وعاد قلج ارسلان وملكها وهى بيد اولاده الى الأن سنة نيف وعشرين وستّماية ولمّا كان نور الدين فى هذه السفرة جآء رسول كمال الدين ابى الفضل محمّد بن عبد الله بن الشهرزورى من بغداد ومعه منشور من الخليفة بالموصل والجزيرة واربل وخلاط والشام وبلاد قلج ارسلان وديار مصر ۞

ذكر رحيل صلاح الدين من مصر الى الكرك وعوده عنها

فى هذه السنة فى شوّال رحل صلاح الدين يوسف ابن ايّوب من مصر بعساكرها جميعها الى بلاد الفرنج يريد حصر الكرك والاجتماع مع نور الدين عليه والاتّفاق على قصد بلاد الفرنج من جهتَيْن كلّ واحد منهما فى جهة بعسكره وسبب ذلك انّ نور الدين لمّا انكر على صلاح الدين عوده من بلاد الفرنج فى العام الماضى واراد نور الدين قصد مصر واخذها منه ارسل يعتذر ويعد من نفسه بالحركة على ما يقرّره نور الدين فاستقرّت القاعدة بينهما انّ صلاح الدين يخرج من مصر ويسير نور الدين من دمشق فايّهما سبق صاحبه يقيم الى ان يصل الاخر اليه وتواعدا على يوم معلوم يكون وصولهما فيه فسار صلاح الدين عن مصر لانّ طريقه ابعد واشقّ ووصل الى الكرك وحصره وامّا نور الدين فانه لمّا وصل اليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر فرّق الاموال وحصّل الازواد وما يحتاج اليه وسار الى الكرك فوصل

الى الرقيم وبينه وبين الكرك مرحلتَيْن فلمّا سمع صلاح الدين بقربه خافه هو وجميع اهله واتّفق رايهم على العود الى مصر وترك الاجتماع بنور الدين لانّهم علموا انّه ان اجتمعا كان عزله على نور الدين سهلاً ، فلمّا عاد ارسل الفقيه عيسى الى نور الدين يعتذر عن رحيله بانّه كان قد استخلف اباه نجم الدين ايّوب على ديار مصر وانّه مريض شديد المرض ويخاف ان يحدث حادث الموت فتخرج البلاد عن ايديهم وارسل معه التحف والهدايا ما يجلّ عن الوصف فجآء الرسول الى نور الدين واعلمه ذلك فعظم عليه وعلم المراد من العود الّا انّه لم يُظهِر للرسول تأثّرًا بل قال له حفظ مصر اهمّ عندنا من غيرها ، وسار صلاح الدين الى مصر فوجد اباه قد قضى نحبه ولحق بربّه وكلمة تقول لقايلها دعنى وكان سبب موت نجم الدين انّه ركب يومًا فرسًا بمصر فنفر به الفرس نفرة كبيرة شديدة فسقط عنه فحُمل الى قصره وقيذًا وبقى ايّامًا ومات فى السابع والعشرين من ذى الحجّة وكان خيّرًا عاقلًا حسن السيرة كريمًا جوادًا كثير الاحسان الى الفقرآء والصوفيّة والمجالسة لهم وقد تقدّم من ذكره وابتدآء امره وامر اخيه شيركوه ما لا حاجة الى اعادته ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة زادت دجلة زيادةً كثيرةً اشرفت بغداد على الغرق فى شعبان وسدّوا ابواب الدروب ووصل المآء الى قبّة احمد ابن حنبل ووصل الى النظاميّة ورباط شيخ الشيوخ واشتغل الناس بالعمل فى القورج ثمّ نقص وكفى الناس شرّه ، وفيها وقعت النار ببغداد من درب بهروز الى باب جامع القصر ومن الجانب الاخر من حجر النحاس الى دار امّ الخليفة ، وفيها اغار بنو حزن من خفاجة على سواد العراق وسبب ذلك انّ الحماية كانت لهم لسواد العراق فلمّا تمكّن يزدن من البلاد وتسلّم الحلّة اخذها منهم وجعلها لبنى كعب من خفاجة واغار بنو حزن على السواد فسار يزدن فى عسكر ومعه الغضبان الخفاجىّ وهو من بنى كعب لقتال بنى حزن فبينما هم سايرون ليلًا رمى بعض الجند الغضبان بسهم فقتله لفساده وكان فى السواد فلمّا قُتل عاد العسكر الى بغداد

واعيدت خفارة السواد الى بنى حزن ، وفيها خرج ترجم الايوآق فى جمع من التركمان فى حياة ايلدكز وتطرّق اعمال همدان ونهب الدينور واستباح الحريم وسمع ايلدكز الخبر وهو بنقجوان فسار مُجدًّا فيمن خفّ من عسكره فقصده فهرب ترجم الى ان قارب بغداد وتبعه ايلدكز فظنّ الخليفة انّها حيلة ليصل الى بغداد فجأةً فشرع فى جمع العساكر وعمل السور فارسل الى ايلدكز الخلع والالقاب الكبيرة فاعتذر انّه لم يقصد الّا كفّ الامير يزدن وهو من اكابر امرآء بغداد وكان يتشيّع فوقع بسببه فتنة بين السنّة والشيعة بواسط لانّ الشيعة جلسوا له للعزآء واظهر السنّة الشماتة به فآل الامر الى القتال فقُتل بينهم جماعة ولمّا مات اقتطع اخوه تنامش ما كان لاخيه وهو مدينة واسط ولقب علآء الدين ، وفيها ارسل نور الدين محمود ابن زنكى رسولاً الى الخليفة وكان الرسول القاضى كمال الدين ابا الفضل محمد ابن عبد الله الشهرزورىّ قاضى بلاده جميعها مع الوقوف والديوان وحمله رسالة مضمونها الخدمة للديوان وما هو عليه من جهاد الكفّار وفتح بلادهم ويطلب تقليدًا بما بيده من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل وبما فى طاعته كديار بكر وما يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلج ارسلان وان يعطى من الاقطاع بسواد العراق ما كان لابيه زنكى وهو صريفين ودرب هرون والتمس ارضًا على شاطى دجلة يبنيها مدرسة للشافعيّة ويوقف عليها صريفين ودرب هرون فاكرم كمال الدين اكرامًا لم يكرمه رسولٌ قبله واجيب الى ما التمسه فمات نور الدين قبل الشروع فى بنـــآء المـــدرســـة رحمـــه الله ❊

سنة ٥٦٩ ثم دخلت سنة تسع وستّين وخمسمايةٍ ،

ذكر مُلك شمس الدولة زبيد وغيرها من بلاد اليمن

قد ذكرنا قبلُ انّ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب صاحب مصر واهله كانوا يخافون من نور الدين محمود ان يدخل الى مصر فياخذها منهم فشرعوا فى تحصيل مملكة يقصدونها ويتملّكونها تكون عدّة لهم ان اخرجهم نور الدين من مصر ساروا اليها واقاموا بها فسيّروا شمس

الدولة تورانشاه ابن ايّوب وهو اخو صلاح الدين الاكبر الى بلد النوبة فكان ما ذكرناه فلمّا عاد الى مصر استاذنوا نور الدين فى ان يسير الى اليمن لقصد عبد النبىّ صاحب زبيد لاجل قطع الخطبة العبّاسيّة فاذن فى ذلك ، وكان بمصر شاعر اسمه عمارة من اهل اليمن فكان يحسّن لشمس الدولة قصد اليمن ويصف البلاد له ويعظم ذلك فى عينه فزاده قوله رغبة فيها فشرع يتجهّز ويُعدّ الازواد والروايا والسلاح وغيره من الالات وجنّد الاجناد فجمع وحشد وسار عن مصر مستهلّ رجب فوصل الى مكّة اعزّها الله تعالى ومنها الى زبيد وفيها صاحبها المتغلّب عليها المعروف بعبد النبىّ فلمّا قرب منها رءاه اهلها فاستقلّ مَن معه فقال لهم عبد النبىّ كانّكم بهولآء وقد حمى عليهم الحرّ فهلكوا الّا أكلة رام فخرج اليهم بعسكره فقاتلهم شمس الدولة ومَن معه فلم يثبت اهل زبيد وانهزموا ووصل المصريّون الى سور زبيد فلم يجدوا عليه مَن يمنعهم فنصبوا السلالم وصعدوا السور فلكوا البلد عنوةً ونهبوه واكثروا النهب واخذوا عبد النبىّ اسيرًا وزوجته المدعوة بالحرّة وكانت امراة صالحة كثيرة الصدقة لا سيّما اذا حجّت فانّ فقرآء الحاجّ كانوا يجدون عندها صدقة دارّة وخيرًا كثيرًا ومعروفًا عظيمًا فلمّا اسر شمس الدولة عبد النبىّ [وسلّم شمس الدولة عبد النبىّ][1] الى بعض امرآيه يقال له سيف الدولة مبارك ابن كامل من بنى منقذ اصحاب شيزر وامره ان يستخرج منه الاموال فاعطاه منها شيأً كثيرًا ثمّ انّه دلّهم على قبر كان قد صنعه لوالده وبنى عليه بنية عظيمة وله هناك دفاين كثيرة فاعلمهم بها فاستخرجت الاموال من هناك وكانت جليلة المقدار ، وامّا الحرّة فانّها ايضًا كانت تدلّهم على ودايع لها فاخذ منها مالاً كثيرًا ، ولمّا ملكوا زبيد واستقرّ الامر لهم بها ودانت اهلها واقيمت فيها الخطبة العبّاسيّة اصلحوا حالها وساروا الى عدن وهى على البحر ولها مرْسًى عظيم وهى فرضة الهند والزنج والحبشة وعمّان وكرمان وكيش وفارس وغير ذلك وهى من جهة البرّ من امنع البلاد واحصنها وصاحبها انسان

[1]) C. P.

اسمه باسر فلو اقام بها ولم يخرج عنها لعادوا خايبين وانما حمله جهله وانقضاء مدّته على الخروج اليهم ومباشرة قتالهم فسار اليهم وقاتلهم فانهزم باسر ومن معه وسبقهم بعض عسكر شمس الدولة فدخلوا البلد قبل اهله فملكوه واخذوا صاحبها باسرا اسيرا وارادوا نهب البلد فنعهم شمس الدولة وقال ما جينا لنخرب البلاد وانما جينا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها فلم ينهب احد منها شياً فبقيت على حالها وثبت مُلكه واستقرّ امره ء ولمّا مضى الى عدن كان معه عبد النبيّ صاحب زبيد ماسورًا فلمّا دخل الى عدن قال سبحان الله كنتُ قد علمتُ انى ادخل الى عدن فى موكب كبير فانا انتظر ذلك وأُسَرُّ به ولم اكن اعلم انّنى ادخلها على هذا الحال ولمّا فرغ شمس الدولة من امر عدن عاد الى زبيد وحصر ما فى الجبل من الحصون فملك قلعة تعزّ وهى من احصن القلاع وبها تكون خزاين صاحب زبيد وملك ايضًا قلعة التعْكر والجَنَد[1] وغيرها من المعاقل والحصون واستناب بعدن عزّ الدين عُثمان ابن الزنجبيليّ وبزبيد سيف الدولة مبارك ابن منقذ وجعل فى كلّ قلعة نايبًا من اصحابه والقى مُلكهم باليمن جِرَانَهُ[2] ودام واحسن شمس الدولة الى اهل البلاد واستصفى طاعتهم بالعدل والاحسان وعادت زبيد الى احسن احوالها من العمارة والامن بعد خرابها ☼

ذكر قتل جماعة من المصريّين ارادوا الوثوب بصلاح الدين

فى هذه السنة ثانى رمضان صلب صلاح الدين يوسف ابن ايّوب جماعة مّن اراد الوثوب به بمصر من اصحاب الخلفاء العلويّين وسبب ذلك انّ جماعة من شيعة منهم عمارة ابن ابى الحسن اليمنىّ الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضى العويرس[3] وداعى الدعاة وغيرهم من جند المصريّين ورجّالتهم السودان وحاشية القصر ووافقهم جماعة من امراء صلاح الدين وجنده واتّفق رايهم على استدعاء الفرنج من صقليّة ومن ساحل الشام الى ديار مصر على شىٔ يبذلوه لهم من المال والبلاد فاذا قصدوا البلاد فان خرج صلاح الدين بنفسه اليهم ثاروا هم فى القاهرة

---

[1]) C. P. et 740. Ups: والجند

[2]) C. P. 740 et Ups.: حرانه

[3]) Ubique العوريس

ومصر واعادوا الدولة العلوية وعاد من معه من العسكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام مقابل الفرنج وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر اليهم ثاروا به واخذوه اخذًا باليد لعدم الناصر له وقال لهم عمارة وانا قد ابعدتُ اخاه الى اليمن خوفًا ان يسدّ مسدّه وتجتمع الكلمة عليه بعده وارسلوا الى الفرنج بصقلية والساحل فى ذلك وتقرّرت القاعدة بينهم ولم يبق الّا رحيل الفرنج وكان من لطف الله بالمسلمين انّ الجماعة المصريّين ادخلوا معهم زين الدين علىّ ابن نجا الواعظ والقاضى المعروف بابن نُجيّة[1] ورتّبوا الخليفة والوزير والحاجب والداعى والقضاة الّا انّ بنى رزّيك قالوا يكون الوزير منّا وبنى شاور والقاضى قالوا يكون الوزير منّا فلمّا علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين واعلمه حقيقة الامر فامره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطاتهم على ما يريدون يفعلونه وتعريفه ما يتجدّد اوّلًا باوّل ففعل ذلك وصار يطالعه بكلّ ما عزموا عليه ثمّ وصل رسول من ملك الفرنج بالساحل بهديّة ورسالة وهو فى الظاهر اليه والباطن الى اولئك الجماعة وكان يرسل اليهم بعض النصارى وتأتيه رسلهم فاتى الخبر الى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجليّة الحال فوضع صلاح الدين على الرسول بعض مَن يثق اليه من النصارى وداخله فاخبره الرسول بالخبر على حقيقته فقبض حينئذ على المقدّمين فى هذه الحادثة منهم عمارة وعبد الصمد الكاتب والعويرس وغيرهم وصلبهم ، وقيل فى كشف امرهم انّ عبد الصمد المذكور كان اذا لقى القاضى الفاضل الصلاحىّ يخدمه ويتقرّب اليه بجهده وطاقته فلقيه يومًا فلم يلتفت اليه فقال القاضى الفاضل ما هذا الّا لسبب وخاف ان يكون قد صار له باطنًا مع صلاح الدين فاحضر علىّ ابن نجا الواعظ واخبره الحال وقال اريد تكشف لى الامر فسعى فى كشفه فلم ير له من جانب صلاح الدين شيأً فعدل الى الجانب الاخر فكشف الحال وحضر عند القاضى الفاضل واعلمه فقال تحضر الساعة عند صلاح الدين وتنهى الحال اليه فحضر عند صلاح الدين وهو فى

---

[1] نجيه

الجامع فذكر له الحال فقام واخذ الجاعة وقرّرم فاقرّوا فامر بصلبهم ، وكان عمارة بينه وبين الفاضل عداوة من ايّام العاضد وقبلها فلمّا اراد صلبه قام القاضى الفاضل وخاطب صلاح الدين فى اطلاقه وظنّ عمارة انّه يحرّض على هلاكه فقال لصلاح الدين يا مولانا لا تسمع منه فى حقّى فغضب الفاضل وخرج وقال صلاح الدين لعمارة انّه كان يشفع فيك فندم ثمّ اخرج عمارة ليصلب فطلب ان يمرّ به على مجلس الفاضل فاجتازوا به عليه فاغلق بابه ولم يجتمع به فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجبْ   انّ الخلاص هو العجبْ

ثمّ صُلب هو والجاعة ونودى فى اجناد المصريّين بالرحيل من ديار مصر ومفارقتها الى اقاصى الصعيد واحتيط على مَن بالقصر من سلالة العاضد وغيره من اهله ، وامّا الذين نافقوا على صلاح الدين من جنده فلم يعرض لهم ولا اعلمهم انّه علم بحالهم ، وامّا الفرنج فانّ فرنج صقليّة قصدوا الاسكندريّة على ما نذكره ان شآء الله تعالى لانّهم لم يتّصل بهم ظهور الخبر عند صلاح الدين وامّا فرنج الساحل الشامىّ فانّهم لم يتحرّكوا لعلمهم بحقيقة الحال ، وكان عمارة شاعرًا مفلقًا فمن شعره

لو انّ قلبى يوم كاظمة معى   لملكتُه وكظمتُ فيض الادمع
قلب كفاك من الصبابة انّه   لبّى نداَء الظاعنين وما دُعى
ما القلب اوّل غادر فالومه   هى شيمة الايّام مُذ خُلقت معى
ومن الظنون الفاسدات توقّعى   بَعْد اليقين بقآء فى اضلعى

وله ايضًا

فى هوى الرشأ العذرى اعذار   لم يبق لى مذ اقرّ الدمع انكار
لى فى القدود وفى لثم الخدود وفى   ضمّ النهود لبنّاتٌ واوطارُ
هذا اختيارى فوافق ان رضيت به   اوّلا فدعْنى وما اهوى واختار

وله ديوان شعر مشهور فى غاية الحسن والرقّة والملاحة ۞

ذكر وفاة نور الدين محمود ابن زنكى رحمه الله

فى هذه السنة توفّى نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعآء حادى عشر شوّال بعلّة الخوانيق ودُفن بقلعة دمشق ونُقل منها الى المدرسة التى انشاها بدمشق عند

سوق الخوّاصين ومن عجيب الاتّفاق انّه ركب ثانى شوّال والى جانبه بعض الامرآء الاخيار فقال له الامير سبحان مَن يعلم هل نجتمع هنا فى العام المقبل ام لا فقال نور الدين لا تقل هكذا بل سبحان مَن يعلم هل نجتمع بعد شهر ام لا فمات نور الدين رحمه الله بعد احد عشر يومًا ومات الامير قبل الحول فأُخذ كلّ منهما بما قاله وكان قد شرع يتجهّز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين يوسف ابن ايّوب فانّه راى منه فتورًا فى غزو الفرنج من ناحيته وكان يعلم انّه انّما يمنع صلاح الدين من الغزو الخوف منه ومن الاجتماع به فانّه يوثر كون الفرنج فى الطريق ليمتنع بهم على نور الدين فارسل الى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر للغزاة وكان عزمه ان يتركها مع ابن اخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل والشام ويسير هو بعساكره الى مصر فبينما هو يتجهّز لذلك اتاه امر الله الذى لا مردّ له ، حكى لى طبيب كان يخدم نور الدين وهو من حُذّاق الاطبّآء قال استدعانى نور الدين فى مرضه الذى توفّى فيه مع غيرى من الاطبّآء فدخلنا اليه وهو فى بيت صغير بقلعة دمشق وقد تمكّنت الخوانيق منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبّد فابتدا به المرض فلم ينتقل عنه فلمّا دخلنا ورأينا ما به قلتُ له كان ينبغى ان لا تؤخّر احضارنا الى ان يشتدّ بك المرض الأن وينبغى ان تعجل الانتقال من هذا الموضع الى مكان فسيح مضىً فله اثر فى هذا المرض وشرعنا فى علاجه واشرنا بالفصد فقال ابن ستّين لا يفتصد وامتنع منه فعالجناه بغيره فلم ينجح فيه الدوآء وعظم الدآء ومات رحمه الله ورضى عنه ، وكان اسمر طويل القامة ليس له لحية الّا فى حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة حُلو العينَيْن وكان قد اتّسع مُلكه جدًّا وخُطب له بالحرمَيْن الشريفَيْن وباليمن لمّا دخلها شمس الدولة ابن ايّوب وملكها وكان مولده سنة احدى عشرة وخمسمائة وطبّق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وقد طالعتُ سير الملوك المتقدّمين فلم ار فيها بعد الخلفآء الراشدين وعمر ابن عبد العزيز احسن من سيرته ولا اكثر تحرّيًا

منه للعدل وقد اتينا على كثير من ذلك فى كتاب الباهر من اخبار دولتهم ولنذكر هاهنا نبذة لعلّ يقف عليها مَن له حكم فيقتدى به فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه فانّه كان لا ياكل ولا يلبس [ولا يتصرّف][1] فى الذى يخصّه [الا][2] من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكتْ اليه زوجته من الضايقة فاعطاها ثلاث دكاكين فى حمص كانت له يحصل له فى السنة نحو العشرين دينارًا فلمّا استقلّتها قال ليس لى الّا هذا وجميع ما بيدى انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلّى كثيرًا بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربّه ما احسن المحراب فى المحراب

وكان عارفًا بالفقه على مذهب ابى حنيفة ليس عنده فيه تعصُّبٌ وسمع الحديث واسمعه طلبًا للاجر، واما عدله فانّه لم يترك فى بلاده على سعتها مكسًا ولا عُشرًا بل اطلقها جميعها فى مصر والشام والجزيرة والموصل وكان يعظّم الشريعة ويقف عند احكامها واحضره انسان الى مجلس الحكم فمضى معه اليه وارسل الى القاضى كمال الدين ابن الشهرزورى يقول قد جيتُ محاكمًا فاسلك معى ما تسلك مع الخصوم وظهر الحقّ له فوهبه للخصم الذى احضره وقال اردتُ ان اترك له ما يدّعيه انّما خفتُ ان يكون الباعث لى على ذلك الكبر والانفة من الحضور الى مجلس الشريعة فحضرتُ ثم وهبتُه ما يدّعيه، وبنى دار العدل فى بلاده وكان يجلس هو والقاضى فيها ينصف المظلوم ولو انّه يهودىّ من الظالم ولو انّه ولده او اكبر امير عنده، واما شجاعته فاليها النهاية وكان فى الحرب ياخذ قوسَيْن وتركشَيْن ليقاتل بها فقال له القطب النساوىّ الفقيه بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالاسلام فان اصبتَ فى معركة لا يبقى من المسلمين احد الّا اخذه السيف فقال له نور الدين ومن محمودٌ حتّى يقال له هذا من قبلى مَن حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذى لا اله الّا هو، واما ما فعله من المصالح فانّه بنى اسوار

[2]) C. P. et 740. [1]) C. P. et 740.

مدن الشام جميعها وقلاعها فنها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها وبنى المدارس الكثيرة للحنفيّة والشافعيّة وبنى الجامع النورىّ بالموصل وبنى البيمارستانات والخانات فى الطرق وبنى الخانكاهات فى جميع البلاد واوقف على الجميع الوقوف الكثيره سمعتُ انّ حاصل وقفه كلّ شهر تسعة الاف دينار صورىّ وكان يُكرم العلمآء واهل الدين ويعظمهم ويقوم اليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولا يردّ لهم قولاً ويكاتبهم بخطّ يده وكان وقورًا مهيبًا مع تواضعه وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب ❀

ذكر مُلك ولده الملك الصالح

لمّا توفّى نور الدين قام ابنه الملك الصالح اسمعيل بالملك بعده وكان عمره احدى عشرة سنة وحلف له الامرآء والمقدّمون بدمشق واقام بها واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكّة باسمه وتولّى تربيته الامير شمس [الدين] محمّد بن عبد الملك المعروف بابن المقدّم وصار مدبّر دولته فقال له كمال الدين صاحب مصر هو من اصحاب نور الدين والمصلحة ان نشاوره فى الذى نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا ويجعل ذلك حجّة علينا وهو اقوى منّا لانّه قد انفرد اليوم بملك مصر فلم يوافق هذا القول اغراضهم وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجهم فلم يمض غير قليل حتّى وردت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح يُعزّيه ويهنّيه بالملك وارسل دنانير مصريّة عليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لابيه فلمّا سار سيف الدين غازى صاحب الموصل وملك البلاد الجزريّة على ما نذكره فارسل صلاح الدين ايضًا الى الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده واخذها ليحضر فى خدمته ويكفّ سيف الدين وكتب الى كمال الدين والامرآء يقول لو انّ نور الدين يعلم ان فيكم مَن يقوم مقامى او يثق اليه مثل ثقته الىّ لسلّم اليه مصر التى هى اعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربيّة ولده والقيام بخدمته غيرى واراكم قد تفرّدتم بمولآى وابن مولآى دونى وسوف اصل الى خدمته واجازى انعام والده بخدمة

يظهر اثرها واجازى كلّا منكم على سوء صنيعه فى ترك الذبّ عن بلاده • وتمسّك ابن المقدّم وجماعة الامرآء بالملك الصالح ولم يرسلوه الى حلب خوفًا ان يغلب عليهم شمس الدين علىّ ابن الداية فانّه كان اكبر الامرآء النوريّة وانّما منعه من الاتّصال به والقيام بخدمته مرض لحقه وكان هو واخوته بحلب وامرها اليهم وعساكرها معهم فى حياة نور الدين وبعده ولمّا عجز عن الحركة ارسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب لتمتنع به البلاد الجزريّة من سيف الدين ابن عمّه قطب الدين فلم يمكّنه الامرآء الذين معه من الانتقال الى حلب لما ذكرناه ٭

ذكر مُلك سيف الدين البلاد الجزريّة

كان نور الدين قبل ان يمرض قد ارسل الى البلاد الشرقيّة الموصل وديار الجزيرة وغيرها يستدعى العساكر منها لحجّة الغزاة والمراد غيرها وقد تقدّم ذكره فسار سيف الدين غازى ابن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل فى عساكره وعلى مقدّمته الخادم سعد الدين كمشتكين الذى كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين فلمّا كانوا ببعض الطريق وصلت الاخبار بوفاة نور الدين فامّا سعد الدين فانّه كان فى المقدّمة فهرب جريدة وامّا سيف الدين فاخذ كلّ ما كان له من برك وغيره وعاد الى نصيبين فملكها وارسل الشحن الى الخابور فاستولوا عليه واقطعه وسار هو الى حرّان فحصرها عدّة ايّام وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحرّانىّ فامتنع بها واطاع بعد ذلك على ان تكون حرّان له ونزل الى خدمة سيف الدين فقبض عليه واخذ حرّان منه وسار الى الرها فحصرها وملكها وكان بها خادم خصىّ اسود لنور الدين فسلّمها وطلب عوضها قلعة الزعفران من اعمال جزيرة ابن عمر فأعطيها ثمّ أُخذت منه ثمّ صار الى ان يستعطى ما يقوم به ويقوته وسيّر سيف الدين الى الرقّة فملكها وكذلك سروج واستكمل جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فانّها كانت منيعة وسوى راس عين فانّها كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرّض اليها وكان شمس الدين علىّ ابن الداية وهو اكبر الامرآء النوريّة بحلب مع عساكرها فلم يقدر على العبور

الى سيف الدين ليمنعه من اخذ البلاد لفالج كان به فارسل الى دمشق يطلب الملك الصالح فلم يرسل اليه لما ذكرناه ولمّا ملك سيف الدين الجزيرة قال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد وصل اليه من سيواس بعد موت نور الدين وهو الذى اقرّ له الملك بعد ابيه فظنّ انّ سيف الدين يرعى له ذلك فلم يجْن ثمرة ما غرس وكان عنده كبعض الامرآء قال له الراى ان تعبر الى الشام فليس به مانع فقال له اكبر امرآيه وهو اميرٌ يقال له عزّ الدين محمود المعروف بزلفندار قد ملكتَ اكثر ما كان لابيك والمصلحة ان تعود فرجع الى قوله وعاد الى الموصل ليقضى الله امـرًا كـان مـفـعـولاً ۞

ذكر حصر الفرنج بانياس وعودهم عنها

لمّا مات نور الدين محمود صاحب الشام اجتمعت الفرنج وساروا الى قلعة بانياس من اعمال دمشق فحصروها فجمع شمس الدين محمّد بن عبد الملك بن المقدّم العسكر عنده بدمشق فخرج عنها فراسلهم ولاطفهم ثم اغلظ لهم فى القول وقال لهم ان انتم صالحتمونا وعُدتم عن بانياس فنحن على ما كنّا عليه والّا فنرسل الى سيف الدين صاحب الموصل ونعلمه ونصالحه ونستنجده ونرسل الى صلاح الدين بمصر فنستنجده ونقصد بلادكم من جهاتها كلّها ولا تقومون لنا وانتم تعلمونَ انّ صلاح الدين كان يخاف ان يجتمع بنور الدين والآن فقد زال ذلك الخوف واذا طلبناه الى بلادكم فلا يمتنع فعلموا صدْقه فصالحوه على شىءٍ من المال اخذوه واسرى اطلقوا لهم كانوا عند المسلمين وتقرّرت الهدنة ٭ فلمّا سمع صلاح الدين بذلك انكره واستعظمه وكتب الى الملك الصالح والامرآء الذين معه يقبّح لهم ما فعلوه وبذل من نفسه قصد بلاد الفرنج ومقارعتهم وازعاجهم عن قصد شىءٍ من بلاد الملك الصالح وكان قصده ان يصير له طريق الى بلاد الشام ليتملّك البلاد والامرآء الشاميّون انّما صالحوا الفرنج خوفًا منه ومن سيف الدين غازى صاحب الموصل فانّه كان قد اخذ البلاد الجزريّة وخافوا منه ان يعبر الى الشام فرءاوا صلح الفرنج اصلح من ان يجىٌ هذا من الغرب وهذا من الـشـرق وهم مـشـغـولـون عـن ردّهم ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى محرّم وقع الحريق ليلًا ببغداد فاحترق اكثر الظفريّة ومواضع غيرها ودام الحريق الى بكرة وطُفيت النار، وفيها فى شعبان بنى ابن شنكا وهو ابن اخى شملة صاحب خوزستان قلعة بالقرب من الماهكى ليتقوّى بها على الاستيلآء على تلك الاعمال فسيّر اليه الخليفة العساكر من بغداد لمنعه فالتقوا فحمل بنفسه على الميمنة فهزمها واقتتل الناس قتالًا عظيمًا واسر ابن اخى شملة وحُمل راسه الى بغداد فعلق بباب النوبى وهدمت القلعة، وفيها فى رمضان وكان الزمان ربيعًا توالت الامطار فى ديار بكر والجزيرة والموصل فدامت اربعين يومًا ما راينا الشمس فيها غير مرّتين كلّ مرّة مقدار لحظة وخربت المساكن وغيرها وكثر الهدم ومات تحته كثير من الناس وزادت دجلة زيادةً عظيمةً وكان اكثرها ببغداد فانّها زادت على كلّ زيادة تقدّمت منذ بُنيت بغداد بذراع وكسر وخاف الناسُ الغرق وفارقوا البلد واقاموا على شاطى دجلة خوفًا من انفتاح القورج[1] وغيره وكانوا كلّما انفتح موضعًا بادروا بسدّه ونبع المآء فى البلاليع وخرّب كثيرًا من الدور ودخل المآء الى البيمارستان العضدىّ ودخلت السفن من الشبابيك التى له فانّها كانت قد تقلّعت فمنّ الله تعالى على الناس بنقص المآء بعد ان اشرفوا على الغرق، وفيها فى جمادى الاولى كانت الفتنة ببغداد بين قطب الدين قايماز والخليفة وسببها انّ الخليفة امر باعادة عضد الدين ابن رئيس الرؤسآء الى الوزارة فمنع منه قطب الدين واغلق باب النوبى وباب العامّة وبقيت دار الخليفة كالمحاصرة فاجاب الخليفة الى ترك وزارته فقال قطب الدين لا اقنع الّا باخراج عضد الدين من بغداد فأمر بالخروج منها فالتجى الى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل فاخذه الى رباطه واجاره ونقله الى دار الوزير بقُتُفتا[2] فاقام بها ثمّ عاد الى بيته فى جمادى الاخرة، وفيها سقط الامير ابو العبّاس احمد ابن الخليفة وهو الذى صار خليفة من قبّة عالية الى ارض التاج

---

[1] العورج [2] بقلفتا

ومعه غلام له اسمه نجاح فالقى نفسه بعده وسلم ابن الخليفة ونجا فقيل لنجاح لمَ القيتَ نفسك فقال ما كنتُ اريد البقآء بعد مولاى فرعا له الامير ابو العبّاس ذلك فلمّا صار خليفة جعله شرابيًّا وصارت الدولة جميعها بحكمه ولقّبه الملك الرحيم عزّ الدين وبالغ فى الاحسان اليه والتقديم له وخدمه جميع الامرآء بالعراق والوزرآء وغيرهم ، وفيها فى رمضان وقع ببغداد بَرَدٌ كبار ما راى الناس مثله فهدم الدور وقتل جماعة من الناس وكثيرًا من المواشى فوزنت بردة منها فكانت سبعة ارطال وكان عامّته كالنارنج يكسّر الاغصان هكذا ذكره ابو الفرج ابن الجوزىّ فى تاريخه والعهدة عليه ، وفيها كانت وقعة عظيمة بين المؤيّد صاحب نيسابور وبين شاه مازندران قُتل فيها كثير من الطائفتيْن فانهزم شاه مازندران ودخل المؤيّد بلد الديلم وخرّبها وفتك باهلها وعاد عنها ، وفيها وقعت وقعة كبيرة بين اهل باب البصرة واهل باب الكرخ وسببها انّ المآء لمّا زاد سكّر اهل باب الكرخ سكرًا ردّ المآء عنهم فغرق مسجد فيه شجرة فانقلعت فصاح اهل الكرخ انقلعت الشجرة لعن الله العشرة فقامت الفتنة فتقدّم الخليفة الى علآء الدين تنامش فال على اهل باب البصرة لانّه كان شيعيًّا واراد دخول المحلّة فمنعه اهلها واغلقوا الابواب ووقفوا على السور واراد احراق الابواب فبلغ ذلك الخليفة فانكره اشدّ انكار وامر باعادة تنامش فعاد ودامت الفتنة اسبوعًا ثمّ انفصل الحال من غير توسّط سلطان ، وفيها عبر ملك الروم خليج القسطنطينية وقصد بلاد قلج ارسلان فجرى بينهما حرب استظهر فيها المسلمون فلمّا راى ملك الروم عجزه عاد الى بلده وقد قُتل من عسكره وأُسر جماعة كثيرة ، وفيها فى جمادى الاولى مات احمد بن علىّ بن المعمّر بن محمّد بن عبد الله ابو عبد الله العلوىّ الحسينىّ نقيب العلويّين ببغداد وكان يلقب الطاهر وسمع الحديث الكثير ورواه وكان حسنة اهل بغداد ، وفيها توفّى الحافظ ابو العلآء الحسن ابن احمد بن محمّد العطّار الهمدانىّ سافر الكثير فى طلب الحديث وقرآة القران واللغة وكان من اعيان المحدّثين وكان له قبول عظيم ببلده عند العامّة والخاصّة ✿

ثم دخلت سنة سبعين وخمسماية ،

سنة ٥٧٠

ذكر وصول اسطول صقلية الى مدينة الاسكندرية وانهزامهم منها

في هذه السنة ظفر اهل الاسكندرية وعسكر مصر باسطول الفرنج من صقلية وكان سبب ذلك ما ذكرناه من [ارسال] اهل مصر الى ملك الفرنج بساحل الشام والى صاحب صقلية ليقصدوا ديار مصر ليثوروا بصلاح الدين ويخرجوه من مصر فجهّز صاحب صقلية اسطولاً كثيرًا عدّته مايتى شينى تحمل الرجالة وستًّا وثلاثين طريدة تحمل الخيل وستّ مراكب كبارًا تحمل آلة الحرب واربعين مركبًا تحمل الازواد وفيها من الراجل خمسون الفًا ومن الفرسان الف وخمس مائة منها خمس مائة تركبلى[1] وكان المقدّم عليهم ابن عمّ صاحب صقلية وسيّره الى الاسكندرية من ديار مصر فوصلوا اليها فى السادس والعشرين من ذى الحجّة سنة تسع وستّين على حين غفلة من اهلها وطمانينة فخرج اهل الاسكندرية بسلاحهم وعدّتهم ليمنعوهم من النزول وابعدوا عن البلد فنعهم الوالى عليهم من ذلك وامرهم بملازمة السور ونزل الفرنج الى البرّ ممّا يلى البحر والمنارة وتقدّموا الى المدينة ونصبوا عليها[2] الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا اشدّ قتال وصبر لهم اهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الّا القليلُ ورأى الفرنج من شجاعة اهل الاسكندرية وحُسن سلاحهم ما راعهم ، وسيّرت الكُتب بالحال الى صلاح الدين ويستدعونه لدفع العدوّ عنهم ودام القتال اوّل يوم الى اخر النهار ثم عاود الفرنج القتال اليوم الثانى وجدّوا ولازموا الزحف حتّى وصلت الدبابات الى قريب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية كلّ من كان فى اقطاعه وهو قريب من الاسكندرية فقويت بهم نفوس اهلها واحسنوا القتال والصبر فلمّا كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كلّ جانب وهم غارّون وكثر الصياح من كلّ الجهات فارتاع الفرنج واشتدّ القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فاحرقوها وصبروا للقتال فانزل الله نصره عليهم وظهرت اماراته ولم يزل القتال الى اخر النهار ودخل اهل

---

1) 740: تركبلى Ups. et C. P. مركبلى   2) على

البلد اليه وهم فرحون مستبشرون بما رءاوا من تباشير الظفر وقوّتهم وفشل الفرنج وفتور حربهم وكثرة القتل والجراح فى رجّالتهم ، وامّا صلاح الدين فانّه لمّا وصله الخبر سار بعساكره وسيّر مملوكًا له ومعه ثلاثة جنايب ليجدّ السير عليها الى الاسكندريّة يبشّر بوصوله وسيّر طايفة من العسكر الى دمياط خوفًا عليها واحتياطًا لها فسار ذلك المملوك فوصل الاسكندريّة من يومه وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى فى البلد بمجىّ صلاح الدين والعساكر مسرعين فلمّا سمع الناس ذلك عادوا الى [القتال وقد][1] زال ما بهم من تعب وألم الجراح وكلّ منهم يظنّ انّ صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال مَن يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بقرب صلاح الدين فى عساكره فسقط فى ايديهم وازدادوا تعبًا وفتورًا فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فغنموها بما فيها من الاسلحة الكثيرة والتحملات العظيمة وكثر القتل فى رجّالة الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقرّبوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين فى المآء وخرق بعض شوانى الفرنج فغرقت فخاف الباقون من ذلك فولّوا هاربين واحتمى ثلثمايةٌ من فرسان الفرنج على راس تلّ فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان اضحى النهار فغلبهم اهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل واسير وكفى الله المسلمين شرّهم ❁

ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر

وفى اوّل هذه السنة خالف الكنز بصعيد مصر واجتمع اليه من رعيّة البلاد والسودان والعرب وغيرهم خلق كثير وكان هناك امير من الصلاحيّة فى اقطاعه وهو اخو الامير ابى الهيجاء السمين فقتله الكنز فعظم قتله على اخيه وهو من اكبر الامرآء واشجعهم فسار الى قتال الكنز وسيّر معه صلاح الدين جماعة من الامرآء وكثيرًا من العسكر ووصلوا الى مدينة طود فاحتمت عليهم فقاتلوا مَن بها وظفروا بهم وقتلوا منهم كثيرًا وذلّوا بعد العزّ وقُهروا واستكانوا ثم سار العسكر بعد فراغهم

[1]) C. P. et 740.

من سُود الى الكنز وهو فى طغيانه يَعْمه فقاتلوه فقُتل هو ومَن معه من الاعراب وغيرهم وأمنت بعده البلاد واطمأنّ اهلها ۞

ذكر مُلك صلاح الدين دمشق

فى هذه السنة سلخ ربيع الاوّل ملك صلاح الدين يوسف ابن ايّوب مدينة دمشق وسبب ذلك انّ نور الدين لمّا مات وملك ابنه الملك الصالح بعده كان بدمشق وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازى الى حلب كما ذكرناه فاقام بها عند شمس الدين علىّ ابن الداية فلمّا استولى سيف الدين على البلاد الجزريّة خاف ابن الداية ان يُغير الى حلب فيملكها فارسل سعد الدين الى دمشق ليحضر الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب فلمّا قارب دمشق سيّر اليه شمس الدين محمّد ابن المقدّم عسكرًا فنهبوه وعاد منهزمًا الى حلب فاخلف عليه ابن الداية عوض ما اخذ منه ثم انّ الامرآء الذين بدمشق نظروا فى المصلحة فعلموا انّ مسيره الى حلب اصلح للدولة من مقامه بدمشق فارسلوا الى ابن الداية يطلبون ارسال سعد الدين لياخذ الملك الصالح فجهّزه وسيّره وعلىّ نَفْسها[1] براقش تجنى فسار الى دمشق فى المحرّم من هذه السنة واخذ الملك الصالح وعاد الى حلب فلمّا وصلوا اليها قبض سعد الدين على شمس الدين ابن الداية واخوته وعلى رئيس ابن الخشّاب رئيس حلب ومقدّم الاحداث بها ولو لا مرض شمس الدين ابن الداية لم يتمكّن من ذلك واستبدّ سعد الدين بتربية الملك الصالح فخاف ابن المقدّم وغيره من الامرآء الذين بدمشق وقالوا ان استقرّ امر حلب اخذ الملك الصالح وسار به الينا وفعل مثل ما فعل بحلب وكاتبوا سيف الدين غازى صاحب الموصل ليعبر الفراة اليهم ليسلّموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفراة ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمّه وعسكر حلب من ورآء ظهره فيهلك اشار عليه بهذا زلغندار عزّ الدين والجبان يُقدّر البعيد من الشرّ قريبًا ويرى الجبن حزما كما قال

---

[1]) C. P. et 740. Ups.: نفسها

يرى الجبناء انّ الجبن حزم وتلك طبيعة الرجل الجبان

فلمّا اشار عليه بهذا الراى زلفندار قَبِلَهُ وامتنع من قصد دمشق وراسل سعد الدين والملك الصالح وصالحهما على ما اخذه من البلاد فلمّا امتنع عن العبور الى دمشق عظم حزمهم وقالوا حيث صالحهم سيف الدين لم يبق لهم مانع عن المسير الينا فكاتبوا حينئذ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب صاحب مصر واستدعوه ليُملّكوه عليهم وكان كبيرهم فى ذلك شمس الدين ابن المقدّم ومن اشبه اباه فما ظلم وقد ذكرنا مُخامرة ابيه فى تسليم سنجار سنة اربع واربعين وخمسماية فلمّا وصلت الرسل الى صلاح الدين بذلك لم يلبث وسار جريدة فى سبع مائة فارس والفرنج فى طريقه فلم يُبال بهم فلمّا وطى ارض الشام قصد بُصرى وكان [بها] حينئذ صاحبها وهو من جملة مَن كاتبه فخرج ونقيه فلمّا راى قلّة مَن معه خاف على نفسه واجتمع بالقاضى الفاضل وقال ما ارى معكم عسكرًا وهذا بلد عظيم لا يقصد بمثل هذا العسكر ولو منعكم مَن به ساعة من النهار اخذكم اهل السواد فان كان معكم مالٌ سهل الامر فقال هنا مالٌ كثيرٌ يكون خمسين الف دينار فضرب صاحب بُصرى على راسه وقال هلكتم واهلكتمونا وجميع ما كان معهم عشرة الاف دينار، ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج كلّ مَن بها من العسكر اليه فلقوه وخدموه ودخل البلد ونزل فى دار والده المعروفة بدار العقيقى وكانت القلعة بيد خادم اسمه ريحان فاحضر صلاح الدين كمال الدين ابن الشهرزورىّ وهو قاضى البلد والحاكم فى جميع اموره من الديوان والوقف وغير ذلك وارسله الى ريحان ليسلّم القلعة اليه وقال انا مملوك الملك الصالح وما جيئتُ الّا لانصره واخدمه واعيد البلاد التى أُخذت منه اليه وكان يخطب له فى بلاده كلّها فصعد كمال الدين الى ريحان ولم يزل معه حتّى سلّم القلعة فصعد صلاح الدين اليها واخذ ما فيها من الاموال واخرجها واتّسع بها وثبت قدمه وقويت نفسه وهو مع هذا يظهر طاعة الملك الصالح ويخاطبه بالمملوك والخطبة والسكّة باسمه ۞

ذكر مُلك صلاح الدين مدينتَى حمص وحماة

لمّا استقرّ مُلك صلاح الدين لدمشق وقرّر امرها استخلف بها اخاه سيف الاسلام طغدكين ابن ايّوب وسار الى مدينة حمص مستهلّ جمادى الاولى وكانت حمص وحماة وقلعة بعرين وسلميّة وتلّ خالد والرها من بلد الجزيرة فى اقطاع الامير فخر الدين مسعود الزعفرانىّ فلمّا مات نور الدين لم يمكنه المقام بها لسوء سيرته فى اهلها ولم يكن له فى قلاع هذه البلاد حكم انّما فيها وُلاة لنور الدين وكان بقلعة حمص والٍ يحفظها ٭ فلمّا نزل صلاح الدين على حمص حادى عشر الشهر المذكور راسل مَن فيها بالتسليم فامتنعوا فقاتلهم من الغد فملك البلد وأمّن اهله وامتنعت عليه القلعة وبقيت ممتنعة الى ان عاد من حلب على ما نذكره ان شآء الله وترك بمدينة حمص مَن يحفظها ويمنع مَن بالقلعة من التصرّف وان تصعد اليهم ميرة وسار الى مدينة حماة وهو فى جميع احواله لا يُظهر الّا طاعة الملك الصالح ابن نور الدين وانّه انّما خرج لحفظ بلاد عليه من الفرنج واستعادة ما اخذه سيف الدين غازى صاحب الموصل من البلاد الجزريّة ٭ فلمّا وصل الى حماة ملك المدينة مستهلّ جمادى الاخرة وكان بقلعتها الامير عزّ الدين جُورديك وهو من المماليك النوريّة فامتنع من التسليم الى صلاح الدين فارسل اليه صلاح الدين يعرّفه ما هو عليه من طاعة الملك الصالح وانّما يريد حفظ بلاده عليه فاستحلفه جورديك على ذلك وسيّره الى حلب فى اجتماع الكلمة على طاعة الملك الصالح وفى اطلاق شمس الدين علىّ وحسن وعثمان اولاد الداية من السجن فسار جورديك الى حلب واستخلف بقلعة حماة اخاه ليحفظها فلمّا وصل جورديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه فلمّا علم اخوه بذلك سلّم القلعة الى صلاح الدين فملكها ۞

ذكر حصر صلاح الدين حلب وعوده عنها وملك قلعة حمص وبعلبكّ

لمّا ملك صلاح الدين حماة سار الى حلب فحصرها ثالث جمادى الاخرة فقاتله اهلها وركب الملك الصالح وهو صبىّ وعمره اثنا عشرة سنة وجمع اهل حلب وقال لهم قد عرفتم احسان ابى اليكم ومحبّته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جآء هذا الظالم الجاحد احسان والدى اليه ياخذ بلدى ولا يراقب الله تعالى ولا الخلق وقال من هذا

كثيرًا وبكى فابكى الناس فبذلوا له الاموال والانفس واتّفقوا على القتال دونه والمنع عن بلده وجدّوا فى القتال وفيهم شجاعة قد الفوا الحرب واعتادوها حيث كان الفرنج بالقرب منهم فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن فلا يقدر على القرب من البلد وارسل سعد الدين الى سنان مقدّم الاسماعيليّة وبذل له اموالًا كثيرةً ليقتلوا صلاح الدين فارسلوا جماعة منهم الى عسكره فلمّا وصلوا رءاهم امير اسمه خمارتكين صاحب قلعة بوقبيس فعرفهم لانّه جارهم فى البلاد كثير الاجتماع بهم والقتال لهم فلمّا رءاهم قال لهم ما الذى اقدمكم وفى اىّ شىّ جيتم فجرحوه جراحات مثخنة وحمل احدهم على صلاح الدين ليقتله فقُتل دونه وقاتل الباقون من الاسماعيليّة فقتلوا جماعة ثم قُتلوا ، وبقى صلاح الدين محاصرًا لحلب الى سلخ جمادى الاخرة ورحل عنها مستهلّ رجب وسبب رحيله انّ القومص الصنجيلى صاحب طرابلس كان قد اسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين وخمسمايةٍ وبقى فى الحبس الى هذه السنة فاطلقه سعد الدين بماية الف وخمسين الف دينار صوريّة والف اسير فلمّا وصل الى بلده اجتمع الفرنج عليه يُهنّونه بالسلامة وكان عظيمًا فيهم من اعيان شياطينهم فاتّفق انّ مرى ملك الفرنج لعنه الله مات اوّل هذه السنة وكان اعظم ملوكهم شجاعة واجودهم رَأيًا ومكرًا ومكيدةً فلمّا توفّى خلّف ابنًا مجذومًا عاجزًا عن تدبير الملك فلكه الفرنج صورةً لا معنى تحتها وتولّى القمص ريمند[1] تدبير الملك الحلّ والعقد عن امره يصدرون فأرسل اليه من حلب يطلبون منه ان يقصد بعض البلاد التى بيد صلاح الدين ليرحل عنهم فسار الى حمص ونازلها سابع رجب فلمّا تجهّز لقصدها سمع صلاح الدين الخبر فرحل عن حلب فوصل الى حماة ثامن رجب بعد نزول الفرنج على حمص بيوم ثم رحل الى الرَّسْتن فلمّا سمع الفرنج بقربه رحلوا عن حمص ووصل صلاح الدين اليها فحصر القلعة الى ان ملكها فى الحادى والعشرين من شعبان من السنة فصار اكثر الشام بيده ولمّا ملك حمص سار منها

---

[1]) وبيمند

الى بعلبك وبها خادم اسمه يُمن وهو والٍ عليها من ايّام نور الدين فحصرها صلاح الدين فارسل يُمن يطلب الامان له ولمن عنده فامّنهم صلاح الدين وتسلّم القلعة رابع عشر رمضان من السنة المذكورة ❊

ذكر حصر سيف الدين اخاه عماد الدين بسنجار

لمّا ملك صلاح الدين دمشق وحمص وحماة كتب الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين الى ابن عمّه سيف الدين غازى ابن قطب الدين مودود يستنجده على صلاح الدين ويطلب ان يعبر اليه ليقصدوا صلاح الدين وياخذوا البلاد منه، فجمع سيف الدين عساكره وكاتب اخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار ويامره ان ينزل اليه بعساكره ليجتمعوا على المسير الى الشام فامتنع من ذلك وكان صلاح الدين قد كاتب عماد الدين واطمعه فى الملك لانّه هو الكبير فحمله الطمع على الامتناع على اخيه فلمّا راى سيف الدين امتناعه جهّز اخاه عزّ الدين مسعودًا فى عسكر كثير هو معظم عسكره وسيّره الى الشام وجعل المقدّم على العسكر اكبر امير معه يقال له عز الدين محمود ويلقب ايضًا زلفندار وجعله المدبّر للامر وسار سيف الدين الى سنجار فحصرها فى شهر رمضان وقاتلها وجدّ فى القتال وامتنع عماد الدين بها وجدّ فى حفظها والذبّ عنها فدام الحصار عليها فبينما هو يحاصرها اتاه الخبر بانهزام عسكره الذى مع اخيه عز الدين مسعود من صلاح الدين فراسل حينئذ اخاه عماد الدين وصالحه على ما بيده ورحل الى الموصل وثبت قدم صلاح الدين بعد هذه الهزيمة وخافه الناس وترددت الرسل بينه وبين سيف الدين غازى فى الصلح فلم يستقرّ حال ❊

ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين وحصره مدينة حلب

فى هذه السنة سار عسكر سيف الدين مع اخيه عزّ الدين وعزّ الدين زلفندار الى حلب واجتمع معهما عساكر حلب وصاروا كلّهم الى صلاح الدين ليحاربوه فارسل صلاح الدين الى سيف الدين يبذل تسليم حمص وحماة وان يقرّ بيده مدينة دمشق وهو فيها نايب الملك الصالح فلم يجب الى ذلك وقال لا بدّ من تسليم جميع ما اخذ من بلاد الشام

وانعود الى مصر وكان صلاح الدين يجمع عساكره ويتجهّز للحرب فلمّا امتنع سيف الدين من اجابته الى ما بذل سار فى عساكره الى عزّ الدين مسعود وزلفندار فالتقوا تاسع عشر رمضان بالقرب من مدينة حماة بموضع يقال له قُرون حماة وكان زلفندار جاهلًا بالحروب والقتال غير عالم بتدبيرها مع جُبن فيه الّا انّه قد رزق سعادةً وقبولاً من سيف الدين فلمّا التقى الجمعان لم يثبت العسكر السيفىّ وانهزموا لا يلوى اخ على اخيه وثبت عزّ الدين اخو سيف الدين بعد انهزام اصحابه فلمّا راى صلاح الدين ثباته قال امّا انّ هذا اشجع الناس او انّه لا يعرف الحرب وامر اصحابه بالحملة عليه فحملوا فازالوه عن موقفه وتمّت الهزيمة وتبعهم صلاح الدين وعسكره حتّى جازوا معسكرهم وغنموا منهم غنايم كثيرة وآلة وسلاحًا عظيمًا ودوابّ فارهة وعادوا بعد طول البيكار مستريحين وعاد المنهزمون الى حلب وتبعهم صلاح الدين فنازلهم بها محاصرًا لها ومقاتلًا وقطع حينئذ خطبة الملك الصالح ابن نور الدين وازال اسمه عن السكّة فى بلاده ودام محاصرًا لهم فلمّا طال الامر عليهم راسلوه فى الصلح على ان يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بايديهم منها فاجابهم الى ذلك وانتظم الصلح ورحل عن حلب فى العشر الاوّل من شوّال ووصل الى حماة ووصلت اليها بها خلع الخليفة مع رسوله ۞

ذكر ملك صلاح الدين قلعة بعرين

فى هذه السنة فى العشر الاخر من شوّال ملك صلاح الدين قلعة بعرين من الشام وكان [صاحبها][1] فخر الدين مسعود ابن الزعفرانىّ وهو من اكابر الامرآء النوريّة فلمّا راى قوّة صلاح الدين نزل منها واتّصل بصلاح الدين وظنّ انّ صلاح الدين يكرمه ويشاركه فى ملكه ولا ينفرد عنه بامر مثل ما كان مع نور الدين فلم ير من ذلك شيأً ففارقه ولم يكن بقى له من اقطاعه الذى كان له فى الايّام النوريّة غير بعرين ونايبه بها فلمّا صالح صلاح الدين الملك الصالح بحلب عاد الى حماة وسار منها الى بعرين وهى قريبة منها فحصرها ونصب عليها المنجنيقات وادام

[1]) C. P.

فتالها فسلّمها واليها بالامان فلمّا ملكها عاد الى حماة فاقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمىّ واقطع حمص ناصر الدين ابن عمّه شيركوه وسار منها الى دمشق فدخلها اواخر شوّال من السنة ۞

ذكر مُلك البهلوان مدينة تبريز

فى هذه السنة ملك البهلوان ابن ايلدكز مدينة تبريز وهى من جملة بلاد اقسنقر الاحمديلى وسبب ذلك انّ البهلوان سار الى مراغة وحصرها وكان ابن اقسنقر الاحمديلى قد مات ووصّى بالمُلك لابنه فلك الدين فقصده البهلوان ونزل على قلعة رويندز وحصرها فامتنعت عليه فتركها وحصر مراغة وسيّر اخاه قزل ارسلان فى جيش الى مدينة تبريز فحصرها ايضًا وكان البهلوان يقاتل اهل مراغة فظفروا بطايفة من عسكره فخلع عليهم صدر الدين قاضى مراغة واطلقهم فحسن ذلك عند البهلوان وشرع القاضى فى الصلح على ان يسلّموا تبريز الى البهلوان فاجيب الى ذلك واستقرّت القاعدة عليه وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه وتسلّم البهلوان تبريز واعطاها اخاه قزل ارسلان ورحل عن مراغة بعسكره ۞

ذكر وفاة شملة

فى هذه السنة مات شملة التركمانىّ صاحب خوزستان وكان قد كثرت ولايته وعظم شانه وبنى عدّة حصون وبقى كذلك زيادة على عشرين سنة وكان سبب موته انّه قصد بعض التركمان فعلموا بذلك فاستعانوا بشمس الدين البهلوان ابن ايلدكز صاحب عراق العجم فسيّر اليهم جيشًا فاقتتلوا فاصاب شملة سهم ثمّ أُخذ اسيرًا وولده وابن اخيه وتوفّى بعد يومين وهو من التركمان الافشريّة ولمّا مات ملك ابنه بعده ۞

ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد

فى هذه السنة فى شوّال سيّر علآء الدين تنامش وهو من اكابر الامرآء ببغداد وكان قطب الدين قايماز زوج اخته عسكرًا الى العراق فنهبوا اهله وبالغوا فى اذاهم فجآء منهم جماعة الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا لضعف الخليفة مع قايماز وتنامش وتحكّمهما عليه فقصدوا جامع

القصر واستغاثوا فيه ومنعوا الخطيب وفاتت الصلاة اكثر الناس فانكر الخليفة ما جرى فلم يلتفت قطب الدين وتمامش الى ما فعل واحتقروه فلا جرم لم يمهلهم الله تعالى لاحتقارهم الدعآء وازدرآيهم اهله ، فلمّا كان خامس ذى القعدة قصد قطب الدين قيماز أذى ظهير الدين ابن العطّار وكان صاحب المخزن وهو خاصّ للخليفة وله به عناية تامّة فلم يُراعى للخليفة فى صاحبه فارسل اليه يستدعيه ليحضر عنده فهرب فاحرق قطب الدين داره وحالف الامرآء على المساعدة والمظاهرة له وجمعهم وقصد دار الخليفة لعلمه انّ ابن العطّار فيها فلمّا علم الخليفة ذلك ورأى الغلبة صعد الى سطح داره وظهر للعامّة وامر خادمًا فصاح واستغاث وقال للعامّة مال قطب الدين لكم ودمه لى فقصد الخلق كلّهم دار قطب الدين للنهب فلم يمكنه المقام لضيق الشوارع وغلبة العامّة فهرب من داره من باب فتحه فى ظهرها لكثرة الخلق على بابها وخرج من بغداد ونُهبت دارُه وأُخذ منها من الاموال ما لا يُعدّ ولا يُحصى فرأى فيها من التنعّم ما ليس لاحد مثله فمن جملة ذلك انّ بيت الطهارة الذى كان له فيه سلسلة ذهب من السقف الى محاذى وجه القاعد على الخلا وفى اسفلها كرة كبيرة ذهب مخرّمة محشوة بالمسك والعنبر ليشمّها اذا قعد فتشبّث انسان وقطعها ودخل بعض الصعاليك فاخذ عدّة اكياس مملوّة دنانير وكان الاقويا قد وقفوا على الباب ياخذون ما يخرج به الناس فلمّا اخذ ذلك الصعلوك الاكياس قصد المطبخ فاخذ منه قدرًا مملوّة طبيخًا والقى الاكياس فيها وحملها على راسه والناس يضحكون منه فيقول انا اريد شيأً اطعمه عيالى اليوم فنجا بما معه فاستغنى بعد ذلك فظهر المال ولم يبق من نعمة قطب الدين فى ساعة واحدة قليل ولا كثير ، ولمّا خرج من البلد تبعه تمامش وجماعة من الامرآء فنهبت دورهم ايضًا وأُخذت اموالهم واحرق اكثرها وسار قطب الدين الى الحلّة ومعه الامرآء فسيّر الخليفة اليه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ فلم يزل به يخدعه حتى سار عن الحلّة الى الموصل على البرّ فلحقه ومن معه عطش عظيم فهلك اكثرهم من شدّة الحرّ والعطش

ومات قطب الدين قبل وصوله الى الموصل فحُمل ودُفن بظاهر باب العمادى وقبره مشهور هناك ، وهذا عاقبة عصيان الخليفة وكفران الاحسان والظلم وسوء التدبير فانّه ظلم اهل العراق وكفر احسان الخليفة الذى كان قد غمره ولو اقام بالحلّة وجمع العساكر وعاود بغداد لاستولى على الامور كلّها كما كان فانّ عامّة بغداد كانوا يريدونه وكان قوى بالاحسان على البلاد فاطاعوه ، ولمّا مات فى ذى الحجّة وصل علاء الدين تنامش الى الموصل فاقام مُدَيدة ثم امره الخليفة بالقدوم الى بغداد فعاد اليها وبقى بها الى ان مات بغير اقطاع وكان هذا اخر امره ، ولمّا اقام قطب الدين بالحلّة امتنع الحاجّ من السفر فتاخّروا الى ان رحل عنها فدخلوا من الكوفة فى ثمانية عشر يومًا وهذا ما لم يُسمع بمثله وفات كثير منهم الحجّ ، ولمّا هرب قطب الدين خلع الخليفة على عضد الدين الوزير واعيد [الى] الوزارة قال بعض الشعراء فى قطب الدين وتنامش هذه الابيات

ان كنت معتبرًا بمُلك زايل وحوادث عنقيّة الادلاج

فدع العجايب والتواريخ الاولى وانظر الى قيماز وابن تاج

عطف الزمان عليهما فسقاهما من كاسه صرفًا بغير مزاج

فتبدّلوا بعد العصور وظلّها ونعيمها بمهامه وفجاج

فليحذر الباقون من امثالها نكبات دهر خاين مزعاج

وكان قطب الدين كريمًا طلق الوجه مُحبًّا للعدل والاحسان كثير البذل للمال والذى كان جرى منه انّما كان يحمله عليه تنامش ولم يكن بارادته ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة مات زعيم الدين صاحب المخزن واسمه يحيى بن عبد الله بن محمّد بن المعمّر بن جعفر ابو الفضل وحجّ بالناس عدّة سنين واليه الحكم فى الطريق وتاب عن الوزارة وتنقّل فى هذه الاعمال اكثر من عشرين سنة وكان يحفظ القران ❁

ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسماية ، سنة ٥٧١

ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين

فى هذه السنة عاشر شوّال كان المصافّ بين سيف الدين غازى

ابن مودود وبين صلاح الدين يوسف ابن ايّوب بتلّ السلطان على مرحلة من حلب على طريق حماة وانهزم سيف الدين وسبب ذلك انّه لمّا انهزم اخوه عزّ الدين مسعود من صلاح الدين فى العام الماضى وصالح سيف الدين اخاه عماد الدين صاحب سنجار عاد [الى] الموصل وجمع عساكر وفرّق فيهم الاموال واستنجد صاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما فاجتمعت معه عساكر كثيرة بلغت عدّتهم ستّة الاف فارس فسار الى نصيبين فى ربيع الاوّل من هذه السنة واقام بها فاطال المقام حتّى انقضى الشتآء وهو مقيم فضجر العسكر ونفدت نفقاتهم وصار العود الى بيوتهم مع الهزيمة احبّ اليهم من الظفر لما يتوقّعونه ان ظفروا من طول المقام بالشام بعد هذه المدّة ثمّ سار الى حلب فنزل اليه سعد الدين كمشتكين الخادم مدبّر دولة الملك الصالح ومعه عساكر حلب. وكان صلاح الدين فى قلّة من العساكر لانّه كان صالح الفرنج فى المحرّم من هذه السنة على ما نذكره ان شآء الله وقد سيّر عساكر الى مصر فارسل يستدعيها فلو عاجوه لبلغوا غرضهم منه لكنهم تريّثوا وتاخّروا عنه فجآته عساكره فسار من دمشق الى ناحية حلب ليلقى سيف الدين فالتقى العسكران بتلّ السلطان وكان سيف الدين قد سبقه فلمّا وصل صلاح [الدين] كان وصوله العصر وقد تعب هو واصحابه وعطشوا فالقوا نفوسهم الى الارض ليس فيهم حركة فاشار على سيف الدين جماعة بقتالهم وهم على هذا الحال فقال زلغندار ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجى فى هذه الساعة غدا بكرة ناخذهم كلّهم فترك القتال الى الغد فلمّا اصبحوا اصطفّوا للقتال فجعل زلغندار وهو المدبّر للعسكر السيفىّ اعلامهم فى وهدة من الارض لا يراها الّا مَن هو بالقرب منها فلمّا لم يرها الناس ظنّوا انّ السلطان قد انهزم فلم يثبتوا وانهزموا ولم يلو اخٌ على اخيه ولم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد ووصل سيف الدين الى حلب وترك بها اخاه عزّ الدين مسعودا فى جمع من العسكر ولم يُقم هو وعبر الفراة وسار الى الموصل وهو لا يصدّق انّه ينجو وظنّ انّ صلاح الدين يعبر الفراة ويقصده بالموصل فاستشار وزيره جلال الدين ومجاهد الدين قايماز فى مفارقة الموصل

والاعتصام بقلعة عقر[1] الحميديّة فقال له مجاهد الدين ارايت ان ملكت الموصل عليك انقدر ان تمتنع ببعض ابراج الفصيل فقال لا فقال بُرج فى الفصيل خير من العقر[1] وما زال الملوك ينهزمون ويعاودون الحرب واتّفق هو والوزير على شدّ ازره وتقوية قلبه فثبت ثم اعرض عن زلفندار وعزله واستعمل مكانه على امارة الجيوش مجاهد الدين قايماز على ما نذكره ان شآء الله وقد ذكر العماد الكاتب فى كتاب البرق الشامىّ فى تاريخ الدولة الصلاحيّة انّ سيف الدين كان عسكره فى هذه الوقعة عشرين الف فارس ولم يكن كذلك انّما كان على التحقيق يزيدون على ستّة الاف فارس اقلّ من خمسمائة فانّنى وقفتُ على جريدة العرض وترتيب العسكر للمصافّ ميمنة وميسرة وقلبًا وجاليشية وغير ذلك وكان المتولّى لذلك والكاتب له اخى مجد الدين ابا السعادات المبارك بن محمّد بن عبد الكريم رحمه الله وانّما قصد العماد ان يعظم امر صاحبه بانّه هزم بستّة الاف عشرين الفًا والحقّ احقّ ان يتبع ثم يا ليت شعرى كم هى الموصل واعمالها الى الفراة حتّى يكون لها وفيها عـــشـــريـــن الـــف فارس ❁

ذكر ما ملكه صلاح الدين بعد الكسرة من بلاد الصالح بن نور الدين

لمّا انهزم سيف الدين وعسكره ووصلوا الى حلب عاد سيف الدين الى الموصل كما ذكرناه وترك بحلب اخاه عزّ الدين مسعودًا فى طايفة من العسكر نجدة للملك الصالح وامّا صلاح الدين فانّه لمّا استولى على اثقال العسكر الموصلىّ هو وعسكره وغنموها واتّسعوا بها وقووا سار الى بزاعة فحصرها وقاتله مَن بالقلعة ثم تسلّمها وجعل فيها مَن يحفظها وسار الى مدينة منبج فحصرها اخر شوّال وبها صاحبها قطب الدين ينّال ابن حسّان المنبجىّ وكان شديد العداوة لصلاح الدين والتحريض عليه والاطماع فيه والطعن فيه فصلاح الدين حنقٌ عليه متهدّدٌ له فامّا المدينة فملكها ولم تمتنع عليه وبقى القلعة وبها صاحبها قد جمع اليها الرجال والسلاح والذخاير فحصره صلاح الدين وضيّق عليه وزحف

1) عقد

الى القلعة فوصل النقّابون الى السور فنقبوها وملكوها عنوةً وغنم العسكر الصلاحىّ كلّ ما فيها واخذ صاحبها اسيرًا فاخذ صلاح الدين كلّ ما له واصبح فقيرًا لا يملك نقيرًا ثمّ اطلقه صلاح الدين فسار الى الموصل فاقطعه سيف الدين غازى مدينة الرقّة ولمّا فرغ صلاح من منبج سار الى قلعة اعزاز فنازلها ثالث ذى القعدة من السنة وهى من احصن القلاع وامنعها فنازلها وحصرها واحاط بها وضيّق على مَن فيها ونصب عليها المنجنيقات وقُتل عليها كثير من العسكر فبينما صلاح الدين يومًا فى خيمة لبعض امرآيه يقال له جاولى وهو مقدّم الطايفة الاسديّة اذ وثب عليه باطنىّ فضربه بسكين فى راسه فجرحه فلو لا انّ المغفر الزرد كان تحت القلنسوة لقتله فامسك صلاح الدين يد الباطنىّ بيده الّا انّه لا يقدر على منعه من الضرب بالكلّية انّما يضرب ضربًا ضعيفًا فبقى الباطنىّ يضربه فى رقبته بالسكين وكان عليه كزاغند فكانت الضربات تقع فى زيق الكزاغند فتقطعه والزرديّة تمنعها من الوصول الى رقبته لبُعد اجله فجآء امير من امرآيه اسمه بازكش فامسك السكين بكفّه فجرحه الباطنىّ ولم يطلقها من يده الى ان قُتل الباطنىّ وجآء اخر من الاسماعيليّة فقُتل ايضًا وثالث فقُتل وركب صلاح الدين الى خيمته كالمذعور لا يُصدق بنجاته ثمّ اعتبر جنده فمَن انكره ابعده ومَن عرفه اقرّه على خدمته ولازم حصار اعزاز ثمانية وثلاثين يومًا كلّ يوم اشدّ قتالاً ممّا قبله وكثرت النقوب فيها فاذعن مَن بها وسلّموا القلعة اليه فتسلّمها حادى عشر ذى الحجّة ✿

ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب والصلح عليها

لمّا ملك صلاح الدين قلعة اعزاز رحل الى حلب فنازلها منتصف ذى الحجّة وحصرها وبها الملك الصالح ومَن معه من العساكر وقد قام العامّة فى حفظ البلد القيام المرضى بحيث انّهم منعوا صلاح الدين من القرب من البلد لانّه كان اذا تقدّم للقتال خسر هو واصحابه وكثر الجراح فيهم والقتل وكانوا يخرجون ويقاتلونه ظاهر البلد فترك القتال واخلد المطاولة وانقضت سنة احدى وسبعين ودخلت سنة اثنتين وسبعين وهو محاصرٌ لها ثمّ تردّدت الرسل بينهم فى الصلح فى العشرين

من المحرّم فوقعت الاجابة اليه من الجانبين لانّ اهل حلب خافوا من طول الحصار فانّهم ربّما ضجروا وضعفوا وصلاح الدين راى انّه لا يقدر على الدنوّ من البلد ولا على قتال مَن به فاجاب ايضًا وتقرّرت القاعدة فى الصلح للجميع للملك الصالح ولسيف الدين صاحب الموصل ولصاحب الحصن ولصاحب ماردين وتحالفوا واستقرّت القاعدة ان يكونوا كلّهم عونًا على الناكث الغادر فلمّا انفصل الامر رحل عن حلب بعد ان اعاد قلعة اعزاز الى الملك الصالح فانّه اخرج [اليه] صلاح الدين أُختًا له صغيرة طفلة فاكرمها صلاح الدين وحمل لها شيًا كثيرًا وقال لها ما تريدين قالت اريد قلعة اعزاز وكانوا قد علّموها ذلك فسلّمها اليهم ورحل الى بلد الاسماعيليّة ✿

ذكر الفتنة بمكّة وعزل اميرها واقامة غيره

فى هذه السنة فى ذى الحجّة كان بمكّة حرب شديدة بين امير الحاجّ طاشتكين وبين الامير مكثر ابن عيسى امير مكّة وكان الخليفة قد امر امير الحاجّ بعزل مكثر واقامة اخيه داود مقامه وسبب ذلك انّه كان قد بنى قلعة على جبل ابى قبيس فلمّا سار الحاجّ عن عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة وانّما اجتازوا بها فلم يرموا الجار انّما بعضهم رمى بعضها وهو ساير ونزلوا الابطح فخرج اليهم ناس من اهل مكّة فحاربوهم وقُتل من الفارقيّن جماعة وصاح الناس الغزاة الى مكّة فهجموا عليها فهرب امير مكّة مكثر فصعد الى القلعة التى بناها على جبل ابى قبيس فحصروه بها ففارقها وسار عن مكّة وولى اخوه داود الامارة ونهب كثيرًا من الحاجّ واخذوا من اموال التجار المقيمين بها شيًا كثيرًا واحرقوا دورًا كثيرةً ومن العجب ما جرى فيها انّ انسانًا زرّاقًا ضرب دارًا بقارورة نفط فاحرقها وكانت لايتام فاحرقت ما فيها ثم اخذ قارورة اخرى ليضرب بها مكانًا اخر فاتاه حجر فاصاب القارورة فكسرها فاحترق هو بها فبقى ثلاثة ايّام يعذّب بالحريق[1] ثم مات ✿

ذكر عدّة حوادث

[1]) C. P. Ups.: بالحليق

فى هذه السنة فى شهر رمضان انكسفت الشمس جميعها واظلمت الارض حتّى بقى الوقت كانّه ليل مظلم وظهرت الكواكب وكان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة التاسع والعشرين منه وكنتُ حينئذ صبيًّا بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلمآء اقرأ عليه الحساب فلمّا رايتُ ذلك خفتُ خوفًا شديدًا وتمسّكتُ به فقوّى قلبى وكان عالمًا بالنجوم ايضًا وقال لى الأن ترى هذا جميعه فانصرف سريعًا ٭ وفيها ولّى الخليفة المستضئّ بامر الله حجبة الباب ابا طالب نصر ابن علىّ الناقد وكان يلقّب فى صغره قنبرًا فصار يصيحون به ذلك اذا ركب فامر الخليفة ان يركب معه جماعة من الاتراك ويمنعون الناس من ذلك فامتنعوا فلمّا كان قبل العيد خلع عليه ليركب فى الموكب فاشترى جماعة من اهل بغداد من القنابر شيًا كثيرًا وعزموا على ارسالها فى الموكب اذا راوا ابن الناقد فأُنهى ذلك الى الخليفة وقيل له يصير الموكب ضحكة فعزله وولّى ابن المعوّج ٭ وفيها فى ذى الحجّة يوم العيد وقعت فتنة ببغداد بين العامّة وبين الاتراك بسبب اخذ جمال النحر فقُتل بينهم جماعة ونُهب شئ كثير من الاموال ففرّق الخليفة اموالاً جليلة فيمن نُهب ماله ٭ وفيها زلزلت بلاد العجم من جهة العراق الى ما ورآء الرىّ وهلك فيها خلق كثير وتهدّمت دور كثيرة واكثر ذلك كان بالرىّ وقزوين ٭ وفيها فى ربيع الاخر استوزر سيف الدين غازى صاحب الموصل جلال الدين ابا الحسن بن جمال الدين محمّد بن علىّ وكان جمال الدين وزير البيت الاتابكىّ وقد تقدّمت اخباره وهو المشهور بالجود والافضال ولمّا ولى جلال الدين الوزارة ظهرت منه كفاية عظيمة ومعرفة تامّة بقوانين الوزارة وله مكاتبات وعهود حسنة مدوّنة مشهورة وكان جوادًا فاضلًا خيّرًا عمره لمّا ولى الوزارة خمسًا وعشرين سنة ٭ وفيها فى ذى الحجّة استناب سيف الدين ايضًا عنه بقلعة الموصل مجاهد الدين قايماز وفوّض اليه الامور وكان قبل ذلك اليه الامر بمدينة اربل واعمالها وكان رحمه الله من صالحى الامرآء وارباب المعروف بنى كثيرًا من الجوامع والخانات فى الطرق والقناطر على الانهار والربط وغير ذلك من ابواب البرّ وكان دايم الصدقة كثير الاحسان

عادل السيرة رحمه الله ، وفيها قبض الخليفة على سنجر المقتفوىّ استاذ الدار ورتّب مكانه ابا الفضل هبة الله بن علىّ بن هبة الله بن الصاحب ، وفيها فى رمضان قدم شمس الدولة تورانشاه ابن ايّوب الذى ملك اليمن الى دمشق لمّا سمع انّ اخاه صلاح الدين ملكها حنّ الى الوطن والاتراب ففارق اليمن وسار الى الشام وارسل من الطريق الى اخيه صلاح الدين يعلّمه بوصوله وكتب فى الكتاب شعرًا من قول ابن المنجّم المصرىّ

والى صلاح الدين اشكو انّنى	من بعده مضنى الجوانح مولعُ
جزعًا لبُعد الدار منه ولم اكن	لولا هواه لبعد دار اجزع
فلأركبنّ اليه متن عزايمى	ويخبّ فى ركب الغرام ويوسع
ولاقطعنّ من النهار هواجرًا	قلب النهار بحرّها يتقطّع
ولاسرينّ الليل لا يسرى به	طيف الخيال ولا البروق اللمّعُ
وأُقدّمنّ اليه قلبى مخبرًا	انى بجسمى من قريب اتبع
حتّى اشارف منه اسعد طلعة	من افقها صبح السعادة يطلع ،

وفى هذه السنة فى المحرّم برز صلاح الدين من دمشق وقد عظم شانه بما ملكه من بلاد الشام وبكسره عسكر الموصل فخافه الفرنج وغيرهم وعزم على دخول بلادهم ونهبه والاغارة عليه فارسلوا اليه يطلبون الهُدنة معه فاجابهم اليها وصالحهم فامر العساكر المصريّة بالعود الى مصر والاستراحة الى ان يعاود طلبهم وشرط عليهم انّه متى ارسل يستدعيهم لا يتاخّرون فساروا اليها واقاموا بها الى ان استدعاهم للحرب مع سيف الدين على ما ذكرناه ، وفيها مات ابو الحسن علىّ ابن عساكر البطايحىّ المقرى وكان قد سمع الحديث الكثير ورواه وكان نحويًا جيّدًا ، وفى ذى الحجّة منها توفّى ابو سعد محمّد بن سعيد بن محمّد بن الرزّاز سمع الحديث ورواه وله شعرٌ جيّدٌ فمن ذلك انّه كتب اليه بعض اصدقايه مكاتبة وضمّنها شعرًا فاجابه

يا مَن ايادية يغنى من يعدّدها	وليس يحصى مداها مَن لها يصفُ
عجزتُ عن شكر ما اوليتُ من كرم	وصرتُ عبدًا ولى فى ذلك الشرفُ
اهديتَ منظوم شعر كلّه درر	فكلّ ناظم عقد عنده يقفُ

اذا اتيت ببيت منه كان لنا   قصرًا ودرّ المعانى فوقه شُرُفُ
وان اتيتُ انا بيتًا يناقضه   اتيت لكن ببيت سقفه يكف
ما كنتُ منه ولا من اهله ابدًا   وانّما حين ادنو منه اقتطف ❁

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسماية ❁ سنة ٥٧٢

ذكر نهب صلاح الدين بلد الاسماعيليّة

لمّا رحل صلاح الدين من حلب على ما ذكرناه قبلُ قصد بلاد الاسماعيليّة فى المحرّم ليقاتلهم بما فعلوه من الوثوب عليه وارادة قتله فنهب بلدهم وخرّبه واحرقه وحصر قلعة مصيات وهى اعظم حصونهم واحصن قلاعهم فنصب عليها المنجنيقات وضيّق على من بها ولم يزل كذلك فارسل سنانٌ مقدّم الاسماعيليّة الى شهاب الدين الحارميّ صاحب حماة وهو خال صلاح الدين يسأله ان يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم ويقول له ان لم تفعل قتلناك وجميع اهل صلاح الدين وشفع فيهم وسال الصفح عنهم فاجابه الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم وكان عسكره قد ملّوا من طول البيكار وقد امتلات ايديهم من غنايم عسكر الموصل ونهب بلد الاسماعيليّة فطلبوا العود الى بلادهم للاستراحة فاذن لهم وسار هو الى مصر مع عسكرها لانّه كان قد طال عهده عنها ولم يمكنه المضى اليها فيما تقدّم خوفًا على بلاد الشام فلمّا انهزم سيف الدين وحصر هو حلب وملك بلادها واصطلحوا أُمن على البلاد فسار الى مصر وامر ببناء سور على مصر والقاهرة والقلعة التى على جبل المقطّم دوره تسعة وعشرون الف ذراع وثلثماية ذراع بالذراع الهاشميّ ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين ❁

ذكر ظفر للمسلمين بالفرنج وللفرنج بالمسلمين

كان شمس الدين محمّد بن عبد الملك ابن المقدّم صاحب بعلبكّ فاتاه خبرٌ انّ جمعًا من الفرنج قد قصدوا البقاع من اعمال بعلبكّ واغاروا عليها فسار اليهم وكمن لهم فى الشعرآء والغياض واوقع بهم وقتل فيهم واكثر واسر نحو مايتى رجل منهم وسيّرهم الى صلاح الدين وكان شمس الدولة تورانشاه اخو صلاح الدين وهو الذى

ملك اليمن قد وصل الى دمشق كما ذكرناه وهو فيها فسمع انّ طايفة من الفرنج قد خرجوا من بلادهم الى اعمال دمشق فسار اليهم ولقيهم [عند عين الجرفى تلك المروج فلم يثبت لهم وانهزم عنهم فظفروا][1] بجمع من اصحابه فأسروهم[2] منهم سيف الدين ابو بكر ابن السلار وهو من اعيان الجند الدمشقيّين واجترأ الفرنج بعدها وانبسطوا فى تلك الولاية وجبروا الكسر الذى ناله منهم ابن المقدّم ❁

ذكر عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين وعوده الى طاعته

فى هذه السنة عصى شهاب الدين محمّد ابن يزان صاحب شهرزور على سيف الدين غازى وكان فى طاعته وتحت حُكمه وكان سبب ذلك انّ مجاهد الدين قايماز كان متولّيا مدينة اربل وكان بينه وبين ابن يزان عداوة محكمة فلمّا استناب سيف الدين مجاهد الدين بالموصل خاف ابن يزان ان يناله منه اذّى فاظهر الامتناع من النزول الى الخدمة فارسل اليه جلال الدين وزير سيف الدين كتابًا يامره بمعاودة الطاعة ويحذّره عاقبة المخالفة وهو من احسن الكتب وابلغها فى هذا المعنى ولو لا خوف التطويل لذكرتُه فليطلب من مكاتباته فلمّا وصل اليه الكتاب والرسول بادر الى حضور الخدمة بالموصل وزال الخلف ❁

ذكر فرج بعد شدّة يتعلّق بالتاريخ

بالقرب من جزيرة ابن عمر حصن منيع من امنع المعاقل اسمه فنك وهو على راس جبل عال وهو للاكراد البشنويّة له بايديهم نحو ثلثمايّة سنة وكان صاحبه هذه السنة امير منهم اسمه ابراهيم وله اخ اسمه عيسى قد اخرج منه وهو لا يزال يسعى فى اخذه من اخيه ابراهيم فاطاعه بعض بطانة ابراهيم وفتح باب السرّ ليلاً واصعد منه الى راس القلعة نيّفًا وعشرين رجلاً فقبضوا على ابراهيم ومَن عنده ولم يكن عنده الّا نفر من خواصّه وهذه قُلّة على صخرة كبيرة مرتفعة عن ساير القلعة ارتفاعًا كثيرًا وبها يسكن الامير واهله وخواصّه وباقى الجند فى القلعة تحت القلّة فلمّا قبضوا ابراهيم جعلوه فى خزانة وضربه بعضهم

---

[2]) C. P. et 740. Ups.: اسروهم [1]) C. P. et 740.

بسيف فى يده على عاتقه فلم يصنع شيأً فلمّا جُعل فى الخزانة وُكّل به رجلين وصعد الباقون الى سطح القلّة ولا يشكّون انّ القلعة لهم لا مانع عنها ووصل من الغد بكرةً الامير عيسى ليتسلّم القلعة وبينهما دجلة وكانت امراة الامير ابراهيم فى خزانة اخرى وفيها شُبّاك حديد ثقيل يشرف الى القلعة فجذبته بيدها فانقلع وجند زوجها فى القلعة لا يقدرون على شئ فلمّا قلعت الشُبّاك ارادت ان تدلى حبلًا ترفع به الرجال اليها فلم يكن عندها غير ثياب خام فوصّلت بعضها ببعض ودلّتها الى القلعة وشدّدت طرفيها عندها فى عود فاصعدت اليها عشرة رجال ولم يكن براهم الذين على السطح وراى الامير عيسى وهو على جانب دجلة الرجال يصعدون فصاح هو ومن معه الى اوليك الذين على السطح ليحذروا وكان كلّما صاحوا صاح اهل القلعة لتختلف الاصوات فلا يفهم الذين على السطح فينزلون ويمنعون من ذلك فلمّا اجتمع عندها عشرة رجال ارسلت مع خادم عندها الى زوجها قدح شراب وامرته ان يقرب منه كانّه يسقيه الشراب ويُعرّفه الحال ففعل ذلك وجلس بين يديه ليسقيه وعرّفه الحال فقال ازدادوا من الرجال فاصعدت عشرين رجلًا وخرجوا من عندها فدّ ابراهيم يده الى الرجلَيْن الموكّلَيْن به فاخذ شعورهما وامر الخادم بقتلهما وكان عنده فقتلهما بسلاحهما فخرج واجتمع باصحابه وارادوا فتح القلعة ليصعد اليه اصحابه من القلعة فلم يجد المفاتيح كانت مع اوليك الرجال الذين على السطح فاضطرّوا الى الصعود الى سطح القلّة لياخذوا اصحاب عيسى فعلموا الحال فجآءوا ووقفوا على راس المرق فلم يقدر احدٌ يصعد فاخذ بعض اصحاب ابراهيم تُرسًا وجعله على راسه وحصل فى الدرجة وصعد وقاتل القوم على راس المرق حتّى صعد اصحابه فقتلوا الجماعة وبقى منهم رجل القى نفسه من السطح فنزل الى اسفل الجبل فتقطّع فلمّا راى عيسى ما حلّ باصحابه عاد خايبًا من مّا امله واستقرّ الامير ابراهيم فى قلعته على حاله ۞

ذكر نهب البَنْدنيجَيْن

فى هذه السنة وصل الملك الذى بخوزستان عند شملة وهو ابن ملكشاه بن محمود الى البندنيجَيْن فخرّبها ونهبها وفتك فى الناس وسبى

حربهم وفعل كلّ قبيح ووصل الخبر الى بغداد فخرج الوزير عضد الدين وعرض العسكر ووصل عسكر الحلّة وواسط مع طاشتكين امير الحاجّ وغرغلى وساروا نحو العدوّ فلمّا سمع بوصولهم فارق مكانه وعاد وكان معه من التركمان جمعٌ كثير فنهبهم عسكر بغداد ورجعوا من غير امرٍ بالعود فانكر عليهم ذلك وأُمروا بالعود الى مواقفهم فعادوا لاوايل شهر رمضان وقد رجع الملك فنهب من البندنيجَيْن ما كان سلم فى الاوّل ووقعت بينهم وبين الملك وقعة ثم افترقوا فمضى الملك وفارق ولاية العراق ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاول اقيمت الصلاة فى الجامع الذى بناه فخر الدولة ابن المطّلب بقصر المامون غربىّ بغداد ، وفيها امر صلاح الدين ببناء المدرسة التى على قبر الشافعىّ رضى الله عنه بمصر وعمل بالقاهرة بيمارستان ووقف عليهما الوقوف العظيمة الكبيرة ، وفيها رايت بالموصل خروفَين ببطن واحد وراسَين ورقبتَين وظهرَين وثمانى قوايم كانّهما خروفان ببطن واحد وجه احدهما الى وجه الاخر وهذا من العجايب ، وفيها انقضّ كوكب اضآت له الارض اضآة كثيرة وسُمع له صوت عظيم وبقى اثره فى السمآء مقدار ساعة وذهب ، وفيها توفّى تاج الدين ابو علىّ الحسن بن عبد الله ابن المظفّر بن رئيس الرؤسآء اخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة ، وفيها فى محرّم توفّى القاضى كمال الدين ابو الفضل محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورىّ قاضى دمشق وجميع الشام واليه الوقوف بها والديوان وكان جوادًا فاضلًا رئيسًا ذا عقل ومعرفة فى تدبير الدول رحمه الله ورضى عنه ✿

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسماية ، سنة ٥٧٣

ذكر انهزام صلاح الدين بالرملة

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار صلاح الدين يوسف ابن ايّوب من مصر الى ساحل الشام لقصد غزاة بلاد الفرنج وجمع معه عساكره وجنوده فلم يزالوا يجدّون السير حتّى وصلوا الى عسقلان فى الرابع والعشرين منه فنهبوا واسروا وقتلوا واحرقوا وتفرّقوا فى تلك

الاعمال مغيرين فلمّا رءاوا انّ الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم مَن يحمى البلاد من المسلمين طمعوا وانبسطوا وساحوا فى الارض آمنين ووصل صلاح الدين الى الرملة عازمًا على ان يقصد بعض حصونهم ليحصره فوصل الى نهر فازدحم الناس للعبور فلم يرعهم الّا والفرنج قد اشرفت عليهم باطلابها وابطالها وكان مع صلاح الدين بعض العسكر لانّ اكثرهم تفرّقوا فى طلب الغنيمة فلمّا رءاهم وقف لهم فيمَن معه وتقدّم بين يديه محمّد ابن اخى صلاح الدين فباشر القتال بنفسه بين يدى عمّه فقُتل من اصحابه جماعة وكذلك من الفرنج وكان لتقى الدين ولد اسمه احمد وهو من احسن الشباب اوّل ما تكاملت لحيته فامر ابوه بالحملة عليهم فحمل عليهم وقاتلهم وعاد سالمًا قد اثّر فيهم اثرًا كثيرًا فامره بالعودة اليهم ثانية فحمل عليهم فقُتل شهيدًا ومضى حميدًا رحمه الله ورضى عنه ، وكان اشدّ الناس قتالاً ذلك اليوم الفقيه عيسى رحمه الله وتمّت الهزيمة على المسلمين وحمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقاربه حتّى كاد يصل اليه فقُتل الفرنجىّ بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فمضى منهزمًا يسير قليلاً ويقف ليلحقه العسكر الى ان دخل الليل فسلك البرّيّة الى ان مضى فى نفر يسير الى مصر ولقوا فى طريقهم مشقّة شديدة وقلّ عليهم القوت والمآء وهلك كثير من دوابّ العسكر جوعًا وعطشًا وسرعة سير ، وامّا العسكر الذى كانوا دخلوا بلاد الفرنج فى الغارة فانّ اكثرهم ذهب ما بين قتيل واسير وكان من جملة من أُسر الفقيه عيسى الهكّارىّ وهو من اعيان الاسديّة وكان جمع العلم والدين والشجاعة وأُسر ايضًا اخوه الظهير وكانا قد سارا منهزمين فضلّا الطريق فأُخذا ومعهما جماعة من اصحابهما وبقوا سنين فى الاسر فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستّين الف دينار وجماعة كثيرة من الاسرى ووصل صلاح الدين الى القاهرة نصف جمادى الاخرة ورايتُ كتاباً كتبه صلاح الدين بخطّ يده الى اخيه شمس الدولة تورانشاه وهو يـذكـر الـوقـعـة وفى اوّله

ذكرتُك والخطّى يخطر بيننا وقد نهلت منّا المثقفة السمر

ويقول فيه لقد اشرفنا على الهلاك غير مرّة وما انجانا الله سبحانه منه الّا لامر يريد سبحانه، وما ثبتت الّا وفى نفسها امرٌ ۞

ذكر حصر الفرنج مدينة حماة

فى هذه السنة فى جمادى الاولى حصر الفرنج ايضًا مدينة حماة وسبب ذلك انّه وصل من البحر الى الساحل الشامىّ كُنْدٌ كبير من الفرنج من اكبر طواغيتهم فراى صلاح الدين بمصر قد عاد منهزمًا فاغتنم خلوّ البلاد لانّ شمس الدولة ابن ايّوب كان بدمشق ينوب عن صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان ايضًا كثير الانهماك فى اللذات مايلًا الى الراحات فجمع ذلك الكند الفرنجىّ مَن بالشام من الفرنج وفرّق فيهم الاموال وسار الى مدينة حماة فحصرها وبها صاحبها شهاب الدين محمود الحارمىّ خال صلاح الدين وهو مريض شديد المرض وكان طايفة من العسكر الصلاحىّ بالقرب منها فدخلوا اليها واغاثوا مَن بها وقاتل الفرنج على البلد قتالًا شديدًا وهجموا بعض الايّام على طرف منه وكادوا يملكون البلد قهرًا وقسرًا فاجتمع اهل البلد مع العسكر الى تلك الناحية واشتدّ القتال وعظم الخطب على الفريقَين واستقتل المسلمون وحاموا عن الانفس والاهل والمال فاخرجوا الفرنج من البلد الى ظاهره ودام القتال ظاهر البلد ليلًا ونهارًا وقويت نفوس المسلمين حين اخرجوهم من البلد وطمعوا فيهم واكثروا فيهم القتل فرحل الفرنج حينيًذ خايبين وكفى الله المسلمين شرّهم فساروا الى حارم فحصروها وكان مقامهم على حماة اربعة ايّام ولمّا رحل الفرنج عن حماة مات صاحبها شهاب الدين الحارمىّ وكان له ابنٌ من احسن الناس شبابًا مات قبله بثلاثة ايّام ۞

ذكر قتل كمشتكين وحصر الفرنج حارم

فى هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتكين وكان المتولّى لامر دولته والحاكم فيها وسبب قبضه انّه كان بحلب انسان من اعيان اهلها يقال له ابو صالح ابن العجمىّ وكان مقدّمًا عند نور الدين محمود فلمّا مات نور الدين تقدّم ايضًا فى دولة ولده الملك الصالح وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكّن لكثرة اتباعه بحلب

وصار كلّ مَن كان بحسد كمشتكين انضمّ الى صالح وقوّوا جنانه وكثّروا سواده وكان عنده اقدام وجُرْأةٌ فصار واحد الدولة بحلب ومَن يصدر الجاعة عن رايه وامره ، فبينما هو فى بعض الايّام فى الجامع وثب به الباطنيّة فقتلوه ومضى شهيدًا وتمكّن بعده سعد الدين وقوى حاله فلمّا قُتل احال الجاعة قتله على سعد الدين وقالوا هو وضع الباطنيّة عليه حتّى قتلوه وذكروا ذلك للملك الصالح ونسبوه الى العجز وانّه ليس له حكم وانّ سعد الدين قد تحكّم عليه واحتقره واستصغره وقتل وزيره ولم يزالوا به حتّى قبض عليه ، وكانت قلعة حارم لسعد الدين قد اقطعه ايّاها الملك الصالح فامتنع مَن بها بعد قبضه وتحصّنوا فيها فسُيّر سعد الدين اليها تحت الاستظهار ليامر اصحابه بتسليمها الى الملك الصالح فامرهم بذلك فامتنعوا فعذّب كمشتكين واصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات فى العذاب واصرّ اصحابه على الامتناع والعصيان فلمّا راى الفرنج ذلك ساروا الى حارم من حماة فى جمادى الاولى على ما نذكره ظنًّا منهم انّهم لا ناصر لهم وان الملك الصالح صبىٌّ قليل العسكر وصلاح الدين بمصر فاغتنموا هذه الفرصة ونازلوها واطالوا المقام عليها مدّة اربعة اشهر ونصبوا عليها المنجنيقات والسلالم فلم يزالوا كذلك الى ان بذل لهم الملك الصالح مالًا وقال لهم انّ صلاح الدين واصلٌ الى الشام وربّما يسلّم القلعة مَن بها اليه فاجابوا حينئذ الى الرحيل عنها فلمّا رحلوا عنها سيّر اليها الملك الصالح جيشًا فحصروها وقد بلغ الجهد منهم بحصار الفرنج وصاروا كانّهم طلايع وكان قد قُتل من اهلها وجُرح كثير فسلّموا القلعة الى الملك الصالح فاستناب بها مملوكًا كان لابيه اسمه سرخك ❀

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم خُطب للسلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه المقيم عند ايلدكز بهمدان وكان ابوه ارسلان قد توفّى ، وفيها سابع شوّال هبّت ببغداد ريح عظيمة فزلزلت الارض واشتدّ الامر على الناس حتّى ظنّوا انّ القيامة قد قامت فبقى ذلك ساعة ثمّ انجلت وقد وقع كثير من الدور ومات فيها جماعة كثيرة ،

وفيها رابع ذى القعدة قُتل عضد الدين ابو الفرج محمّد بن عبد الله بن هبة الله ابن المظفّر ابن رئيس الرؤساء ابى القسم بن المسلمة وزير الخليفة وكان قد عزم على الحجّ فعبر دجلة ليسير وعبر معه ارباب مناصب وهو فى موكب عظيم وتقدّم الى اصحابه ان لا يمنعوا عنه احدًا فلمّا وصل الى باب قطيبا لقيه كهل فقال انا مظلوم وتقدّم ليسمع الوزير كلامه فضربه بسكّين فى خاصرته فصاح الوزير قتلنى ووقع من الدابّة وسقطت عمامته فغطّى راسه بكمّه وضرب الباطنىّ بسيف وعاد الى الوزير فضربه واقبل حاجب الباب ابن المعوّج لينصر الوزير فضربه الباطنىّ بسكّين وقيل بل ضربه رفيق كان للباطنىّ ثمّ قُتل الباطنىّ ورفيقه وكان لهما رفيق ثالث فصاح وبيده سكّين فقُتل ولم يعمل شيأً وأُحرقوا ثلاثتهم وحُمل الوزير الى دار له هناك وحُمل حاجب الباب مجروحًا الى بيته فمات هو والوزير وحُمل الوزير فدُفن عند ابيه بمقبرة الرباط عند جامع المنصور وكان الوزير قد راى فى المنام انّه معانق عثمان بن [عفّان] وحكى عنه ولده انّه اغتسل قبل خروجه وقال هذا غسل الاسلام وانا مقتول بلا شكّ وكان مولده فى جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان ابوه استاذ دار المقتفى لامر الله فلمّا مات ولى هو مكانه فبقى كذلك الى ان مات المقتفى فاقرّه المستنجد على ذلك ورفع قدره فلمّا ولى المستضئ استوزره وكان حافظًا للقرآن سمع الحديث وله معروف كثير وكانت داره مجمعًا للعلماء وخُتمت اعماله بالشهادة وهو على قصد الحجّ ، وفيها كانت فتنة ببغداد وسببها انّه حضر قوم من مسلمى المداين الى بغداد فشكوا من يهودها وقالوا لنا مسجد نؤذن فيه ونصلّى وهو مجاور الكنيسة فقال لنا اليهود قد اذيتمونا بكثرة الاذان فقال المؤذن ما نُبالى بذلك فاختصموا وكانت فتنة استظهر فيها اليهود فجآء المسلمون يشكون منهم فامر ابن العطّار وهو صاحب المخزن بحبسهم ثمّ أُخرجوا فقصدوا جامع القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخفّف الخطيب الخطبة والصلاة فعادوا يستغيثون فاتاهم جماعة من الجند ومنعوهم فلمّا راى العامّة ما فُعل بهم غضبوا نصرة للاسلام فاستغاثوا وقالوا اشياء قبيحة وقلعوا طوابيق الجامع ورجموا الجند فهربوا ثمّ قصدوا

العامّة دكاكين المخلطين لأنّ اكثرهم يهود فنهبوها واراد حاجب الباب منعهم فرجموه فهرب منهم وانقلب البلد وخرّبوا الكنيسة التى عند دار البساسيرى واحرقوا التوراة وامر الخليفة ان تنقض الكنيسة التى بالمداين وتجعل مسجدًا ونُصب بالرحبة اخشابٌ ليُصلب عليها قوم من المفسدين فظنّتها العامّة نُصبت تخويفًا لهم لاجل ما فعلوا فعلّقوا عليها فى الليل جرذانًا ميتة وأُخرج جماعة من الحبس لصوص فصُلبوا عليها، وفيها فى شعبان قبض سيف الدين غازى صاحب الموصل على وزيره جلال الدين علىّ ابن جمال الدين لغير جرم ولا عجز ولا لتقصير بل لعجز سيف الدين فانّ جلال الدين كان بينه وبين مجاهد الدين قايماز مشاحنةٌ فقال مجاهد الدين لسيف الدين لا بُدَّ من قبض الوزير فقبض عليه كارهًا لذلك ثم شفع فيه ابن نيسان آمد لصهورة بينهما فاخرج وسار الى آمد فمرض بها وعاد الى دُنيسر فمات سنة خمس وسبعين وعمره سبع وعشرون سنة وحُمل الى مدينة النبىّ صلّعم فدُفن عند والده فى الرباط الذى بناه بها وكان رحمه الله من محاسن الدنيا جمع كرمًا وعلمًا ودينًا وعفة وحسن سيرة واستخلفه سيف الدين انّه لا يمضى الى صلاح الدين لانّه خاف ان يمضى اليه للمودّة التى كانت بين جمال الدين وبين نجم الدين ايّوب واسد الدين شيركوه فبلغنى انّ صلاح الدين طلبه فلم يقصده لليمين، وفيها اجتمع الفرنج طايفة منهم وقصدوا اعمال حمص فنهبوها وغنموا واسروا وسبوا فسار ناصر الدين محمّد ابن شيركوه صاحب حمص وسبقهم ووقف على طريقهم وكمن لهم فلمّا وصلوا اليه خرج اليهم هو والكمين ووضعوا السيف فيهم فقُتل اكثرهم وأُسر جماعة من مقدّميهم ومَن سلم منهم لم يُفلت الّا وهو مُثخن بالجراح واستردّ منهم جميع ما غنموا فردّه على اصحابه، وفيها فى ربيع الاخر توفّى صدقة بن الحسين الحدّاد الذى ذيّل تاريخ الزاغونىّ ببغداد، وفيها فى جمادى الاولى توفّى محمّد بن احمد بن عبد الجبّار الفقيه الحنفىّ المعروف بالمشطّب ببغداد ✿

سنة ٥٧٤ ثم دخلت سنة اربع وسبعين وخمسماية ،

ذكر قصد الفرنج مدينة حماة ايضًا

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار جمع كثير من الفرنج بالشام الى مدينة حماة وكثر جمعهم من الفرسان والرجّالة طمعًا فى النهب والغارة فشنّوا الغارة ونهبوا وخرّبوا القرى واحرقوا واسروا وقتلوا فلمّا سمع العسكر المقيم بحماة ساروا اليهم وهم قليل متوكّلين على الله تعالى فالتقوا واقتتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى وانهزم الفرنج وكثر القتل والاسر فيهم واستردّوا ما غنموه من السواد وكان صلاح الدين قد عاد من مصر الى الشام فى شوّال من السنة المتقدّمة وهو نازل بظاهر حمص فحملت الروس والاسرى والاسلاب اليه فامر بقتل الاسرى فقتلوا ☆

ذكر عصيان ابن المقدّم على صلاح الدين وحصر بعلبكّ واخذ البلد منه

فى هذه السنة عصى شمس الدين محمّد بن عبد الملك المقدّم على صلاح الدين ببعلبكّ وكانت له قد سلّمها اليه صلاح الدين لمّا فتحها جزآء له حيث سلّم اليه ابن المقدّم دمشق على ما سبق ذكره فلم تزل بيده الى الآن فطلب شمس الدولة محمّد ابن ايّوب اخو صلاح الدين منه بعلبكّ والحّ عليه فى طلبها لانّ تربيّته ومنشاه كان بها وكان يحبّها ويختارها على غيرها من البلاد وكان الاكبر فلم يمكن صلاح الدين مخالفته فامر شمس الدين بتسليمها الى اخيه ليعوضه عنها فلم يجب الى ذلك وذكّره العهود التى له وما اعتمده معه من تسليم البلاد اليه فلم يصْغ اليه والحّ فى اخذها وسار ابن المقدّم اليها واعتصم بها فوجّه اليه صلاح الدين [عسكرًا] وحصره بها مدّة[1] ثم رحل عنها من غير ان ياخذها وترك عليه عسكرًا يحصره فلمّا طال عليه الحصار ارسل الى صلاح الدين يطلب العوض عنها ليسلّمها اليه فعوّضه عنها وسلّمها فاقطعها صلاح الدين اخاه شمس الدولة ☆

ذكر الغلآء والوبآء العامّ

---

[1]) Ups. addit: فلم

فى هذه السنة انقطعت الامطار بالكلّية فى ساير البلاد الشاميّة والجزيرة والعراقيّة والديار بكريّة والموصل وبلاد الجبل وخلاط وغير ذلك واشتدّ الغلآء وكان عامًّا فى ساير البلاد فبيعت الغرارة الحنطة بدمشق وهى اربعة عشر مكّوكًا بالموصلىّ بعشرين دينارًا صوريّة عُتق وكان الشعير بالموصل كلّ ثلاث مكاكى بدينار اميرىّ وفى ساير البلاد ما يناسب ذلك واستسقى الناس فى اقطار الارض فلم يُسْقوا وتعذّرت الاقوات واكلت الناس الميتة وما ناسبها ودام كذلك الى اخر سنة خمس وسبعين ثمّ تبعه بعد ذلك وبآءٌ شديدٌ عامٌّ ايضًا كثر فيه الموت وكان مرض الناس شيئًا واحدًا وهو السرسام وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى الّا انّ بعض البلاد كان اشدّ من البعض ثمّ انّ الله تعالى رحم العباد والبلاد والدوابّ وارسل الامطار وارخص الاسعار ، ومن عجيب ما رايتُ انّنى قصدتُ رجلًا من العلمآء الصالحين بالجزيرة لاسمع عليه شيئًا من حديث النبىّ عم فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين والناس فى اشدّ ما كانوا غلآءً وقنوطًا من الامطار وقد توسّط الربيع ولم تجى قطرة واحدة من المطر فبينا انا جالس ومعى جماعة ننتظر الشيخ واذ قد اقبل انسان تركمانىّ قد اثّر عليه الجوع وكانّه قد أُخرج من قبر فبكى وشكى الجوع فارسلتُ مَن يشترى له خبزًا فتاخّر احضاره لعدمه وهو يبكى ويتمرّغ على الارض ويشكو الجوع فلم يبق فينا الّا مَن بكى رحمةً له وللناس فتغيّمت السمآء وجآءت نقطٌ من المطر متفرّقة فضجّ الناس واستغاثوا ثمّ جآء الخبز فاكل التركمانىّ بعضه واخذ الباقى ومشى واشتدّ المطر ودام المطر من تلك الليلة ❊

ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين

فى هذه السنة فى ذى القعدة اجتمع الفرنج وساروا الى بلد دمشق مع ملكهم فاغاروا على اعمالها فنهبوها واسروا وقتلوا وسبوا فارسل صلاح الدين فرخشاه ولد اخيه فى جمع من العسكر اليهم وامره انّه اذا قاربهم يرسل اليه يُخبره على جناح طاير ليسير اليه وتقدّم اليه ان يامر اهل البلاد بالانتزاح من بين يدى الفرنج فسار فرخشاه فى عسكره يطلبهم فلم يشعر الّا والفرنج قد خالطوه فاضطرّ الى القتال

فاقتتلوا اشدّ قتال رءاه الناس والقى فرخشاه نفسه عليهم وغشى الحربَ ولم يكلها الى سواه فانهزم الفرنج ونُصر المسلمون عليهم وقتل من مقدّميهم جماعة ومنهم هنفرى وما ادراك ما هنفرى كان يُضرب به المثل فى الشجاعة والراى فى الحرب وكان بلآء صبّه الله على المسلمين فاراح الله من شرّه وقتل غيره من اضرابه ولم يبلغ عسكر فرخشاه الف فارس ٠ وفيها ايضًا اغار البرنس صاحب انطاكيّة ولاذقيّة على جشير المسلمين بشيزر واخذه واغار صاحب طرابلس على جمع كثير من التركمان فاجتحف اموالهم وكان صلاح الدين على بانياس على ما نذكره ان شآء الله فسيّر ولد اخيه تقى الدين عُمر الى حماة وابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه الى حمص وامرهما بحفظ البلاد وحياطة اطــرافــهــا من الــعــدوّ رحــمــهم الله تــعــالى ٭

ذكــر عــدّة حــوادث

ليلة النصف من ربيع الاخر انكسف القمر نحو ثلث الليل الاخير وغاب مكسفًا ٠ وفيها ايضًا فى التاسع والعشرين انكسفت الشمس وقت العصر فغربت منكسفة ٠ وفى هذه السنة فى شعبان توفّى الحيص بيص الشاعر واسمه سعد بن محمّد بن سعد ابو الفوارس وكان قد سمع الحديث ومدح الخلفآء والسلاطين والاكابر وشعره مشهور فمنه قوله

كلّما اوسعت حلمى جاهلًا ... اوسع الفحش له فحش المقال
واذا شــاردة فــهْــتُ بــهــا ... سبقتْ مرَّ النعامى والشمال
لا تــلُــمْــنى¹ فى شقآءى بالــعُــلَى ... رغــد الــعــيــش لربات الحــجــال
ســيــفُ عــزٍّ زانــه رونــقــه ... فَهْوَ بالطبع غنىٌّ عن صقال ٠

وفى المحرّم ماتت شهدة بنت احمد بن عمر بن الابَرىّ² وسمعت الحديث من السرّاج وطرّاد وغيرهما وعمّرت ﻫ قاربت مائة سنة وسمع عليها خلق كــثــيــر الحــديــث لــعُــلــوّ اســنــادهــا ٭

سنة ٥٧٥ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمايةٍ ٠

ذكر تخريب الحصن الذى بناه الفرنج عند مخاضة الاحزان

¹) C. P. يلمنى ²) الابرى

كان الفرنج قد بنوا حصنًا منيعًا يقارب بانياس عند بيت يعقوب عمّ بمكان يعرف بمخاضة الاحزان فلمّا سمع صلاح الدين بذلك سار من دمشق الى بانياس واقام بها وبثّ الغارات على بلاد الفرنج ثمّ سار الى الحصن وحصره ليختبره ثمّ يعود اليه عند اجتماع العساكر فلمّا نازل الحصن قاتل مَن به من الفرنج ثمّ عاد عنه فلمّا دخلت سنة خمس وسبعين لم يفارق بانياس بل اقام بها وخيله تغير على بلاد العدوّ وارسل جماعة من عسكره مع جالبى الميرة فلم تشعر الّا والفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم فارسلوا الى صلاح الدين يُعرّفونه الخبر [فسار][1] فى العساكر مجدًّا [حتّى][2] وافاهم وهم فى القتال فقاتل الفرنج قتالًا شديدًا وحملوا على المسلمين عدّة حملات كادوا يزيلونهم عن مواقفهم ثمّ انزل الله نصره على المسلمين وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم فريدًا وأُسر منهم كثير منهم ابن بيرزان صاحب الرملة ونابلس وهو اعظم الفرنج محلًّا بعد الملك واسروا ايضًا اخا صاحب جبيل وصاحب طبريّة ومقدّم الداويّة ومقدّم الاسباتاريّة وصاحب جينين وغيرهم من مشاهير فرسانهم وطواغيتهم فامّا ابن بيرزان فانّه فدا نفسه بمائة الف وخمسين الف دينار صوريّة واطلاق الف اسير من المسلمين وكان اكثر العمل فى هذه اليوم لعزّ الدين فرخشاه ابن اخى صلاح الدين وحكى عنه قال ذكرتُ فى تلك الحال بيتى المتنبىّ وهما

فان تكن الدولات قسمًا فانّها لمن يرد الموت الزؤام تؤول

ومن هوّن الدنيا على النفس ساعة وللبيض فى هام الكماة صليل

فهان الموت فى عينى فالقيتُ نفسى اليه وكان ذلك سبب الظفر ثمّ عاد صلاح الدين الى بانياس من موضع المعركة وتجهّز للدخول الى ذلك الحصن ومحاصرته فسار اليه فى ربيع الاوّل واحاط به وقوى طمعه بالهزيمة المذكورة فى فتحه وبثّ العساكر فى بلد الفرنج للاغارة ففعلوا ذلك وجمعوا من الاخشاب والزرجون شيأً كثيرًا ليجعله متارس للمنجنيقات فقال له جاولى الاسدىّ وهو مقدّم الاسديّة و[من] اكابر الامرآء الراى انّنا

---

[2]) C. P. [1]) C. P. Ups.: فوافاهم

تجرّبهم بالزحف اوّل مرّة ونذوق قتال من به وننظر لحال معهم فان استضعفناهم والّا فنصب المنجنيقات ما يفوت فقبل رايه وامر فنودى بالزحف اليه والجدّ فى قتاله فزحفوا واشتدّ القتال وعظم الامر فصعد انسان من العامّة بقميص خلق فى باشورة الحصن وقاتل على السور لمّا علاه وتبعه غيره من اضرابه ولحق بهم الجند فلكوا الباشورة فصعد الفرنج حينئذ منها الى اسوار الحصن ليحموا نفوسهم وحصنهم الى ان ياتيهم المدد وكان الفرنج قد جمعوا بطبريّة فالحّ المسلمون فى قتال الحصن خوفًا من وصول الفرنج اليهم وازاحتهم عنه وادركهم الليل فامر صلاح الدين بالمبيت بالباشورة الى الغد ففعلوا فلمّا كان الغد اصبحوا نقبوا الحصن وعمّقوا النقب واشعلوا النيران فيه وانتظروا سقوط السور فلم يسقط لعرضه فانّه كان تسعة اذرع بالنجّارى يكون الذراع ذراعًا ونصفًا فانتظروه يومين فلم يسقط فامر صلاح الدين باطفآء النار التى فى النقب فحُمل المآء والقى عليها فطفيت وعاد النقّابون فنقبوا وخرقوا السور والقوا فيه النار فسقط يوم الخميس لست بقين من ربيع الاوّل ودخل المسلمون الحصن عنوةً واسروا كلّ من فيه واطلقوا من كان به من اسارى المسلمين وقتل صلاح الدين كثيرًا من اسرى الفرنج وادخل الباقين الى دمشق فسجنوا واقام صلاح الدين بمكانه حتّى هدم الحصن وعفّى اثره والحقه بالارض وكان قد بذل الفرنج ستّين الف دينار مصريّة ليهدموه بغير قتال فلم يفعلوا ضنًّا منهم انّه اذا فرغوا بناه تمكّنوا به من كثير من بلاد الاسلام واما الفرنج فاجتمعوا بطبريّة ليحموا الحصن فلمّا اتاهم الخبر باخذه فتّ فى اعضادهم فتفرّقوا الى بلادهم واكثر الشعرآء فيه فمن ذلك قول صديقنا النّشو ابن نفادة[1] رحمه الله

هلاك الفرنج اتى عاجلًا وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها لما عمّرت بيت احزانها

وقول على بن محمّد الساعاتى الدمشقىّ

اتسكن اوطان النبيّين عصبة تميز لدى ايمانها[2] وهى تحلف

---

[1]) C. P. Ups.: نفادة [2]) C. P. Ups.: يمين ارى ايمانها

نصحتكُمُ والنصح للدين واجب   ذروا بيت يعقوب فقد جآء يوسف ٭

ذكر الحرب بين عسكر صلاح الدين وعسكر قلج ارسلان

فى هذه السنة كان الحرب بين عسكر صلاح الدين يوسف ابن ايّوب ومقدّمهم ابن اخيه تقى الدين عُمر بن شاهنشاه بن ايّوب وبين عسكر الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب بلاد قونيّة واقصرا وسببها انّ نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر رحمه الله كان قد اخذ قديمًا من قلج ارسلان حصن رعبان وكان بيد شمس الدين ابن المقدّم الى الآن فطمع فيه قلج ارسلان بسبب انّ الملك الصالح بحلب بينه وبين صلاح الدين فارسل اليه مَن يحصره فاجتمع عليه جمع كثير يقال كانوا عشرين الفًا فارسل اليهم صلاح الدين تقى الدين فى الف فارس فواقعهم وقتلهم وهزمهم واصلح حال تلك الولاية وعاد الى صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الاحزان فكان يفتخر ويقول هزمتُ بالف مقاتل عشرين الفًا ٭

ذكر وفاة المستضئ بامر الله وخلافة الناصر لدين الله

فى هذه السنة فى ثانى ذى القعدة توفّى الامام المستضئ بامر الله امير المومنين ابو محمّد الحسن بن يوسف المستنجد رضى الله عنه وأُمّه امّ ولد ارمنيّة تدعى غضّة وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة اشهر وكان مولده سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة وكان عادلاً حسن السيرة فى الرعيّة كثير البذل للاموال غير مبالغ فى اخذ ما جرت العادة باخذه وكان الناس معه فى امن عامّ واحسان شامل وطمانينة وسكون لم يروا مثله وكان حليمًا قليل المعاقبة على الذنوب محبًّا للعفو والصفح عن المذنبين فعاش حميدًا ومات سعيدًا رضى الله عنه فلقد كانت ايّامه كما قيل

كانّ ايّامه من حُسن سيرته   مواسم الحجّ والاعياد والجُمَعُ

ووزرآؤه عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤسآء الى ان قُتل فى ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ولمّا قُتل حكم فى الدولة ظهير الدين ابو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطّار وكان خيّرًا حسن السيرة كثير العطآء وتمكّن تمكُّنًا كثيرًا فلمّا مات المستضئ قام ظهير

الدين ابن العطّار فى اخذ البيعة لولده الناصر لدين الله امير المومنين فلمّا تمّت البيعة صار لحاكم فى الدولة استاذ الدار مجد الدين ابا الفضل ابن الصاحب وفى سابع ذى القعدة قبض على ابن العطّار ظهير الدين ووُكّل عليه فى داره ثمّ نُقل الى التاج وقُيّد ووُكّل به وطُلبت ودايعه وامواله وفى ليلة الاربعآء ثامن عشر ذى القعدة أُخرج ميّتًا على راس حمّال سرًّا فغمز به بعض الناس فثار به العامّة فالقوه عن راس لحمّال وكشفوا سَوْءته وشدّوا فى ذكره حبلاً وسحبوه فى البلد وكانوا يضعوا بيده مغرفة يعنى انّها قلم وقد غمسوها فى العذرة ويقول وقّعْ لنا يا مولانا الى غير هذا من الافعال الشنيعة ثمّ خُلّص من ايديهم ودُفن هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفّه عن اموالهم واعراضهم ء وسُيّرت الرسل الى الافاق لاخذ البيعة فسيّر صدر الدين شيخ الشيوخ الى البهلوان صاحب همذان واصفهان والرىّ وغيرها فامتنع من البيعة فراجعه صدر الدين واغلظ له فى القول حتّى انّه قال لعسكره فى حضرته لهذا عليكم طاعة ما لم يبايع امير المومنين بل يجب عليكم أن تخلعوه من الامارة وتقاتلوه فاضطرّ الى البيعة ولخطبة وارسل الى رضى الدين القزوينىّ مدرّس النظاميّة الى الموصل لاخذ البيعة فبايع صاحبها وخطب للخليفة الناصر لدين الله فى السنة ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة هبّت ريح سودآء مظلمة بالديار الجزريّة والعراق وغيرها وعمّت اكثر البلاد من الظهر الى ان مضى من الليل رُبعه وبقيت الدنيا مظلمة لا يكاد الانسان يبصر صاحبه وكنتُ حينئذ بالموصل فصلّينا العصر والمغرب والعشآء الاخرة على الظنّ والتخمين واقبل الناس على التضرّع والتوبة والاستغفار وظنّوا انّ القيامة قد قامت فلمّا مضى مقدار ثُلث الليل زال ذلك الظلام والعتمة التى غطت السمآء فنظرنا فراينا النجوم فعلمنا مقدار ما مضى من الليل لانّ الظلام لم يزدَدْ بدخول الليل وكان كلّ من يصل من جهة من الجهات يخبر بمثل ذلك ء وفيها فى ذى القعدة نزل شمس الدولة اخو صلاح الدين عن بعلبكّ وطلب عوضًا عنها الاسكندريّة فاجابه صلاح الدين الى ذلك

واقطع بعلبك لعزّ الدين فرخشاه ابن اخيه فسار اليها وجمع اصحابه واغار على بلاد الفرنج حتّى وصل الى قلعة صفد وهى مطلّة على طبرية فسبى واسر وغنم وخرّب وفعل فى الفرنج افاعيل عظيمة ، وامّا شمس الدولة فانّه سار الى مصر واقام بالاسكندريّة واذا اراد الله ان يقبض رجلاً بارض جعل له اليها حاجة فانّه اقام بها الى ان مات بها ، وفيها قارب الجامع الذى بناه مجاهد الدين قايماز بظاهر الموصل من جهة باب الجسر الفراغ واقيمت فيه الصلوات الخمس والجمعة وهو من احسن الجوامع ، وفيها توفّى احمد بن عبد الرحمن الصوفىّ شيخ رباط الزوزنىّ وسمع الحديث وكان يصوم الدهر ، وعبد الحقّ بن عبد الخالق ابن يوسف سمع الحديث ورواه وهو من بيت الحديث ، والقاضى عمر بن علىّ بن الخضر ابو الحسن الدمشقىّ سمع الحديث ورواه وولى قضاء الحريم ، وعلىّ بن احمد اليزيدى سمع الحديث الكثير وله وقف كُتُب كثيرة ببغداد وكان زاهدًا خيّرًا صالحًا ومحمّد بن علىّ حمزة بن علىّ الاقساسىّ نقيب العلويّين بالكوفة وكان ينشد كثيرًا

رُبّ قوم فى خلايقهم　　　غُرَرٌ قد صُيّروا غُرَرًا
سَتَر المال القبيح لهم　　　سَتَرى ان زال ما سَتَرا ،

ومحمّد بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن سديد الدولة الانبارىّ كاتب الانشآء بعد ابيه ، وابو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الدامغانىّ الفقيه كان مناظرًا حسن المناظرة كثير العبادة ودُفن عند قبر ابى حنيفة ﴿

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسماية ، سنة ٥٧٦

ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل وولاية اخيه عزّ الدين بعده

فى هذه السنة ثالث صفر توفّى سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وديار الجزيرة وكان مرضه السلّ وطال به ثم ادركه فى اخره سرسام ومات ومن عجيب ما يُحكى انّ الناس خرجوا سنة خمس وسبعين يستسقون لانقطاع الغيث وشدّة الغلآء وخرج سيف الدين فى موكبه فثار به الناس وقصدوه بالاستغاثة وطلبوا منه ان يامر بالمنع من بيع الخمر فاجابهم الى ذلك فدخلوا البلد وقصدوا

مساكن الخمّارين وخرّبوا ابوابها ودخلوها ونهبوها واراقوا ما بها من خمور وكسروا الظروف وعملوا ما لا يحلّ فاستغاث اصحاب الدور الى نوّاب السلطان وخصّوا بالشكوى رجلًا من الصالحين يقال له ابو الفرج الدقّاق ولم يكن فى الذى فعله العامّة من النهب وما لا يجوز فعله انّما هو اراق الخمور ونهى العامّة عن الذى يفعلونه فلم يسمعوا منه فلمّا شكا الخمّارون منه احضر بالقلعة وضرب على راسه فسقطت عمامته فلمّا اطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الراس فارادوا تغطيته بعمامته فلم يفعل وقال والله لا غطّيتُ راسى حتّى ينتقم الله لى ممّن ظلمنى فلم يمض غير ايّام حتّى توفّى الزردار الذى تولّى اذاه ثم بعقبه مرض سيف الدين واستمرّ الى ان مات وعمره حينئذ نحو ثلاثين سنة، وكانت ولايته عشرة سنين وثلاثة اشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تمّ القامة ابيض اللون وكان عاقلًا وقورًا قليل الالتفات اذا ركب واذا جلس عفيفًا لم يذكر عنه ما يُنافى العفة وكان غيورًا شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدم الصغار فاذا كبر احدهم منعه وكان لا يحبّ سفك الدماء ولا اخذ الاموال على شحّ فيه وجُبن ولمّا اشتدّ مرضه اراد ان يعهد بالملك لابنه معزّ الدين سنجر شاه وكان عمره حينئذ اثنى عشر سنة فخاف على الدولة من ذلك لانّ صلاح الدين يوسف ابن ايّوب كان قد تمكّن بالشام وقوى امره وامتنع اخوه عزّ الدين مسعود بن مودود من الاذعان لذلك والاجابة إليه فاشار الامرآء الاكابر ومجاهد الدين قايماز بان يجعل الملك بعده فى عزّ الدين اخيه لما هو عليه من كبر السنّ والشجاعة والعقل وقوّة النفس وان يعطى ابنيه بعض البلاد ويكون مرجعهما الى عزّ الدين عمّهما والمتولّى لامرهما مجاهد الدين قايماز ففعل ذلك وجعل المُلك فى اخيه واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجر شاه وقلعة عقر[1] الحميديّة لولده الصغير ناصر الدين كسك[2]، فلمّا توفّى سيف الدين ملك بعده الموصل والبلاد اخوه عزّ الدين وكان المدبّر للدولة مجاهد الدين وهو الحاكم فى الجميع واستقرّت الامور ولم يختلف اثنان ۞

[1]) عقد [2]) C. P. كمك

ذكر مسير صلاح الدين لحرب قلج ارسلان

في هذه السنة سار صلاح الدين يوسف ابن ايّوب من الشام الى بلاد قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهي ملطيّة وسيواس وما بينهما وقونيّة ليحاربه وسبب ذلك انّ نور الدين محمّد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر كان قد تزوّج ابنة قلج ارسلان المذكور وبقيت عنده مدّة ثمّ انّه احبّ مغنّية فتزوّجها ومال اليها وحكمت في بلاده وخزائنه واعرض عن ابنة قلج ارسلان وتركها نسيًا منسيًا فبلغ اباها الخبر فعزم على قصد نور الدين واخذ بلاده فارسل نور الدين الى صلاح الدين يستجير به ويسأله كفّ يد قلج ارسلان عنه فارسل صلاح الدين الى قلج ارسلان في المعنى فاعاد الجواب انّنى كنتُ قد سلّمتُ الى نور الدين عدّة حصون تجاور بلاده لمّا تزوّج ابنتى فحيث آل الامر معه الى ما يعلمه فانا اريد ان يُعيد الىّ ما اخذه منّى وتردّدت الرسل بينهما فلم يستقرّ حالٌ فيهما فهادن صلاح الدين الفرنج وسار في عساكره وكان الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين محمود بها فتركها ذات اليسار وسار على تلّ باشر الى رعبان فاتاه بها نور الدين محمّد واقام عنده فلمّا سمع قلج ارسلان بقربه منه ارسل اليه اكبر امير عنده ويقول له انّ هذا الرجل فعل مع ابنتى كذا ولا بُدّ من قصد بلاده وتعريفه محلّ نفسه فلمّا وصل الرسول واجتمع بصلاح الدين وادّى الرسالة امتعض صلاح الدين لذلك واغتاظ وقال للرسول قُلْ لصاحبك والله الذى لا اله الّا هو لئِن لم يرجع لأسيرنّ الى ملطيّة وبينى وبينها يومان ولا انزل عن فرسى الّا في البلد ثمّ اقصد جميع بلاده واخذها منه، فرأى الرسول امرًا شديدًا فقام من عنده وكان قد رأى العسكر وما هو عليه من القوّة والتجمّل وكثرة السلاح والدوابّ وغير ذلك ليس عنده ما يقاربه فعلم انّه إن قصدهم اخذ بلادهم فارسل اليه من الغد يطلب ان يجتمع به فاحضره فقال له اريد ان اقول شيأً من عندى ليس رسالة عن صاحبى واحبُّ ان تنصفنى فقال له قُلْ قال يا مولانا ما هو قبيح بمثلك وانت من اعظم السلاطين واكبرهم شانًا ان تسمع الناس عنك

انّك صالحتَ الفرنج وتركتَ الغزو ومصالح المملكة واعرضتَ عن كلّ ما فيه صلاح لك ولرعيّتك وللمسلمين عامّة وجمعتَ العساكر من اطراف البلاد البعيدة والقريبة وسرْتَ وخسرتَ انت وعساكرك الاموال العظيمة لاجل قحبة مغنّية ما يكون عذرك عند الله تعالى ثمّ عند الخليفة وملوك الاسلام وكافّة العالم واحسب انّ احدًا ما يواجهك بهذا اما يعلمون انّ الامر هكذا ثمّ احسب انّ قلج ارسلان مات وهذه ابنته قد ارسلتْني اليك تستجيرك وتسألك ان تنصفها من زوجها فان فعلت فهو الظنّ بك ان تردّها ، فقال والله الحقّ بيدك وانّ الامر لكمّا تقول ولكن هذا الرجل دخل عليّ واستجار بى ويقبح بى تركه لكنّك انت اجتمع به واصلح الحال بينكم على ما تحبّون وانا اعينكم عليه واقبّح فعله ووعد من نفسه بكلّ جميل فاجتمع الرسول بصاحب الحصن وتردّد القول بينهم فاستقرّ انّ صاحب الحصن يخرج المغنّية عنه بعد سنة وان كان لا يفعل ينزل صلاح الدين عن نصرته ويكون هو وقلج ارسلان عليه واصطلحوا على ذلك وعاد صلاح الدين عنه الى الشام وعاد نور الدين الى بلاده فلمّا انقضت المدّة اخرج نور الدين المغنّية عنه فتوجّهت الى بغداد واقامت بها الى ان ماتت ❊

ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمنيّ

وفيها قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمنيّ بعد فراغه من امر قلج ارسلان وسبب ذلك انّ ابن ليون الارمنيّ كان قد استمال قوماً من التركمان وبذل لهم الاموال فامرهم ان يرعوا مواشيهم فى بلاده وهى بلاد حصينة كلّها حصون منيعة والدخول اليها صعب لانّها مضايق وجبال وعرة ثمّ غدر بهم وسبا حريمهم واخذ اموالهم واسر رجالهم بعد ان قتل منهم مَن حان اجله ونزل صلاح الدين على النهر الاسود وبثّ الغارات على بلاده فخاف ابن ليون على حصن له على راس جبل ان يوخذ فخرّبه واحرقه فسمع صلاح الدين بذلك فاسرع السير اليه فادركه قبل ان ينقل ما فيه من ذخاير واقوات فغنمها وانتفع المسلمون بما غنموه فارسل ابن ليون يبذل اطلاق مَن عنده من الاسرى والسبى واعادة اموالهم على ان يعودوا عن بلاده فاجابه صلاح الدين الى ذلك

واستقرّ الحال واطلق الاسرى واعيدت اموالهم وعاد صلاح الدين عنه في جمادى الاخرة ٥

ذكر ملك يوسف ابن عبد المؤمن مدينة قفصة بعد خلاف صاحبها عليه

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن الى افريقية وملك قفصة وكان سبب ذلك انّ صاحبها عليّ بن المعزّ بن المعتزّ لمّا راى دخول الترك الى افريقية واستيلاءهم على بعضها وانقياد العرب اليهم طمع ايضًا في الاستبداد والانفراد عن يوسف كان في طاعته فاظهر ما في نفسه وخالفه واظهر العصيان ووافقه اهل قفصة فقتلوا كلّ من كان عندهم من الموحّدين اصحاب ابي يعقوب وكان ذلك في شوّال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فارسل والي بجاية الى يوسف ابن عبد المؤمن يخبره باضطراب امور البلاد واجتماع كثير من العرب الى قراقوش التركيّ الذي دخل الى افريقية وقد تقدّم ذكر ذلك وما جرى في قفصة من قتل الموحّدين ومساعدة اهل قفصة صاحبهم على ذلك فشرع في سدّ الثغور التي يخافها بعد مسيره فلمّا فرغ من جميع ذلك تجهّز العسكر وسار الى افريقية سنة خمس وسبعين ونزل على مدينة قفصة وحصرها ثلاثة اشهر وهي بلد حصينة واهلها انجاد وقطع شجرها فلمّا اشتدّ الامر على صاحبها واهلها خرج منها مستخفيًا لم يعرف به احد من اهل قفصة ولا من عسكره وسار الى خيمة يوسف وعرّف حاجبه انّه قد حضر الى امير المومنين يوسف فدخل الحاجب واعلم يوسف بوصول صاحب قفصة الى باب خيمته فعجب منه كيف اقدم على الحضور عنده بغير عهد وامر بادخاله عليه فدخل وقبّل يده وقال قد حضرتُ اطلب عفو امير المومنين عنّي وعن اهل بلدي وان يفعل ما هو اهله واعتذر فرقّ له يوسف فعفى عنه وعن اهل البلد وتسلّم المدينة اوّل سنة ستّ وسبعين وسيّر عليّ بن المعزّ صاحبها الى بلاد المغرب فكان فيها مكرّمًا عزيزًا واقطعه ولاية كبيرة ورتّب يوسف لقفصة طايفة من اصحابه الموحّدين وحضر مسعود بن زمام امير العرب عند يوسف ايضًا فعفى عنه وسيّره الى مرّاكش وسار يوسف الى المهديّة فاتاه بها رسول ملك الفرنج صاحب صقليّة يلتمس منه الصلح فهادنه

عشر سنين وكانت بلاد افريقية مجدبة فتعذر على العسكر القوت وعلف الدوابّ فسار الى المغرب مسرعًا والله اعلم ۞

ذكــر عــدّة حــوادث

فى هذه السنة توفّى شمس الدولة تورانشاه ابن ايّوب اخو صلاح الدين الاكبر بالاسكندريّة وكان قد اخذها من اخيه اقطاعًا فاقام بها فتوفّى وكان له اكثر بلاد اليمن ونوّابه هنالك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل وكان اجود الناس واسخاهم كفًّا يُخرج كلّ ما يحمل اليه من اموال اليمن ودخل الاسكندريّة وحكمه فى بلاد اخيه صلاح الدين وامواله نافذ ومع هذا فلمّا مات كان عليه نحو مائتَىْ الف دينار مصريّة دين فوفاها اخوه صلاح الدين عنه لمّا دخل الى مصر فانّه لمّا بلغه خبر وفاته سار الى مصر فى شعبان من السنة واستخلف بالشام عزّ الدين فرخشاه ابن اخيه شاهنشاه وكان عاقلًا حازمًا شجاعًا ، وفيها توفّى ابو طاهر احمد بن محمّد بن سلفة الاصفهانىّ بالاسكندريّة وكان حافظ الحديث وعالمًا به سافر فى طلب الكثير ، وتوفّى ايضًا فى المحرّم علىّ بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوىّ ببغداد وسمع الحديث وكان من اصحاب ابن الجواليقىّ ۞

ثمّ دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمأية ، سنة ٥٧٧

ذكر غزاة الى بلد الكرك من الشام

فى هذه السنة سار فرخشاه نايب صلاح الدين بدمشق الى اعمال كرك ونهبها وسبب ذلك انّ البرنس ارناط صاحب الكرك كان من شياطين الفرنج ومردتهم واشدّهم عداوةً للمسلمين فتجهّز وجمع عسكره ومن امكنه الجمع وعزم على المسير فى البرّ الى تيْمآء ومنها الى مدينة النبىّ صلّعم للاستيلاء على تلك النواحى الشريفة فسمع عزّ الدين فرخشاه ذلك فجمع العساكر الدمشقيّة وسار الى بلده ونهبه وخرّبه وعاد الى طرف بلادهم واقام بها ليمنع البرنس من المسلمين فامتنع من مقصده فلمّا طال مقام كلّ واحد منهما فى مقابلة الاخر علم البرنس انّ المسلمين لا يعودون حتّى تفرّق جمعه وانقطع طمعه من الحركة فعاد فرخشاه الى دمشق وكفى الله المومنين شرّ الكفار ۞

ذكر تلبيس ينبغى ان يحتاط من مثله

كان سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الكنانىّ ينوب عن شمس الدولة اخى صلاح الدين باليمن وتحكّم فى الاموال والبلاد بعد ان فارقها شمس الدولة كما ذكرنا وكان هواه بالشام لانّه وطنه فارسل الى شمس الدولة يطلب الاذن له فى المجئ اليه فاذن له فى المجئ فاستناب بزبيد اخاه حطّان بن كامل بن منقذ الكنانىّ وعاد الى شمس الدولة وكان معه بمصر فمات شمس الدولة وبقى مع صلاح الدين فقيل عنه انّه اخذ اموال اليمن وادّخرها وسعى به اعدآؤه فلم يعارضه صلاح الدين فلمّا كان هذه السنة وصلاح الدين بمصر اصطنع سيف الدولة طعامًا وعمل دعوة كبيرة ودعى اليها اعيان الدولة الصلاحيّة بقرية تسمّى العدوية وارسل اصحابه يتجهّزون من البلد ويشترون ما يحتاجون اليه من الاطعمة وغيرها فقيل لصلاح الدين انّ ابن منقذ يريد الهرب واصحابه يتزوّدون له ومتى دخل اليمن اخرجه عن طاعتك فارسل صلاح الدين فاخذه والناس عنده وحبسه فلمّا سمع صلاح الدين جليّة الحال علم انّ الحيلة تمّت لاعدآيه فى قبضه فخفّف ما كان عنده وسهل امره وصانعه على ثمانين الف دينار مصريّة سوى ما لحقها من الحمل لاخوة صلاح الدين واصحابه واطلقه واعاده الى منزلته وكان اديبًا شاعرًا ۞

ذكر ارسال صلاح الدين العساكر الى اليمن

فى هذه السنة سيّر صلاح الدين جماعة من امرآيه منهم صارم الدين قُتلغ ابه والى مصر الى اليمن للاختلاف الواقع بها بين نوّاب اخيه شمس الدولة وهم عزّ الدين عثمان بن الزنجبيلىّ[1] والى عدن وحطّان ابن منقذ [والى][2] زبيد وغيرهما فانّه لمّا بلغهم وفاة صاحبهم اختلفوا وجرت بين عزّ الدين عثمان وبين حطّان حرب وكلّ واحد منهما يروم ان يغلب الاخر على ما بيده واشتدّ الامر فخاف صلاح الدين ان يطمع اهل البلاد فارسل هولآء الامرآء اليها واستولى قتلغ ابه على زبيد وازال حطّان عنها ثمّ مات قتلغ ابه فعاد حطّان الى امارة زبيد واطاعه الناس لجوده وشجاعته ۞

[1]) C. P.: الزنجبيلى 740: الرحيلى [2]) C. P. et 740.

[ذكر وفاة الملك الصالح وملك ابن عمّه عزّ الدين مسعود مدينة حلب [1]

في هذه السنة في رجب توفّى الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو تسع عشرة سنة ولمّا اشتدّ مرضه وصف له الاطبّا شرب الخمر للتداوى فقال لا افعل حتّى استفتى الفقهآء فاستفتى فافتاه فقيه من مدرّسى الحنفية بجواز ذلك فقال له ارايتَ ان قدّر الله تعالى بقرب الاجل ايوخره شرب الخمر فقال [له] [2] الفقيه لا فقال والله لا لقيتُ الله سبحانه وقد استعملتُ ما حرمه علىّ ولم يشربه فلمّا ايس من نفسه احضر الامرآء وساير الاجناد ووصاهم بتسليم البلد الى ابن عمّه عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى واستحلفهم على ذلك فقال له بعضهم انّ عماد ابن عمّك ايضًا وهو زوج اختك وكان والدك يحبّه ويوثره وهو تولّى تربيّته وليس له غير سنجار فلو اعطيته البلد لكان اصلح وعزّ الدين له [من البلاد] [3] من الفرات الى همذان ولا حاجة به الى بلدك، فقال له انّ هذا لم يغب عنّى ولكن قد علمتم انّ صلاح الدين قد تغلّب على عامّة بلاد الشام سوى ما بيدى ومتى سلّمتُ حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها واب [4] ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقام وان [4] سلّمتُها الى عزّ الدين امكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده فاستحسنوا قوله وعجبوا من جودة فطنته [5] مع شدّة مرضه وصغر سنّه، ثمّ مات وكان حليمًا [6] كريمًا عفيف اليد والفرج واللسان ملازمًا للدين لا يعرف له شئ ممّا يتعاطاه الملوك والشباب من شرب خمر او غيره حسن السيرة في رعيّته عادلًا فيهم ولمّا قضا نحبه ارسل الامرآء الى اتابك عزّ الدين يستدعونه الى حلب فسار هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات وارسل احضر الامرآء عنده من حلب فحضروا وساروا جميعًا الى حلب ودخلها في العشرين من شعبان وكان صلاح الدين حينئذ بمصر ولولا ذلك لزاحمهم عليها وقاتلهم فلمّا اجتاز في طريقه اليها من الفرات كان تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين بمدينة منبج فسار عنها هاربًا [7] الى

[1]) Hoc caput, quod in Ups. deest, e C. P. et 740 additum est.
[2]) 740. [3]) 740. [4]) 740: ومتى [5]) 740: رايه [6]) 740: جوادا [7]) 740: مفارقا

حماة وثار اهل حماة ونادوا بشعار عز الدين فاشار عسكر حلب على عزّ الدين بقصد دمشق واطمعوه فيها وفى غيرها من بلاد الشام واعلموه محبّة اهلها له ولاهل بيته فلم يفعل وقال بيننا يمين فلا نغدر به واقام بحلب عدّة شهور ثم سار عنها الى الرقة ۞

ذكر تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضًا عنها

لمّا دخل عزّ الدين الى الرقة جاءته رسل اخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب ان يسلّم اليه حلب ويأخذ عوضًا عنها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولجّ عماد الدين فى ذلك وقال ان سلّمتم الىّ حلب والّا سلّمتُ انا سنجار الى صلاح الدين فاشار حينئذ جماعة من الامرآء بتسليمها اليه وكان اشدّهم فى ذلك مجاهد الدين قيماز فلم يمكن عزّ الدين مخالفته لتمكّنه فى الدولة وكثرة عساكره وبلاده وانّما حمل مجاهد الدين على ذلك خوفه من عزّ الدين لانّه عظم فى نفسه وكثر معه العسكر وكان الامرآء الحلبيّون لا يلتفتون الى مجاهد الدين ويسلكون معه من الادب ما يفعله عسكر الموصل فاستقرّ الامر على تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضًا عنها فسار عماد الدين فتسلّمها وسلّم سنجار الى اخيه وعاد الى الموصل ، وكان صلاح الدين بمصر قد بلغه خبر مُلك عزّ الدين حلب فعظم الامر عليه وخاف ان يسير منها الى دمشق وغيرها ويملك الجميع وايس من حلب فلمّا بلغه مُلك عماد الدين لها برز من مصر من يومه وسار الى الشام وكان من الوهن على دولة عزّ الدين ما نذكره ان شآء الله ۞

ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة ومصير صاحبها مع صلاح الدين

كانت قلعة البيرة وهى مطلّة على الفراة من ارض الجزيرة لشهاب الدين الارتقىّ وهو ابن عمّ قطب الدين ايلغازى ابن البى ابن تمرتاش بن ايلغزى بن ارتق صاحب ماردين وكان فى طاعة نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام فات شهاب الدين وملك القلعة بعده ولده[1] وصار فى طاعة عزّ الدين مسعود صاحب الموصل فلمّا كان هذه السنة

1) Post ولده Cod. 740 et Ups. addunt اسمه cum spatio vacuo.

ارسل صاحب ماردين الى عزّ الدين يطلب منه ان ياذن له فى حصر البيرة واخذها فاذن له فى ذلك فسار فى عسكره الى قلعة سميساط وهى له ونزل بها وسيّر العسكر الى البيرة فحصرها فلم يظفر منها بطائل الّا انّهم لازموا الحصار فارسل صاحبها الى صلاح الدين وقد خرج من ديار مصر على ما نذكره يطلب منه ان ينجده ويرحّل العسكر الماردانىّ عنه ويكون هو فى خدمته كما كان ابوه فى خدمة نور الدين فاجابه الى ذلك وارسل رسولًا الى صاحب ماردين يشفع فيه ويطلب ان يرحّل عسكره عنه فلم يقبل شفاعته واشتغل صلاح الدين بما نذكره من الفرنج فلمّا راى صاحب ماردين طول مقام عسكره على البيرة ولم يبلغوا منها غرضًا امرهم بالرحيل عنها وعاد الى ماردين فسار صاحبها الى صلاح الدين وكان معه حتّى عبر معه الفراة على ما نذكره ان شآء الله تعالى ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كثرت المنكرات ببغداد فاقام حاجب الباب جماعة لاراقة الخمور واخذ المفسدات فبينما امراة منهنّ فى موضع علمت بمجىء اصحاب حاجب الباب فاضطجعت واظهرت انّها مريضة وارتفع انينها فرءاوها على تلك الحال فتركوها وانصرفوا فاجتهدت بعدهم ان تقوم فلم تقدر وجملت تصيح الكرب الكرب الى ان ماتت وهذا من اعجب ما يُحكَى ٭ وفيها عاشر ذى الحجّة توفّى الامير همام الدين تتر[1] صاحب قلعة تكريت بالمزدلفة كان قد استخلف الامير عيسى ابن اخى مودود وحجّ فتوفّى ودُفن بالمصلّى مقبرة مكّة ٭ وفيها فى شعبان توفّى عبد الرحمن ابن محمّد بن ابى سعيد ابو البركات النحوى المعروف بابن الانبارىّ ببغداد وله تصانيف حسنة فى النحو وكان فقيهًا صالحًا ٭ وفيها توفّى ابراهيم بن محمّد بن مهران الفقيه الشافعىّ بجزيرة ابن عمر وكان فاضلًا كثير الورع ٭

سنة ٥٧٨ ثمّ دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ٭

ذكر مسير صلاح الدين الى الشام واغارته على الفرنج

[1]) 740. Ups.: تمر

في هذه السنة خامس المحرّم سار صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب ما يُحكى من التطيُّر انه لمّا برز من القاهرة اقام بخيمته حتى تجتمع العساكر والناس عنده واعيان دولته والعلمآء وارباب الاداب فمن بين مودع له وساير معه وكلّ منهم يقول شيًّا في الوداع والفراق وما هم بصدده من السفر وفي الحاضرين معلّم لبعض اولاده فاخرج راسه من بين الحاضرين وانشد

تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

فانقبض صلاح الدين بعد انبساطه وتطيّر وتنكّد المجلس على الحاضرين فلم يَعُد اليها الى ان مات مع طول المدّة ، ثم سار عن مصر وتبعه من التجار واهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام بسبب الغلآء بالشام وغيره عالم كثير فلمّا سار جعل طريقه على ايلة فسمع ان الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدّوه عن المسير فلمّا قارب بلادهم سيّر الضعفآء والاثقال مع اخيه تاج الملوك بوري الى دمشق وبقى هو في العساكر المقاتلة لا غير فشنّ الغارات باطراف بلادهم واكثر ذلك ببلد الكرك والشوبك فلم يخرج اليه منهم احد ولا قدم على الدنوّ منه ثم سار فاتى دمشق فوصلها حادى عشر صفر من السنة ☆

ذكر مُلك المسلمين شقيفًا من الفرنج

في هذه السنة ايضًا في صفر فتح المسلمون بالشام شقيفًا من الفرنج يعرف بحبس جلدك وهو من اعمال طبريّة مطلّ على السواد وسبب فتحه انّ الفرنج لمّا بلغهم مسير صلاح الدين من مصر الى الشام جمعوا له وحشدوا الفارس والراجل واجتمعوا بالكرك بالقرب من الطريق لعلّهم ينتهزون فرصةً او يظفرون بنصرة وربّما عاقوا المسلمين عن المسير بان يقفوا على بعض المضايق فلمّا فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع فرخشاه الخبر فجمع مَن عنده من عساكر الشام ثم قصد بلاد الفرنج واغار عليها ونهب دبُوريّة وما يجاورها من القرى واسر الرجال وقتل واكثر وسبى النسآء وغنم الاموال وفتح منهم الشقيف وكان على المسلمين منه اذى شديد ففرح المسلمون بفتحه فرحًا عظيمًا وارسل الى صلاح الدين بالبشارة فلقيه في الطريق ففتّ ذلك في عضد الفرنج وانكسرت شوكتهم ☆

ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن وتغلّبه عليه

فى هذه السنة سيّر صلاح الدين اخاه سيف الاسلام طغدكين الى بلاد اليمن وامره بتملّكها وقطع الفتن بها وفوّض اليه امرها وكان بها حطّان بن منقذ كما ذكرناه قُبيل وكتب عزّ الدين عثمان الزنجيبلىّ متولّى عدن الى صلاح الدين يعرّفه باختلال البلاد ويشير بارسال بعض اهله اليها لانّ حطّان كان قوى عليه فخافه عثمان فجهّز صلاح الدين اخاه سيف الاسلام وسيّره الى بلاد اليمن فوصل الى زبيد فخافه حطان ابن منقذ واستشعر منه وتحصّن فى بعض القلاع فلم يزل به سيف الاسلام يؤمّنه ويهدى اليه ويتلطّفه حتّى نزل اليه فاحسن صحبته واعتمد معه ما لم يكن يتوقّعه من الاحسان فلم يثق حطان به وطلب منه دستورًا ليقصد الشام فامتنع من اجابته اظهارًا للرغبة فى كونه عنده فلم يزل حطّان يراجعه حتّى اذن له فاخرج اثقاله وامواله ودوابّه واهله واصحابه وكلّ ما له وسيّر الجميع بين يديه فلمّا كان الغد دخل الى سيف الاسلام ليودّعه فقبض عليه واسترجع جميع ماله فاخذه عن اخره لم يسلم منه قليل ولا كثير ثمّ سجنه فى بعض القلاع وكان اخر العهد به فقيل انّه قتله، وكان فى جملة ما اخذ منه من الاموال الذهب العين فى سبعين غلاف زرديّة مملوّة ذهبًا عينًا، وامّا عزّ الدين عثمان الزنجيبلىّ فانّه لمّا سمع ما جرى على حطّان خاف فسار نحو الشام خايفًا يترقّب وسيّر معظم امواله فى البحر فصادفهم مراكب فيها اصحاب سيف الاسلام فاخذوا كلّ ما لعزّ الدين ولم يبق له الّا ما صحبه فى الطريق وصفت زبيد وعدن وما معهما من البلاد لسيف الاسلام ۞

ذكر اغارة صلاح الدين على الغور وغيره من بلاد الفرنج واعمالها

لمّا وصل صلاح الدين الى دمشق كما ذكرناه اقام ايّامًا يُريح ويستريح هو وجنده ثمّ سار الى بلاد الفرنج فى ربيع الاوّل فقصد طبريّة فنزل بالقرب منها وخيّم فى الاقحوانة من الاردن وجاءت الفرنج بجموعها فنزلت بطابريّة فسيّر صلاح الدين فرخشاه ابن اخيه الى

بيسان[1] فدخلها قهرًا وغنم ما فيها وقتل وسبى وجّهف الغور غارةً شعواء فعمّ اهله قتلًا واسرًا وجآت العرب فاغارت على جينين واللاجون وتلك الولاية حتّى قاربوا مرج عكّا وسار الفرنج من صفورية فنزلوا تحت جبل كوكب فتقدّم صلاح الدين اليهم وارسل العساكر عليهم يرمونهم بالنشاب فلم يبرحوا ولم يتحرّكوا لقتال فامر ابنَى اخيه تقى الدين عمر وعزّ الدين فرخشاه فحملا على الفرنج فيمن معهما فقاتلوا قتالًا شديدًا ثمّ انّ الفرنج انحازوا على حاميتهم[2] فنزلوا غفربلا[3] فلمّا رأى صلاح الدين ما قد اثخن فيهم وفى بلادهم عاد عنهم الى دمشق ✿

ذكر حصر بيروت

ثمّ انّه سار عن دمشق الى بيروت فنهب بلدها وكان قد امر الاسطول المصرىّ بالمجىّ فى البحر اليها فساروا ونازلوها واغاروا عليها وعلى بلدها وسار صلاح الدين فوافاهم ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عدّة ايّام وكان عازمًا على ملازمتها الى ان يفتحها فاتاه الخبر وهو عليها ان البحر قد القى بُطسة للفرنج فيها جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة البيت المقدّس فاسروا مَن بها بعد ان غرق منهم كثير فكان عدّة الاسرى الفا وستّمائة وستّ وسبعين اسيرًا فضربت بذلك البشائر ✿

ذكر عبور صلاح الدين الفراة ومُلكه ديار الجزيرة

فى هذه السنة عبر صلاح الدين الفراة الى الديار الجزريّة وملكها وسبب ذلك انّ مظفّر الدين كوكبرى ابن زين الدين علىّ بن بكتكين وهو مقطع حرّان كان قد اقطعه ايّاها عزّ الدين اتابك المدينة والقلعة تقوية واعتمادًا ارسل الى صلاح الدين وهو يحاصر بيروت يُعلمه انّه معه محبٌّ لدولته ووعده النصرة له اذا عبر الفراة ويطمعه فى البلاد ويحثّه على الوصول فسار صلاح الدين عن بيروت ورسل مظفّر الدين تترى اليه بحثّه على المجىّ فجدّ صلاح الدين فى السير مظهرًا انّه يريد حصر حلب تستّرًا للحال فلمّا قارب الفراة سار اليه مظفّر الدين

---

1) نمسان 2) 740: حامنثم 3) 740: عفربلا C. P.: عقربلا

فعبر الفراة واجتمع به فقصد البيرة وهي قلعة منيعة على الفراة من الجانب الجزرى وكان صاحبها قد سار مع صلاح الدين وفى طاعته وقد ذكرنا سبب ذلك قبلُ فعبر هو وعسكره الفراة على الجسر الذى عند البيرة ، وكان عزّ الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لمّا بلغهما وصول صلاح الدين الى الشام قد جمعا العسكر وسارا الى نصيبين ليكونا على اهبّة واجتماع لئلّا يتعرّض صلاح الدين الى حلب ثم تقدّما الى دارا[1] فنزلا عندها[2] فجآءهما امر لم يكن فى الحساب فلمّا بلغهما عبور صلاح الدين الفراة عادا الى الموصل وارسلا[3] الى الرهآ عسكرًا يحميها ويمنعها فلمّا سمع صلاح الدين ذلك قوى طمعه فى البلاد ولمّا عبر صلاح الدين الفراة كاتب الملوك اصحاب الاطراف ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته فاجابه نور الدين محمّد بن قرا ارسلان صاحب الحصن الى ما طلب منه لقاعدة استقرّت بينهما لمّا كان نور الدين عنده بالشام فانّه استقرّ الحال انّ صلاح الدين يحصر آمد ويملكها ويسلّمها اليه وسار صلاح الدين الى مدينة الرهآ فحصرها فى جمادى الاولى وقاتلها اشدّ قتال ، فحدّثنى بعض مَن كان بها من الجند انّه عدّ فى غلاف رمح اربعة عشر خرقًا وقد خرقته السهام وولى الزحف عليها وكان بها حينئذ مقطع وهو الامير فخر الدين مسعود الزعفرانى فحيث راى شدّة القتال اذعن الى التسليم وطلب الامان وسلّم البلد وصار فى خدمة صلاح الدين فلمّا ملك المدينة زحف الى القلعة فسلّمها اليه الدزدار الذى بها على مال اخذه فلمّا ملكها سلّمها الى مظفّر الدين مع حرّان ثم سار عنها على حرّان الى الرقّة فلمّا وصل اليها كان بها مقطعها قطب الدين ينال بن حسّان المنبجىّ فسار عنها الى عزّ الدين اتابك وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور قرقيسيا وماكسين وعرابان فملك جميع ذلك فلمّا استولى على الخابور جميعه سار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وبقيت القلعة فحصرها عدّة ايّام فملكها ايضًا واقام بها ليصلح شانها ثم اقطعها اميرًا كان معه يقال له ابو الهيجآء السمين وسار عنها ومعه

---

[1] دار [2] عندها [3] وارسلان

نور الدين صاحب الحصن واتاه الخبر انّ الفرنج قصدوا دمشق ونهبوا القرى ووصلوا الى داريًا وارادوا تخريب جامعها فارسل النايب بدمشق اليهم جماعة من النصارى يقول لهم ان اخربتم الجامع جدّدنا عمارته واخربنا كلّ بيعة لكم فى بلادنا ولا نمكن احدًا من عمارتها فتركوه ولمّا وصل الخبر الى صلاح الدين بذلك اشار عليه مَن يتعصّب لعزّ الدين بالعود فقال يُخرّبون قرًى ونملك عوضها بلادًا ونعود نعمرها ونقوى على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما قال ☆

ذكر حصر صلاح الدين الموصل

لمّا ملك صلاح الدين نصيبين جمع امرآءه وارباب المشورة عنده واستشارهم بأىّ البلاد يبدأ وايّها يقصد بالموصل ام بسنجار ام بجزيرة ابن عمر فاختلفت آراؤهم فقال له مظفّر الدين كوكبرى ابن زين الدين لا ينبغى ان يُبدا بغير الموصل فانّها فى ايدينا لا مانع لها فانّ عزّ الدين ومجاهد الدين متى سمعا بمسيرنا اليها تركاها وسارا عنها الى بعض القلاع الجبليّة ووافقه ناصر الدين محمّد ابن عمّه شيركوه وكان قد بذل لصلاح الدين مالاً كثيرًا ليقطعه الموصل اذا ملكها وقد اجابه صلاح الدين الى ذلك فاشار بهذا الراى لهواه فسار صلاح الدين الى الموصل وكان عزّ الدين صاحبها ومجاهد الدين نايبه قد جمعا بالموصل العساكر الكثيرة ما بين فارس وراجل واظهرا من السلاح والات الحصار ما حارت له الابصار وبذلا الاموال الكثيرة واخرج مجاهد الدين من ماله كثيرًا واصطلى الامور بنفسه فاحسن تدبيرها وشحنوا ما بقى بايديهم من البلاد كالجزيرة وسنجار والموصل واربل وغيرها من البلاد بالرجال والسلاح والاموال ء وسار صلاح الدين حتّى قارب الموصل وترك عسكره وانفرد هو ومظفّر الدين وابن عمّه ناصر الدين ابن شيركوه ومعهم نفر من اعيان دولته وقربوا من البلد فلمّا قربوا راه وحقّقه راى ما هاله وملأ صدره وصدور اصحابه فانّه راى بلدًا عظيمًا كبيرًا وراى السور والفصيل قد مليا من الرجال وليس فيها شُرّافة الّا وعليها رجل يقاتل سوى مَن عليه من عامّة البلد المتفرّجين فلمّا راى ذلك علم انّه لا يقدر على اخذه وانّه يعود خايبًا فقال لناصر الدين ابن عمّه اذا

رجعنا الى المعسكر فاحمل ما بذلتَ من المال فنحن معك على القول فقال قد رجعتُ عمّا بذلتُ من المال فانّ هذا البلد لا يُرام فقال له ولمظفّر الدين غررتمانى واطمعتمانى فى غير مطمع ولو قصدتُ غيره قبله لكان اسهل اخذًا بالاسم والهيبة التى حصلت لنا ومتى نازلناه وعُدْنا منه ينكسر ناموسنا ويفلّ حدّنا وشوكتنا ثمّ رجع الى معسكره وصبّح البلد وكان نزوله عليه فى رجب فنازله وضايقه ونزل محاذى باب كندة[1] وانزل صاحب الحصن بباب الجسر وانزل اخاه تاج الملوك عند الباب العمادىّ وانشب القتال فلم يظفر وخرج اليه يومًا بعض العامّة فنالوا منه ولم يُمكّن عزّ الدين ومجاهد الدين احدًا من العسكر يخرجوا لقتال بل الزموا الاسوار ثمّ انّ تقى الدين اشار على عمّه صلاح الدين بنصب منجنيق فقال مثل هذا البلد لا ينصب عليه منجنيق ومتى نصبناه اخذوه ولو خرّبنا بُرجًا وبدنة مَن يقدر على الدخول للبلد وفيه هذا الخلق الكثير فالحّ تقى الدين وقال نجرّبهم به فنصب منجنيقًا فنُصب عليه من البلد تسعة منجنيقات وخرج جماعة من العامّة فاخذوه وجرى عنده قتال كثير فاخذ بعض العامّة لالكة من رجليه فيها المسامير الكثيرة ورمى بها اميرًا يقال له جاوُلى الاسدىّ مقدّم الاسديّة وكبيرهم فاصاب صدره فوجد لذلك ألمًا شديدًا واخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال قد قاتلنا اهل الموصل بحماقات ما راينا بعدُ مثلها والقى اللالكة وحلف انّه لا يعود يقاتل عليها انفة حيث ضُرب بهذه، ثمّ انّ صلاح الدين رحل من قرب البلد ونزل متاخّرًا خوفًا من البيات فانّه لقربه كان لا يامن ذلك وكان سببه ايضًا انّ مجاهد الدين اخرج فى بعض الليالى جماعة من باب السرّ الذى للقلعة ومعهم المشاعل فكان احدهم يخرج من الباب وينزل الى دجلة ممّا يلى عين الكبريت ويطفى المشعل فراى العسكر الناس يخرجون فلم يشكّوا فى الكبسة فحملهم ذلك على الرحيل والتاخّر ليتعذّر البيات على اهل الموصل ، وكان صدر الدين شيخ الشيوخ رحمه

---

[1] كندة

الله قد وصل اليه قبل نزوله على الموصل ومعه بشير الخادم وهو من خواصّ الخليفة الناصر لدين الله فى الصلح فاقاما معه على الموصل وتردّدت الرسل الى عزّ الدين ومجاهد الدين فى الصلح فطلب عزّ الدين اعادة البلاد التى أُخذت منهم فاجاب صلاح الدين الى ذلك بشرط ان تُسلَّم اليه حلب فامتنع عزّ الدين ومجاهد الدين ثم نزل عن ذلك واجاب الى تسليم البلاد بشرط ان يتركوا انجاد صاحب حلب عليه فلم يجيبوا الى ذلك ايضًا وقال عزّ الدين هو اخى وله العهود والمواثيق ولا يسعنى انكثها ووصلت ايضًا رسل قزل ارسلان صاحب اذربيجان ورسل شاه ارمن صاحب خلاط فى المعنى فلم ينتظم امرٌ ولا تمّ صلحٌ ، فلمّا راى صلاح الدين انّه لا ينال من الموصل غرضًا ولا يحصل على غير العناء والتعب وانّ مَن بسنجار من العساكر الموصليّة يقطعون طريق مَن يقصدونه من عساكره واصحابه سار من الموصل اليها ☆

ذكر مُلكه مدينة سنجار

لمّا سار صلاح الدين عن الموصل الى سنجار سيّر مجاهد الدين اليها عسكرًا قوّةً لها ونجدةً فسمع بهم صلاح الدين فمنعهم من الوصول اليها واوقع بهم واخذ سلاحهم ودوابّهم وسار اليها ونازلها وكان بها شرف الدين امير اميران هندوا اخو عزّ الدين صاحب الموصل فى عسكر معه فحصر البلد وضايقه والحّ فى قتاله فكاتبه بعض امرآء الاكراد الذين به من الزرزاريّة وخامر معه واشار بقصده من الناحية التى هو بها ليسلّم اليه البلد فطرقه صلاح الدين ليلاً فسلّم اليه ناحيته تلك الباشورة لا غير فلمّا سمع شرف الدين الخبر استكان وخضع وطلب الامان فأمّن ولو قاتل على تلك الناحية اخرج العسكر الصلاحىّ عنها ولو امتنع بالقلعة لحفظها ومنعها ولكنّه عجز فلمّا طلب الامان اجابه صلاح الدين اليه فامنه وملك البلد وسار شرف الدين ومَن معه الى الموصل واستقرّ جميع ما ملكه صلاح الدين بملك سنجار فانّه كان تصدّد ان يستردّه المواصلة اذا فارقه لانّه لم يكن فيه حصن غير الرهآ لا غير فلمّا ملك سنجار صارت على الجميع كالسور واستناب بها سعد

الدين ابن معين الدين أنر وكان من اكابر الامرآء واحسنهم صورة ومعنى ۞

ذكر عود صلاح الدين الى حرّان

لمّا ملك صلاح الدين سنجار وقرّر قواعدها سار الى نصيبين فلقيه اهلها شاكين من ابى الهيجآء السمين باكين من ظلمه متاسّفين على دولة عزّ الدين وعدْله فيهم فلمّا سمع ذلك انكر على ابى الهيجآء ظلمه وعزله عنهم واخذه معه وسار الى حرّان وفرّق عساكره ليستريحوا وبقى جريدة فى خواصّه وثقات اصحابه وكان وصوله اليها اوايل ذى القعدة من السنة ۞

ذكر اجتماع عزّ الدين وشاه ارمن

فى هذه السنة فى ذى الحجّة اجتمع اتابك عزّ الدين صاحب الموصل وشاه ارمن صاحب خلاط على قتال صلاح الدين وسبب ذلك انّ رسل عزّ الدين تردّدت الى شاه ارمن يستنجده ويستنصره على صلاح الدين فارسل شاه ارمن الى صلاح الدين عدّة رسل فى الشفاعة اليه بالكفّ عن الموصل وما يتعلّق بعزّ الدين فلم يجبه الى ذلك وغالطه فارسل اليه اخيرًا مملوكه سيف الدين بكتمر الذى ملك خلاط بعد شاه ارمن فاتاه وهو يحاصر سنجار يطلب اليه ان يتركها ويرحل عنها وقال له ان رحل عنها والّا فتهدّده بقصده ومحاربته فابلغه بكتمر الشفاعة فسوّفه فى الجواب رجآء ان يفتحها فلمّا راى بكتمر ذلك ابلغه الرسالة بالتهديد وفارقه غضبان ولم يقبل منه خلعة ولا صلة واخبر صاحبه الخبر وخوّفه عاقبة الاهمال والتوانى عن صلاح الدين فسار شاه ارمن من خلاط وكان مخيّمًا بظاهرها وسار الى ماردين وصاحبها حينئذ قطب الدين ابن نجم الدين ألبى وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عزّ الدين وحموه لانّ عزّ الدين كان قد زوّج ابنة قطب الدين وحضر مع شاه ارمن دولة شاه صاحب بدليس وارزن وسار اتابك عزّ الدين من الموصل فى عسكره جريدة من الاثقال وكان صلاح الدين قد ملك سنجار وسار عنها الى حرّان وفرّق عساكره فلمّا سمع باجتماعهم سيّر الى تقى الدين ابن اخيه وهو بحماة يستدعيه فوصل اليه مُسْرعًا واشار عليه بالرحيل وحذّره منه اخرون وكان هوى صلاح الدين فى

الرحيل فرحل الى راس عين فلمّا سمعوا برحيله تفرّقوا فعاد شاه ارمن الى خلاط واعتذر بانّى اجمع العساكر واعود ورجع عزّ الدين الى الموصل واقام قطب الدين بماردين وسار صلاح الدين فنزل بجوزم تحت ماردين عدّة ايام ❀

ذكر الظفر بالفرنج فى بحر عيذاب

فى هذه السنة عمل البرنس صاحب الكرك اسطولًا وفرغ منه بالكرك ولم يبق الّا جمع قطعه بعضها الى بعض وحملها الى بحر ايلة وجمعها فى اسرع وقت وفرغ منها وشحنها بالمقاتلة وسيّرها فساروا فى البحر وافترقوا فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه ويمنع اهله من وُرُود المآء فنال اهله شدّة شديدة وضيّق عليهم وامّا الفرقة الثانية فانّهم ساروا نحو عيذاب وافسدوا فى السواحل ونهبوا واخذوا ما وجدوا من المراكب الاسلاميّة ومن فيها من التجار وبغتوا الناس فى بلادهم على حين غفلة منهم فانّهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيًّا لا تاجرًا ولا محاربًا ٭ وكان بمصر الملك العادل ابو بكر ابن ايّوب ينوب عن اخيه صلاح الدين فعمر اسطولًا وسيّره وفيه جمع كثير من المسلمين ومقدّمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو متولّى الاسطول بديار مصر وكان مظفّرًا فيه شجاعًا كريمًا فسار لؤلؤ مجدًّا فى طلبهم فابتدا بالذين على ايلة فانقضّ عليهم انقضاض العقاب على صيده فقاتلهم فقتل بعضهم واسر الباقى وسار من وقته بعد الظفر يقصّ اثر الذين قصدوا عيذاب فلم يرهم وكانوا قد اغاروا على ما وجدوه بها وقتلوا من لقوه عندها وساروا الى غير ذلك المرسى ليفعلوا كما فعلوا فيه وكانوا عازمين على الدخول الى الحجاز مكّة والمدينة حرسهما الله تعالى واخذ الحاجّ ومنعهم عن البيت الحرام والدخول بعد ذلك الى اليمن فلمّا وصل لؤلؤ الى عيذاب ولم يرهم سار يقفوا اثرهم فبلغ رابغ وساحل الحوزآء وغيرهما فادركهم بساحل الحوزآء فاوقع بهم هناك فلمّا راوا العطب وشاهدوا الهلاك خرجوا الى البرّ واعتصموا ببعض تلك الشعاب فنزل لؤلؤ من مراكبه اليهم وقاتلهم اشدّ قتال واخذ خيلًا من الاعراب الذين هناك فركبها وقاتلهم فرسانًا ورجّالةً فظفر بهم وقتل اكثرهم واخذ الباقين اسرى وارسل بعضهم الى

منى لينحروا بها عقوبةً لمن رام اخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلعم وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا جميعهم ❊

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفّى عزّ الدين فرخشاه ابن اخى صلاح الدين وكان ينوب عنه بدمشق وهو ثقته من اهله وكان اعتماده عليه اكثر من جميع اهله وامرآيه وكان شجاعًا كريمًا فاضلًا عالمًا بالادب وغيره وله شعر جيّد من بين اشعار الملوك وكان ابتدآء مرضه انّه خرج من دمشق الى غزو الفرنج فمرض وعاد مريضًا فمات ووصل خبر موته الى صلاح الدين وقد عبر الفراة الى الديار الجزريّة فاعاد شمس الدين محمّد بن المقدّم الى دمشق ليكون مقدّمًا على عسكرها ، وفيها مات فخر الدولة ابو المظفّر بن الحسن بن هبة الله بن المطّلب كان ابوه وزير الخليفة واخوه استاذ الدار فتصوّف هو من زمن الصبا وبنى مدرسة ورباطًا ببغداد عند عقد المصطنع وبنى جامعًا بالجانب الغربىّ منها ، وفيها توفّى الامير ابو منصور هاشم ولد المستضئ بامر الله ودُفن عند ابيه ، وفيها توفّى ابو العبّاس احمد بن علىّ بن الرفيعى من سواد واسط وكان صالحًا ذا قبول عظيم عند الناس وله من التلامذة ما لا يُحصى ❊

سنة ٥٧٩ ثمّ دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة ،

ذكر مُلك صلاح الدين آمد وتسليمها الى صاحب الحصن

قد ذكرنا نزول صلاح الدين بجوزم تحت ماردين فلم ير لطمعه وجهًا وسار عنها الى آمد على طريق البارعيّة وكان نور الدين محمّد بن قرا ارسلان يطالبه فى كلّ وقت بقصدها واخذها وتسليمها اليه على ما استقرّت القاعدة بينهما فوصل الى آمد سابع عشر ذى الحجّة من سنة ثمان وسبعين ونازلها واقام يحاصرها وكان المتولّى لامرها والحاكم فيها بهآء الدين ابن نيسان وكان صاحبها وليس له من الامر شئٌ مع ابن نيسان فلمّا نازلها صلاح الدين اسآ ابن نيسان التدبير ولم يُعط الناس من الذخاير شيأً ولا فرّق فيهم دينارًا واحدًا ولا قوتًا وقال لاهل

البلد قاتلوا عن نفوسكم فقال له بعض اصحابه ليس العدوّ بكافر حتّى يقاتلوا عن نفوسهم فلم يفعل شيأً وقاتلهم صلاح الدين ونصب المنجنيقات وزحف اليها وهى الغاية فى الحصانة والمنعة بها وبسورها يضرب المثل وابن نيسان على حاله من الشحّ بالمال وتصرّفه تصرّف مَن ولّت سعادته وادبرت دولته فلمّا رءاى الناس ذلك منه تهاونوا بالقتال وجنحوا الى السلامة ، وكانت ايّام ابن نيسان قد طالت وثقلت على اهل البلد لسوء سيرته وضيعته وتضييقه عليهم فى مكاسبهم فالناس كارهون لها محبّون لانقراضها وامر صلاح الدين ان يُكتب على السهام الى اهل البلد يعدهم الخير والاحسان ان اطاعوه ويتهدّدهم ان قاتلوه فزادهم ذلك تقاعدًا وتخاذلًا واحبّوا مُلكه وتركوا القتال فوصل النقّابون الى السور فنقبوه وعلّقوه فلمّا راى الجند واهل البلد ذلك طمعوا فى ابن نيسان واشتطّوا فى المطلب فحين صارت الحال لذلك اخرج ابن نيسان نسآءه الى القاضى الفاضل وزير صلاح الدين يساله ان ياخذ له الامان ولاهله وماله وان يوخره ثلاثة ايّام حتّى ينقل ما له بالبلد من الاموال والذخاير فسعى له الفاضل فى ذلك فاجابه صلاح الدين اليه فسلّم البلد فى العشر الاوّل من المحرّم هذه السنة واخرج خيمه الى ظاهر البلد ورام نقل ماله فتعذّر ذلك عليه لزوال حكمه عن اصحابه واطّراحهم امره ونهيه فارسل الى صلاح الدين يُعرّفه الحال ويساله مساعدته على ذلك فامر له بالدوابّ والرجال فنُقل البعض وسرق البعض وانقضت الايّام الثلاث قبل الفراغ فمُنع من الباقى وكانت ابراج المدينة مملوّة من انواع الذخاير فتركها بحالها ولو اخرج البعض منها لحفظ البلد وساير نعمه وامواله لكن اذا اراد الله امرًا هيّأ اسبابه ، فلمّا تسلّمها صلاح الدين سلّمها لصاحب الحصن نور الدين فقيل له قبل تسليمها ان هذه المدينة فيها من الذخاير ما يزيد على الف الف دينار فلو اخذتَ ذلك واعطيتَه جندك وسلّمتَ البلد اليه فارغًا لكان راضيًا فانّه لا يطمع فى غيره فامتنع من ذلك وقال ما كنتُ لاعطيه الاصل واخل بالفرع ، فلمّا تسلّم نور الدين البلد اصطنع دعوة عظيمة ودعا اليها صلاح الدين وامرآءه ولم يكن دخل البلد وقدّم له ولاصحابه من

التحف والهدايا اشياء كثيرة ٭ ٭

ذكر مُلك صلاح الدين تلّ خالد وعين تاب من اعمال الشام

لمّا فرغ صلاح الدين من امر آمد سار الى الشام وقصد تلّ خالد وهو من اعمال حلب فحصرها ورماها بالمنجنيق فنزل اهلها وطلبوا الامان فامّنهم وتسلّمها فى المحرّم ايضاً ء ثمّ سار منها الى عين تاب فحصرها وبها ناصر الدين محمّد وهو اخو الشيخ اسمعيل الذى كان خازن نور الدين محمود ابن زنكى وصاحبه وكان قد سلّمها اليه نور الدين فبقيت معه الى الأن فلمّا نازله صلاح الدين ارسل اليه يطلب ان يُقرّ الحصن بيده وينزل الى خدمته ويكون تحت حكمه وطاعته فاجابه صلاح الدين الى ذلك وحلف له عليه فنزل اليه وصار فى خدمته وكان ايضاً فى المحرّم من هذه السنة ٭

ذكر وقعتين مع الفرنج فى البحر والشام

فى هذه السنة فى العاشر من المحرّم سار اسطول المسلمين من مصر فى البحر فلقوا بُطسةً فيها نحو ثلثمائة من الفرنج بالسلاح التامّ ومعهم الاموال والسلاح الى فرنج الساحل فقاتلوهم وصبر الفريقان وكان الظفر للمسلمين واخذوا الفرنج اسرى فقتلوا بعضهم وابقوا بعضهم اسرى وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين ء وفيها ايضاً سارت عصابة كبيرة من الفرنج من نواحى الداروم الى نواحى مصر ليغيروا وينهبوا فسمع بهم المسلمون فخرجوا اليهم على طريق صَدَر[1] وايلة فانتزح الفرنج من بين ايديهم فنزلوا بماء يقال له العُسيلة وسبقوا المسلمين اليه فاتاهم المسلمون وهم عطاش قد اشرفوا على الهلاك فرأوا الفرنج قد ملكوا الماء فانشا الله سبحانه وتعالى بلطفه سحابة عظيمة مُطروا منها حتّى رووا وكان الزمان قيظًا والحرّ شديد فى برّ مُهلك فلمّا رأوا ذلك قويت نفوسهم ووثقوا بنصر الله لهم وقاتلوا الفرنج فنصرهم الله عليهم فقتلوهم ولم يسلم منهم الّا الشريد الفريد وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ودوابّ وعادوا منصورين قاهرين بفضل الله ٭

---

[1]) C. P. et 740. Ups.: صدر

ذكر مُلك صلاح الدين حلب

وفي هذه السنة سار صلاح الدين من عين تاب الى حلب فنزل عليها في الخرّم ايضًا في الميدان الاخضر واقام به عدّة ايّام ثمّ انتقل الى جبل جوشن فنزل باعلاه واظهر انّه يريد يبنى مساكن له ولاصحابه وعساكره واقام عليها ايّامًا والقتال بين العسكريّن كلّ يوم وكان صاحب حلب عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ومعه العسكر النورىّ وهم مجدّون في القتال فلمّا راى كثرة الخرج كانّه شحّ بالمال فحصر يومًا عنده بعض اجناده وطلبوا منه شيًّا فاعتذر بقلّة المال عنده فقال له بعضهم من يريد يحفظ مثل حلب يخرج الاموال ولو باع حلىّ نسآيه فمال حينيّذ الى تسليم حلب واخذ العوض منها وارسل مع الامير طمان اليارونى وكان يميل الى صلاح الدين انّه يسلّم حلب وياخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وسروج وجرت اليمين على ذلك وباعها باوكس الاثمان اعطى حصنًا مثل حلب واخذ عوضها قرى ومزارع فنزل عنها ثامن عشر صفر وتسلّمها صلاح الدين فعجب الناس كلّهم من ذلك وقبّحوا ما اتى حتّى انّ بعض عامّة حلب احضر اجّانة ومآء وناداه انت لا يصلح لك الملك وانّما يصلح لك ان تغسل الثياب واسمعوه المكروه ، واستقرّ مُلك صلاح الدين بملكها وكان مزلزلاً فثبت قدمه بتسليمها وكان على شفآء جرف هار واذا اراد الله امرًا فلا مردّ له ، وسار عماد الدين الى البلاد التى أُعطيها فتسلّمها واخذ صلاح الدين حلب واستقرّ الحال بينهما انّ عماد الدين يحضر في خدمة صلاح الدين بنفسه وعسكره اذا استدعاه لا يحتاج بحجّة ، ومن الاتفاقات العجيبة انّ محى الدين ابن الزكى قاضى دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها

وفتحكم حلبًا بالسيف في صفر مبشّرًا بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة على ما نذكره ان شآء الله تعالى ، وممّا كتبه القاضى الفاضل في المعنى عن صلاح الدين فاعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صرف على الحقيقة اعطيناه الدراهم ونزلنا عن القرى واحرزنا العواصم وكتب ايضًا

اعطيناه ما لم يخرج عن اليد يعنى انّه متى شآء اخذه لعدم حصانته ٭ وكان فى جُملة مَن قُتل على حلب تاج الملوك بورى اخو صلاح الدين الاصغر وكان فارسًا شجاعًا كريمًا حليمًا جامعًا لخصال الخير ومحاسن الاخلاق طُعن فى ركبته فانفكّت فمات منها بعد ان استقرّ الصلح بين عماد الدين وصلاح الدين على تسليم حلب قبل ان يدخلها صلاح الدين فلمّا استقرّ منه الصلح حضر صلاح الدين عند اخيه يعوده وقال له هذه حلب قد اخذناها وهى لك فقال ذلك لو كان وانا حىّ ووالله لقد اخذتَها غالية حيث تفقد مثلى فبكى صلاح الدين وابكى ٭ ولمّا خرج عماد الدين الى صلاح الدين وقد عمل له دعوة احتفل فيها فبينما هم فى سرور اذ جآء انسان فاسرّ الى صلاح الدين بموت اخيه فلم يُظهر هلعًا ولا جزعًا وامر بتجهيزه سرًّا ولم يعلم عماد الدين ومَن معه فى الدعوة واحتمل الحزن وحده لئلّا يتنكّد ما هم فيه وكان هذا من الصبر الجميل ٭

ذكر فتح صلاح الدين حارم

لمّا ملك صلاح الدين حلب[1] كان بقلعة حارم وهى من اعمال حلب بعض المماليك النوريّة واسمه سَرخك وولّاه عليها الملك الصالح عماد الدين[2] فامتنع من تسليمها الى صلاح الدين فراسله صلاح الدين فى التسليم وقال له اطلب من الاقطاع ما اردتَ ووعده الاحسان فاشتطّ فى الطلب وتردّدت الرسل بينهم فراسل الفرنج ليحتمى بهم فسمع مَن معه من الاجناد انّه يراسل الفرنج فخافوا ان يسلّمها اليهم فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الامان والانعام فاجابهم الى ما طلبوا وسلّموا اليه الحصن فرتّب به دزدارًا[3] بعض خواصّه ٭ وامّا باقى قلاع حلب فانّ صلاح الدين اقرّ عين تاب بيد صاحبها كما تقدّم واقطع تلّ خالد لامير يقال له داروم البارونى وهو صاحب تلّ باشر ٭ وامّا قلعة اعزاز فانّ عماد الدين اسمعيل كان قد خرّبها فاقطعها صلاح الدين لامير يقال له سليمان بن جندر فعمرها واقام صلاح الدين

[1]) C. P. Ups.: حارم [2]) Desunt in C. P. et 740 عماد الدين

[3]) زدارًا

بحلب الى ان فرغ من تقرير قواعدها واحوالها وديوانها واقطع اعمالها وارسل منها جمع العساكر من جميع بلاده ۞

ذكر القبض على مجاهد الدين وما حصل من الضرر بذلك

فى هذه السنة فى جمادى الاولى قبض عزّ الدين مسعود صاحب الموصل على نايبه مجاهد الدين قايماز وكان اليه الحكم فى جميع البلاد واتّبع فى ذلك هوى من اراد المصلحة لنفسه ولم ينظر فى مضرّة صاحبه وكان الذى اشار بذلك عزّ الدين محمود زلفندار وشرف الدين احمد بن ابى الخير[1] الذى كان ابوه صاحب الغرّاف وهما من اكابر الامرآء فلمّا اراد القبض عليه لم يقدم على ذلك لقوّة مجاهد الدين فاظهر انّه مريض وانقطع عن الركوب عدّة ايّام فدخل اليه مجاهد الدين وحده وكان خصيًّا لا يمتنع من الدخول على النسآء فلمّا دخل عليه قبض عليه وركب لوقته الى القلعة فاحتوى على الاموال التى لمجاهد الدين وخزاينه وولّى زلفندار قلعة الموصل بعد مجاهد الدين وجعل ابن صاحب الغرّاف امير حاجب وحكّمهما فى دولته وكان تحت حكم مجاهد الدين حينيّذ اربل واعمالها ومعه فيها زين الدين يوسف ابن زين الدين علىّ وهو صبىّ صغيرٌ ليس له من الحكم شىٌ والحكم والعسكر الى مجاهد الدين وتحت حكمه ايضًا جزيرة ابن عمر وهى لمعزّ الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازى بن مودود وهو ايضًا صبىّ والحكم والنوّاب والعسكر لمجاهد الدين وبيده ايضًا شهرزور واعمالها ونوّابه فيها ودقوقا ونايبه فيها وقلعة عقر[2] الحميديّة ونايبه فيها ولم يبق لعزّ الدين مسعود بعد ان اخذ صلاح الدين [البلاد] الجزيريّة سوى الموصل وقلعتها بيد مجاهد الدين وهو على الحقيقة الملك واسمه لعزّ الدين فلمّا قبض عليه امتنع صاحب اربل من طاعة عزّ الدين واستبدّ وكذلك ايضًا صاحب جزيرة ابن عمر وارسل الخليفة الى دقوقا فحصرها واخذها ولم يحصل لعزّ الدين مسعود غير شهرزور والعقر[2] وصارت اربل والجزيرة اضرّ شىٌ على صاحب الموصل وارسل صاحبها

[1]) C. P.: الجبر [2]) عقد

الى صلاح الدين بالطاعة له والكون فى خدمته ، وكان الخليفة الناصر لدين الله قد ارسل صدر الدين شيخ الشيوخ ومعه بشير الخادم الخاصّ الى صلاح الدين فى الصلح مع عزّ الدين صاحب الموصل وسيّر عزّ الدين معه القاضى محيى الدين ابا حامد بن الشهرزورى فى المعنى فاجاب صلاح الدين الى ذلك وقال ليس لكم مع الجزيرة واربل حديث فامتنع محيى الدين عن ذلك وقال هما لنا فلم يجب صلاح الدين الى الصلح الّا بان تكون اربل والجزيرة معه فلم يتم امره وقوى طمع صلاح الدين فى الموصل بقبض مجاهد الدين فلمّا راى صاحب الموصل الضرر بقبض مجاهد الدين قبض على شرف الدين احمد ابن صاحب الغرّاف وزلفندار عقوبة لهما ثم اخرج مجاهد الدين على ما نذكره ان شآء الله ٭

ذكر غزو بيسان

لمّا فرغ صلاح الدين من امر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازى وهو صبىّ وجعل معه الامير سيف الدين يازكج وكان اكبر الامرآء الاسديّة وسار الى دمشق وتجهّز للغزو ومعه عساكر الشام والجزيرة وديار بكر وسار الى بلد الفرنج فعبر نهر الاردن تاسع جمادى الاخرة من السنة فراى اهل تلك النواحى قد فارقوها خوفًا فقصد بيسان فاحرقها وخرّبها واغار على ما هناك فاجتمع الفرنج وجآءوا الى قبالته فحين راوا كثرة عساكره لم يقدموا عليه فاقام عليهم وقد استندوا الى جبل هناك وخندقوا عليهم فاحاط بهم وعساكر الاسلام ترميهم بالسهام وتناوشهم القتال فلم يخرجوا واقاموا كذلك خمسة ايّام وعاد المسلمون عنهم سابع عشر الشهر لعلّ الفرنج يطمعون ويخرجون فيستدرجونهم ليبلغوا منهم غرضًا فلمّا راى الفرنج ذلك لم يطمعوا انفسهم فى غير السلامة واغار المسلمون على تلك الاعمال يمينًا وشمالاً ووصلوا فيها الى ما لم يكونوا يطمعون فى الوصول اليه والاقدام عليه فلمّا كثرت الغنايم معهم رءاوا العود الى بلادهم بما غنموا مع الظفر اولى فعادوا الى بلادهم على عزم الغزو ٭

ذكر غزو الكرك وملك العادل حلب

لمّا عاد صلاح الدين والمسلمون من غزوة بيسان تجهّزوا لغزو الكرك فسار اليه فى العساكر وكتب الى اخيه العادل ابى بكر ابن

ايّوب وهو نايبه بمصر يامره بالخروج بجميع العساكر الى الكرك وكان العادل قد ارسل الى صلاح الدين يطلب منه مدينة حلب وقلعتها فاجابه الى ذلك وامره ان يخرج معه باهله وماله فوصل صلاح الدين الى الكرك فى رجب ووافاه اخوه العادل فى العسكر المصرىّ وكثر جمعه وتمكّن من حصره [وصعد][1] معه المسلمون الى ربضه وملّكه وحصر الحصن من الربض وتحكّم عليه فى القتال ونصب عليه سبع منجنيقات لا تزال ترمى بالحجارة ليلاً ونهاراً وكان مع صلاح الدين انّ الفرنج لا يمكنونه من حصر الكرك وانّهم يبذلون جهدهم فى ردّه عنهم فلم يستصحب معه من الات الحصار ما يكفى لمثل ذلك الحصن العظيم والمعقل المنيع فرحل عنه منتصف شعبان وسيّر تقى الدين ابن اخيه الى مصر نايباً عنه ليتولّى ما كان اخوه العادل يتولّاه واستصحب اخاه العادل معه الى دمشق واعطاه مدينة حلب وقلعتها واعمالها ومدينة منبج وما يتعلّق بها وسيّره اليها فى شهر رمضان من السنة واحضر ولده الظاهر منها الى دمشق ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فُتح الرباط الذى بنته امّ الخليفة بالمامونيّة ، وفيها فى ذى الحجّة توفّى مكرم ابن بختيار ابو الخير الزاهد ببغداد روى الحديث وكان كثير البكآء ، وفى جمادى الاخرة توفّى محمّد بن بختيار بن عبد الله ابو عبد المولد الشاعر ويعرف بالأبْلة فمن جملة شعره

اراقَ دمْعى لا بل اراق دمى ظلمًا بظلم من ريقه الشّبِم
ذوُ قامة كالقضيب ناضرة وناظر من سقامه سقمى
حصلت من وعده[2] على اصدق الوعد ومن وصله على التهم ۞

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة ، سنة ٥٨٠.

ذكر اطلاق مجاهد الدين من الحبس وانهزام العجم

فى هذه السنة فى المحرّم اطلق اتابك عزّ الدين صاحب الموصل مجاهدَ الدين قايماز من الحبس بشفاعة شمس الدين البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل وسيّره الى البهلوان واخيه قزل يستنجدهما على

---

[1]) C. P. et 740. [2]) C. P. ابيتُ من هجره

صلاح الدين فسار الى قزل أوّلًا وهو صاحب اذربيجان فلم يمكنه من المضى الى البهلوان وقال مهما تختاره انا افعله وجهّز معه عسكرًا كثيرًا نحو ثلاثة الاف فارس وساروا نحو اربل ليحصروها فلمّا قاربوها فسدوا فى البلاد وخرّبوها ونهبوا وسبوا واخذوا النسآء قهرًا ولم يقدر مجاهد الدين على منعهم فسار اليهم زين الدين يوسف صاحب اربل فى عسكره فلقيهم وهم متفرّقون فى القرى ينهبون ويحرّقون فانتهز الفرصة فيهم بتفرّقهم والتقى بنفسه وعسكره على اوّل من لقيه منهم فهزمهم وتمّت الهزيمة على الجميع وغنم الاربليّون اموالهم ودوابّهم وسلاحهم وعاد العجم الى بلادهم منهزمين وعاد صاحب اربل الى بلده مظفّرًا غانمًا وعاد مجاهد الدين الى الموصل فكان يحكى انّنى ما زلتُ انتظر العقوبة من الله تعالى على سوء افعال العجم فاننى رايتُ منهم ما لا كنتُ اظنّه يفعله مسلم بمسلم وكنتُ أنهاهم فلا يسمعون حتّى كان من الهزيمة ما كان ❊

ذكر وفاة يوسف ابن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب

فى هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف ابن عبد المومن الى بلاد الاندلس وجاز البحر اليها فى جمع عظيم من عساكر المغرب فانّه جمع وحشد الفارس والراجل فلمّا عبر الخليج قصد غربىّ البلاد فحصر مدينة شنترين وهى للفرنج شهرًا فاصابه بها مرض فمات منه فى ربيع الاوّل وحُمل فى تابوت الى مدينة اشبيليّة من الاندلس وكانت مدّة مُلكه اثنتين وعشرين سنة وشهرًا ومات عن غير وصية بالملك لاحد من اولاده فاتّفق راى قواد الموحّدين واولاد عبد المؤمن [على تمليك ولده ابى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن][1] فملّكوه من الوقت الذى مات فيه ابوه لئلّا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدوّ فقام فى ذلك احسن قيام واقام راية الجهاد واحسن السيرة فى الناس وكان ديّنًا مقيمًا للحدود فى الخاصّ والعامّ فاستقامت له الدولة وانقادت اليه باسرها مع سعة اقطارها ورتّب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتّب المقاتلة فى ساير بلادها واصلح احوالها وعاد الى مرّاكش وكان ابوه يوسف حسن السيرة وكان طريقه ألين من طريق ابيه مع الناس يحبُّ العلماء

[1]) C. P.

ويقرّبهم ويشاورهم وهم اهل خدمته وخاصّته واحبّه الناس ومالوا اليه واطاعه من البلاد ما امتنع على ابيه وسلك فى جباية الاموال ما كان ابوه يأخذه ولم يتعدّه الى غيره واستقامت له البلاد بحسن فعله مع اهلها ولم يزل كذلك الى ان توفّى رحمه الله تعالى ❁

ذكر غزو صلاح الدين الكرك

فى هذه السنة فى ربيع الاخر سار صلاح الدين من دمشق يريد الغزو وجمع عساكره فاتته من كلّ ناحية وممّن اتاه نور الدين محمّد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وكتب الى مصر ليحضر عسكرها عنده على الكرك فنازل الكرك وحصره وضيّق على مَن به وامر بنصب المنجنيقات على ربضه واشتدّ القتال فملك المسلمون الربض وبقى الحصن وهو والربض على سطح جبل واحد الّا انّ بينهما خندقًا عظيمًا عمقه نحو ستّين ذراعًا فامر صلاح الدين بالقآء الاحجار والتراب فيه ليُطمّه فلم يقدر احد على الدنوّ منه لكثرة الرمى عليهم بالسهام من الجرخ والقوس والاحجار من المنجنيقات فامر ان يُبْنى بالاخشاب واللبن ما يمكن الرجال يمشون تحت السقايف ويلقون فى الخندق ما يطمّه ومنجنيقات المسلمين مع ذلك ترمى الحصن ليلًا ونهارًا ٭ وارسل مَن فيه من الفرنج الى ملكهم وفرسانهم يستمدّونهم ويعرّفونهم عجزهم وضعفهم عن حفظ الحصن فاجتمعت الفرنج عن اخرها وساروا الى نجدتهم عجلين فلمّا بلغ الخبر بمسيرهم الى صلاح الدين رحل عن الكرك الى طريقهم ليلقاهم ويصافهم ويعود بعد ان يهزمهم الى الكرك فقرب منهم وخيّم ونزل ولم يمكنه الدنوّ منهم لخشونة الارض وصعوبة المسلك اليهم وضيقه فاقام ايّامًا ينتظر خروجهم من ذلك المكان ليتمكّن منهم فلم يبرحوا منه خوفًا على نفوسهم فلمّا راى ذلك رحل عنهم عدّة فراسخ وجعل بازايهم من يُعلمه بمسيرهم فساروا ليلًا الى الكرك فلمّا علم صلاح الدين ذلك علم انّه لا يتمكّن حينئذ ولا يبلغ غرضه فسار الى مدينة نابلس ونهب كلّ ما على طريقه من البلاد فلمّا وصل الى نابلس احرقها وخرّبها وقتل فيها واسر وسبى فاكثر وسار عنها الى سبسطيّة وبها مشهد زكرياء عم وبها كنيسة وبها جماعة اسرى من المسلمين فاستنقذهم ورحل الى جينين فنهبها

وخرّبها وعاد الى دمشق ونهب ما على طريقه وخرّبه وبثّ السرايا في طريقه يمينًا وشمالًا يغنمون ويخرّبون ووصل الى دمشق ۞

ذكر مُلك الملثّمين بجاية وعودها الى اولاد عبد المؤمن

في هذه السنة في شعبان خرج علىّ ابن اسحق المعروف بابن غانية وهو من اعيان الملثّمين الذين كانوا ملوك المغرب وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة الى بجاية فلكها وسبب ذلك انّه لمّا سمع بوفاة يوسف ابن عبد المؤمن عمّر اسطوله فكان عشرين قطعة وسار في جموعه فارْسَى في ساحل بجاية وخرجت خيله ورجاله من الشواني فكانوا نحو مايتي فارس من الملثّمين واربعة الاف راجل فدخل مدينة بجاية بغير قتال لانّه اتّفق انّ واليها سار عنها قبل ذلك بايّام الى مرّاكش ولم يترك فيها جيشًا ولا ممانعًا لعدم عدوّ يحفظها منه فجآء الملثّم ولم يكن في حسابهم انّه يحدّث نفسه بذلك فارسى بها ووافقه جماعة من بقايا دولة بني حمّاد وصاروا معه فكثُر جمعه بهم وقويت نفسه فسمع خبره والي بجاية فعاد من طريقه ومعه من الموحّدين ثلثمائة فارس فجمع من العرب والقبايل الذين في تلك الجهات نحو الف فارس فسمع بهم الملثّم وبقربهم منه فخرج اليهم وقد صار معه قدر الف فارس وتوافقوا ساعة فانصاف جميع الجموع التي كانت مع والي بجاية الى الملثّم فانهزم حينئذ والي بجاية ومَن معه من المُوحّدين وساروا الى مرّاكش وعاد الملثّم الى بجاية فجمع جيشه وخرج الى اعمال بجاية فاطاعه جميعها الّا قسطنطينيّة الهوى فحصرها الى ان جآء جيش من المُوحّدين من مرّاكش في صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة الى بجاية في البرّ والبحر وكان بها يحيى وعبد الله اخا[1] علىّ ابن اسحق الملثّم فخرجا منها هاربين ولحقا باخيهما فرحل عن القسطنطينيّة وسار الى افريقية وكان سبب ارسال الجيش من مرّاكش انّ والي بجاية وصل الى يعقوب ابن يوسف صاحب المغرب وعرّفه ما جرى ببجاية واستيلآء الملثّمين عليها وخوّفه عاقبة التوان فجهّز العساكر في البرّ عشرين الف فارس وجهّز الاسطول في البحر في خلق كثير واستعادوها ۞

(1 اخو

ذكر وفاة صاحب ماردين وملك ولده

فى هذه السنة مات قطب الدين ايلغازى بن نجم الدين بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وملك بعد ابنه حسام الدين بولق ارسلان وهو طفل وقام بتربيته وتدبير مملكته نظام الدين البقش مملوك ابيه وكان شاه ارمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم فى دولته وهو رتّب البقش مع ولده وكان البقش ديّنًا خيّرًا عادلًا حسن السيرة سليمًا فاحسن تربية الولد وتزوّج امّه فلمّا كبر الولد لم يمكّنه النظام من مملكته لخبط وهوج كان فيه كان لهذا نظام الدين مملوك اسمه لؤلؤ قد تحكّم فى دولته وحكم فيها فكان يحمل النظام على ما يفعله مع الولد ولم يزل الامر كذلك الى ان مات الولد وله اخ اصغر منه لقبه قطب الدين فرتّبه النظام فى الملك وليس له منه الّا الاسم والحكم الى النظام ولؤلؤ فبقى كذلك الى سنة احدى وستّمائة فمرض النظام البقش فاتاه قطب الدين يعوده فلمّا خرج من عنده خرج معه لؤلؤ وضربه قطب الدين بسكّين معه فقتله ثمّ دخل الى النظام وبيده السكّين فقتله ايضًا وخرج وحده ومعه غلام له والقى الراسين الى الاجناد وكانوا كلّهم قد انشاءهم النظام ولؤلؤ فاذعنوا له بالطاعة فلمّا تمكّن اخرج مَن اراد وترك مَن اراد واستولى على قلعة ماردين واعمالها وقلعة البارعيّة وصور وهو الى الآن حاكم فيها حازم فى افعاله ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ اسمعيل بن شيخ الشيوخ ابى سعيد احمد فى شعبان وكان قد سار فى ديوان الخلافة رسولًا الى صلاح الدين ومعه شهاب الدين بشير الخادم فى معنى الصلح بينه وبين عزّ الدين صاحب الموصل فوصل دمشق وصلاح الدين يحصر الكرك فاتاها الى ان عاد فلم يستقرّ فى الصلح امرٌ ومرضا وطلبا العودة الى العراق فاشار عليهما صلاح الدين بالمقام الى ان يصطلحا فلم يفعلا وسارا فى الحرّ فمات بشير بالسخنة[1]

[1] بالسحنة

ومات صدر الدين بالرحبة ودُفن بمشهد البوق وكان واحد زمانه قد جمع بين رياسة الدين والدنيا وكان ملجًا لكلّ خايف صالحًا كريمًا حليمًا وله مناقب كثيرة ولم يستعمل فى مرضه هذا دوآء توكّلًا على الله تعالى، وفيها توفّى عبد اللطيف ابن محمّد بن عبد اللطيف الخجندىّ الفقيه الشافعىّ رئيس اصفهان وكان موته بباب همذان وقد عاد من الحجّ وله شعر فمنه

بالجمّى دارٌ سقاها مدمعى ۞ يا سقى الله الحمى من مربع
ليت شعرى والامانى ضلّة ۞ هل الى وادى الغضى من مرجع
اذنت علوة للواشى بنا ۞ ما على علوة لو لم تسمع
او تحرّت رشدًا فيما وشى ۞ او عفتْ عنّى فما قلبى معى

رحمه الله ورضى عنه وارضاه ۞

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وخمسماية، سنة ٥٨١

ذكر حصر صلاح الدين الموصل ورحيله عنها لوفاة شاه ارمن

فى هذه السنة حصر صلاح الدين يوسف ابن ايّوب الموصل مرّة ثانيةً وكان مسيره من دمشق فى ذى القعدة من السنة الماضية فوصل الى حلب واقام بها الى ان خرجت السنة وسار منها فعبر الى ارض الجزيرة فلمّا وصل حرّان قبض على مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين الذى كان سبب مُلكه الديار الجزريّة وسبب قبضه عليه انّ مظفّر الدين كان يراسل صلاح الدين كلّ وقت ويشير عليه بقصد الموصل ويُحسّن له ذلك ويقوّى طمعه حتّى انّه بذل له اذا سار اليها خمسين الف دينار فلمّا وصل صلاح الدين الى حرّان لم يفِ له بما بذل من المال وانكر ذلك فقبض عليه ووكّل به ثم اطلقه واعاد اليه مدينتىْ حرّان والرها وكان قد اخذهما منه وانّما اطلقه لانّه خاف انحراف الناس عنه بالبلاد الجزريّة لانّهم كلّهم علموا بما اعتمده مظفّر الدين معه من تمليك البلاد فاطلقه، وسار صلاح الدين عن حرّان فى ربيع الاوّل فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ومعزّ الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة وهو ابن اخى عزّ الدين صاحب الموصل وكان قد فارق طاعة عمّه بعد قبض مجاهد الدين وسار مع صلاح الدين الى الموصل فلمّا وصلوا

الى مدينة بلد سيّر اتابك عزّ الدين والدته الى صلاح الدين ومعها ابنة عمّه نور الدين محمود بن زنكى وغيرها من النسآء وجماعة من اعيان الدولة يطلبون منه المصالحة وبذلوا له الموافقة والانجاد بالعساكر ليعود عنهنّ وانّما ارسلهنّ لانّه وكلّ مَن عنده ظنّوا انّهنّ اذا طلبن منه الشام اجابهنّ الى ذلك لاسيّما ومعهنّ ابنة مخدومه وولى نعمته نور الدين فلمّا وصلْنَ اليه انزلهنّ واحضر اصحابه واستشارهم فيما يفعله ويقوله فاشار اكثرهم باجابتهنّ الى ما طلبن منه وقال له الفقيه عيسى وعلىّ ابن احمد المشطوب وهما من بلد الهكّاريّة من اعمال الموصل مثل الموصل لا يترك لامرأة فانّ عزّ الدين ما ارسلهن الّا وقد عجز عن حفظ البلد ووافق ذلك هواه فاعادهنّ خايبات واعتذر باعذار غير مقبولة ولم يكن ارسالهنّ عن ضَعْف وهن انّما ارسلهنّ طلبًا [للدفع][1] للشرّ بالتى هى احسن ، فلمّا عُدْن رحل صلاح الدين الى الموصل وهو كالمتيقن انّه يملك البلد وكان الامر بخلاف ذلك فلمّا قارب البلد نزل على فرسخَيْن منه وامتدّ عسكره فى تلك الصحرآء بنواحى المحلّة المَراقيّة وكان يجرى بين العسكريْن مناوشات بظاهر الباب العمادىّ وكثُرَ انذاك بالموصل وبذل العامّة نفوسهم غيظًا وحنقًا لردّه النسآء فراى صلاح الدين ما لم يكن يحسبه فندم على ردّه النسآء ندامة الكُسَعى حيث فاته الذكر وملك البلد وعاد على الذين اشاروا بردّهنّ باللوم والتوبيخ وجآءته كُتُب القاضى الفاضل وغيره ممّن ليس له هوى فى الموصل يقبّحون فعله وينكرونه ، واتاه وهو على الموصل زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل فانزله ومعه اخوه مظفّر الدين كوكبرى وغيرهما من الامرآء بالجانب الشرقىّ من الموصل وسيّر من المنزلة علىّ بن احمد المشطوب الهكارىّ الى قلعة الجزيرة من بلد الهكّاريّة فحصرها واجتمع عليه من الاكراد والهكّاريّة كثير وبقى هناك الى ان رحل صلاح الدين عن الموصل وكان عامّة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقىّ من العسكر ويعودون ، ولمّا كان صلاح الدين يحاصر الموصل

[1]) C. P. et 740.

بلغ اتابك عزّ الدين صاحبها انّ نايبه بالقلعة يكاتبه فمنعه من الصعود الى القلعة وعاد يقتدى براى مجاهد الدين وكان قد اخرجه كما ذكرناه ويصدر عن رايه وضبط الامور واصلح ما كان فسد من الاحوال حتّى آل الامر الى الصلح على ما نذكره ان شآء الله وحضر عند صلاح الدين انسان بغدادىّ اقام بالموصل ثمّ خرج الى صلاح الدين فاشار عليه بقطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى وقال انّ دجلة اذا نقلت عن الموصل عطش اهلها فملكناها بغير قتال فظنّ صلاح الدين انّ قوله صدقًا فعزم على ذلك حتّى علم انّه لا يمكن قطعه بالكلّيّة فانّ المدّة تطول والتعب يكثر ولا فايدة ورآه وقبّحه عنده اصحابه فاعرض عنه، واقام بمكانه من اوّل ربيع الاخر الى ان قارب اخره ثمّ رحل عنها الى ميّافارقين وكان سبب ذلك انّ شاه ارمن صاحب خلاط توفّى بها تاسع ربيع الاخر فوصل الخبر بوفاته فى العشرين منه فعزم على الرحيل اليها وتملّكها حيث انّ شاه ارمن لم يخلّف ولدًا ولا احدًا من اهل بيته يملك بلاده بعده وانّما قد استولى عليها مملوك له اسمه بكتمر ولقبه سيف الدين فاستشار صلاح الدين امرآءه ووزرآءه فاختلفوا فامّا مَن هواه بالموصل فيشير بالمقام وملازمة الحصار لها وامّا مَن يكره أذى البيت الاتابكىّ فانّه اشار بالرحيل وقال انّ ولاية خلاط اكبر واعظم وهى سايبة لا حافظ لها وهذه لها سلطان يحفظها ويذبّ عنها واذا ملكنا تلك سهُل امر هذه وغيرها فتردّد فى امره فاتّفق انّه جآءه كُتُب جماعة من اعيان خلاط من اهلها وامرآيها يستدعونه ليسلّموا اليه البلد فسار عن الموصل وكانت مكاتبة مَن كاتبه خديعة ومكرًا فانّ شمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان وتلك المملكة قد قصدهم لياخذ البلاد منهم وكان قبل ذلك قد زوّج شاه ارمن على كبر سنّه بنتًا له ليجعل ذلك طريقًا الى مُلك خلاط واعمالها فلمّا بلغهم مسيره اليهم كاتبوا صلاحَ الدين يستدعونه اليهم ليسلّموا البلد اليه ليدفعوا به البهلوان ويدفعوه بالبهلوان وتبقى البلد بايديهم فسار صلاح الدين وسيّر فى مقدمته ابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه ومظفّر الدين بن زين الدين وغيرهما فساروا الى خلاط ونزلوا بطوانة

بالقرب من خلاط وسار صلاح الدين الى ميّافارقين وامّا البهلوان فانّه سار الى خلاط ونزل قريبًا منها وتردّدت رسل اهل خلاط بينهم وبينه وبين صلاح الدين ثم انّهم اصلحوا امرهم مع البهلوان وصاروا من حزبه وخطبوا له ۞

ذكر وفاة نور الدين صاحب الحصن

في هذه السنة توفّي نور الدين محمّد بن قرا ارسلان بن داود صاحب الحصن وآمد لمّا كان صلاح الدين على الموصل وخلّف ابنيْن فملك الاكبر منهما واسمه سقمان ولقبه قطب الدين وتولّى تدبير الامور وزيره القوام بن سماقا الاسعردى وكان عماد الدين بن قرا ارسلان قد سيّره اخوه نور الدين في عساكره الى صلاح الدين وهو يحاصر الموصل وهو معه فلمّا بلغه خبر وفاة اخيه سار ليملك البلاد بعده لصغر اولاده فتعذّر عليه ذلك فسار الى خرت برت فملكها وهي بيد اولاده الى سنة عشرين وستّمائة ولمّا حصر صلاح الدين ميّافارقين حضر عنده ولد نور الدين فاقرّه على مُلك ابيه ومن جملته آمد وكانوا خافوا ان يأخذها منهم فلم يفعل وردّهم الى بلادهم وشرط عليهم ان يراجعوه فيما يفعلونه ويصدرون عن امره ونهيه ورتّب معه اميرًا لقبه صلاح الدين من اصحاب ابيه ۞

ذكر مُلك صلاح الدين ميّافارقين

لمّا سار صلاح الدين الى خلاط جعل طريقه على ميّافارقين مطمع مُلكها حيث كان صاحبه قطب الدين صاحب ماردين قد توفّي كما ذكرنا وملك بعده ابنه وهو طفل وكان حكمها الى شاه ارمن وعسكره فيها فلمّا توفّي طمع في اخذها فلمّا نازلها رءاها مشحونة بالرجال وبها زوجة قطب الدين المتوفّي ومعها بنات لها منه وهي اخت نور الدين محمّد صاحب الحصن فاقام صلاح الدين عليها يحصرها من اوّل جمادى الاولى وكان المقدّم على اجنادها اميرًا اسمه يرنقش[1] ولقبه اسد الدين وكان شجاعًا شهمًا يحفظ البلد فاحسن اليه واشتدّ القتال عليه

---

[1]) Variat scriptura in tribus codicibus inter برنقش et يرنقش

ونُصبت المنجنيقات والعرادات فلم يصل صلاح الدين الى ما يريد منها فلمّا رأى ذلك عدل من القوّة والحرب الى اعمال الحيلة فراسل امرأة قطب الدين المقيمة بالبلد يقول لها انّ اسد الدين يرنقش قد مال الينا فى تسليم البلد ونحن نرعى حقّ اخيك[1] نور الدين فيك بعد وفاته ونريد يكون لك فى هذا الامر نصيب وانا ازوّج بناتك باولادى وتكون ميّافارقين وغيرها لك وبحكمك ووضع مَن ارسل الى الاسد يعرّفه انّ الخاتون قد مالت للمقاربة والانقياد الى السلطان وانّ مَن بخلاط قد كاتبوه ليسلّموا اليه خلاط لنفسك واتّفق انّ رسولاً وصله من خلاط يبذلون له الطاعة وقالوا له من الاستدعآء اليهم ما كانوا يقولونه فامر صلاح الدين الرسول فدخل الى ميّافارقين وقال للاسد انت عمّن تقاتل وانا قد جيت فى تسليم خلاط الى صلاح الدين فسقط فى يده وضعفت قوّته وارسل يقترح اقطاعًا ومالاً فاجيب الى ذلك وسلّم البلد سلخ جمادى الاولى وعقد النكاح لبعض اولاده على بعض بنات خاتون واقرّ بيدها قلعة هتّاخ لتكون فيها هى وبناتها ❊

ذكر عود صلاح الدين الى بلد الموصل والصلح بينه وبين اتابك عزّ الدين

لمّا فرغ صلاح الدين من امر ميّافارقين واحكم قواعدها وقرّر اقطاعاتها وولاياتها اجمع على العود الى الموصل فسار نحوها وجعل طريقه على نصيبين فوصل الى كفر زمار والزمان شتآء فنزلها فى عساكره وعزم على المقام بها واقطاع جميع بلاد الموصل وأَخْذ غلّاتها ودَخْلها واضعاف الموصل بذلك اذا علم انّه لا يمكنه التغلّب عليها وكان نزوله فى شعبان واقام بها شعبان ورمضان وترددت الرسل بينه وبين عزّ الدين صاحب الموصل وصار مجاهد الدين يراسل ويتقرّب وكان قوله مقبولاً عند ساير الملوك لما علموا من محبّته فبينما الرسل تتردّد فى الصلح اذ مرض صلاح الدين وسار من كفر زمار عايدًا الى حرّان فلحقه الرسل بالاجابة الى ما طلب فتقرّر الصلح وحلف على ذلك وكانت القاعدة ان يسلّم اليه عزّ الدين شهرزور واعمالها وولاية القرابلى وجميع ما ورآء الزاب

---

[1] اخوك

من اعمال وان يُخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكّة فلمّا حلف ارسل رسله فحلّف عزّ الدين له وتسلّم البلاد التى استقرّت القاعدة على تسليمها ٭ ووصل صلاح الدين الى حرّان فاقام بها مريضًا وامنت الدنيا وسكنت الدهمآء وانحسمت مادّة الفتن وكان ذلك بتوصّل مجاهد الدين قايماز رحمه الله واما صلاح الدين فانّه طال مرضه بحرّان وكان عنده من اهله اخوه الملك العادل وله حينئذ حلب وولده الملك العزيز عثمان واشتدّ مرضه حتّى ايسوا من عافيته فحلّف الناسَ لاولاده وجعل لكلّ منهم شيأً من البلاد معلومًا وجعل اخاه العادل وصيًّا على الجميع ثمّ انّه عوفى وعاد الى دمشق فى محرّم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ٭ ولمّا كان مريضًا بحرّان كان عنده ابن عمّه ناصر الدين محمّد بن شيركوه وله من الاقطاع حمص والرحبة فسار من عنده الى حمص فاجتاز بحلب واحضر جماعة من الدمشقيّين وواعدهم على تسليم البلد اليه اذا مات صلاح الدين واقام بحمص ينتظر موته ليسير الى دمشق فيملكها فعوفى وبلغه الخبر على جهته فلم يمض غير قليل حتّى مات ابن شيركوه ليلة عيد الاضحى فانّه شرب الخمر واكثر منه فاصبح ميّتًا فذكروا والعهدة عليهم انّ صلاح الدين وضع انسانًا يقال له الناصح بن العميد وهو من دمشق فحضر عنده ونادمه وسقاه سُمًّا فلمّا اصبحوا من الغد لم يروا الناصح فسالوا عنه فقيل انّه سار من ليلته الى صلاح الدين فكان هذا ممّا قوّى الظنّ فلمّا توفّى اعطى اقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتى عشرة سنة وخلّف ناصر الدين من الاموال والخيل والالات شيأً كثيرًا فحضر صلاح الدين فى حمص واستعرض تركته واخذ اكثرها ولم يترك الّا ما لا خير فيه وبلغنى انّ شيركوه بن ناصر الدين حضر عند صلاح الدين بعد موت ابيه بسنة فقال له الى اين بلغتَ من القرآن فقال الى قوله تعالى إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا[1] فعجب صلاح الدين والحاضرون من ذكائه ٭

[1]) Cor. 4, 11.

ذكر الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل

فى هذه السنة ابتدات الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور واذربيجان وقُتل فيها من الخلق ما لا يُحصى ودامت عدّة سنين وتقطّعت الطرق ونُهبت الاموال وأُريقت الدمآء وكان سببها انّ امراة من التركمان تزوّجت بانسان تركمانىّ واجتازوا فى طريقهم بقلعة من الزوزان الاكراد فجآء اهلها وطلبوا من التركمان وليمة العُرس فامتنعوا من ذلك وجرى بينهم كلام صاروا منه الى القتال فنزل صاحب تلك القلعة فاخذ الزوج فقتله فهاجت الفتنة وقام التركمان على ساق وقتلوا جمعًا كثيرًا من الاكراد وثار الاكراد فقتلوا من التركمان ايضًا كذلك وتفاقم الشرّ ودام ثم انّ مجاهد الدين قايماز رحمه الله جمع عنده جمعًا من روسآء الاكراد والتركمان واصلح بينهم واعطاهم الخلع والثياب وغيرها واخرج عليهم مالاً جمًّا فانقطعت الفتنة وكفى الله شرّها وعادوا الى ما كانوا عليه من الطمانينة والامان ٭

ذكر مُلك الملثّمين والعرب افريقية وعودها الى الموحّدين

قد ذكرنا سنة ثمانين مُلك علىّ بن اسحق الملثّم بجاية وارسال يعقوب بن يوسف بن عبد المومن العساكر واستعادتها فسار الى افريقية فلمّا وصل اليها اجتمع سُليم ورياح[1] ومَن هناك من العرب وانضاف اليهم الترك الذين كانوا قد دخلوا من مصر مع شرف الدين قراقوش وقد تقدّم ذكر وصوله اليها ودخل ايضًا من اتراك مصر مملوك لتقى الدين بن اخى صلاح الدين اسمه بوزابة فكثر جمعهم وقويت شوكتهم فلمّا اجتمعوا بلغت عدّتهم مبلغًا كثيرًا وكلّهم كارهٌ لدولة الموحّدين واتبعوا جميعهم علىّ بن اسحق الملثّم لانّه من بيت المملكة والرياسة القديمة وانقادوا اليه ولقّبوه بامير المسلمين وقصدوا بلاد افريقية فملكوها جميعها شرقًا وغربًا الّا مدينتَين تونس والمهديّة فانّ الموحّدين اقاموا بها وحفظوها على خوف وضيق وشدّة وانضاف الى المفسد الملثّم

---

[1] ورياح

كلّ مفسد فى تلك الارض ومّن يريد الفتنة والنهب والفساد والشرّ فخرّبوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا الحُرَم وقطعوا الاشجار ، وكان الوالى على افريقية حينئذ عبد الواحد ابن عبد الله الهنتاتى[1] وهو بمدينة تونس فارسل الى ملك المغرب يعقوب وهو بمرّاكش يُعلمه الحال وقصد الملثّم جزيرة باشرا وهى بقرب تونس تشتمل على قرى كثيرة فنازلها واحاط بها فطلب اهلها منه الامان فآمّنهم فلمّا دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الاموال والدوابّ والغلّات وسلبوا الناس حتّى ثيابهم وامتدّت الايدى الى النسآء والصبيان وتركوهم هلكى فقصدوا مدينة تونس فامّا الاقويا فكانوا يخدمون ويعملون ما يقوم بقوّتهم وامّا الضعفآء فكانوا يستعطون ويسئلون الناس ودخل عليهم فصل الشتآء فاهلكهم البرد ووقع فيهم الوبآء فاحصى الموتى منهم فكانوا اثنا عشر الفًا هذا من موضع واحد فما الظنّ بالباقى ولمّا استولى الملثّم على افريقية قطع خطبة اولاد عبد المؤمن وخطب للامام الناصر لدين الله الخليفة العبّاسىّ وارسل اليه يطلب الخلع والاعلام السود ، وقصد فى سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فحصرها فاخرج اهلها الموحّدين من عساكر ولد عبد المؤمن وسلّموها الى الملثّم فرتّب فيها جندًا من الملثّمين والاتراك وحصّنها بالرجال مع حصانتها فى البنآء ، وامّا يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فانّه لمّا وصله الخبر اختار من عساكره عشرين الف فارس من الموحّدين وقصد فقلّة العسكر لقلّة القوت فى البلاد ولما جرى فيها من التخريب والاذى وسار فى صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فوصل الى مدينة تونس وارسل ستّة الاف فارس مع ابن اخيه فساروا الى علىّ بن اسحق الملثّم ليقاتلوه وكان بقفصة فوافوه وكان مع الموحّدين جماعة من الترك فخامروا عليهم فانهزم الموحّدون وقُتل جماعة من مقدّميهم وكان ذلك فى ربيع الاوّل سنة ثلاث وثمانين ، فلمّا بلغ يعقوبَ الخبر اتام بمدينة تونس الى نصف رجب من السنة ثم خرج فيمن معه من العساكر يطلب الملثّم والاتراك فوصل اليهم فالتقوا بالقرب من مدينة

---

[1] الهسانى

قابس واقتتلوا فانهزم الملثّم ومَن معه فاكثر الموحّدون القتل حتّى كادوا يفنونهم فلم ينجُ منهم الّا القليل فقصدوا البرّ ورجع يعقوب من يومه الى قابس ففتحها واخذ منها اهل قراقوش واولاده وحملهم الى مرّاكش وتوجّه الى مدينة قفصة فحصرها ثلاثة اشهر وقطع اشجارها وخرّب ما حولها فارسل اليه الترك الذين فيها يطلبون الامان لانفسهم ولاهل البلد فاجابهم الى ذلك وخرج الاتراك منها سالمين وسيّر الاتراك الى الثغور لما راى من شجاعتهم ونكايتهم فى العدوّ وتسلّم يعقوب البلد وقتل مَن فيه من الملثّمين وهدم اسواره وترك المدينة مثل قرية وظهر ما انذر به المهدى بن تومرت فانّه قال انّها تخرب اسوارها وتقطع اشجارها وقد تقدّم ذكر ذلك ؛ فلمّا فرغ يعقوب من امر قفصة واستقامت افريقية عاد الى مرّاكش وكان وصوله اليها سنة اربع وثمانين وخمسمائة ☼

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فارق الرضى ابو الخير اسمعيل القزوينىّ الفقيه الشافعىّ بغداد وكان مدرّس النظاميّة بها وعاد الى قزوين ودرّس فيها بعده الشيخ ابو طالب المبارك صاحب ابن الخلّ وكان من العلمآء الصالحين ؛ وفيها كان بين اهل الكرخ ببغداد وبين اهل باب البصرة فتنة عظيمة جُرح فيها كثير منهم وقُتل ثمّ اصلح النقيب الطاهر بينهم ؛ وفيها توفّى الفقيه مهذّب الدين عبد الله ابن اسعد الموصلىّ وكان عالمًا بمذهب الشافعىّ وله نظم ونثر اجاد فيه وكان من محاسن الدنيا وفاته بحمص ☼

سنة ٥٨٢ ثمّ دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ؛

ذكر نقل العادل من حلب والملك العزيز الى مصر واخراج الافضل من مصر الى دمشق واقطاعه ايّاها

فى هذه السنة اخرج صلاح الدين ولده الافضل علىّ من مصر الى دمشق واقطعها له واخذ حلب من اخيه العادل وسيّره مع ولده العزيز عثمن الى مصر وجعله نايبًا عنه واستدعى تقى الدين منها وسبب ذلك انّه كان قد استناب تقى الدين بمصر كما ذكرناه

وجعل معه ولده الاكبر الافضل علىّ فارسل تقى الدين يشكو من الافضل ويذكر انّه قد عجز من جباية الخراج معه لانّه كان حليمًا كريمًا اذا اراد تقى الدين معاقبة احد منعه فاحضر ولدَه الافضل وقال لتقى الدين لا تحتجّ فى الخراج وغيره بحجّة وتغيّر عليه بذلك وظنّ انّه يريد اخراج ولده الافضل لينفرد بمصر حتّى يملكها اذا مات صلاح الدين فلمّا قوى هذا الخاطر عنده احضر اخاه العادل من حلب وسيّره الى مصر ومعه ولده العزيز عثمن واستدعى تقى الدين الى الشام فامتنع من الحضور وجمع الاجناد والعساكر ليسير الى المغرب الى مملوكه قراقوش وكان قد استولى على جبال نفوسة وبرقة وغيرها وقد كتب اليه يرغبه فى تلك [البلاد] فتجهّز للسفر اليه واستصحب معه اجناد العسكر واكثر منهم فلمّا سمع ذلك صلاح الدين ساءه وعلم انّه ان ارسل اليه يمنعه لم يُجبه فارسل اليه يقول له اريد ان تحضر عندى لاودّعك واوصيك بما تفعله فلمّا حضر عنده منعه وزاد فى اقطاعه فصار اقطاعه حماة ومنبج والمعرّة وكفرطاب وميّافارقين وجبل جور بجميع اعمالها وكان تقى الدين قد سيّر فى مقدّمته مملوكه بوزابة فاتّصل بقراقوش وكان منهم ما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسماية، وقد بلغنى من خبير باحوال صلاح الدين انّه انّما حمله على اخذ حلب من العادل واعادة تقى الدين الى الشام انّ صلاح الدين لمّا مرض بحرّان على ما ذكرناه ارجف بمصر انّه قد مات فجرى من تقى الدين حركات مَن يريد يستبدّ بالملك فلمّا عوفى صلاح الدين بلغه ذلك فارسل الفقيه عيسى الهكّارىّ وكان كبير القدر عنده مطاعًا فى الجند الى مصر وامره باخراج تقى الدين والمقام بمصر فسار مجدًّا فلم يشعر تقى الدين الّا وقد دخل الفقيه عيسى الى داره بالقاهرة وارسل اليه يامره بالخروج منها فطلب ان يمهل الى ان يتجهّز فلم يفعل وقال تقيم خارج [المدينة] وتتجهّز فخرج واظهر انّه يريد الدخول الى الغرب فقال له اذهب حيث شئت فلمّا سمع صلاح الدين الخبر ارسل اليه يطلبه فسار الى الشام فاحسن اليه ولم يُظهر له شيئًا ممّا

كان لانّه كان حليمًا كريمًا صبورًا رحمه الله ، وامّا اخذ حلب من العادل فانّ السبب فيه انّه كان من جملة جندها اميرٌ كبيرٌ اسمه سليمان بن جندر بينه وبين صلاح الدين محبة قديمة قبل المُلك وكان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلًا ذا مكر ودهآء فاتّفق انّ الملك العادل لمّا كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنّه وقدّم غيره عليه فتاثّر بذلك فلمّا مرض صلاح الدين وعوفي سار الى الشام فسايره يومًا سليمان بن جندر فجرى حديث مرضه فقال له سليمان باىّ راى كنتَ تظنّ انّك تمضى الى الصيد فلا يخالفونك بالله ما تستحى يكون الطاير أهْدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا اراد الطاير ان يعمل عُشًّا لفراخه قصد اعلى الشجر ليحمى فراخه وانت سلّمتَ الحصونَ الى اهلك وجعلت اولادك على الارض هذه حلب بيد اخيك وحماة بيد تقى الدين وحمص بيد ابن شيركوه وابنك العزيز مع تقى الدين بمصر يُخرجه اىّ وقت اراد وهذا ابنك الاخر مع اخيك فى خيمه يفعل به ما اراد فقال له صدقتَ واكتم هذا الامر ثمّ اخذ حلب من اخيه واخرج تقى الدين من مصر ثمّ اعطى اخاه العادل حرّان والرها وميّافارقين ليخرجه من الشام ومصر لتبقى لاولاده فلم ينفعه ما فعل لمّا اراد الله تعالى نقل الملك عن اولاده على ما نذكره ۞

ذكر وفاة البهلوان ومُلك اخيه قزل

فى هذه السنة فى اوّلها توفّى البهلوان محمّد بن ايلدكز صاحب بلد الجبل والرىّ واصفهان واذربيجان واراّنيّة وغيرها من البلاد وكان عادلًا حسنَ السيرة عاقلًا حليمًا ذا سياسة حسنة للمُلك وكانت تلك البلادُ فى ايّامه آمنةً والرعايا مطمئنةً فلمّا مات جرى باصفهان بين الشافعيّة والحنفيّة من الحروب والقتل والاحراق والنهب ما يجلّ عن الوصف وكان قاضى البلد راس الحنفيّة وابن الخجندىّ[1] راس الشافعيّة وكان بمدينة الرىّ ايضًا فتنة عظيمة بين السُنّة والشيعة وتفرّق اهلها

---

1) الخجندى

وقُتل منهم وخربت المدينة وغيرها من البلاد ولمّا مات انبهلوان ملك اخوه قزل ارسلان واسمه عثمان وكان السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه مع البهلوان والخطبة له فى البلاد بالسلطنة وليس له من الامر شىء وانّما البلاد والامرآء والاموال بحكم البهلوان فلمّا مات البهلوان خرج طغرل عن حكم قزل ولحق به جماعة من الامرآء والجند فاستولى على بعض البلاد وجرت بينه وبين قزل حروب نذكرها ان شآء الله تعالى ❁

[ذكر اختلاف الفرنج بالشام وانحياز القمص صاحب طرابلس الى صلاح الدين][1]

كان القمص صاحب طرابلس واسمه ريمند بن ريمند الصنجيلىّ قد تزوّج بالقومصة صاحبة طبريّة وانتقل اليها واقام عندها بطبريّة ومات الملك الفرنج بالشام وكان مجذومًا واوصى بالملك الى ابن اخت له وكان صغيرًا فكفله القمص وقام بسياسة الملك وتدبيره لانّه لم يكن للفرنج ذلك الوقت اكبر منه شانًا ولا اشجع ولا اجود رايًا منه فطمع فى المُلك بسبب هذا الصغير فاتّفق انّ الصغير توفّى فانتقل الملك الى امّه فبطل ما كان القمص يحدث نفسه ثمّ انّ هذه الملكة هويت رجلًا من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه كى فتزوّجته ونقلتْ الملك اليه وجعلتْ التاج على راسه واحضرتْ البطرك والقسوس والرهبان والاسبتاريّة والداويّة والبارونيّة[2] واعلمتْهم انّها قد ردّت المُلك اليه واشهدتْهم عليها بذلك فاطاعوه ودانوا له فعظم ذلك على القمص وسقط فى يديه وطولب بحساب ما جبى من الاموال مدّة ولاية الصبىّ فادّعى انّه انفقه عليه وزاده ذلك نفورًا وجاهر بالمشاققة والمباينة وراسل صلاحَ الدين وانتمى اليه واعتضد به وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج ففرح صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعده النصرة والسعى له فى كلّ ما يريد وضمن له انّه يجعله ملكًا مستقلًّا للفرنج قاطبةً وكان عنده جماعة من فرسان القمص فاطلقهم فحلّ ذلك عنده

---

[1] C. P. et 740.

[2] البازونية

اعظم محلّ واظهر طاعة صلاح الدين ووافقه على ما فعل جماعة من الفرنج فاختلفت كلمتهم وتفرّق شملهم وكان ذلك من اعظم الاسباب الموجبة لفتح بلادهم واستنقاذ البيت المقدّس منهم على ما نذكره ان شآء الله ، وسيّر صلاح الدين السرايا من ناحية طبريّة فشنّت الغارات على بلاد الفرنج وخرجت سالمة غانمة فوهن الفرنج بذلك وضعُفوا وتجرّا المسلمون عليهم وطمعوا فيهم ✿

ذكر غدر البرنس ارناط

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من اعظم الفرنج واخبثهم واشدّهم عداوة للمسلمين واعظمهم ضررًا عليهم فلمّا راى صلاح الدين ذلك منه قصده بالحصر مرّة بعد مرّة وبالغارة على بلاده كرّة بعد اخرى فذلّ وخضع وطلب الصلح من صلاح الدين فاجابه الى ذلك وهادنه وتحالفا وتردّدت القوافل من الشام الى مصر ومن مصر الى الشام فلمّا كان هذه السنة اجتاز به قافلة عظيمة غزيرة الاموال كثيرة الرجال ومعها جماعة صالحة من الجند فغدر اللعين بهم واخذهم عن اخرهم وغنم اموالهم ودوابّهم وسلاحهم واودع السجون من اسره منهم فارسل اليه صلاح الدين يلومه ويقبّح فعله وغدره ويتوعده ان لم يطلق الاسرى والاموال فلم يجب الى ذلك واصرّ على الامتناع فنذر صلاح الدين نذرًا ان يقتله ان ظفر فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ✿

ذكر عدّة حوادث

كان المنجّمون قديمًا وحديثًا قد حكموا انّ هذه السنة التاسع والعشرين من جمادى الاخرة تجتمع الكواكب الخمسة فى برج الميزان وبحدث باقترانها رياح شديدة فلم يكن لذلك صحّة ولم يهبّ من الرياح شئ البتّة حتى انّ الغلال الحنطة والشعير تاخّر نجازها لعدم الهوى الذى يذرّى به الفلّاحون فاكذب الله احدوثة المنجّمين واخزاهم ، وفيها توفّى عبد الله بن برّى بن عبد الجبّار ابن برّى النحوى المصرى وكان امامًا فى النحو رحمه الله تعالى ✿

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسماية ، سنة ٥٨٣

اتفق اوّل هذه السنة يوم السبت وهو يوم النوروز السلطانى ورابع عشر ادار سنة الف واربع مايةٍ وثمان وتسعين اسكندريّة وكان القمر والشمس فى الحمل واتّفق اوّل سنة العرب واوّل سنة الفرس التى جدّدوها اخيرًا واوّل سنة الروم والشمس والقمر فى اوّل البروج وهذا يبعد وقوع مثله ☆

ذكر حصر صلاح الدين الكرك

فى هذه السنة كتب صلاح الدين الى جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد وكتب الى الموصل وديار الجزيرة واربل وغيرها من بلاد الشرق والى مصر وساير بلاد الشام يدعوهم الى الجهاد ويحثّهم عليه ويامرهم بالتجهّز له بغاية الامكان ثم خرج من دمشق اواخر المحرّم فى عسكرها وحلقتها الخاصّ فسار الى راس الماء وتلاحقت به العساكر الشاميّة فلمّا اجتمعوا جعل[1] عليهم ولده الملك الافضل عليًّا ليجتمع اليه مَن يرد اليه منها وسار هو الى بُصْرى جريدة وكان سبب مسيره وقصده اليها انّه اتته الاخبار انّ البرنس ارناط صاحب الكرك يريد ان يقصد الحجاج لياخذهم من طريقهم واظهر انّه اذا فرغ من اخذ الحجاج يرجع الى طريق العسكر المصرىّ يصدّهم عن الوصول الى صلاح الدين فسار الى بُصْرى ليمنع البرنس ارناط من طلب الحجاج ويلزم بلده[2] خوفًا عليه وكان من الحجاج جماعة من اقاربه منهم محمّد بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين وغيره فلمّا سمع ارناط بقرب صلاح الدين من بلده لم يفارقه وانقطع عمّا طمع فيه فوصل الحاجّ سالمين فلمّا وصلوا وفرغ سرّه من جهتهم سار الى الكرك وبثّ سراياه من هناك على ولاية الكرك والشوبك وغيرها فنهبوا وخرّبوا واحرقوا والبرنس محصور لا يقدر على المنع عن بلده وساير الفرنج قد لزموا طرق بلادهم خوفًا من العسكر الذى مع ولده الافضل فتمكّن من الحصر والنهب والحريق والتخريب هذا فعل صلاح الدين ☆

---

[1] وجعل [2] ولده

ذكر الغارة على بلد عكّا

ارسل صلاح الدين الى ولده الافضل يامره ان يرسل قطعة صالحة من الجيش الى بلد عكّا ينهبونه ويخرّبونه فسيّر مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين وهو صاحب حرّان والرها واضاف اليه قايماز النجمىّ ودلدرم الياقوتىّ وهما من اكابر الامرآء وغيرهما فساروا ليلاً وصبّحوا صفوريّة اواخر صفر فخرج اليهم الفرنج فى جمع من الداويّة والاسبتاريّة وغيرهما فالتقوا هناك وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود ثم انزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الفرنج وقُتل منهم جماعة وأُسر الباقون وفيمن قُتل مقدّم الاسبتاريّة وكان من فرسان الفرنج المشهورين وله النكايات العظيمة فى المسلمين ونهب المسلمون ما جاورهم من البلاد وغنموا وسبوا وعادوا سالمين وكان عودهم على طبريّة وبها القمص فلم ينكر ذلك فكان فتحًا كثيرًا فانّ الداويّة والاسبتاريّة هم جمرة الفرنج وسُيّرت البشاير الى البلاد بذلك ۞

ذكر عود صلاح الدين الى عسكره ودخوله الى الفرنج

لمّا اتت صلاحَ الدين البشارة بهزيمة الاسبتاريّة والداويّة وقَتْل من قُتل منهم وأَسْر مَن أُسر منهم عاد عن الكرك الى العسكر الذى مع ولده الملك الافضل وقد تلاحقت ساير الامرآء والعساكر واجتمع بهم وساروا جميعًا وعرض العسكر فبلغت عدّتهم اثنى عشر الف فارس ممّن له الاقطاع والجامكيّة سوى المتطوّعة فعبّا عسكره قلبًا وجناحيْن وميمنة وميسرة وجالشيّة وساقة وعرف كلّ منهم موضعه وموقفه وامره بملازمته وسار على تعبيّة فنزل بالاقحوانة بقرب طبريّة وكان القمص قد انتمى الى صلاح الدين كما ذكرنا وكُتبه متّصلة اليه يعده النصرة ويمنيه المعاضدة وما يعدهم الشيطان الّا غرورًا فلمّا راى الفرنج العساكر الاسلاميّة وتصميم العزم على قصد بلادهم ارسلوا الى القمص البطرك والقسوس والرهبان وكثيرًا من الفرسان فانكروا عليه انتمآءه الى صلاح الدين وقالوا له لا شكّ اسلمتَ والّا لم تصبر على فعل المسلمين امس بالفرنج يقتّلون الداويّة والاسبتاريّة ويأسرونهم ويجتازون بهم عليك وانت لا تنكر ذلك ولا تمنع عنه ووافقهم على ذلك مَن عنده من

عسكر طبريّة وطرابلس وتهدّد البطرك انّه يحرّمه ويفسخ عليه نكاح زوجته الى غير ذلك من التهديد فلمّا راى القمص شدّة الامر عليه خاف فاعتذر وتنصّل وتاب فقبلوا عذره وغفروا زلّته وطلبوا منه المواثقة على المسلمين والموازرة على حفظ بلادهم فاجابهم الى المصالحة والانضمام اليهم والاجتماع بهم وسار معهم الى ملك الفرنج واجتمعت كلمتهم بعد فرقتهم ولم تغن عنهم من الله شيا وجمعوا فارسهم وراجلهم ثم ساروا من عكّا الى صفوريّة وهم يقدّمون رجلًا ويوخرون اخرى قد ملئت قلوبهم رعبًا ✿

ذكر فتح صلاح الدين طبريّة

لمّا اجتمع الفرنج وساروا الى صفوريّة جمع صلاح الدين امراءه واستشارهم فاشار اكثرهم عليه بترك اللقاء وان يُضْعف الفرنج بشنّ الغارات واخراب الولايات مرّة بعد مرّة فقال له بعض امرائه الراى عندى انّنا نجوس بلادهم وننهب ونخرّب ونحرق ونسبى فان وقف احد من عسكر الفرنج بين ايدينا لقيناه فانّ الناس بالمشرق يلعنوننا ويقولون ترك قتال الكفّار واقبل يريد قتال المسلمين والراى ان نفعل فعلًا نُعذر فيه ونكفّ الالسنة عنّا فقال صلاح الدين الراى عندى ان نلقى بجمع المسلمين جمع الكفّار فانّ الامور لا تجرى بحكم الانسان ولا نعلم[1] قدر الباقى من اعمارنا ولا ينبغى ان نفرّق هذا الجمع الّا بعد الجدّ بالجهاد ، ثم رحل من الاقحوانة اليوم الخامس من نزوله بها وهو يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الاخر فسار حتّى خلّف طبريّة ورآء ظهره وصعد جبلها وتقدّم حتّى قارب الفرنج فلم ير منهم احدًا ولا فارقوا خيامهم فنزل وامر العسكر بالنزول فلمّا جنّه الليل جعل فى مقابل الفرنج مَن يمنعهم من القتال ونزل جريدة الى طبريّة وقاتلها ونقب بعض ابراجها واخذ المدينة عنوة فى ليلة ولجا مَن بها الى القلعة التى لها فامتنعوا بها وفيها صاحبتها ومعها اولادها فنهب المدينة واحرقها ، فلمّا سمع الفرنج نزول صلاح الدين الى طبريّة وملكه المدينة

---

[1] بعلم

واخذ ما فيها واحراقها واحراق ما تخلّف ممّا لا يُحمل اجتمعوا للمشورة فاشار بعضهم بالتقدّم الى المسلمين وقتالهم ومنعهم عن طبريّة فقال القمص انّ طبريّة لى ولزوجتى وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل وبقى القلعة وفيها زوجتى وقد رضيت ان ياخذ القلعة وزوجتى وما لنا بها وبعود فوالله لقد رايتُ عساكر الاسلام قديمًا وحديثًا ما رايتُ مثل هذا العسكر الذى مع صلاح الدين كثرةً وقوّةً واذا اخذ طبريّة لا يمكنه المقام بها فتى فارقها وعاد عنها اخذناها وان اقام بها لا يقدر على المقام بها الاّ بجميع عساكره ولا يقدرون على الصبر طول الزمان عن اوطانهم واهليهم فيضطرّ الى تركها ونفتك مَن اسر منّا فقال له برنس ارناط صاحب الكرك قد اطلتَ فى التخويف من المسلمين ولا شكّ انّك تريدهم وتميل اليهم والاّ ما كنتَ تقول هذا وامّا قولك انّهم كثيرون فانّ النار لا يضرّها كثرة الحطب فقال انا واحد منكم ان تقدّمتم تقدّمتُ وان تاخّرتم تاخّرتُ وسترون ما يكون ، فقوى عزمهم على التقدّم الى المسلمين وقتالهم فرحلوا من معسكرهم الذى لزموه وقربوا من عساكر الاسلام ، فلمّا سمع صلاح الدين بذلك عاد عن طبريّة الى عسكره وكان قريبًا منه وانّما كان قصده بمحاصرة طبريّة ان يفارق الفرنج مكانهم ليتمكّن من قتالهم وكان المسلمون قد نزلوا على الماء والزمان قيظًا شديد الحرّ فوجد الفرنج العطش ولم يتمكّنوا من الوصول الى ذلك الماء من المسلمين وكانوا قد افنوا ما هناك من ماء الصهاريج ولم يتمكّنوا من الرجوع خوفًا من المسلمين فبقوا على حالهم الى الغد وهو يوم السبت وقد اخذ العطش منهم وامّا المسلمون فانّهم طمعوا فيهم وكانوا من قبل يخافونهم فباتوا يحرّض بعضهم بعضًا وقد وجدوا ريح النصر والظفر وكلّ ما راوا حال الفرنج خلاف عادتهم ممّا ركبهم من الخذلان زاد طمعهم وجرأتهم فاكثروا التكبير والتهليل طول ليلتهم ورتّب السلطان تلك الليلة الجاليشيّة وفرّق فيهم النشاب ❀

ذكر انهزام الفرنج بحطّين

اصبح صلاح الدين والمسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الاخر فركبوا وتقدّموا الى الفرنج فركب الفرنج ودنا بعضهم من

بعض الّا انّ الفرنج قد اشتدّ بهم العطش واخذلوا فاقتتلوا واشتدّ القتال وصبر الفريقان ورمى جاليشيّة المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر فقتلوا من خيول الفرنج كثيرًا هذا القتال بينهم والفرنج قد جمعوا نفوسهم براجلهم وهم يقاتلون سايرون نحو طبريّة لعلّهم يردون الماء فلمّا علم صلاح الدين مقصدهم صدّهم عن مرادهم ووقف بالعسكر فى وجوههم وطاف بنفسه على المسلمين يحرّضهم ويأمرهم بما يصلحهم وينهاهم عمّا يضرّهم والناس يأتمرون لقوله ويقفون عند نهيه فحمل مملوك من مماليكه الصبيان حملة منكرة على صفّ الفرنج فقاتل قتالاً تجب منه الناس ثمّ تكاثر الفرنج عليه فقتلوه فحين قُتل حمل المسلمون حملة منكرة ضعضعوا الكفّار وقتل منهم كثيرًا فلمّا راى القمص شدّة الامر علم انّهم لا طاقة لهم بالمسلمين فاتّفق هو وجماعته وحملوا على مَن يليهم وكان المقدّم من المسلمين فى تلك الناحية تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين فلمّا راى حملة الفرنج حملة مكروب علم انّه لا سبب الى الوقوف فى وجوههم فامر اصحابه ان يفتحوا لهم طريقًا يخرجون منه وكان بعض المتطوّعة قد القى فى تلك الارض نارًا وكان الحشيش كثيرًا فاحترق وكانت الريح فحملت حرّ النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحرّ الزمان وحرّ النار والدخان وحرّ القتال فلمّا انهزم القمص سقط فى ايديهم وكادوا يستسلمون ثمّ علموا انّهم لا ينجيهم من الموت الّا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم لو لا لطف الله بهم الّا انّ الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الّا وقد قُتل منهم فوهنوا لذلك وهنًا عظيمًا فاحاط بهم المسلمون احاطة الدايرة بقطرها فارتفع مَن بقى من الفرنج الى تلّ بناحية حطّين وارادوا ان ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم به فاشتدّ القتال عليهم من ساير الجهات ومنعوهم عمّا ارادوا ولم يتمكّنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم لا غير واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذى يسمّونه صليب الصلبوت ويذكرون انّ فيه قطعة من الخشبة التى صلب عليها المسيح عمّ بزعمهم فكان اخذه عندهم من اعظم المصايب عليهم وايقنوا بعده

بالقتل والهلاك هذا والقتل والاسر يعملان فى فرسانهم ورجّالتهم فبقى الملك على التلّ فى مقدار مايّة وخمسين فارسًا من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين فحكى لى عن الملك الافضل ولد صلاح الدين قال كنتُ الى جانب ابى فى ذلك المصافّ وهو اوّل مصافّ شاهدتُه فلمّا صار ملك الفرنج على التلّ فى تلك الجماعة حملوا حملة منكرة على مَن بازايهم من المسلمين حتّى الحقوهم بوالدى قال فنظرتُ اليه وقد علته كأبة واربدّ لونه وامسك بلحيته وتقدّم وهو يصيح كذّب الشيطان قال فعاد المسلمون على الفرنج فرجعوا فصعدوا الى التلّ فلمّا رايتُ الفرنج قد عادوا والمسلمون يتبعونهم صحْتُ من فرحى هزمناهم فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الاولى الحقوا المسلمين بوالدى وفعل مثل ما فعل اوّلًا وعطف المسلمون عليهم فالحقوهم بالتلّ فصحْتُ انا ايضًا هزمناهم فالتفت والدى الىّ وقال اسكت ما نهزمهم حتّى تسقط تلك الخيمة قال فهو يقول لى واذ الخيمة قد سقطت فنزل السلطان وسجد شكرًا لله تعالى فبكى من فرحه وكان سبب سقوطها انّ الفرنج لمّا حملوا تلك الحملات ازدادوا عطشًا وقد كانوا يرجون الخلاص فى بعض تلك الحملات ممّا هم فيه فلم يجدوا الى الخلاص طريقًا فنزلوا عن دوابّهم . وجلسوا على الارض فصعد المسلمون اليهم فالقوا خيمة الملك واسروهم عن بكرة ابيهم وفيهم الملك واخوه والبرنس ارناط صاحب الكرك ولم يكن للفرنج اشدّ منه عداوةً للمسلمين واسروا ايضًا صاحب جُبيل وابن هنفرى ومقدّم الداويّة وكان من اعظم الفرنج شانًا .وأُسروا ايضًا جماعة من الداويّة وجماعة من الاسبتاريّة وكثر القتل والاسر فيهم فكان مَن يرى القتلى لا يظنّ انّهم اسروا واحدًا ومن يرى الاسرى لا يظنّ انّهم قتلوا احدًا وما اصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احد وتسعين واربعمايّة الى الآن مثل هذه الوقعة، فلمّا فرغ المسلمون منهم نزل صلاح الدين فى خيمته واحضر ملك الفرنج عنده وبرنس صاحب الكرك واجلس الملك الى جانبه وقد اهلكه العطش فسقاه مآء مثلوجًا فشرب واعطى فضله برنس صاحب الكرك فشرب فقال صلاح الدين انّ هذا الملعون لم يشرب المآء باذنى فينال امانى ثمّ كلّم البرنس وقرعه بذنوبه وعدّد عليه عوراته

وقام اليه بنفسه فضرب رقبته وقال كنتُ نذرتُ دفعتين ان اقتله ان ظفرتُ به احداهما لمّا اراد المسير الى مكّة والمدينة والثانية لمّا اخذ القفل غدرًا فلمّا قتله وسحب واخرج ارتعدت فرايص الملك فسكّن جأشه وامّنه وامّا القمص صاحب طرابلس فانّه لمّا نجا من المعركة كما ذكرناه وصل الى صور ثمّ قصد طرابلس ولم يلبث الّا ايامًا قلايل حتّى مات غيظًا وحنقًا ممّا جرى على الفرنج خاصّةً وعلى دين النصرانيّة عامّةً ۞

ذكر عود صلاح الدين الى طبريّة وملك قلعتها مع المدينة

لمّا فرغ صلاح الدين من هزيمة الفرنج اقام بموضعه باقي يومه واصبح يوم الاحد عاد الى طبريّة ونازلها فارسلت صاحبتها تطلب الامان لها ولاولادها واصحابها ومالها فاجابها الى ذلك فخرجت بالجميع فوفى لها فسارت آمنة ثمّ امر بالملك وجماعة من اعيان الاسرى فارسلوا الى دمشق وامر بمن اسر من الداويّة والاسبتاريّة ان يجمعوا ليقتلهم ثمّ علم انّ من عنده اسير لا يسمح به لما يرجوا من فدآيه فبذل فى كلّ اسير من هذين الصنفين خمسين دينارًا مصريّة فاحضر عنده فى الحال مايتى اسير منهم فامر بهم فضُربت اعناقهم وانّما خصّ هولآء بالقتل لانّهم اشدّ شوكة من جميع الفرنج فاراح الناس من شرّهم وكتب الى نايبه بدمشق ليقتل مَن دخل البلد منهم سوآ كان له او لغيره ففعل ذلك ولقد اجتزتُ بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرايتُ الارض ملاى من عظامهم تبين على البعد منها المجتمع بعضه على بعض وفيها المفترق هذا سوى ما جحفته السيول واخذته السباع فى تلك الاكام والوهاد ۞

ذكر فتح مدينة عكّا

لمّا فرغ صلاح الدين من طبريّة سار عنها يوم الثلاثاء ووصل الى عكّا يوم الاربعاء وقد صعد اهلها على سورها يظهرون الامتناع والحفظ فعجب هو والناس من ذلك لانّهم علموا انّ عساكرهم من فارس وراجل بين قتيل واسير وانّه لم يسلم منهم الّا القليل الّا انّه نزل يومه وركب يوم الخميس وقد صمّم على الزحف الى البلد وقتاله فبينما هو ينظر من اين يزحف ويقاتل اذ خرج كثير من اهلها يضرعون ويطلبون

الامان فاجابهم الى ذلك وامّنهم على انفسهم واموالهم وخيّرهم بين الاقامة والظعن فاختاروا الرحيل خوفًا من المسلمين وساروا عنها متفرّقين وحملوا ما امكنهم حمله من اموالهم وتركوا الباقي على حاله ودخل المسلمون اليها يوم الجمعة مستهلّ جمادى الاولى وصلّوا بها الجمعة في جامع كان للمسلمين قديمًا ثم جعله الفرنج بيعة ثم جعله صلاح الدين جامعًا وهذه الجمعة اوّل جمعة اقيمت بالساحل الشاميّ بعد ان ملكه الفرنج ۔ وسلّم البلد الى ولده الافضل واعطى جميع ما كان فيه للداويّة[1] من اقطاع وضياع وغير ذلك للفقيه عيسى وغنم المسلمون ما بقى ممّا لم يُطلق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه فرأوا فيها من الذهب والجوهر والسقلاط والبندق والسُّكر والسلاح وغير ذلك من انواع الامتعة كثيرًا فانّها كانت مقصدًا للتجار الفرنج والروم وغيرهم من اقصى البلاد وادناها وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من ينقله ففرّق صلاح الدين وابنه الافضل ذلك جميعه على اصحابهما واكثر ذلك فعله الافضل لانّه كان مقيمًا بالبلد وكانت شيمته في الكرم معروفة واقام صلاح الدين بعكّا عدّة ايّام لاصلاح حالها وتقرير قواعدها ۞

ذكر فتح مجدل اليابا

لمّا عزم صلاح الدين الفرنج ارسل الى اخيه العادل بمصر يبشّره بذلك ويامره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر بمَنْ بقى عنده من العسكر ومحاصرة ما يليه منها فسارع الى ذلك وسار عن مصر فنازل حصن مجدل يابا وحصره وغنم ما فيه وورد كتابه بذلك الى صلاح الدين وكانت بشارة كبيرة ۞

ذكر فتح عدّة حصون

في مدّة مقام صلاح الدين بعكّا تفرّق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكّا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نسآءها واطفالها وقدموا من

---

[1] الداويّة (

ذلك بما سد الفضاء وسيّر تقى الدين فنزل على تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور وسيّر حسام الدين عمر بن لاجين فى عسكر الى نابلس فاتى سبسطية وبها قبر زكريآء فاخذه من ايدى النصارى وسلّمه الى المسلمين ووصل الى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من فيها بالامان وتسلّم القلعة واقام اهل البلد به واقرّهم على املاكهم واموالهم ۞

ذكـــر فـــتـــح يافا

لمّا خرج العادل من مصر وفتح مجدل يابا كما ذكرنا سار الى مدينة يافا وهى على الساحل فحصرها وملكها عنوةً ونهبها واسر الرجال وسبى الحريم وجرى على اهلها ما لم يجر على احد من اهل تلك البلاد وكان عندى جارية من اهلها واذا بحلب ومعها طفل عمره نحو سنة فسقط من يدها فانسلخ وجهه فبكت عليه كثيرًا فسكّنتها واعلمتُها انّه ليس بولدها ما يوجب البكآء فقالت ما له ابكى انّما ابكى لما جرى علينا كان لى ستّة اخوة كلّهم هلكوا جميعهم وزوجٌ واختان لا اعلم ما كان منهم هذا من امراة واحدة والباقى بالنسبة ء ورايتُ بحلب امراة فرنجيّة قد جآت مع سيدها الى باب فطرقه سيدها فخرج صاحب البيت فكلّمهم ثم اخرج امراة فرنجيّة فحين رءاتها الاخرى صاحتا واعتنقتا وهما يصرخان ويبكيان وسقطتا الى الارض ثم قعدتا يتحدّثان واذ هما اختان وكان لهما عدّة من الاهل ليس لهما علم من احد منهم ۞

ذكر فتح تبنين وصيدا وجُبيل وبيروت

فامّا تبنين فقد ذكرنا انفاذ صلاح الدين تقى الدين ابن اخيه الى تبنين فلمّا وصلها نازلها واقام عليها فراى حصرها لا يتمّ الّا بوصول عمّه صلاح الدين اليه فارسل اليه يعلمه الحال ويحثّه على الوصول اليه فرحل ثامن جمادى الاولى ونزل عليه حادى عشرهٗ فحصرها وضايقها وقاتلها بالزحف وهى من القلاع المنيعة على جبل فلمّا ضاق عليهم الامر واشتدّ الحصر اطلقوا من عندهم من اسرى المسلمين وهم يزيدون على مايّة رجل فلمّا دخلوا العسكر احضرهم صلاح الدين وكساهم واعطاهم نفقةً وسيّرهم الى اهليهم وبقى الفرنج كذلك خمسة ايّام ثم ارسلوا يطلبون الامان فامّنهم على انفسهم فسلّموها اليه ووفى لهم وسيّرهم الى مامنهم ء

واما صيدا فانّ صلاح الدين لمّا فرغ من تبنين رحل عنها الى صيدا فاجتاز فى طريقه بصرفند فاخذها صفوًا عفوًا بغير قتال وسار عنها الى صيدا وهى من مدن الساحل المعروفة فلمّا سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع فلمّا وصلها صلاح الدين تسلّمها ساعة وصوله وكان مُلكها لتسع بقين من جمادى الاولى ، وامّا بيروت فهى من احصن مدن الساحل وانزهها واطيبها فلمّا فتح صلاح الدين صيدا سار عنها من يومه نحو بيروت، ووصل اليها من الغد فراى اهلها قد صعدوا على سورها واظهروا القوّة والجلد والعدد وقاتلوا على سورها قتالاً شديدًا واغترّوا بحصانة البلد وظنّوا انّهم قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم مرّة بعد مرّة فبينما الفرنج يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زايدة فاتاهم مَن اخبرهم انّ البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى قهرًا وغلبة فارسلوا ينظرون ما الخبر واذا ليس له صحّة فارادوا تسكين مَن به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلمّا خافوا على انفسهم من الاختلاف الواقع ارسلوا يطلبون الامان فامّنهم على انفسهم واموالهم وتسلّمها فى التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة فكان مدّة حصرها ثمانية ايّام ، واما جُبَيْل فانّ صاحبها كان من جملة الاسرى الذين سُيّروا الى دمشق مع ملكهم فتحدّث مع نايب صلاح الدين بدمشق فى تسليم جُبَيْل على شرط اطلاقه فعرّف صلاحَ الدين بذلك فاحضره مقيّدًا عنده تحت الاستظهار والاحتياط وكان العسكر حينيٍّذ على بيروت فسلّم حصنه واطلق اسرى المسلمين الذين به واطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جُبيل من اعيان الفرنج واصحاب الراى والمكر والشرّ به يُضرب المثل بينهم وكان للمسلمين منه عدوًّا ازرق وكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين على ما ياتى بيانه ❁

ذكر خروج المركيش الى صور

لمّا انهزم القمّص صاحب طرابلس من حطّين الى مدينة صور فاقام بها وهى اعظم بلاد الشام حصانةً واشدّ امتناعًا على مَن رامها فلمّا راى السلطان قد ملك تبنين وصيدا وبيروت خاف ان يقصد صلاح الدين

صور وهي فارغة ممّن يقاتل فيها ويحميها ويمنعها فلا يقوى على حفظها وتركها وسار الى مدينة طرابلس فبقيت صور شاغرة لا مانع لها ولا عاصم من المسلمين فلو بدا بها صلاح الدين قبل تبنين وغيرها لاخذها بغير مشقّة لكنّه استعظمها لحصانتها فاراد ان يُفرّغ باله ممّا يجاورها من نواحيها ليسهل اخذها فكان ذلك سبب حفظها وكان امر الله قدراً مقدوراً واتّفق انّ انساناً من الفرنج الذين داخل البحر يقال له المركيش لعنه الله خرج في البحر بمال كثير للزيارة والتجارة ولم يشعر بما كان من الفرنج فارسى بعكّا وقد رابه ما راى من ترك عوايد الفرنج عند وصول المراكب من الفرح وضرْب الاجراس وغير ذلك وما راى ايضًا من زيّ اهل البلد فوقف ولم يدر ما الخبر وكانت الريح قد ركدت فارسل الملك الافضل اليه بعض اصحابه في سفينة ينظر مَن هو وما يريد فاتاه القاصد فساله المركيش عن الاخبار لما انكره فاخبره بكسرة الفرنج واخذ عكّا وغيرها واعلمه انّ صور بيد الفرنج وعسقلان وغيرها وحكى الامر له على وجهه فلم يمكنه الحركة لعدم الريح فردّ الرسول يطلب الامان ليدخل البلد بما معه من متاع ومال فاجيب الى ذلك فردّده مرارًا كلّ مرّة يطلب شيأً لم يطلبه في المرّة الاولى وهو يفعل ذلك انتظارًا لهبوب الهوى ليسير به فبينما هو في مراجعاته اذ هبّت الريح فسار نحو صور وسيّر الملك الافضل الشواني في طلبه فلم يدركوه فاتى صور وقد اجتمع بها من الفرنج خلق كثير لانّ صلاح الدين كان كلّما فتح مدينة من عكّا وبيروت وغيرهما ممّا ذكرنا اعطى اهلها الامان فساروا كلّهم الى صور وكثر الجمع بها الّا انّهم ليس لهم راس يجمعهم ولا مقدّم يقاتل بهم وليسوا اهل حرب وهم عازمون على مراسلة صلاح الدين وتسليم البلد اليه فاتاهم المركيش وهم على ذلك العزم فردّهم عنه وقوّى نفوسهم وضمن لهم حفظ المدينة وبذل ما معه من الاموال وشرط عليهم ان يكون المدينة واعمالها له دون غيره فاجابوه الى ذلك فاخذ ايمانهم عليه واقام عندهم ودبّر احوالهم وكان من شياطين الانس حسن التدبير والحفظ وله شجاعة عظيمة وشرع في تحصينها فجدّد حفر خنادقها وعمل اسوارها وزاد في حصانتها واتّفق مَن بها على الحفظ والقتال دونها ۞

ذكر فتح عسقلان وما يجاورها

لمّا ملك صلاح الدين بيروت وجُبيل وغيرهما كان امر عسقلان والقدس اهمّ عنده لاسباب انّهما على طريق مصر يقطع بينهما وبين الشام وكان يختار ان تتّصل الولايات له ليسهل خروج العسكر منها ودخولهم اليها ولما في فتح القدس من الذكر الجميل والصيت العظيم الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع باخيه العادل ومَن معه من عساكر مصر ونازلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الاخرة وكان صلاح الدين قد احضر ملك الفرنج ومقدّم الداويّة اليه من دمشق وقال لهما ان سلّمتما البلاد الىّ فلكما الامان فارسلا الى مَن بعسقلان من الفرنج يامرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا امرهما وردّوا عليهما اقبح ردّ وجبهوهما بما يسوؤهما فلمّا راى السلطان ذلك جدّ في قتال المدينة ونصب المنجنيقات عليها وزحف مرّة بعد اخرى وتقدّم النقّابون الى السور فنالوا من باشورته شيأً هذا وملكهم يكرّر المراسلات اليهم بالتسليم ويشير عليهم وبعدهم انّه اذا اطلق من الاسر اضرم البلاد على المسلمين نارًا واستنجد بالفرنج من البحر واجلب الخيل والرجّل من اقاصى بلاد الفرنج وادانيها وهم لا يجيبون الى ما يقول ولا يسمعون ما يشير به ولمّا راوا انّهم كلّ يوم يزدادون ضُعفًا ووهنًا واذا قُتل منهم الرجل لا يجدون له عوضًا ولا لهم نجدة ينتظرونها راسلوا صلاح الدين في تسليم البلد على شروط اقترحوها فاجابهم صلاح الدين اليها وكانوا قتلوا في الحصار اميرًا كبيرًا من المهرانيّة فخافوا عند مفارقة البلد ان عشيرته يقتلون منهم بثاره فاحتاطوا فيما اشترطوا لانفسهم فأُجيبوا الى ذلك جميعه وسلّموا المدينة سلخ جمادى الاخرة من السنة وكانت مدّة الحصار اربعة عشر يومًا وسيّرهم صلاح الدين ونساءهم واموالهم واولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان ❁

ذكر فتح البلاد والحصون المجاورة لعسقلان

لمّا فتح صلاح الدين عسقلان اقام بظاهرها وبثّ السرايا في اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزّة ومشهد ابرهيم

الخليل عمّ ويبى[1] وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكلّ ما كان للداويّة ۞

ذكر فتح البيت المقدّس

لمّا فرغ صلاح الدين من امر عسقلان وما يجاورها من البلاد على ما تقدّم وكان قد ارسل إلى مصر اخرج الاسطول الذى[2] بها فى جمع من المقاتلة ومقدّمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة ويمن النقيبة فاقاموا فى البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلّما راوا لهم مركبًا غنموه وشانيًا اخذوه فحين وصل الاسطول وخلا سرّه من تلك الناحية سار عن عسقلان الى البيت المقدّس وكان به البطرك المعظّم عندهم وهو اعظم شانًا من ملكهم وبه ايضًا باليان بن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك وبه ايضًا مَن خلص من فرسانهم من حطّين وقد جمعوا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحى عسقلان وغيرها فاجتمع به كثير من الخلق كلّهم يرى الموت ايسر عليه من ان يملك المسلمون البيت المقدّس وياخذوه منهم ويرى انّ بذل نفسه وماله واولاده بعض ما يجب عليه من حفظه وحصّنوه تلك الايّام بما وجدوا اليه سبيلًا وصعدوا على سوره بحدّهم وحديدهم مجتمعين على حفظه والذبّ عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناضلة دونه بحسب استطاعتهم ونصبوا المنجنيقات ليمنعوا مَن يريد الدنوّ منه والنزول عليه ولمّا قرب صلاح الدين منه تقدّم امير فى جماعة من اصحابه غير محتاط ولا حذر فلقيه جمع من الفرنج قد خرجوا من القدس ليكونوا يَزَكًا فقاتلوه وقاتلهم فقتلوه وقتلوا جماعة ممّن معه فاهمّ المسلمين قتله وفجعوا بفقده وساروا حتّى نزلوا على القدس منتصف رجب فلمّا نزلوا عليه راى المسلمون على سوره من الرجال ما هالهم وسمعوا لاهله من الغلبة والضجيج من وسط المدينة ما استدلّوا به على كثرة الجمع وبقى صلاح الدين خمسة ايّام يطوف حول المدينة لينظر من اين يقاتله لانّه فى غاية الحصانة والامتناع فلم يجد

[1] ويمى [2] الذين

عليه موضع قتال الّا من جهة الشمال نحو باب عمودا وكنيسة صهيون فانتقل الى هذه الناحية فى العشرين من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات فاصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها ونصب الفرنج على سور البلد منجنيقات ورموا بها وقوتلوا اشدّ قتال رءاه احد من الناس كلّ واحد من الفريقين يرى ذلك دينًا وحتمًا واجبًا فلا يحتاج فيه الى باعث سلطانىّ بل كانوا يُمنعون ولا يمتنعون ويُزجرون ولا ينزجرون وكان خيّالة الفرنج كلّ يوم يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيُقتل من الفريقين وممّن استشهد من المسلمين الامير عزّ الدين عيسى بن مالك وهو من اكابر الامرآء وكان ابوه صاحب قلعة جعبر وكان يصطلى القتال بنفسه كلّ يوم فقُتل الى رحمة الله تعالى وكان محبوبًا الى الخاصّ والعامّ فلمّا راى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك واخذ من قلوبهم فحملوا حملة رجل واحد فازالوا الفرنج عن مواقفهم فادخلوهم بلدهم ووصلوا المسلمون الى الخندق فجازوه والتصقوا الى السور فنقبوه وزحف الرماة يحمونهم والمنجنيقات توالى الرمى لتكشف الفرنج عن الاسوار ليتمكّن المسلمون من النقب فلمّا نقبوه حشوه بما جرت به العادة فلمّا راى الفرنج شدّة قتال المسلمين وتحكّم المنجنيقات بالرمى المتدارك وتمكّن النقّابين من النقب وانّهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدّموهم يتشاورون فيما ياتون ويذرون فاتّفق رايهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدّس الى صلاح الدين فارسلوا جماعة من كبرايهم واعيانهم فى طلب الامان فلمّا ذكروا ذلك للسلطان امتنع من اجابتهم وقال لا افعل بكم الّا كما فعلتم باهله حين ملكتموه سنة اثنتين وتسعين واربعمايٴة من القتل والسبى وجزاء السيّئة بمثلها فلمّا رجع الرسل خايبين محرومين ارسل باليان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين فى هذا الامر وتحريره فاجيب الى ذلك وحضر عنده ورغب فى الامان وسال فيه فلم يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه فلمّا ايس من ذلك قال له ايّها السلطان اعلم انّنا فى هذه المدينة فى خلق كثير لا يعلمهم الّا الله تعالى وانّما يفترون عن القتال رجآء الامان ظنًّا

منهم انّك تجيبهم اليه كما اجبتَ غيرَهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا راينا الموت لا بدَّ منه فوالله لنقتلنّ ابنآءنا ونسآءنا ونحرق اموالنا وامتعتنا ولا نترككم تغنمون منها دينارًا واحدًا ولا درهمًا ولا تسبون وتاسرون رجلًا ولا امراة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل مَن عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة الاف اسير ولا نترك لنا دابّةً ولا حيوانًا الّا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلّنا قاتلناكم قتال مَن يريد يحمى دمَه ونفسَه وحينئذ لا يقتل الرجل حتّى يقتل امثاله ونموت اعزّآء او نظفر كرامًا ء فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدرى عاقبة الامر فيه عن اىّ شىءٍ تنجلى ونحسب انّهم اسارى بايدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقرّ بيننا وبينهم فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للفرنج فاستقرّ انّ من الرجل عشرة دنانير يستوى فيه الغنى والفقير ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين وتزن المراة خمسة دنانير فمن ادّى ذلك الى اربعين يومًا فقد نجا ومَن انقضت الاربعون يومًا عنه ولم يؤدّ ما عليه فقد صار مملوكًا فبذل باليان بن بيرزان عن الفقرآء ثلاثين الف دينار فأجيب الى ذلك وسُلّمت المدينة يومَ الجمعة السابع والعشرين من رجب وكان يومًا مشهودًا ورُفعت الاعلام الاسلاميّة على اسواره ورتّب صلاح الدين على ابواب البلد في كلّ باب امينًا من الامرآء لياخذوا من اهله ما استقرّ عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يؤدّوا فيه امانة واقتسم الامنآء الاموال وتفرّقت ايدى سبا ولو ادّيت فيه الامانة لملأ الخزاين وعمّ الناس فانّه كان فيه على الضبط ستّين الف رجل ما بين فارس وراجل سوى مَن يتبعهم من النسآء والولدان ولا يعاجب السامع من ذلك فانّ البلد كبير واجتمع اليه من تلك النواحى من عسقلان وغيرها والداروم والرملة وغزّة وغيرها من القُرى بحيث امتلات الطرق والكنايس وكان الانسان لا يقدر ان يمشى ومن الدليل على كثرة الخلق انّ اكثرهم وزن ما استقرّ من القطيعة واطلق باليان بن بيرزان ثمانية عشر الف رجل وزن عنهم ثلاثين الف دينار وبقى بعد هذا جميعه مَن لم يكن

معه ما يُعطى وأُخذ اسيرًا ستّة عشر الف ادمى ما بين رجل وامراة وصبى هذا بالضبط والبقين ثمّ انّ جماعة من الامرآء ادّعى كلّ واحد منهم انّ جماعة من رعيّة اقطاعه مقيمون بالبيت المقدّس فيطلقهم وياخذ هو قطيعتهم وكان جماعة من الامرآء يلبسون الفرنج زىّ الجند المسلمين ويخرجونهم وياخذون منهم قطيعة قرّروها واستوهب جماعة من صلاح الدين عددًا من الفرنج فوهبهم لهم فاخذوا قطيعتهم وبالجملة فلم يصل الى خزاينه الّا القليل ، وكان بالقدس بعض نسآء الملوك من الروم وقد ترهّبت واقامت به ومعها من الحشم والعبيد والجوار خلق كثير ولها من الاموال والجواهر النفيسة شىّ عظيم فطلبت الامان لنفسها ومن معها فامّنها وسيّرها وكذلك ايضًا اطلق ملكة القدس التى كان زوجها الذى اسره صلاح الدين قد ملك الفرنج بسببها ونيابة عنها كان يقوم بالملك واطلق ما لها وحشمها واستاذنتّه فى المصير الى زوجها وكان حينيئذ محبوسًا بقلعة نابلس فاذن لها فاتتّه واقامتّ عنده واتتّه ايضًا امراة للبرنس ارناط صاحب الكرك وهو الذى قتله صلاح الدين بيده يوم المصاف بحطّين فشفعت فى ولد لها ماسور فقال لها صلاح الدين ان سلّمتّ الكرك اطلقتُهْ فسارت الى الكرك فلم يسمع منها الفرنج ولم يسلّموه فلم يطلق ولدها ولكنّه اطلق مالها ومن تبعها وخرج البطرك الكبير الذى للفرنج ومعه من اموال البيع منها الصخرة والاقصى وقمامة وغيرها ما لا يعلمه الّا الله تعالى وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح الدين فقيل له لياخذ ما معه يقوّى به المسلمين فقال لا اغدر به ولم ياخذ منه غير عشرة دنانير وسيّر الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور ، وكان على راس قبّة الصخرة صليب كبير مذهّب فلمّا دخل المسلمون البلد يوم الجمعة تسلّق جماعة منهم الى اعلى القبّة ليقلعون الصليب فحين صعدوا صاح الناس كلّهم صوتًا واحدًا من البلد ومن ظاهره المسلمون والفرنج امّا المسلمون فكبّروا فرحًا وامّا الفرنج فصاحوا تفجُّعًا وتوجّعًا فسمع الناس صيحة كادت الارض ان تميد بهم لعظمها وشدّتها فلمّا ملك البلد وفارقه الكفّار امر صلاح الدين باعادة الابنية الى حالها القديم فانّ الداويّة بنوا غربىّ الاقصى

ابنية ليسكنوها وعملوا فيها ما يحتاجون اليه من هرى ومستراح وغير ذلك وادخلوا بعض الاقصى فى ابنيتهم فاعيد الى الاوّل وامر بتطهير المسجد والصخرة من الاقذار والانجاس ففعل ذلك اجمع ولمّا كان الجمعة الاخرى رابع شعبان صلّى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلّى فى قبّة الصخرة وكان الخطيب والامام محيى الدين بن الزكى قاضى دمشق ثمّ رتّب فيه صلاح الدين خطيبًا واماما برسم الصلوات الخمس وامر ان يُعمل له منبرٌ فقيل له انّ نور الدين محمودًا كان قد عمل بحلب منبرًا امر الصنّاع بالمبالغة فى تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدّس فعمله النجّارون فى عدّة سنين لم يُعمل فى الاسلام مثله فامر باحضاره فحُمل من حلب ونُصب بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنةً وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ء ولمّا فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدّم بعمارة المسجد الاقصى واستنفاد الوسع فى تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه فاحضروا من الرخام الذى لا يوجد ومن الفصّ المذهّب القسطنطينىّ وغير ذلك ممّا يحتاجون اليه قد ادّخر على طول السنين فشرعوا فى عمارته ومحوا ما كان فى تلك الابنية من الصور وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيّبوها فامر بكشفها وكان سبب تغطيتها بالفرش انّ القسيسين باعوا كثيرًا منها للفرنج الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة فكانوا يشترونه بوزنه ذهبًا رجآء بركتها وكان احدهم اذا دخل الى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ويجعل فى مذبحها فخاف بعض ملوكهم ان تفنى فامر بها ففرش فوقها حفظًا لها فلمّا كشفت نقل اليها صلاح الدين المصاحف الحسنة والربعات الجيّدة ورتّب القرّآء وادرّ عليهم الوظايف الكثيرة فعاد الاسلام هناك غضًّا طريًّا وهذه المكرمة من فتح البيت المقدّس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه غير صلاح الدين رحمه الله وكفاه ذلك فخرًا وشرفًا ء وامّا الفرنج من اهله فانّهم اقاموا وشرعوا فى بيع ما لا يمكنهم حمله من امتعتهم وذخايرهم واموالهم وما لا يطيقون حمله وباعوا ذلك بارخص الثمن فاشتراه التجار من اهل العسكر واشتراه النصارى

من اهل القدس الذين ليسوا من الفرنج فانّهم طلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم من المقام فى مساكنهم ويأخذ منهم الجزية فاجابهم الى ذلك فاستقرّوا فاشتروا حينئذ من اموال الفرنج وترك الفرنج ايضًا اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرّة والصناديق والبتيات وغير ذلك وتركوا ايضًا من الرخام الذى لا يوجد مثله من الاساطين والالواح والفصّ وغيره شيئًا كثيرًا ثم ساروا ٭

ذكر رحيل صلاح الدين الى صور ومحاصرتها

لمّا فتح صلاح الدين البيت المقدّس اقام بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان ثم يُرتّب امور البلد واحواله وتقدّم بعمل الربط والمدارس فجعل دار الاسبتار مدرسة للشافعيّة وهى فى غاية ما يكون من الحسن فلمّا فرغ من امر البلد سار الى مدينة صور وكانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير وقد صار المركيش صاحبها والحاكم فيها وقد ساسهم احسن سياسة وبالغ فى تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكّا واقام بها ايّامًا فلمّا سمع المركيش بوصوله اليها جدّ فى عمل سور صور وخنادقها وتعميقها ووصلها من البحر الى البحر من الجانب الآخر فصارت المدينة كالجزيرة فى وسط المآء لا يمكن الوصول اليها ولا الدنوّ منها ثم رحل صلاح الدين من عكّا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان فنزل على نهر قريب البلد بحيث يراه حتى اجتمع الناس وتلاحقوا وسار فى الثانى والعشرين من رمضان فنزل على تلّ يقارب سور البلد بحيث يرى القتال وقسم القتال على العسكر كلّ جمع منهم له وقت معلوم يقاتلون منه بحيث ان يتّصل القتال على اهل البلد على انّ الموضع الذى يقاتلون منه قريب المسافة يكفيه الجماعة اليسيرة من اهل البلد لحفظه وعليه الخنادق التى قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطير يطير عليها فانّ المدينة كالكفّ فى البحر والساعد متّصل بالبرّ والبحر من جانبَىْ الساعد والقتال انّما هو فى الساعد فزحف المسلمون مرّة بالمنجنيقات والعرّادات والجروخ والدبّابات وكان اهل صلاح الدين يتناوبون القتال مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازى واخيه العادل بن ايّوب وابن اخيه تقى الدين وكذلك ساير الامرآء وكان

للفرنج شوانى وحرّاقات يركبون فيها فى البحر ويقفون من جانبَى الموضع الذى يقاتل المسلمون منه اهل البلد فيرمون المسلمين من جانبهم بالجروخ ويقاتلونهم وكان ذلك يعظم عليهم لانّ اهل البلد يقاتلونهم من بين ايديهم واصحاب الشوانى يقاتلونهم من جانبيهم فكانت سهامهم تنفذ من احد الجانبيْن الى الجانب الاخر لضيق الموضع فكثر الجراحات فى المسلمين والقتل ولم يتمكّنوا من الدنوّ الى البلد فارسل صلاح الدين الى الشوانى التى جآته من مصر وهى عشر قطع وكانت بعكّا فاحضرها برجالها ومقاتلتها وعُدّتها وكانت فى البحر تمنع شوانى اهل صور من الخروج الى قتال المسلمين فتمكّن المسلمون حينئذٍ من القرب من البلد ومن قتاله فقاتلوه برًّا وبحرًا وضايقوا حتّى كادوا يظفرون فجآت الاقدار بما لم يكن فى الحساب وذلك انّ خمس قطع من شوانى المسلمين باتت فى بعض تلك الليالى مقابل مينا صور ليمنعوا من الخروج منه والدخول اليه فباتوا ليلتهم يحرسون وكان مقدّمهم عبد السلام المغربىّ الموصوف بالحذق فى صناعته وشجاعته فلمّا كان وقت السحر امنوا فناموا فما شعروا الّا بشوانى الفرنج قد نازلتهم وضايقتهم فاوقعت بهم فقتلوا مَن ارادوا قتله واخذوا الباقين بمراكبهم وادخلوهم مينا صور والمسلمون فى البرّ ينظرون اليهم ورمى جماعة من المسلمين انفسهم من الشوانى فى البحر فمنهم مَن سبح فنجا ومنهم مَن غرق وتقدّم السلطان الى الشوانى الباقية بالمسير الى بيروت لعدم انتفاعه بها لقلّتها فسارت فتبعها شوانى الفرنج فحين راى مَن فى شوانى المسلمين الفرنج مجدّين فى طلبهم القوا نفوسهم فى شوانيهم الى البرّ فنجوا وتركوها فاخذها صلاح الدين ونقضها وعاد الى مقاتلة صور فى البرّ وكان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال وفى بعض الايّام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين من ورآء خنادقهم فاشتدّ القتال بين الفريقيْن ودام الى اخر النهار وكان خروجهم قبل العصر وأُسر منهم فارس كبير مشهورٌ بعد ان كثر القتال والقتل عليه من الفريقيْن لمّا سقط فلمّا أُسر قُتل وبقوا كذلك عدّة ايّام ۞

ذكر الرحيل عن صور الى عكّا وتفريق العساكر

لمّا راى صلاح الدين انّ امر صور يطول رحل عنها وهذه كانت عادته متى ثبت البلد بين يديه ضجر منه ومن حصاره فرحل عنه وكان هذه السنة لم يطل مقامه على مدينة بل فتح الجميع فى الايّام القريبة كما ذكرناه بغير تعب ولا مشقّة فلمّا راى هو واصحابه شدّة امر صور ملّوها وطلبوا الانتقال عنها ولم يكن لاحد ذنب فى امرها غير صلاح الدين فانّه هو جهّز اليها جنود الفرنج وامدّها بالرجال والاموال من اهل عكّا وعسقلان والقدس وغير ذلك كما سبق ذكره كان يعطيهم الامان ويرسلهم الى صور فصار فيها من فرسان الفرنج بالساحل باموالهم واموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج داخل البحر يستمدّونهم فاجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدوهم بالنصرة وامروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يجتمعون بها ويلتجؤن اليها فزادهم ذلك حرصًا على حفظهم والذبّ عنها وسنذكر ان شآء الله ما صار اليه الامر بعد ذلك ليُعلم ان الملك لا ينبغى ان يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلأن يعجز حازمًا خير له من ان يظفر مفرطًا مضيعًا للحزم واعذر له عند الناس ء ولمّا اراد الرحيل استشار امرآءه فاختلفوا فجماعة يقولون الراى ان يرحل فقد جُرح الرجال وقُتلوا وملّوا وفنيت النفقات وهذا الشتآء قد حضر والشوط بطين فنُريح ونستريح فى هذا البرد فاذا جآء الربيع اجتمعنا وعاودناها وغيرها وكان هذا قول الاغنيآء منهم وكانّهم خافوا انّ السلطان يقترض منهم ما ينفقه فى العسكر اذا اقام لخلوّ الخزاين وبيوت الاموال من الدرهم والدينار فانّه كان يخرج كلّ ما حمل اليه منها ء وقالت الطايفة الاخرى الراى ان نصابر البلد ونضايقه فهو الذى يعتمدون عليه من حصونهم ومتى اخذناه منهم انقطع طمع من داخل البحر من هذا الجانب واخذنا باقى البلاد صفوًا عفوًا فبقى صلاح الدين متردّدًا بين الرحيل والاقامة فلمّا راى مَن يرى الرحيل اقامته أخلَّ بما رُدّ اليه من المحاربة والرمى بالمنجنيق واعتذروا بجراح رجالهم وانّهم قد ارسلوا بعضهم ليحضروا نفقاتهم والعلوفات لدوابّهم والاقوات لهم الى ذلك من الاعذار فصاروا مقيمين بغير قتال

فاضطرّ الى الرحيل فرحل عنها اخر شوّال وكان اوّل كانون الاوّل الى عكّا فاذن العساكر جميعها بالعود الى اوطانهم والاستراحة فى الشتآء والعود فى الربيع فعادت عساكر الشرق والموصل وغيرها وعساكر الشام وعساكر مصر وبقى حلقته الخاصّ مقيم بعكّا فنزل بقلعتها وردّ امر البلد الى عزّ الدين جورديك وهو من اكابر المماليك النوريّة جمع الديانة والشجاعة وحسن السيرة ۞

ذكر فتح هونين

لمّا فتح صلاح الدين تبنين امتنع مَن بهونين من تسليمها وهى من احصن القلاع وامنع فلم ير التعريج عليها ولا الاشتغال بمحاصرتها بل سيّر اليها جماعة من العسكر والامرآء فحصروها ومنعوا من حمل الميرة اليها واشتغل بما تقدّم ذكره من فتح عسقلان والبيت المقدّس وغير ذلك فلمّا كان يحاصر مدينة صور ارسل مَن فيها يطلبون الامان فأمّنهم فسلّموا ونزلوا منها فوفى لهم بامانهم ۞

ذكر حصر صفد وكوكب والكرك

لمّا سار صلاح الدين الى عسقلان جعل على قلعة كوكب وهى مطلّة على الاردن من يحصرها ويحفظ الطريق للمجتازين لئلّا ينزل مَن به من الفرنج يقطعونه وسيّر طايفة اخرى من العسكر ايضًا الى قلعة صفد فحصروها وهى مطلّة على مدينة طبريّة وكان حصن كوكب للاسبتار وحصن صفد للداويّة وهما قريبان من حطّين موضع المصاف فلجأ اليهما جمع ممّن سلم من الداويّة والاسبتار فحموها فلمّا حصرهما المسلمون استراح الناس من شرّ مَن فيهما واتّصلت الطرق حتى كان يسير فيها المنفرد فلا يخاف وكان مقدّم الجماعة الذين يحصرون قلعة كوكب اميرًا يقال له سيف الدين وهو اخو جاولى الاسدىّ وكان شهمًا شجاعًا يرجع الى دين وعبادة فاقام عليه الى اخر شوّال وكان اصحابه يحرسون نوبًا مرتبة فلمّا كان اخر ليلة من شوّال غفل الذين كانت نوبتهم فى الحراسة وكان قد صلّى ورده من الليل الى السحر وكانت ليلة كثيرة الرعد والبرق والريح والمطر فلم يشعر المسلمون وهم نازلون

الّا والفرنج قد خالطوهم بالسيوف ووضعوا السلاح فيهم فقتلوهم اجمعين واخذوا ما كان عندهم من طعام وسلاح وغيره وعادوا الى قلعتهم فقووا بذلك قوّة عظيمة امكنهم ان يحفظوا قلعتهم الى ان أُخذت اواخر سنة اربع وثمانين على ما سنذكره ان شآء الله واتى الخبر الى صلاح الدين بذلك عند رحيله عن صور فعظم ذلك عليه مضافًا الى ما ناله من اخذ شوانيه ومن فيها ورحيله عن صور ثم رتّب على حصن كوكب[1] الامير قايماز النجميّ في جماعة اخرى من الاجناد يحصروها ✿

ذكر الفتنة بعرفات وقتل ابن المقدّم

في هذه السنة يوم عرفة قُتل شمس الدين محمّد بن عبد الملك المعروف بابن المقدّم بعرفات وهو اكبر الامرآء الصلاحيّة وقد تقدّم من ذكره ما فيه كفاية وسبب قتله انّه لمّا فتح المسلمون البيت المقدّس طلب اذنًا من صلاح الدين ليحجّ ويحرم من القدس ويجمع في سنته بين الجهاد والحجّ وزيارة الخليل عم ومن بالشام من مشاهد الانبيآء وبين زيارة رسول الله صلّعم اجمعين فاذن له وكان قد اجتمع تلك السنة من الحجاج بالشام الخلق العظيم من البلاد والعراق والموصل وديار الجزيرة وخلاط وبلاد الروم ومصر وغيرها ليجمعوا بين زيارة بيت المقدّس ومكّة فجعل ابن المقدّم اميرًا عليهم فساروا حتّى وصلوا الى عرفات سالمين ووقفوا في تلك المشاعر وادّوا الواجب والسنّة فلمّا كان عشية عرفة تجهّز هو واصحابه ليسيروا من عرفات فامر بضرب كوساته التي هي امارة الرحيل فضربها اصحابه فارسل اليه امير الحاجّ العراقيّ وهو مجير الدين طاش تكين ينهاه عن الافاضة من عرفات قبله ويامره بكفّ اصحابه عن ضرب كوساته فارسل اليه [يقول] انى ليس لى معك تعلّق انت امير الحاجّ العراقيّ وانا امير الحاج الشاميّ وكلّ منّا يفعل ما يراه ويختاره وسار ولم يقف ولم يسمع قوله فلمّا راى طاش تكين اصراره على مخالفته ركب في اصحابه واجناده وتبعه من غوغآء الحاجّ العراقيّ وبطّاطيهم وطمّاعتهم العالم الكثير والجمّ الغفير وقصدوا حاجّ الشام مهولين عليهم فلمّا

---

[1]) C. P. et 740. Ups.: صور

قربوا منهم خرج الامر من الضبط وعجزوا عن تلافيه فهاجم ضمّاعة العراق على حاجّ الشام وفتكوا فيهم وقتلوا جماعة ونهبت اموالهم وسبيت جماعة من نسآيهم الّا انهنّ رددن عليهم وجُرح ابن المقدّم عدّة جروح وكان يكفّ اصحابه من القتال ولو اذن لهم لانتصف منهم وزاد لكنّه راقب الله تعالى وحرمة المكان واليوم فلمّا اثخن بالجراحات اخذه طاش تكين الى خيمته وانزله عنده ليمرّضه ويستدرك الفارط فى حقّه وساروا تلك الليلة من عرفات فلمّا كان الغد مات بمنى ودُفن بمقبرة المعلى ورُزق الشهادة بعد الجهاد وشهود فتح البيت المقدّس رحمه الله تعالى ❁

ذكر قوّة السلطان طغرل على قزل

... فى هذه السنة قوى امر السلطان طغرل وكثر جمعه وملك كثيرًا من البلاد فارسل قزل الى الخليفة يستنجده ويخوّفه من طغرل ويبذل من نفسه الطاعة والتصرّف على ما يختارونه وارسل طغرل رسولًا الى بغداد يقول اريد ان يتقدّم الديوان بعمارة [دار] السلطنة لاسكنها اذا وصلتُ فاكرم رسول قزل ووعده بالنجدة وردّ رسول السلطان طغرل بغير جواب وامر الخليفة بنقض دار السلطنة فهدمت الى الارض وعفى اثرها ❁

ذكر ملك شرستى[1] من الهند وانهزام المسلمين بعدها

فى اخر هذه السنة سار شهاب الدين الغورىّ ملك غزنة الى بلاد الهند وقصد بلاد اجمير[2] وتعرف بولاية السوالك واسم ملكهم كولة وكان شجاعًا شهمًا فلمّا دخل المسلمون بلاده ملكوا مدينة تبرندة[3] وهى حصن منيع عامرٌ وملكوا شرستى[1] وملكوا كوة رام[4] فلمّا سمع ملكهم جمع العساكر فاكثر وسار الى المسلمين فالتقوا وقامت الحرب على ساق وكان مع الهند اربعة عشر فيلًا فلمّا اشتدّت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم فقال لشهاب الدين بعض خواصّه قد انكسرت الميمنة والميسرة فانج بنفسك لا يهلك المسلمون فاخذ شهاب الدين الرمح وحمل على الهنود فوصل الى الفيلة فطعن فيلًا منها فى كتفه وجُرح الفيل لا يندمل فلمّا وصل شهاب الدين الى الفيلة زرقه بعض الهنود

¹) C. P. et 740: سرستى
²) C. P. et 740: احمير Ups: حمير
³) C. P. et 740: تمريدة
⁴) C. P. اكوه دام :740 اكوم رام

بحربة فوقعت الحربة فى ساعده فنفذت الحربة من الجانب الاخر فوقع حينئذ الى الارض فقاتل عليه اصحابه ليخلصوه وحرصت الهنود على اخذه وكان عنده حرب لم يسمع بمثله واخذه اصحابه فركبوه فرسه وعادوا به منهزمين فلم يتبعهم الهنود فلمّا ابعدوا عن موضع الوقعة بمقدار فرسخ اغمى على شهاب الدين من كثرة خروج الدم فحمله الرجال على اكتافهم فى محفة اليد اربعة وعشرين فرسخًا فلمّا وصل الى لهاوور[1] اخذ الامرآء الغورية وهم الذين انهزموا ولم يثبتوا وعلّق على كلّ واحد منهم عليق شعير وقال انتم دوابّ ما انتم امرآء وسار الى غزنة وامر بعضهم فمشى اليها ماشيًا فلمّا وصل الى غزنة اقام بها ليستريح الناس ونذكر ما فعله بملك الهند الذى هزمه سنة ثمان وثمانين ان شآء الله تعالى ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل قُتل مجد الدين ابو الفضل بن الصاحب وهو استاذ دار الخليفة امر الخليفة بقتله وكان متحكّمًا فى الدولة ليس للخليفة معه حكم وكان هو القيم بالبيعة له وظهر له اموال عظيمة اخذ جميعها وكان حسن السيرة عفيفًا عن الاموال وكان الذى سعى به انسان من اصحابه وصنايعه يقال له عبيدُ الله بن يونس فسعى به الى الخليفة وقبّح اثاره فقبض عليه وقتله ، وفيها فى ربيع الاخر وقع حريق فى الحظاير ببغداد احترقت احطاب كثيرة وسببه انّ فقيهًا بالمدرسة النظامية كان يطبخ طعامًا ياكله فغفل عن النار والطبيخ فعلقت النار واتّصلت فاحترقت جميعها واحترق درب السلسلة وغيره ممّا يجاوره وفيها فى شوّال استوزر الخليفة الناصر لدين الله ابا المظفر عبيد الله ابن يونس ولقّبه جلال الدين ومشى ارباب الدولة فى ركابه حتّى قاضى القضاة وكان ابن يونس من شهوده وكان يمشى ويقول لعن الله طول العمر ، وفيها فى المحرّم توفّى عبد المغيث ابن زهير الحرّبىّ ببغداد وكان من اعيان الحنابلة قد سمع الحديث الكثير وصنّف كتابًا فى فضايل

---

[1] لهاوور.

يزيد بن معوية اتى فيه بالعجايب وقد ردّ عليه ابو الفرج بن الجوزىّ
وكان بينهما عداوة ، وفيها توفّى قاضى القضاة ابو الحسن ابن الدامغانىّ
وولى القضآء للمقتفى بعد موت الزينبىّ ثمّ للمستنجد بالله ثمّ عُزل ثمّ
أُعيد الى المستضىّ بامر الله ، وفيها توفّى علىّ بن خطاب بن ظفر الشيخ
الصالح من جزيرة ابن عمر وكان من الاوليآء ارباب الكرامات وصحبتُه انا
مُدّةً فلم ار مثله حسن خلق وسمت وكرم وعبادة رحمه الله ، وفيها
ولدت امراة من سواد بغداد بنتًا لها اسنان ، وفيها توفّى نصر بن فتيان
بن مطر ابو الفتح بن المنى الفقيه الحنبلىّ لم يكن لهم مثله رحمه الله ☆

تمّ المجلد الحادى عشر

Pag. ١٣٨ l. 1: حوض C. P. L. 2: حرمًا Ib. L. 3.: ينسف السيل الربى Ib.

Pag. ١٤٤ lin. 5 infra: + فولاها اخاه

Pag. ١٤٥ lin. 6 hemist. poster.: الّا تناهيا C. P. Lin. 13: لفظ مفوّق C. P. Lin. 17: وقربك منهم جوفة تنابيا Ib.

Pag. ١٥٩ lin. 3 inf.: ولا نغدر به P. ١٦٠ lin. 4 et 5: + الاسلام على من

Pag. ١٦٤ lin. 12 et 13 inf.: deleas cum C. P. verba: عليها usque ad داخل السور

Pag. ١٧١ lin. 3: + الى اجنحه Pag. ١٧٧ lin. 9: + يطمعه

Pag. ١٨١ lin. 7 inf.: الا ان يديين C. P. Lin. 5 inf.: الندى بالناس Ib. Lin. 3 inf.: انها في الحلم Ib.

Pag. ١٨٣ lin. 11 inf.: تخالسّاه C. P. Hemist. post.: الانقضا Ib.

Pag. ١٩٠ lin. 9 inf.: + يصلّى

Pag. ١٩١ lin. 12 inf.: وظهرت عليهم[امارات]

Pag. ١٩٦ lin. 7: فلا C. P. Lin. 9: بالي Ib. Lin. 10: مُحال

Pag. ١٩٨ lin. 2 inf.: اخذتم لاردى الافرنج Hemist. post.: على يدى

Pag. ٢١٠ lin. 4: + وتقسّم Pag. ٢١٣ lin. 3 inf.: + على

Pag. ٢١٤ lin. 9: + انهزمنا Pag. ٢٢٤ lin. 12: + اعلموا

Pag. ٢٢٦ lin. 1: + الخطر

Pag. ٢٢٩ lin. 10: + اخراجه Lin. 18: + فتغيرت بواطن

Pag. ٢٣٠ lin. 11: بابن السيبيّ C. P. Lin. 12: inf.: الّسى Ib. Lin. 8 inf.: والياس Ib.

Pag. ٢٣٥ lin. 2 inf.: + واستنقذوا Pag. ٢٣٧ lin. 7: + فيفعلها

Pag. ٢٣٨ lin. 1: + برآته Lin. 15: + اولى

Pag. ٢٤٥ lin. 4: + تقول Pag. ٢٤٨ lin. 11: + عليهم

Pag. ٢٦٤ lin. 13: inf.: لو ان صبرى يوم كاظمة et in hem. post. وكظمت C. P. Lin. 10: بقاوه Ib. Lin. 8: لى في هوى Ib. Lin. 7. لى في القدود Ib.

Pag. ٢٦٩ lin. 7 inf.: + فعلوه ويبذل Lin. 5 inf.: + طريف

Pag. ٢٧٤ lin. 2 inf.: + الى اخر

Pag. ٢٨٢ lin. 12 inf.: بعد القصور C. P.

Pag. ٢٨٧ lin. 10 inf.: جلال الدين

Pag. ٢٨٨ lin. 14: حتّى اشاهد C. P. Lin. 3 inf.: تغنى C. P.

Pag. ٢٩٠ lin. 3: + عين الجر في Lin. 3 inf.: + ارتفاعًا

Pag. ٢٩١ l. 11 inf.: + واجتمع

Pag. ٣٠٢ lin. 11: + ذراعًا Pag. ٣٠٩ lin. 9: الدزدار

Pag. ٣١٢ lin. 10: + عماد الدين Lin. 16: + وان ملكها

Pag. ٣٢٤ lin. 14: + ودفن Pag. ٣٣٩ lin. 6 infra: + الجزرية

Pag. ٣٥١ lin. 5 infra: + ونزل

Addenda et Corrigenda.

Signum + errores notat typothetarum.

Pag. ٤ lin. 15: اسوار C. P.
Pag. ٥ lin. 11: والاشتغال بامر اخرته C. P.
Pag. ٧ lin. 5: + الكفرتوثى Nota 1): + الكفرتوثى

Pag. ١٠ lin. 9: وهّنى سجانى et hemist. poster. والعاذل بالملام قد سجّانى C. P. Lin. 11: يبعاد بينهم Ib. Lin. 14: ينسف الجبال Ib. Lin. 16: صار صغار فى Ib.

Pag. ٢٣ lin. 7 infra: البندنيجيْن
Pag. ٢٧ lin. 3: البقشلامى C. P.
Pag. ٢٩ lin. 11 infra et pag. ٣٩ lin. 3: الدركزينى

Pag. ٣٤ lin. 2 infra: انطاليّة

Pag. ٣٩ lin. 7: يطّبق C. P.
Pag. ٤٣ lin. 1: C. P. verba ويلبس سراويل فتوة منه omittit et pro اليه habet عليه

Pag. ٤٤ lin. 4: بغير عناه C. P. Pag. ٤٨ lin. 10: الى دمشق
Pag. ٥٢ lin. 9: طغرل Pag. ٥٦ lin. 16: تتر C. P.

Pag. ٦٤ lin. 9: + مهاجرًا Lin. 14: خربًا C. P. Lin. 16: مما تكتب Ib.
Pag. ٧٠ lin. 8: وباجة Pag. ٧٤ lin. 11 infra: بلد
Pag. ٩١ lin. 4 infra: وقد نحلت C. P.

Pag. ٩٥ lin. 4 et 6: انّب Lin. 20: راجفة C. P.

Pag. ٩٧ lin. 2: تحتلّعت C. P.
Pag. ٩٨ lin. 8 infra: طابت نجومك فوقها ولربما C. P. Lin. 6 infra: تستفلى C. P.
Pag. ١٠٥ lin. 10 infra: + عليه

Pag. ١٠٩ lin. 4: طغا وبغا عدوا على علوآنه فاوبقه C. P. Lin. 7: لا فُلّ C. P.
Pag. ١٠٧ lin. 12: فتوح النبى C. P. Lin. 13: فواطات يا حبذا حدمها ـ ابدارها C. P. Lin. 14: وانصار رايك انصارها C. P. Lin. 16: كذلك ـ بالنوع Lin. 17: + اذابت
Pag. ١٠٨ lin. 10: فاخذوه بغير قتال C. P. et 740
Pag. ١١٣ lin. 3 infra: + فلكاها

Pag. ١١٧ lin. 14: لابرشهر ومصباحًا لداجيه C. P. Lin. 18: + تنهبه

Pag. ١٣٠ lin. 14: أبق ابن
Pag. ١٣٣ lin. 9 infra: ولى الخليفة C. P.
Pag. ١٣٧ lin. 5 infra: ما زلت تمسكه بمناد ـ ـ عوده بالمناد C. P. Lin. 4 infra: عددا C. P.

LIBERO BARONI

CONSTANTINO D'OHSSON

INCLYTO MONGOLORUM HISTORIÆ SCRIPTORI

gratum et venerabundum animum testaturus

v. d. d.

C. J. TORNBERG.

IBN-EL-ATHIRI

CHRONICON
QUOD PERFECTISSIMUM INSCRIBITUR.

VOLUMEN UNDECIMUM,

ANNOS H. **527—583** CONTINENS,

AD FIDEM CODICIS UPSALIENSIS, COLLATIS PASSIM PARISINIS

EDIDIT

CAROLUS JOHANNES TORNBERG

L. L. O. O. PROFESSOR R. ET O. LUNDENSIS,
REG. ACAD. LITT. HUMM. HISTORIÆ ET ANTIQUITT. HOLM., REG. SOC. SCIENT. UPSAL.,
SOC. PHYSIOGR. LUND., REG. SOC. SCIENT. NORVEG., SOC. ASIAT. PAR.
ET SOC. ORIENT. GERMAN. MEMBRUM.

PUBLICO SUMTU.

LUGDUNI BATAVORUM,
E. J. BRILL,
1851.

image
not
available